العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الثالث

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر
بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الأزهر الشريف بمصر
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

(الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم)

١٣

فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

﴿ وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب ﴾

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه . قد مضى قولنا فى الخطب وفضائلها . وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب وفضل الايجاز اذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأوقعه قدرا ، وأعظمه من القلوب موقعا ، وأقله على اللسان عملا ، مادل بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ، ومنه قولهم رب اشارة ابلغ من لفظ ، اليس ان الاشارة تبين مالا يبينه الكلام ، وتبلغ مايقصر عنه اللسان ، ولكنها اذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت أبلغ لخفة مؤنتها وقلة عملها . قال ابرويز . لكتابه اجمع الكثير مما تريد من اللفظ فى القليل مما تقول ، يحضه على الايجاز وينهاه عن الاكثار فى كتبه ألا تراهم كيف طعنوا على الاسهاب والاكثار حتى كان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من الاسهاب قيل له وما الاسهاب قال المسهب الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقر ويشول به شولان الروق . وقال النبي صلي الله عليه وسلم «أبغضكم الى الثرثارون المتشدقون» يريد أهل الاكثار والتقعير فى الكلام ولم أجد أحدا من السلف يذم الايجاز ويقدح فيه ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصر

الممدود أحب اليهما من مد المقصور وتسكين المتحرك أخف عليهما من تحريك الساكن لان الحركة عمل والسكون راحة . ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد فى الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له وقد تومىء الى الشيء فتستغني عن التفسير بالايماء كما قالوا لمحة دالة . كتب عمرو بن مسعدة الى ضمرة الحروري كتابا فنظر فيه جعفر بن يحيي فوقع فى ظهره اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز مقصرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . وبعث الى مروان بن محمد : قائد من قواده بغلام اسود فامر عبد الحميد الكاتب أن يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب وأكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله اما انك لو علمت عددا اقل من واحد ولونا شرا من أسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى : فأكثر وأعجبه اكثاره فالتفت الى اعرابى الى جنبه . فقال له ما تعدون البلاغة عندكم يا اعرابي قال له حذف الكلام وايجاز الصواب . قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم فكانما القمه حجرا . أول من وضع الكتابة : أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة كتبه فى الطين ثم طبخه . فلما كان ما أصاب الارض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب . وروي عن أبي ذر : عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم : وعن ابن عباس : ان أول من وضع الكتابة العربية اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمرو بن شبة : باسانيده ان أول من وضع الخط العربي أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع عدنان بن أددوهم من طسم وجديس . وحكى : انهم وضعوا الكتب على أسمائهم . فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق فى حروف الجمل . وعنه : ان أول من وضع الخط نصر ونصر واتيا ودومة بنو اسمعيل بن ابراهيم ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذار . وحكوا أيضا . ان ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر

انسانا وهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان وأبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة بن عتبة ويزيد بن أبي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وابو سلمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وحويطب بن عبد العزى وابو سفيان بن حرب ومعاوية ولده وجهيم بن الصلت ابن مخرمة ﴿ استفتاح الكتب ﴾ ابراهيم بن محمد الشيباني قال لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتي أنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت بسورة بني اسرائيل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت بسورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكتب الى اصحابه وأمراء جنوده من محمد رسول الله الى فلان . وكذلك كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم . فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ابو بكر والعلاء بن الحضرمي وغيرهما . وكذلك كتب الصحابة والتابعين . ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رجع الامر الى رأي الوليد والقوم عليه الى اليوم ﴿ ختم الكتاب وعنوانه ﴾ وأما ختم الكتاب وعنوانه فان الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس . فلما قرأها ختمت وعنونت وكان يؤتي بالكتاب فيقال من عني به فسمي عنوانا :

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها * جعلتها للذي أحببت عنوانا

وقال أهل التفسير في قوله تعالى «اني القي الي كتاب كريم» أي مختوم اذ كانت كرامة الكتاب ختمه ﴿ تاريخ الكتاب ﴾ لا بد من تاريخ الكتاب لانه لا يدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ . فاذا أردت ان تؤرخ كتابك فانظر الى ما مضى من الشهر وما بقي منه فان كان ما بقي أكثر من نصف الشهر كتبت لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا وان

كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض الكتاب لا تكتب اذا أرخت الا بما مضي من الشهر لانه معروف وما بقي منه مجهول لانك لا تدرى أيتم الشهر أم لا ولا تجعل سحاءة كتابك غليظة الا فى كتب العهود والسجلات التي يحتاج الى بقاء خواتيمها وطوابعها فان عبدالله بن طاهر كتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سحاءته غليظة فامر باشخاص الكاتب اليه . فلما ورد عليه قال له عبدالله بن طاهر ان كانت معك فاس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى عملك وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ولا تعظم الطينة جداً وطن كتبك بعد كتبك عناوينها فان ذلك من أدب الكاتب فان طبعت قبل العنوان فادب مستحيل ﴿ تفسير الامي ﴾ فاما الامى فجازه على ثلاثة وجوه قولهم أمى منسوب الى امة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال رجل أمى اذا كان من أم القري قال الله تعالى « لتنذر أم القري ومن حولها » وأما قوله تعالى « النبي الامى » فانما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب والامية فى النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة لانها أدل على صدق ما جاء به انه من عند الله لا من عنده وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال المامون : لابي العلاء المنقرى بلغنى انك امى وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن فى كلامك . فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه . واما الامية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر . فقال له المامون سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل اما علمت ياجاهل ان ذلك فى النبي صلي الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى امثالك نقيصة ﴿ شرف الكتاب وفضلهم ﴾ فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم « علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقوله تعالى « كراما كاتبين » وقوله تعالى « بايدى سفرة كرام بررة » وللكتاب احكام بينة كاحكام القضاة يعرفون بها وينسبون اليها وبقية لمدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم وباهلها يقام أود الدين وأمور العالمين . فمن اهل هذه الصناعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحى . ثم افضت اليه الخلافة بعد الكتابة . وعثمان ابن عفان كانا يكتبان الوحى فان غابا كتب ابى بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه . وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية اذا لم يحضرا . وكان زيد بن أرقم بن عبد يغوث والعلاء

ابن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الانصار بين الرجال والنساء . وكان ربما كتب عبدالله بن الارقم الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز وكان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وقيل : انه تعلم بالفارسية من رسول كسرى وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام وروى : عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقام لحاجة فقال لي ضع القلم على أذنك فانه اذكر للممل وأقضى للحاجة وكان معيقيب بن ابي فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربيع بن المربع بن صيفي ابن أخي اكثم بن صيفي الاسدي خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا غاب عن عمله فغلب عليه أسلم وكان يضع عنده خاتمه . فقال له الزمني واذكرني بكل شيء أنا فيه وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام الا أذكره فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة . فقال لحنظلة الحق خالدا وقل له لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها فقالت فيه امرأة وحكى انه من قول الجن وهذا محال

يا عجب الدهر لمحزونة * تبكى على ذى شيبة شاحب
ان تسالني اليوم ماشفني * أخبرك قيلا ليس بالكاذب
ان سواد الرأس أودى به * وجدى على حنظلة الكاتب

ولما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا الى العراق وكتب اليه ان يسبع القبائل أسباعا وجعل على كل سبع رجلا ففعل سعد ذلك وجعل السبع الثالث تميما وأسدا وغطفان وهوازن وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سير الى يزدجرد يدعوه الى الاسلام وكان الحصين بن زهير من بنى عبد مناة شهد بيعة الرضوان ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سهل بن عمرو . وقال لا يكتب الا رجل منا فكتب علي بن ابي طالب . وروى عنه عليه السلام انه قال لما جاء سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قريشا كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب له . ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال ان محمدا يكتب بما شئت فسمع ذلك رجل من الانصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف . فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان وكان بينهما رضاع

فقال يارسول الله هذا عبدالله قد أقبل تائبا فاعرض عنه والانصارى مطيف به ومعه سيفه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه . وقال الانصارى لقد تلومنك ان توفى بنذرك فقال هلا أومضت الى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لى ان أومض . أيام أبى بكر رضي الله عنه : كان يكتب لابي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت . وروي أن عبدالله بن الارقم كتب له وحنظلة بن الربيع ولما تقلد الخلافة دعا بزيد بن ثابت . وقال له أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تكتب الوحى فتتبع القرآن فاجمعه . وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو حبيرة بن الضحاك فلم يزل عليه الى ان ولى عبيدالله بن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسي . أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه : كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم . وكان عبدالملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة . وأبو حبيرة على ديوان الكوفة . وعبد الله بن الارقم على بيت المال . وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني همدان من قيس بن غيلان يكتب له أيضا وكان يكتب له أهيب مولاه وحمران مولاه . أيام على بن أبي طالب كرم الله وجهه : كان يكتب له سعد بن عمران الهمدانى ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن جعفر يكتب له وروى أن عبد الله بن حسن كتب له وكان عبد الله بن أبي رافع يكتب له وسماك بن حرب . وكان يكتب لمعاوية بن ابى سفيان سعيد بن أنس الغساني . وكاتب يزيد بن معاوية سرحون بن منصور . وكاتب مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف . وكاتب عبدالملك بن مروان سالم مولاه . ثم كتب له عبد الحميد بن يحيي وهو عبد الحميد الاكبر . وكاتب الوليد بن عبد الملك جناح مولاه . وكاتب سليمان بن عبدالملك عبدالحميد الاصغر . وكاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم . وكتب له رجاء بن حيوة وخص به واسمعيل بن أبي حكم مولى الزبير وسليمان بن سعد الحسني على ديوان الخراج وكان عمر يكتب كثيرا بيده . وكاتب يزيد بن عبدالملك عبدالحميد أيضا . ثم لم يزل كاتبا لبني أمية الى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية وكان عبدالحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر . ثم جاءت

الدولة العباسية : فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب المرزباني الاهوازى . وكاتب محمد المهدى بن المنصور معاوية بن عبيد الله ثم يعقوب بن داود . وكاتب موسى الهادى محمد بن المهدى ابراهيم بن ذكوان الحراني . وكاتب هرون الرشيد بن محمد المهدى يحيي بن خالد البرمكى ثم الفضل بن الربيع ثم ابراهيم بن صبيح وكاتب محمد بن زبيدة الامين الفضل بن الربيع . وكاتب عبد الله المأمون بن هرون الرشيد الفضل بن سهل ثم الحسن بن سهل ثم عمرو بن مسعدة ثم أحمد بن يوسف . وكاتب أبي اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد وهو المعروف بابن ماردة الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكاتب الواثق هرون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضا . وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ابراهيم بن العباس بن صول مولى لبني العباس . وكاتب المنتصر محمد و يكنى أبا جعفر بن المتوكل احمد بن الخصيب ثم كتب المستعين احمد بن محمد المعتصم فظهر من عجزه وعيه ما أسخطه عليه ثم جعل وزارته الى اوتامش وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ثم سخط عليهما فقتلهما . واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني . فلما استقام الامر رد وزارته الى احمد بن اسرائيل . وكاتب المهدى محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ثم استوزر بعده ابا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيي بن خاقان . فلما توفى استوزر بعده الحسن بن مخلد وكان سبب موته انه صدمه غلام له فى الميدان يقال له رشيق فحمل الى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد احمد بن طلحة وللموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفى بالله أبي محمد على بن المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله على بن محمد بن الفرات ثم محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان ثم على بن عيسي بن حامد بن العباس ثم محمد بن على بن مقلة الذى يوصف خطه بالجودة ثم سليمان بن الحسين بن مخلد ثم عبد الله بن احمد الكاوداني ثم الحسين ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ولقب بعميد الدولة . وكان يكتب على كتبه من عميد الدوله أبي علي بن ولى الدولة وذكر لقبه على الدنانير والدراهم ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن على بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني . وتقلد الوزارة للراضى بالله

أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن عيسى أخو الوزير علي بن عيسى بن محمد بن القاسم الكرخي ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ثم محمد بن يحيي بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمتقي بالله ابراهيم بن جعفر بن المقتدر كاتبه أحمد بن محمد بن الافطس ثم أبو اسحق القراريطي ثم محمد بن علي بن مقلة . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبدالله بن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج ثم ولى للمطيع بالله الفضل بن المقتدر فوزرله الحسن ابن هرون

١٠ – أسماء من كتب لغير الخليفة — كان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعري . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبدالله بن عتبة بن مسعود . وكان قاضيا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري مع نبله وفقهه وورعه و زهده كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ثم ولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقبل له من وليت القضاء بالبصره فقال وليت سيد التابعين الحسن بن ابي الحسن البصري وكان محمد ابن سيرين مع علمه وورعه كاتبا لانس بن مالك بفارس . وكان زياد بن أبيه مع رأيه ودهائه وما كان من معاوية في ادعائه يكتب المغيرة بن شعبة ثم لعبدالله بن عامر بن كريز ثم لعبدالله بن عباس ثم لابي موسى الاشعري فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع اليه حسابه ، فامر له عمر بالف درهم لما رأى منه من الذكاء وقال له لا ترجع لابي موسى . فقال يا أمير المؤمنين أعن خيانة صرفتني أم عن تقصير قال لا عن واحد منهما ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرعية * ثم ولى بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشعبي مع فقهه وعلمه ونبله كاتبا لعبدالله بن مطيع ثم لعبدالله بن يزيد عامل عبدالله بن الزبير على الكوفة ثم ولى قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم بعده . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحرث وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبدالله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمرو بن عثمان ثم قتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها وكان زيد بن عبيد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتبا على ديوان المدينة من يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري

٢ — اشرف كتاب النبي صلى الله عليه وسلم — كتب له عشرة كتاب . على ابن أبي طالب . وعمر بن الخطاب : وعثمان بن عفان . وخالد بن سعيد بن العاصى . وأبان بن سعيد بن العاصى . وأبو سعيد بن العاصى . وعمرو بن العاصي . وشرحبيل ابن حسنة وزيد بن ثابت . والعلاء بن الحضرمى : ومعاوية بن أبي سفيان . فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . وكان عثمان بن عفان كاتبا لابي بكر ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتبا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتبا على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لابى موسى الاشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصرى كاتبا للربيع بن زياد الحارثى بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبدالله بن عتبة بن مسعود وكان فاضلا . وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لابي موسى الاشعري ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبدالله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبا لعبدالله بن مطيع وهو والى الكوفة لعبدالله بن الزبير وكان محمد بن سيرين كاتبا لانس بن مالك بفارس وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبدالملك على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتب نافع بن الحرث الخزاعى وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة . وكان عبدالله بن أوس الغسانى سيد أهل الشام كاتب معاوية . وكان سعيد بن غزوان الهمدانى سيد همدان كاتب على بن أبي طالب . ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أخو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر وعثمان وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية . وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا ﴾ سرجون ابن منصور الرومى كاتب لمعاوية . ويزيد ابنه ومروان بن الحكم . وعبدالملك ابن مروان الى ان أمره عبدالملك بامر فتوانى فيه . ورأى منه عبدالملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل ان سرجون يدل علينا بصناعته وأظن أنه رأي ضرورتنا اليه فى حسابه فما عندك فيه حيلة . فقال بلي لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية . قال افعل قال انظرنى أعانى ذلك . قال لك نظرة ما شئت فحول

الديوان فولاه عبدالملك جميع ذلك . وحسان النبطي كاتب الحجاج وسالم مولى هشام بن عبدالملك . وعبدالحميد الاكبر وعبد الصمد وجبلة بن عبدالرحمن . وقحذم جد الوليد بن هشام القحذمي وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية . ومنهم الفراء كاتب خالد ابن عبدالله القسرى ، ومنهم الربيع والفضل بن الربيع ويعقوب بن داود ويحيي بن خالد وجعفر بن يحيي وأبو عبدالله بن المقفع والفضل بن سهل والحسن بن سهل وجعفر بن الاشعث وأحمد بن يوسف وأبو عبدالسلام الجند نيسابورى وأبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات والحسن بن وهب وابراهيم بن العباس الصولى ونجاح بن سلمة وأحمد بن محمد المدبر فهؤلاء نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها ﴿ من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها ﴾ صالح بن شير زاد وجعفر بن سابور كاتب الافشين والفضل بن مروان وداود بن الجراح وأبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد وأحمد بن الخصيب فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة وما دنوها

وقال بعض الشعراء فى صالح بن شير زاد :

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوي آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك فى المداد

ومنهم أبو أيوب ابن أخت أبي الوزير وهو القائل يرثى أم سليمان بن وهب الكاتب :

لام سليمان علينا مصيبة * مفلقة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت يا أم سالم * فاضحي سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان بن وهب ما نزل باحد من خلق الله ما نزل بي ماتت أمي فرثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمى من سليمان الى سالم

٣ — صفة الكتاب — قال ابراهيم صفة الكاتب اعتدال القامة بن محمد الشيباني من وصغر الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الاشارة ، وملاحة الزى ، حتي قال بعض المهالبة لولده تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . وقال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة أن يكون الكاتب نقي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض اللحية متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فانهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة . وأنشد سعيد بن حميد فى ابراهيم بن العباس :

رأيت فهازم الكتاب خفت * ولهزمتاك شانهما الفدامه
وكتاب الملوك لهم بيان * كمثل الدر قد رصفوا نظامه
وأنت اذا نطقت كان عيا * يلوك بما يفوه به لجامه

وقال آخر: عليك بكاتب لبق رشيق * زكى فى شمائله حذاره
تناجيه بطرفك من بعيد * فيفهم رجع لحظك بالاشارة

و نظر أحمد بن خصيب الى رجل من الكتاب قدم المنظر مضطرب الخلق طويل العثنون . فقال لان يكون هذا فنطاس مركب أشبه من أن يكون كاتبا . فاذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال و انتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والاديب النحرير ، وان قصرت به آلة من هذه الآلات ، رقعدت به أداة من هذه الادوات ، فهو منقوص الجمال ، منكسف الحس منحوس النصيب ﴿ ماينبغى للكاتب أن ياخذ به نفسه ﴾ قال ابراهيم الشيباني أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحي الفكرة وسلاح المعرفة وأنس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة و مستودع السر وديوان الامور و لست أجد لحسن الخط حدا أقف عليه أكثر من قول على النصرا باذي فى الكاتب فانى سالته واستوصفته الخط ، فقال أعلمك الخط فى كلمة واحدة فقلت له تفضل بذلك . فقال لا تكتب حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف وتجعل فى نفسك انك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه الى ما بعده واياك والنقط والشكل فى كتابك الا أن تمر بالحرف المعضل الذى تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فانى سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول لان يشكل الحرف على القاريء أحب الى من أن يعاب الكتاب بالشكل . وكان المامون يقول اياكم والشونيز فى كتبكم يعنى النقط والاعجام ومن ذلك أن يصلح الكاتب آلته التي لابد منها وأداته التي لا تتم صناعته الا بها مثل دواته فلينعم ربها اصلاحها و ليتخير من انابيت القصب أقله عقدا وأكثره لحما وأصلبه قشرا وأعدله استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا لتكون عونا له على بري أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصبة . واعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس قال العتابي : سالني الاصمعي في دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها اصبر فقلت له

ما نشف بالهجير ماؤه وستره عن تلويحه غشاؤه من الشيزية القشور الذرية الظهور القصبية الكسور . قال فاى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت البرية المستوية القطة التى عن يمين سنها برية يامن معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها فتيق وللريح فى حرفها حريق والمداد فى خرطومها دقيق . قال العتابي : فبقي الاصمعي باهتا الى ضاحكا لا يحير مسالة ولا جوابا ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تاخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته كما أن افضل الابيات ما دل أول البيت على قافيته فلا تطيلن صدر كتابك اطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به دون حده فانهم قد كرهوا فى الجملة ان تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك . وقيل للشعبي : أى شىء تعرف به عقل الرجل قال اذا كتب فاجاد . وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة . فاما الكاتب المستحق اسم الكتابة والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب . بلغنى أن صديقا لكلثوم العتابى اتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم . فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الاشاردة عنك . فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فاحببت أن أترك كل معني حتى يرجع الى موضعه ثم اجتني لك احسنها . قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخي ذبيان وهو يملى على كاتب له فاعجل الكاتب وداركـ فى الاملاء عليه فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد املائه فقال له اكتب ياحمار . فقال له الكاتب أصلح الله الامير انه لما هطلت شآبيب بيت الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم كل القلم عن اداركـ ما وجب عليه تقييده فكان حضور جواب الكاتب ابلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوما وقد نط حرفا فى غير موضعه ما هذا قال طغيان فى القلم . فان كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتاخرين ما يرجع اليه ومن نوادر الكلام ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك وانظر فى كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب في حروبهم ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات لتكون ماهرا تنتزع آي القرآن فى مواضعها واختلاف الامثال فى

أما كنها وقرض الشعر الجيد وعلم العروض فان تضمين المثل الشائر والبيت الغابر البارع مما يزين كتابك مالم تخاطب خليفة أوملكا جليل القدر فان اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب الا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصائغ له فان ذلك يزيد فى أبهته

٤ — خبر حائك الكلام — أبو جعفر البغدادى قال : حدثنا عثمان ابن سعيد . قال لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة مازلت تسالنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك . فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين . فقلت اخرج اليه يا أمير المؤمنين . فقال احلف لى انك لاتقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فامرت ففرش لى زلالى بالطبرى وحشي بالثلج وطرح عليه الكرثم خرجت . فلما صرت بين دير هرقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع . فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدي هذا شحاذ فان قعد معك آذاك فلم ألتفت الى قوله وأمرت الغلمان فادخلوه فقعد فى كوثل الزورق . فلما حضر وقت الغداء عزمت أن ادعوه الى طعامي فدعوته فجعل ياكل أكل جائع بنهامة الا أنه نظيف الاكل . فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص ان يقوم فيغسل يده فى ناحية . فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت ياهذا ماصناعتك . قال حائك الكلام فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى . فقال لى جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتي فاخبرتك فما صناعتك أنت . قال فقلت فى نفسى هذه أعظم من الاولى وكرهت أن أذكر له الوزارة . فقلت اقتصر له على الكتابة . فقلت كاتب قال جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف . فكاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربية . وكاتب خراج يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والاشول والدسوق والتقسيط والحساب . وكاتب جند يحتاج أن يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس وكاتب قاض يحتاج أن يكون عالما بالشروط والاحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث . وكاتب شرطة يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات فايهم أنت أعزك الله . قال قلت كاتب رسائل . قال فاخبرنى اذا كان لك صديق

تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه . قلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فايهم أنت . قلت كاتب خراج . قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذا كنت تحب العدل والسير وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم قراح قاتل فئيا كيف كنت تمسحه . قال كنت أضرب العطوف فى العمود وانظر كم مقدار ذلك . قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة . قال اذا تظلم السلطان قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند . قال فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تكتب حليتهما . قال كنت اكتب احمد الاعلم وأحمد الاعلم قال كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا الف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا . فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب جند فايهم انت قلت كاتب قاض . فقال فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وكان للزوجة بنت وللسرية ابن . فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعا فيه . فقالت هذه هذا ابنى . وقالت هذه هذا ابنى كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى . قلت والله لست ادرى . قال فلست بكاتب قاض فايهم أنت . قلت كاتب شرطة . قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مامومة . قلت ما أعلم . ثم قلت أصلحك الله فسر لى ما ذكرت . قال أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه . أما بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما القراح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فمن ثم بابه . واما أحمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم . وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان أخف فهى صاحبة البنت . وأما الشجة فان فى الموضحة خمسا من الابل وفى المامومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المامومة ثمانية وعشرين وثلثا . قلت اصلحك الله فما نزع بك الى هنا : قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية . فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت ألست ذكرت انك حائك . قال أنا أحوك

الكلام و است بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام فطرحت عليه شيئا من ثيابي . فلما صرت الى الاهواز كلمت الرجحى فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى . فلما صرت الى أمير المؤمنين قال ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبرى حتى حدثته حديث الرجل . فقال لى هذا لا يستغنى عنه فلاى شىء يصلح . قلت هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة فكنت والله ألقاه فى الموكب النبيل فينحط عن دابته فاحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ﴿ فضائل الكتابة ﴾ قال ابو عثمان الجاحظ ما رأيت قوما انقد طريقة فى الادب من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا . وقال بعض المهالبة لبنيه تزيوا بزى الكتاب فانهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة . وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فامر بحبسهم فرفعوا اليه رقعة ليس فيها الا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسانا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . وقال المؤيد كتاب الملوك عيونهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتاج الى آلات كثيرة وقال سهل بن هرون اول زينة الدنيا التى اليها تناهى الفضل وعندها تقف الرغبة

٥ — ما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز فيها — قال ابراهيم بن محمد الشيبانى اذ احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه واجعل طبقات الكلام على ثمان اقسام منها الطبقات العلية اربع والطبقات الاخر وهى دونها اربع لكل طبقة منها درجة ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها ويقلب معناها الى غيرها . فالحد الاول الطبقات العليا وغايتها القصوي الخلافة التى أجل الله قدرها واعلى شانها عن مساواتها باحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير . والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم والسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم . والطبقة الثالثة امراء ثغورهم وقواد جنودهم فانه يجب مخاطبة كل احد منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم . والرابعة القضاة فانهم وان كان لهم

تواضع العلماء وحلية الفضلاء فعمهم ابهة السلطنة وهيبة الامراء : وأما الطبقات الاربع الاخر فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب اليهم وافضالهم تفضيلهم فيها والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين تقرع أبوابهم وبعناياتهم تستباح أموالهم والثالثة هم العلماء يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم وعلو درجة اهله . والطبقة الرابعة لاهل القدر والجلالة والحلاوة والطلاوة والظرف والادب فانهم يضطرونك بحدة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم وادبهم وتصفحهم الى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار باستغنائهم بمهانتهم من هذه الآلات واشتغالهم بمهانتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها فى مراسلتك اياهم فى كتبك فتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم ويجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير مسلكه فلا تعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا لائقا بمن كاتبته وملبسا بمن راسلته فان إلباسك المعني وان صح وصرف لفظا متخلفا على قدر المكتوب اليه لم تجر به عاداتهم تهجين للمعني واخلال بقدره وظلم بحق المكتوب اليه ونقص مايجب له كما ان فى اتباع معارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم وخروجا من حقوقهم وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . فمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والامراء على اتفاق المعانى مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لافرق بين قولهم أطال الله بقاك وبين قولهم أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنبه قدرا فى المخاطبة كما انهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداءه من الخير كما يحتمل أن يكون فداءه من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص ارم فداك أبي وأمى لكرهنا أن يكتب بها أحد على ان كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيرا هم فى مخاطبة الشريف والوضيع والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سر من رأى من النا ❊ س ومن قد يداخل الاملاكا
لو رأى الكلب مائلا بطريق ❊ قال للكلب ياجعلت فداكا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وامتع بك الا فى الابن والخادم المنقطع اليك واما فى كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات .

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
أم قد ترى ان فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
أكان حقا كتاب ذى مقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مكاتبتى * حسبك مما لقيت فى تعبك

الكتب اليه محمد بن عبد الملك الزيات

كيف اخون الاخاء يا أملى * وكل شىء أنال من سببك
أنكرت شيا فلست فاعله * ولن تراه بخط فى كتبك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مزق الحديث يقول ما لا يفعل

وهذا معنى صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان من المدح فهو واجب على العامة والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة انما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزنى بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك لتصدق فى وعدك وتفى بعهدك فكانه قد أثنى بما يجب ولو قصد بثنائه الى مقصده كان أشبه فى الملوك ونحن نعلم ان كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيا فهو أمير المؤمنين غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا فى الخلفاء خاصة . ونحن نعلم ان الكيس هو العقل ولكن لو وصفت رجلا فقلت انه لعاقل كنت مدحته عند الناس وان قلت انه لكيس كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره الا عند أهل العلم باللغة لان العامة لا تلتفت الى معنى الكلمة ولكن الى ما جرت به العادة من استعمالها فى الظاهر اذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة

مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن . وقد رويناعن علي كرم الله وجهه انه تسمى بالكيس حين بني سجن الكوفة فقال في ذلك :

أما تراني كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

وقال الشاعر ما يصنع الاحمق المزورق بالكيس

وكذلك تعلم ان الصلاة رحمة غير أنهم كرهوا الصلاة الا على الانبياء كذلك روينا عن ابن عباس وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يلبي وهو يقول في تلبيته لبيك ياذا المعارج . فقال نحن نعلم أنه ذو المعارج ولكن ليس كذا كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول لبيك اللهم لبيك . وكان ابراهيم المزني يقول في بعض ماخاطب به داود بن خلف الاصبهاني فان قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله فنقض ذلك عليه داود . وقال فيما رد عليه نحمد الله على أن نخرج امرأ مسلما من الاسلام وهذا موضع استرجاع وللحمد مكان يليق به وانما يقال في المصيبة « انا لله وانا اليه راجعون » فامتثل هذه المذاهب واجر على هذه القوام وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وخواتمها وضع كل معنى في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسال الله دفع المحذور وصرف المكروه واشباه هذا وفي موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فان هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها ويحتفظ بها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى في موضعه فيعلق كل لفظة على طبقها من المعنى . واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاقتصار والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فانه ان ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » وكقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » احتاج الكاتب أن يبين معناه بل مكركم بالليل والنهار ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الاشعار الموزونة لان الشاعر مضطر والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي . فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الاسماء وحذف ما لا يحذف منها واغتفر فيه سوء النظم وأجازوا فيه التقديم والتاخير والاضمار في موضع الاظهار . وذلك كله غير منساغ

فى الرسائل ولا جائز فى البلاغات . ثم ما فى الشعر من الحذف قول الشاعر :

قواطنا مكة من ورق الحمي * يعني الحمام

وقول الآخر : صفر الوشاحين صموت الخلخل * يريد الخلخال

وكقول الآخر : دار لسلمي اذه من هوا كا * يريد اذهي

وكقول الحطيئة : فيها الرماح وفيها كل سابغة * جدلاء مسرودة من صنع سلام

يريد سليمان

وقول الآخر : من نسج داود أبي سلام * والشيخ عثمان أبي عفان

أراد عثمان بن عفان

وكما قال الآخر : وسائلة بثعلبة بن سير * وقد علقت بثعلبة العلوق

وأراد ثعلبة بن سيار

وقال الآخر : ولست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

أراد ولكن وكذلك لا ينبغي فى الرسائل أن يصغر الاسم فى موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا مثل قولهم دويهية تصغير داهية وجذيل تصغير جذل وعذيق تصغير عذق . وقال الشاعر وهو لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك . وقال سرحة أبو عبيدة ومما لا يجوز فى الرسائل وكرهوه فى الكلام أيضا مثل قولهم كلمت اياك وأعنى اياك وهو جائز فى الشعر . وقال الشاعر :

وأحسن وأجمل في أسيرك انه * ضعيف ولم يأسر كاياك آسر

وقال الراجز : اياك حتى بلغت اياك فتخير من الالفاظ أرجحها لفظا وأجزلها وأشرفها جوهرا وأكرمها حسبا واليقها فى مكانها وأشكلها فى موضعها فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فانه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا كتبت أنا فاعل أحسن من أن تكتب أنا أفعل وموضع آخر يكون فيه استفعلت أحلى من فعلت فادر الكلام على أعكانه وقلبه على جميع وجوهه . فاى لفظة رأيتها فى المكان الذى ندبتها اليه فانزعها الى المكان الذى أوردتها عليه وأوقعها فيه ولا تجعل اللفظة

قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فانك متي فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه وأفسدت المكان الذى أردت اصلاحه فان وضع الالفاظ فى غير اماكنها وقصدك بها الى غير مصابها انما هو كترقيع الثوب الذى لم تشابه رقاعه ولم تتقارب اجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زيد فى خلق * يبين للناس ان الثوب مرقوع

كذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل وأرجى فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لاسيما ان كان المعني البديع مترجما بلفظ مونق شريف ومعايرا بكلام عذب لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه . وكتب عيسي بن لهيعة الى أخيه أبى الحسن وصدر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع فوقع فى أسفل كتابه انى يكون بليغا من اسمه كان عيا وثلاث الحرف منه اذا كتب شيا . قال وبلغنى ان بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة فخرج عنه ومر بباب الطاق فاذا بطير يدعي السفانين فاشتراه وبعث به اليه وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته وذكر انه يقال لشفانين ارجوان يكون شفاء من أنين فوقع فى أسفل الكتاب والله لو عطست ضبا ما كنت عندنا الا انبطيا فاقصر عن بعضك وسهل كلامك قوله لو عطست ضبا يريد ان الضباب من طعام الاعراب وفى بلدهم يقال لو عطست فنثرت ضبا من عطاسك لم تلحق بالاعراب ولم تكن الا انبطيا وقد جاء فى بعض الحديث ان القط من نثرة عطسة الاسد وان الفار من نثرة عطسة الخنزير . فقال هذا وأن الضب من نثرتك لم تكن الا انبطيا . وفى هذا المعني قال محلد الموصلى يهجو حبيبا .

أنت عندى عربى * ليس فى ذاك كلام
شعر ساقيك وفخذيك خزامي وثمام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك شعام
وضلوع الصدر من * شلوك نبع وبشام
لو تحركت كذا الا * نجفلت منك نعام
وظباء راتعات * ويرابيع عظام
وحمام يتغني * حبذا ذاك الحمام
انا ما ذنبي لان كذ * بني فيك الانام
وقفا يحلف ما ان * عرفت فيك الكرام
ثم قالوا هاشمى * من بني الانباط حام
كذبوا ما أنت الا * عربى والسلام

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفي واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر . واذا لم ينهض بالمعني الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا وتضاءل

المعني الحسن تحت المعنى القبيح كتضاؤل الحسناء في الاطمار الرثة وانما يدل على المعنى أربعة أصناف لفظ واشارة وعقد وخط . وقد ذكر له ارسطاطاليس صنفا خامسا في كتاب المنطق وهو الذى يسمي النصبة والنصبة الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة وهى الناطقة بغير لفظ ومشيرة اليك بغير يد . وذلك ظاهر في خلق السموات والارض وكل صامت وناطق وجميع هذه الاصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجوهها وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الاصناف صنفان هما القلم واللسان وكلاهما للقلب ترجمان فاما اللسان فهو الآلة التى يخرج الانسان بها عن حد الاستبهام الى حد الانسانية بالكلام ولذلك قال صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق . وقال هشام بن عبدالملك : ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بين الجوارح . وقال على بن عبيدة : انما يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . وقالوا : المرء باصغريه قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترها راقتك يوما فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة وحلية موصوفة وفضيلة بارعة ليست هذه الاوصاف الالانه يقوم مقامها فى الايضاح عند المشهد ويفصلها عند المغيب لان الكتب تقرأ فى الاماكن المتباينة والبلدان المتفرقة وتدرس في كل عصر وزمان وبكل لسان واللسان وان كان زلقا فصيحا لايعدو سامعه ولايجاوزه الى غيره

٦ — البلاغة — قال سهل بن هرون سياسة البلاغة أشد من البلاغة . وقيل لجعفر بن خالد ما البلاغة قال التقرب من المعني البعيد والدلالة بالقليل على الكثير . وقيل لابن المقفع ما البلاغة قال قلة الحصر والجراءة على البشر . قيل لدغفل العى قال الاطراق من غير فكرة والتنحنح من غير علة . وقيل لآخر ما البلاغة قال تطويل القصير وتقصير الطويل . وقيل لاعرابى ما البلاغة فقال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لارسطاطاليس ما البلاغة فقال حسن الاستعارة . وقيل لجالينوس ما البلاغة فقال إيضاح المعضل وفك المشكل . وقيل للخليل بن أحمد ما البلاغة فقال ماقرب طرفاه وبعد منتهاه وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعني والقصد للحجة . وقيل لاخر ما البلاغة قال تصوير الحق في صورة الباطل وتصوير الباطل

فى صورة الحق . وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة فقال الجزالة والاصابة ﴿ تضمين الاسرار فى الكتب ﴾ واما تضمين الاسرار فى الكتب لا يقرؤها غير المكتوب اليه ففيه أدب يجب معرفته وقد تعلقت العامة بكتاب المعمي . الاصبهاني وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وضع لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف . وذلك ممكن لكل انسان غير ان اللطيف من ذلك أن تاخذ لبنا حليبا فتكتب به فى القرطاس فيذر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد القراطيس فيظهر ما كتبت به ان شاء الله وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض . فاذا وصل الى المكتوب اليه أمر عليه شيئا من غبار الزاج وان أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأه بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة ﴿ قولهم فى الاقلام ﴾ قالوا القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقولة بحروف معلولة متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التدبير تخرس منفردات وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة خلا قلم حرف باريه قطته ليتعلق المداد به وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه وشق رأسه ليحتبس المداد عليه فهنالك استمد القلم بشقه ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر وأولى الاستماع بها الكلام الذى سداه العقل والحمه اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الاسنان ولفظته الشفاه ووعته الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء . وقال الشاعر : وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسمر طاوى الكشح أخرس ناطق * له ذملان فى بطون المهارق
اذا استعجلته الكف أمطر وبله * بلا صوت ارعاد ولا ضوء بارق
اذا ما حدا غر القوافى رأيتها * مجللة تمضي أمام السوابق
كأن عليه من دجى الليل حلة * اذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كأن اللاآلى والزبرجد نطقه * ونوم الخزامى فى عيون الحدائق

وقال العلوى فى صفة القلم :

وعريان من خلعة مكتس * يميس من الوشى فى يلمق
يحدر من رأسه ريقه * يسيل على ذروة المفرق
فكم من أسير له مطلق * وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد * وينهى ويامر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطوط * وأخرس مستمع المنطق

يسير بركب تلال عجال * اذا ماحد الفكر فى مهرق

وقال آخر فى القلم :

لك القلم المطيعك غير انا * وجدنا وسمه غير المطاع
له ذوقان من أري هني * ومن شرى وبي ذي امتناع
احد اللفظ ينطق عن سواه * فيسمع وهو ليس بذي استماع
اذا استسقي بلاغتك استهلت * عليه سماء فكرك باندفاع

وقال : وبيت بعلياء الفلاة بنيته * باسمر مشقوق الخياشيم يرعف
كان عليه مابسا جلد حية * مقيم فما يمضى ولا يتخلف
جليل شؤن الخطب ما كان راكبا * يسير وان أرجلته فمضعف

وقال حبيب بن أوس وهو من أحسن ماقيل فيه :

لك القلم الاعلى الذي بسنانه * يصاب من الامر الكلي والمفاصل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وارى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ربقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ماامتطى الخمس اللطاف وافرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شانه وهو مرهف * ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمي . فقال لابن الزيات ماخطبة القلم التي ابتغيتها وردت عليك لشاعر مجدود . وأنشد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

واذا تالق فى العيون كلامه الـ * ـمجد ودخلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
باللفظ يقرب فهمه عن بعده * منا ويبعد نيله فى قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه

وكانها والسمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

وأنشد احمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب و يصف القلم :

قلم الكتابة في يمينك آمن * مما يعود عليه فيما يكتب
قلم به ظفر العدو مقلم * وهو الامان لما يخاف و يرهب
يبدى السرائر وهو عنها محجب * ولسان حجته بصمت يعرب

ومن قولنا في القلم :

بكفه ساحر البيان اذا * أداره في صحيفة سحرا
ينطق في عجمة بلفظته * يصم عنه ويسمع البصرا
نوادر تقرع القلوب بها * ان تستبنها وجدتها صورا
نظام در الكلام ضمنه * سلكا لخط الكتاب مستطرا
اذا امتطى الخنصران اذكر من * سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما * يخاطب الشاهد الذى حضرا
يرى المقادير تستدق له * وتنفذ الحادثات ما أمرا
شخت ضئيل لفعله خطر * أعظم به في ملمة خطرا
تبج فكاه ريقة صفرت * وخطبها في القلوب قد كبرا
بواقع النفس منه ماحذرت * وربما جنبت به الحذرا
مهفهف تزدهي به صحف * كانما جليت به دررا
كانها ترفع العيون بها * خلال روض مكلل زهرا
ان قربت فرطت طوابعها * مافض طين لها ولا كسرا
يكاد عنوانها لروعته * ينبيك عن سرها الذى استترا

ومن أحسن ماشبهت به الاقلام وشبه بها قول ذى الرمة :

كان أنوف الطير في عرصاتها * خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدي بن الرقاع :

يخرجن من فرجات النقع دامية * كان آذانها أطراف أقلام

ومن قولنا في ولد البقرة :

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول المامون :

كانما قابل القرطاس اذ مشقت * منها ثلاثه أقلام علي قلم

ومنه قولنا فيه :

اذا أدارت بنانه قلما * لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا فى الاقلام :

ومعشر تنطق أقلامهم * بحكمة تلقنها الاعين

تلفظها فى الصك أقلامهم * كانما أقلامهن ألسن

ومن قولنا فى الاقلام :

يا كاتبا نقشت أنامل كفه * سحر البيان بلا لسان ينطق

الاصقيل المتن ملموم القوى * حذت لها زمه وشق المفرق

فاذا تكلم رغبة أو رهبة * فى مغرب اصغى اليـه المشرق

يدلى بريقة اربه أو شربه * يبكى ويضحك من سداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة يسكت واقفا و ينطق سا كتا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء . وقال سليمان بن وهب : وزير المهدى كل قلم تطيل جلفته فان الخط يخرج به أوقص . وكتب جعفر بن يحيي : الى محمد بن الليث يستوصفه الخط فكتب اليه أما بعد فليكن قلمك بحريا لا متينا ولا رقيقا ما بين الرقة والغلظ ضيق النقب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة اعطف بطنه ورقق شفتيه وليكن مدادك فارسيا خفيفا اذا وزنته فانقعه ليلة ثم صفه فى الدواة وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين الى آخره فليست تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر تمطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يسارك وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ولا تترك الاخرى بغير مط فانك اذا قرنت القليل كان قبيحا واذا جمعت الكثير كان سمجا ثم ابتدىء الالف برأس القلم كله واخططه بعرضه واختمه باسفله

وا كتب الياء والتاء والسين والشين والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ورأس كل مرسل برأس القلم وا كتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم والمط نصف الخط ولا يقوي عليه الا العاقل ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا الا بالنظر الى اليد فى استعمالها الحركة والسلام . وقال ابن طاهر : لكاتبه ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف . وقال ابراهيم بن جبلة : مر بى عبد الحميد وأنا أخط خطا رديئا فقال لى أتحب أن يجود خطك قلت بلى . قال أطل جلفة القلم وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها ففعلت فجاد خطي . وقال العتابى ببكاء القلم تبتسم الكتب . وقال بعض الحكماء أمر الدين والدنيا تحت شيئين السيف والقلم . وقال حبيب الطائي :

لولا مناشدة القربي لغادركم * حصائد المرهفين السيف والقلم

وقال ارسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حيمكة : كنت أكتب المصاحف فمر بى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال أجلل قلمك فقصمت من قلمى قصمة فقال هكذا نوره كما نوره الله . وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقا وقال أجود الخط أبينه وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم باسبال ذوائبها . وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة وربما ضاق عن العيون وقد ملأ أحظار الفنون . وذكر على بن عبيد القلم فقال أصم يسمع النجوي أعيي من باقل وأبلغ من سحبان وائل يجهل الشاهد ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغوانى فى خدودهن باحسن من عبرات الاقلام فى خدود الكتب . وقال العتابى : الاقلام مطايا الفطن وتخاير غلامان فى بعض الدواوين فقاما الى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما . فكره أن يفضل أحدهما على الآخر . فقال لاحدهما اما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر وأما خطك أنت فذهب مسبوك تكافيتما فى غاية وتوافيتما فى نهاية . وقال آخر : دخلت الديوان فنظرت الى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وابابي وابابي * من كفه تكتب بي

وقال أبو هفان يصف القلم :

واذا أمر على المهارق كفه * باناعل يحملن شختا مرهفا
ومقصرا ومطولا ومقطما * وموصلا ومشتتا ومؤلفا
كالحية الرقشاء الا أنه * يستنزل الاروى اليه تلطفا
يهفو به قلم يمج لعابه * فيعود سيفا صارما ومثقفا

وقال آخر في وصف الدواة :

ومسودة الارجاء قد خضت حالها * ورويت من قعر لها غير منبط
خميص الحشا يروي على كل مشرب * أمينا على سر الامين المسلط

وقال بعض الكتاب :

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو باسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

وقال آخر في وصف محبرة :

ولجة بحر راجم العبا * ب باد وأمواجه تزخر
اذا غاص فيه أخو غوصة * سريع السباحة ما يفتر
فانفس بذلك من غائص * بديع الكلام له جوهر
وأكرم ببحر له لجة * جواهرها حكم تنثر

وقال ثمامة بن اشرس ما أثرته الاقلام لم تطمع في دراسته الايام . ونظر المأمون الى جارية من جواريه تخط خطا حسنا فقال فيها :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسميات المنى وهو أعجف

وقال بعض الكتاب :

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلي نظمها ونثيرها

وقال بشر بن المعتمر: القلب معدن والحلم جوهر واللسان مستنبط والقلم صانع والخط صنعة

وقال سهل بن هرون : القلم لسان الضمير اذا رعف أغلق أسراره وأبان آثاره . وقالوا : حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكن له درك البغية . وقال آخر : الخط الردي، زمانة الاديب . وقال الحسن بن وهب . يحتاج الكاتب الى خلال منها جودة بري القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التانى لامطاء الانامل وارسال المدة بقدر اتساع الحروف والتحرز عند فراغها من الكسوف وترك الشكل على الخط والاعجام على التصحيف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع . وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب ان يؤخذ قلمه فى أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ويعطيه من القرطاس حقه . وقال عبد الله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو أغلف . وفى تفسير قول الله تعالى « انى القى الى كتاب كريم » قال مختوم . ورفع الى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها اعجامها فقال ما أحسن ما كتبت الا انك أكثرت شونيزها . وقال ابو عبيد الله : لا يقال كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهي زجاجة ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهي خوان ولا قلم الا اذا بري والا فهى قصبة . وقال آخر : جلوس الادباء عند الوراقين وجلوس المخمنين عند النخاسين وجلوس الطفيليين عند الطباخين . وكتب على بن الازهر : الى صديق له يساله أقلاما يبعث بها اليه أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ولزمت لزوم الوسم فحلت محل الانساب وجرت مجري الالقاب وجدنا الاقلام الصخرية أسرع فى الكواغد وأمر فى الجلود كما ان البحرية منها أسلس فى القراطيس وأسرع فى المعاطف وأشد لتصريف الخط فيها . ونحن فى بلد قليل القصب رديئه . وقد أحببت ان تتقدم فى اختيار أقلام صخرية وتتانق فى انتقائها قبلك وتطلبها فى مظانها ومنابتها من شطوط الانهار وأرجاء الكروم وان تتيمم فى اختيارك منها السديد المحض الصلبة المعض النقية الخدود القليلة الشحوم المكتنزة اللحوم الضيقة الاجواف الرزينة المحمل . فانها ابقى فى الكتابة وأبعد من الحفاء وان تقصد بانتقائك الرقاق القصبات المتقومات المتون الملس المعاقد الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة ما بين الكعوب الكريمة الجواهر المعتدلة القوام المستحكمة يبساوهى قائمة على أصولها لم تعجل عن ابان ينعها ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الانداء فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رقيقا ثم عبات منها حزما فيما يصونها من الاوعية ووجهتها مع من يؤدى الامانة في حراستها وحفظها وايصالها وكتبت معه رقعة بعدها وأصنافها بغير تاخير ولا توان ان شاء الله تعالى

﴿ قولهم فى الحبر ﴾ قال بعض الكتاب عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر فان الادب غوان والحبر غوال . ونظر جعفر بن محمد الي فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له :

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

وأتى وكيع بن الجراح رجل يمت اليه بحرمة . فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب من محبرتي عند الاعمش فوثب وكيع ودخل منزله ثم أخرج له نفقة دنانير وقال له اعذر فما أملك غيرها ﴿ وفى الاقلام ﴾ أهدي بن الحروري الى رجل من اخوانه من الكتاب أقلاما ـ فكتب اليه انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الامور وقوام الخلافة وعمود المملكة خصصتك من آلتها بما يخف حمله وتثقل قيمته ويعظم نفعه ويجل خطره وهي أقلام من القصب النابت فى الصخر الذى نشف فى حر الهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه فهى كاللآلىء المكنونة فى الصدف والانوار المحجوبة فى السدف تبرية القشور درية الظهور فضية الكسور قد كستها الطبيعة جواهر كالوشى المحبر وفرند الديباج المنير ﴿ قولهم فى المصحف ﴾

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان ملك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر :

ولكل صاحب لذة نزه * أبدا ونزهة عالم كتبه

وقال حبيب :

مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
وألفاظ كالفاظ المثانى * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * اليك لكنت سطرا فى الكتاب

وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جلا كتابك كل بث * جرى وأصاب شاكلة الرمى
فضضت ختامه فتبلجت لى * غرائبه عن الحبر الجلى
وكان أغض فى عينى وأندي * على كبدى من الزهر الجنى
وأحسن موقعا عندى ومني * من البشرى أتت بعد النعى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وكائن فيه من معني خطير * وكائن فيه من لفظ بهي
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا * ويا شبعي برونقه وريي
فكم كشفت عن بر جليل * به وأتيت من رأى سني
كتبت له بلا لفظ كريه * على أذني ولا خط قمي
رسالة من تمتع منذ حين * ومتعنا من الادب الرضي
لئن غربتها فى أرض بكر * لقد زفت الى قلب وفي
وان يك من هداياك الصفايا * فرب هدية لك كالهدي

وقال ابن أبي طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * من رأيه وندى كفيه عن مثل
من خط أقلامه خط القضاء على اا * أعداء والموت بين البيض والاسل
لعابها طلل فى الصدر يبعثه * وربما كان فيه النفع للعلل
كان أسطارها فى بطن مهرقها * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال البحترى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد
ما اغتدت منه فى بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حجج تخرس الالد بالفا * ظ فرادى كالجوهر المعدود
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
كالعذارى غدون فى حلل صفر اذا رحن فى الخطوب السود

وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن جهة الهزل الى الجد
يا كاتبا اسلمني عتبه * اليك حسبي منك ما عندي

وقال محمد بن ابراهيم بن محمد الشيباني رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي الى الفضل بن يحيي بن خالد رقعة بابيات له يصف فيها قامته وكثاثة لحيته وحلاوة شمائله وبراعة أدبه وبلاغة قلمه فقال :

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو رباح
كاتب حاسب أديب لبيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـ * ـشة لما تكون تحت الجناح
لي في النحو فطنة ونفاذ * أنا فيه قلادة لوشاح
لو رمى بي الامير أصلحه الله * رماحا صدمت حد الرماح
ثم أوري عن ابن سيرين في الفقـ * ـه بقول منور الافصاح
لست بالضخم في روائي ولا الفد * م ولا بالمجد الدحداح
لحية كثة وانف طويل * وانقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبأت عندي حديثا * هو عند الامير كالتفاح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * في غدو او بكرة أو رواح
اعلم النا س بالجوارح والصيـ * ـد وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله * على أنني ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر ثوبيـ * ـه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لو دعاني الامير عاين مني * سمهريا كالجلجل الصياح

قال فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية فرمى به اليه . وقال له أجب فاجاب بما في عرضه واحسن فامر له بالف الف درهم وكنا نراه أول داخل وآخر خارج وكان اذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال :

أنا أولى بقلة الحظ مني * للمسمي بالجلجل الصياح
قبلوا منه حين عز لديهم * اخرس القول غير ذي افصاح
ثم بالريش شبه النقش في الخفـ * ـة أما يكون تحت الجناح
فاذا الشم من شماريخ رضوي * خفة عنده سوى المصباح
لم يكن فيك غير شيئين مما * قلت في نعت خلقك الدحداح

لحية جعدة وانف طويل * وسوي ذاك ذاهب في الرياح
فيك ما يحمل الملوك على السخـــف ويزري بالماجد الجحجاح
بارد الطرف مظلم الكذب تيا * ه معيد الحديث سمج المزاح

قال فبعث اليه ابان بان لا تذيعها وخذ الالف ألف درهم فبعث اليه أبو نواس لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بدا من اذاعتها . فيقال ان الفضل بن يحيي لما سمع شعر أبي نواس قال لا حاجة لي في ابان لقدرمي بخمس في بيت لا يقبل على واحدة منهن الاجاهل فقيل له كذب عليه . فقال قد قيل ذاك فاقصاه وانما أغرى ابانواس بهذا الكاتب أبان بن عبد الحميد اللاحقي ان الفضل بن يحيي أعطاه مالا يفرقه في الشعراء و يعطي كل واحد على قدره فبعث الى أبي نواس بدرهم زائف ناقص . وقال اني أعطيت كل شاعر على مقدار شعره وكان هذا أوفر نصيبك عندي فهجاه لذلك ﴿ توقيعات الخلفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾ كتب اليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه فوقع في أسفل كتابه ابن ما يكنك من الهواجر وأذي المطر . ووقع الي عمرو بن العاصي كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك ﴿ عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾ وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون . ووقع في قصة رجل شكا عيلة عليه قد أمر نالك بما يقيمك وليس في مال الله فضل للمسرف ﴿ على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ وقع الى طلحة بن عبيد الله في بيته يؤتى الحكم . ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن على رضي الله عنه رأى الشيخ خير من جلد الغلام . ووقع في كتاب سلمان الفارسي وساله كيف يحاسب الناس يوم القيامة يحاسبون كما يرزقون : ووقع في كتاب الحصين بن المنذر اليه يذكر أن السيف فدأ كثر في ربيعة بقية السيف أنمى عددا . وفي كتاب جاءه من الاشتر النخعي فيه بعض ما يكره من لك باخيك كله : وفي كتاب صعصعة ابن صوحان يساله في شيء قيمة كل امريء ما يحسن ﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾ كتب اليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه فوقع في أسفل كتابه بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الاسلام فانت تراه . وفي كتاب عبد الله بن عامر يساله أن يقطع مالا بالطائف عش رجبا ترى عجبا . وفي كتاب زياد : يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته ان أباسفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . وكتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعي يساله ان يعينه في بناء

داره بالبصرة باثنى عشر الف جذع ادارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ﴿ يزيد بن معاوية ﴾ وقع فى كتاب عبدالله بن جعفر اليه يستمنحه من خاصته احكم لهم بآمالهم الى منتهى آجالهم فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذي صنع أهل الحرة فوقع فى أسفل كتابه فلا تأس على القوم الفاسقين . وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطاه فى الخراج قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيره يقطع أواخي الانتساب . ووقع الى عبدالرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان القرابة واشجة والافعال متباينة فخذ لرحمك من فعالك والى عبدالله بن زياد أنت أحد أعضاء ابن عمك فاحرص ان تكون كلها ﴿ عبدالملك بن مروان ﴾ وقع فى كتاب أتاه من الحجاج جنبنى دماء بنى عبدالمطلب فليس فيها شفاء من الطلب . وكتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق ومايقاسي منهم ويستاذنه فى قتل اشرافهم فوقع له ان من يمن السائس ان يتالف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث بضعفك قوى وبخوفك خلع . ووقع فى كتاب ابن الاشعث :

فما بال من أسعى لاجبر عظمه * حفاظا وينوي من سفاهته كسرى

ووقع فى كتاب

كيف يرجون سقاطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبدالملك كتب اليه الحجاج لما بلغه انه خرق فيما خلف له عبدالملك ينكر ذلك عليه يعرفه انه غير صواب فوقع فى كتابه لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولا فرقنه تفريق من يموت غدا . ووقع الى عمر بن عبدالعزيز قد رأب الله بك الداء وأوذم بك السقاء ﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان يتهدده بالخلع فوقع فى كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * ابشر بطول سلامة يامربع

ووقع فى كتابه أيضا العاقبة للمتقين والى قتيبة أيضا جواب وعيده وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا . عمر بن عبدالعزيز . كتب بعض العمال اليه يستاذنه فى مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . والى بعض عماله فى مثل ذلك حصنها وتفسك بتقوى الله والى رجل ولاه الصدقات وكان ذميما فعدل وأحسن ولا أقول للذين

تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . وكتب اليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها فوقع لدأرض لهم ماترضي لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك . والى عدي بن ارطاة في أمر عاتبه عليه ان آخر آية أنزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله . والى عامله على الكوفة وكتب اليه انه فعل فى أمر كما فعل عمر بن الخطاب أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . والى الوليد بن عبد الملك وعمر عامله على المدينة فوقع فى كتابه الله أعلم انك أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة فوقع فى كتابه لا تطلب طاعة من مخذل عليا وكان اماما مرضيا . والى عامله بالمدينة وساله أن يعطيه موضعا يبنيه فوقع كن من الموت على حذر . وفى قصة متظلم العدل امامك . وفي رقعة محبوس تب تطلق . وفى رقعة رجل قتل كتاب الله بيني و بينك . وفى رقعة متنصح لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك . وفى رقعة رجل شكا أهل بيته أنما فى الحق سيان . وفي رقعة امرأة حبس زوجها الحق حبسه . وفى رقعة رجل تظلم من ابنه . ان لم أنصفك منه فانا ظلمتك . يزيد بن عبد الملك . وقع الى صاحب خراسان لا تترك حسن رأى فانما تفسده عثرة . والى صاحب المدينة : عثرت فاستقل . وفى قصة متظلم « سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه واستوصلتني . هشام بن عبد الملك : فى قصة متظلم : أتاك الغوث ان كنت صادقا وحل بك النكال ان كنت كاذبا فتقدم أو تاخر . وفى قصة قوم شكوا أميرهم ان صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه . والى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر ليالى البيات . والى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب ابناء الانصار احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . ووقع فى رقعة محبوس لزمه الحد نزل بحدك الكتاب . ووقع فى قصة رجل شكا اليه الحاجة وكثرة العيال وذكر ان له حرمة لعيالك فى بيت مال المسلمين سهم ولك بحرمتك منا مثلاه . والى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضع سيفك فى كلاب النار وتقرب الى الله بقتل الكفار . والى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم: لانقوضنكم فاني خصم دونكم . وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الامطار فى بلده : مرهم بالاستغفار . والى سهل بن سيار : خف الله وامامك فانه ياخذك عند أول ذلة . يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . وقع الى مروان أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت . والى صاحب خراسان في المسودة : نجم أمر أنت عنه نائم وما أراك منه أومنى بسالم : مروان بن

محمد كتب الى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم: نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان
ووقع الى ابن هبيرة أمير خراسان: الامر مضطرب وأنت نائم وأنا ساهر . والى الحوبرة
ابن سهل حين وجهه الى قحطبة كن من بيات المارقة على حذر . ووقع حين أتاه عز وقحطبة
وانهزام ابن هبيرة: هذا والله الادبار والا فمن رأى ميتاهزم حيا . وفى جواب : أبيات
نصر بن سيار اذ كتب اليه :

أرى خلل الرماد وميض جمر * و يوشك أن يكون له ضرام

الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم الثؤلول. فكتب نصر الثؤلول قد اشتدت أعضاؤه
وعظمت نكايته فوقع اليه يداك أوكتا وفوك نفخ

٧ — توقيعات بني العباس — السفاح . كتب اليه جماعة من اهل الأنبار
يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يعطوا أثمانها فوقع
هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم . ووقع فى كتاب أبى جعفر
وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : ان حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر فى طاعتك فخذلى
منك ولك من نفسك : ووقع اليه فى ابن هبيرة بعد أن راجعه فى غير مرة. لست منك ولست
مني ان لم تقتله . وجاءه كتاب من أبي مسلم يستاذنه فى الحج وفى زيارته فوقع اليه لا أحول
بينك و بين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته واذنك لك . ووقع فى كتاب جماعة من بطانته
يشكون احتباس أرزاقهم: من صبر فى الشدة شورك في النعمة ثم أمر بارزاقهم . والى عامل
تظلم منه وما كنت متخذ المضلين عضدا . وفى قوم شكوا حرق ضياعهم فى ناحية الكوفة
وقيل بعدا للقوم الظالمين . أبو جعفر وقع فى كتابه الى عبد الله بن على عمه: لا تجعل للايام فى
وفيك نصيبا من حوادثها . ووقع اليه أيضا ادفع بالتى هي أحسن السيئة الى قوله وما يلقاها
الاذو حظ عظيم فاجعل الحظ لك دوني يكن لك كله . ووقع الى عبد الحميد صاحب
خراسان: شكوت فاشكيناك وعتبت فاعتبناك ثم خرجت عن العامة فتاهب لفراق السلامة
. والى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونوا يؤمر عليكم . والى قوم تظلموا من عاملهم
لا ينال عهدى الظالمين . وفى قصة رجل شكا عيلة : سل الله من رزقه . وفى قصة رجل
ساله أن يبني بقريته مسجدا فان مصلاه على بعد: ذلك أعظم لثوابك ، وفى قصة رجل
قطعت عنه أرزاقه : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية وفى قصة رجل
شكا الدين : ان كان دينك فى مرضاة الله قضاه . والى صرورة ساله ان يحج : ولله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا : والى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد . والى عامله على حمص وجاءه منه كتاب فيه خطا : استبدل بكاتبك ولا استبدل بك . والى صاحب ارمينية : ان لى فى قفاك عينا و بين عينيك عينا ولهما أربع آذان . والى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله . وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فاخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا . المهدى : وقع فى قصة متظلمين شكوا بعض عمال الله لو كان عيسى عاملكم قد ناه الى الحق كما يقاد الجمل المخشوش بريد عيسى ولده . ووقع الى صاحب ارمينية وكتب اليه يشكو سوء طاعة رعاياه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والى صاحب خراسان في أمر جاءه أنا ساهر وأنت نائم ، وفى قصة قوم أصابهم قحط يقدر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها . والى شاعر أظنه مروان بن ابى حفصة : أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك . وفى قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك و تقر به عينك . وفى قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوث . والى رجل من بطانته استوصل ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك . وفى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا اشخاصه الى بابه : قد أنصف القارة من راماها . وفى قصة رجل حبس فى دم : ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب . والى صاحب خراسان وكتب اليه يخبره بغلاء الاسعار خذهم بالعدل فى المكيال والميزان . والى يوسف الرومى حين ظفر بخراسان : لك اماني ومؤكد ايماني . موسى الهادي : كتب الى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة كفاناه الله . والى صاحب افريقية فى أمر فرط منه يا ابن اللخناء أنى تمرس . هرون الرشيد : وقع الى صاحب خراسان : داوجرحك لا يتسع . والى عامل على مصر : احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فياتيك منه مالا قبل لك به ومن الله أكثر منه . ووقع فى قصة البرامكة انبتته الطاعة وحصدته المعصية : والى عامله على فارس كن مني على مثل ليلة البيات . والى عامل خراسان ان الملوك يؤثر منها الحظ . والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليه انه وضع السيف حين دخل أرض ارمينية لا أم لك تقتل بالذنب من لا ذنب له . وفى قصة محبوس من لجأ الى الله نجا وفى قصة متظلم لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف . والى صاحب السند اذ ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية . والى عامله على خراسان كل من رفع

رأسه فازله عن بدنه . وفي رقعة متظلم من عامله على الاهواز وكان بالمتظلم عارفا قد ولّيناك موضعه فتنكب سيرته . وفي كتاب بكار الزبيري اليه يخبره بسر من أسرار الطالبين جزى الله الفضل خير الجزاء في اختياره اياك وقد أتاك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك . والى محفوظ صاحب خراج مصر يامحفوظ اجعل فرح مصر فرحا واحدا وأنت أنت . والى صاحب المدينة ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فانهم قد أطالوا الليالي بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد . ووقع الى السندي بن شاهد خف الله وامامك فهما نجاتك . والى سليمان بن ابي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحييت لشيخ ولده المنصوران يهرب عمن ولده كندة وطيء فهلا قابلتهم بوجهك وأبديت لهم صفحتك وبذلت لهم منحتك وكنت كمروان ابن عمك اذ خرج مصلتا سيفه متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم :

متقلدين صفائحا هندية * يتركن من ضربوا كمن لم يولد

فجالد به حتى قتل اما بدعة واما خلة أشدهر اشا وأخشن مراسا ولولا ان يقال لقلت رحمه الله لله أم تندبه واب انهصه . وكتب متملك الروم الى هرون الرشيد اني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي وكل بطل في جندى فوقع في كتابه سيعلم الكافر لمن عقبى الدار . وكتب اليه يحيي بن خالد من الحبس حين أحس بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم فوقع فيه الرشيد الحكم الذي رضيته في الآخرة لك هو أعدي الخصم عليك وهو من لا يرد حكمه ولا يصرف قضاؤه : المأمون : وقع الى ابن هشام في أمر تظلم فيه: من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت . والي هشام لأدنيك ولك بيابي خصم . والى الرستمي في قصة من تظلم منه ليس من المروأة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاو وجارك طاو . وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة ياعمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها . وفي قصة متظلم من أبي عباد ياثابت لبس بين الحق والباطل قرابة وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وفي قصة متظلم من حميد الطوسي ياأباغانم لا تغتر بموضعك من امامك فانك وأخس عبيده في الحق سيان . والى طاهر صاحب خراسان أحمد أباالطيب اذا أجلك خليفة محل نفسه من نفسه فمالك موضع تسمو اليه نيسك الا وأنت فوقه وعنده . وفي كتاب بشر بن داود هذا أمان

حاقدت الله فى مناجاتى اياه . وفى كتاب ابراهيم بن جعفر في فدك حين أمره بردها قد أرضيت خليفة الله فى فدك كما أرضي الله خليفته فيها . وفى قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسى قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك للرعية فانا لا نحتمله . ووقع الى بعض عماله طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها . وكتب اليه ابراهيم بن المهدى فى كلام له ان غفرت فبفضلك وان أخذت فبحقك فوقع فى كتابه القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله . ووقع فى رقعة مولى طلب كسوة لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك آثرت الرقاد فحظك الرؤيا . ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الاموال يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته . ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه مالا يعنيه . ولابى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره . وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سنه . ولاسحق بن ابراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته . وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه . ولاحمد بن أبى خالد بالف ألف لمخالفة شهوته . ولابراهيم بن بوبه كذلك لسرعة دمعته وللمريسى بثلثمائة ألف لاسباغ وضوئه ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه

٨ — توقيعات الامراء والكبراء — زياد وقع الى بعض عماله قد كنت على الذعار وأخالك ذاعرا . وكتبت اليه عائشة فى وصاة برجل فوقع فى كتابها هو بين أبويه والى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه استر بعض دينك ببعض والاذهب كله . والى عامله بالكوفة امط الحدود عن ذوي المروآت . وفى قصة متظلم أنا معك . وفي قصة قوم رفعوا على عامل من أماله الباطل قومه الحق . وفى قصة مستمنح لك المواساة . والى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة النساء تحاربهم دونك . وفى قصة سارق القطع جزاؤك . وفى قصة امرأة حبس زوجها حكمه الى الله . وفى قصة قوم نقبوا انتقب ظهورهم . وفى قصة نباش يدفن حيا في قبره . وفى قصة متظلم الحق يسعك . وفى قصة متنصح مهلا فقد أبلغت اسماعى . وفى قصة متظلم كفيت . وفى قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه ربما كان عقوق الولد من سوء تاديب الوالد . وفى قصة رجل شكا الحاجة لك فى مال الله نصيب أنت آخذه . وفى قصة رجل جارح المجروح قصاص . وفي قصة محبوس التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم لا نعرض فيما تفرد الله به . وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم

لاحكم فيما استأثر الله به . الحجاج بن يوسف : وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلال وما حل بالناس من القحط اذا أزف خراجك فانظر لرعيتك في مصالحها فبيت المال أشد اطلاعا لذلك من الارملة واليتيم وذى العيلة . وفى كتاب قتيبة اليه انه على عبور النهر ومحاربة الترك لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم ماظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه . وفى قصة محبوس ذكروا انه تاب ما على المحسنين من سبيل . والى قتيبة خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فانه أمنع من حصونك . وفى كتابه الى بعض عماله اياك والملاهي حتى تستنظف خراجك . وفى كتاب الى ابن أخيه ماركب يهودى قبلك منبرا . وفى كتابه الى يزيد بن أبى مسلم أنت أبو عبيدة هذا القرن . أبو مسلم : وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون . والى أبي العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة الاعاد وعرا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا . والى ابن قحطبة لاتنس نصيبك من الدنيا . واليه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . واليه لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . والى محمد بن صول وكتب اليه بسلامة أطرافه وأما بنعمة ربك فحدث . وكتب اليه قحطبة الى بعض قواده خرج الى عسكر ابن صبارة راغبا فوقع فى كتابه : ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية . والى عامله ببلخ لا تؤخر عمل يوم لغد والى أبي سلمة الخلال حين أنكرنيته واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم . جعفر بن يحيي : وقع فى قصة محبوس لكل أجل كتاب . وفي مثله العدل أوقعه والتوبة تطلقه . وفى قصة متنصح بعض الصدق قبيح . وفى رجل شكا بعض عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت . وفى قصة رجل شكا بعض خدمه خذ باذنه ورأسه فهو مالك . والى عامل فارس فى رجل كتب اليه بالوصاة كن له كابيه ولو كان مكانك . والى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه انه رغب الى شعبك فارغب فى اصطناعه . وفى قصة متظلم من بعض عماله أني ظلمتك دونه . وفى قصة محبوس الجناية حبسته والتوبة تطلقه . والى قوم عين الخليفة تكلؤكم ونظره يعمكم . وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج من سافر الى الله انجح . وفى قصة رجل شكا عزبة الصوم لك وجاء . وفى رقعة رجل سال ولاية لاأولى بعض الظالمين بعضا . وفى قصة رجل سال أن يقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه

غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول . وفى قصة رجل تظلم من عماله أنا المثله حتى ينصفك . وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته يرحل عنكم . وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يدر لغيرك كما درلك . والى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتاب غمه وأكربه كثرة ملاحاة الدمار بما أراقت الدماء . والى منصور ابن زياد في أمر عاتبه فيه لم نزرعك لتحصدك . والى بعض عماله اجعل وسيلتك الينا مابزيدك عندنا . والى بعض ندمائه لا تبعد من ضمك . ووقع الى متنصل من ذنب حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار . الفضل بن سهل : كتب الى أخيه الحسن أحمد الله يا أخى فما بيت خليفة الله الاعلى ذكرك والى طاهر تخير ما اصطنعت . واليه لشر ما سموت . والى هرثمة وأشار عليه برأي لا يحل ماعقدت . وفى قصة متظلم كفى بالله للمظلوم ناصرا . وفى قصة نقب بيت المال بدرأ عنه الحد ان كان له فيه سهم . ووقع الى حاجبه تمهل وتسهل . والى صاحب الشرطة ترفق توفق : والى رجل شكا غلبة الدين قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنشفعها بمثلها ليرغب المتنصحون . وفى قصة متظلم طب نفسا فان الله مع المظلوم : والى رجل شكا اليه الدين الدين سوء يهيض الاعناق وقد أمرنا بقضائه : وفى قصة قوم قطعوا الطريق انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية . وفى امرىء قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه كتاب الله أحق ان يتبع . وفي قصة رجل شهد عليه انه شتم أبا بكر وعمر يضرب دون الحد ويشهر ضربه . الحسن بن سهل ذو الرياستين . وقع فى قصة متظلم ينظر فيما رفع فان الحق متبع والانصاف السلم دواء السقيم . وفى قصة قوم تظلموا امن وا ليهم الحق اولى بنا والعدل بغيتنا وان صح ما أدعيتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفي قصة امرأة حبس زوجها الحق يحبسه والانصاف يطلقه . وفى رقعة رائد قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك فى الاستحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب اليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيت فى النوم انى راكب فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * فى الحلم درا وفى النوم التباشير

فوقع فى أسفل كتابه أضغاث أحلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وأحق له ما التمسه

ودخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فانشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتنى بوليدة * رعبوبة حسن على قيامها
وببدرة حملت الى وبغلة * دهماء مشرقة يصل لجامها
فدعوت ربي ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك درها وسلامها
بيت المنابر يا ابن مروان الندي * أضحت وأنت خطيبها وامامها

فقال له أبشر فى كل شيء أصبت الا البغلة فاني لا أملك الاشهباء فقال له امرأتى طالق ان كنت رأيتها الا اشهباء الا انى غلطت . طاهر بن الحسين : وقع فى كتاب رجل تظلم من اصحاب نصر ابن شبيب طلبت الحق فى دار الباطل . وفى قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا ما كنت لها موضعا . والى السدى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه عش مالم أرك . والى خزيمة بن حازم الاعمال بخواتيمها والصنيعة باستدامتها والى الغاية ماجري الجواد فحمد السابق وذم الساقط . والى العباس بن موسى الهادى واستبطاه فى خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائما * ولكن أخوها من يبيت على وجل

وفى رقعة متنصح سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . وفى قصة محبوس يطلق ويعتق وفى رقعة مستوصل يقام أوده . وكتب ابو جعفر الى عمرو بن عبيد أبا عثمان أعني باصحابك فانهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له فوقع فى كتابه ارفع علم الحق يتبعك أهله

٩ ـ توقيعات العجم ـ وقع ازدشير فى أزمة عمت المملكة من العدل ان لا يفرح الملك ورعيته محزونون ثم أمر ففرق فى الكور جميع ما فى بيوت الاموال . ورفع رجل الى كسري بن قباذ رقعة يخبره فيها ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان فوقع فى أسفل كتابه انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات واحكم بالعدل لا بالهوي وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى فى رقعة مدح طوبي للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . وكتب اليه متنصح ان قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلموه فوقع لئن كانوا نطقوا بالسنة شتي لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرغب ولسانك اكذب ورفع اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من الى الشكية أحوجكم ثم فرق بينهم ما وسعهم واغناهم . ووقع أنو شروان الى صاحب خراجه ما استغزر الخراج بمثل

العدل ولا استنزر بمثل الجور . ووقع فى قصة رجل تظلم منه لا ينبغي للملك الظلم ومن عنده يلتمس العدل ولا يبخل ومن عنده يتوقع الجود ثم أمر باحضار الرجل وقعد معه بين يدى الموبذ ووقع فى قصة محبوس من ركب مانهى عنه حيل مابينه وبين مايشتهي . ودفع اليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله وسوء حاله فعرف كذبه فوقع ان الله خفف ظهرك فثقلته وأحسن اليك فكفرته فتب الى الله يتب عليك . ووقع فى قصة رجل سعى اليه بباطل باللسان احفظ رأسك . ووقع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله لا تصلح العامة الا ببعض الحيف على الخاصة فان كنت صادقا أبحتك جميع ما يملكه فلم يتظلم بعدها احد من قرابته

١٠ — فصول فى المودة — كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى الى محمد بن سهل أعزك الله ان كل مجازاة قاصرة عن حق السابق الى افتتاح الود وقد علمت انى استقبلتك من الاقبال عليك بمالم تستدعه واعتمدتك من الرغبة فيك بمالم تولِه . وفصل لابي على البصير : قد أكد الله بيننا المودة ماآمن الدهر على حل عقده ونقض مزاره وما يستوى منه ثقتنا بانفسنا لك ولا نفسنا بما عندك . وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ويوجب الانس والثقة وبسط اللسان بالاستزادة واذامت اليك بالحرمة المتقدمة والاسباب المؤكدة حتي تحل صاحبها محل خاصة الاهل والقرابة . وفصل لابراهيم ابن العباس : المودة تجمعنا محبتها والصناعة تؤلفنا أسبابها وما بين ذلك من تراخ فى لقاء أو تخاف فى مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه . وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا نصب اليك سامى الطرف نحوك وذكرك ملصق بلسانى واسمك حلو على لهواتي وشخصك ماثل بين عيني وأنت أقرب الناس من قلبي وآخذهم بمجامع هواى . وفصل له : انحن احق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة الا انك أحق بالفضل الذى سبقت اليه . وفصل لسعيد بن حميد : اني أهديت مودتى رغبة اليك ورضيت بالقبول منك مثوبة فصرت بقبولها قاضيا لحق وما لكالرق وصرت بالتسرع الى الهدية والتخير المثوبة مرتهن اللسان بالرضا واليدين بالوفا . وفصل له : اني صادقت منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضا . وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه
وللناس من الناس * مقاييس وأشباه

وفصل له : لساني ترطب بذكرك وقلبي معمور بمحبتك حضرت أو غبت سرت أو أقمت كقول معقل أخي ابي دلف .

لعمرى لئن قرت بقربك أعين * لقد سخنت بالبين منك عيون
فسر أو فقف وقف عليك مودتى * مكانك من قلبي عليك مصون

وفصل لابراهيم بن المهدى : كتابي اليك كتاب مخبر وسائل فاما الاخبار فعن تصرف الخطوب على ما يوجب العذر عند صديقي العزيز على فى ابطائي بالتعهد له وأما السؤال فعن امساك هذا الاخ الودود المودود وعن مثل ذلك فان البذل كاشف ما سلف مصلح لما استانف ‹ فصول فى الزيارة › كتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له نحن فى مادبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسنا قد باتت السماء تعلها فهى مشرقة بما تها حالية بنوارها فرأيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فكتب اليه : هذه صفة لو كانت فى أقاصى الاطراف لوجب انتجاعها وحث المطى فى ابتغائها فكيف فى موضع أنت تسكنه وتجمع الى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وأنا الجواب . وفصل : كتب اسحق بن ابراهيم الموصلى الى احمد بن يوسف في المصير اليه وعند احمد بن يوسف ابراهيم بن المهدى فكتب عندى من أنا عنده وحجتنا اليك اعلامنا اياك . وفصل انه من ظماشوقه من رؤيتك استوجب الري من زيارتك ثم كتب تحت هذا :

سر الينا تفديك نفسي من السو * ءفقد طال عهدنا بالتلاقى
واجعلن ذاك ان رأيت جوابي * فلقد خفت سطوة الاشتياق

وفصل : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها * وعند غروب الشمس يعرف فقدها

وفصل : الشوق اليك والى عهد أيامنا التي حسنت كانها أعياد وقصرت كانها ساعات يفوت الصفاء ومما يجدده ويكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة الجددة فيك بالنظر الى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها . وفصل مثلنا أعزك الله فى قرب تجاورنا وبعد تزاورنا ما قيل فى أهل القبور :

هم جيرة الاحياء أما مزارهم * فدان واما الملتقى فبعيد

وكل علة معك محتملة وكل جفوة مغفورة للشغف بك والثقة بحسن نيتك وسناخذ بقول أبي قيس بن الاسلت :

وبكر منها جاراتها فيزرنها * وتغفل عن اتيانهن فتعذر

وفصل : كتب حكيم الى حكيم يا أخي ان أيام العمر اقل من أن تحتمل الهجر والسلام . كتب أحمد بن يوسف لا تجوز قطيعة لانها لا تخلو من أحد وجهين اما ضعف فى نفس الاختيار واما ملل وكلاهما حجة فيه . وفصل طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتنا كر عند الالتقاء وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما وجعل المشاهدة موحشة اذا خلت منك . وكتب الحسن ابن وهب : الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء * ماتوالى من هذه الانواء
فسلام الاله اهديه مني * كل يوم لسيد الوزراء
لست ادري ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقني عن سماء
غير اني ادعو على تلك بالثكل * وادعو لهذه بالبقاء

وقال آخر :

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور
فارجع لم ألمه ولم يلمني * وقد رضي الضمير عن الضمير

فصل فى وصاة . كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق فى أبي الشيص كتابى اليك خططته بيميني وفرغت له ذهني فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني أترانى أقبل العذر فيها واقصر فى الشكر عليها وابن أبي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ماعدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا . وفصل : كتابي اليك كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن بضيع بين الثقة والعناية حامله . وفصل : كتب العتابى فكاد ان يخل بالمعني من شدة الاختصار فكتب : حامل كتابى اليك أنا فكن له أنا والسلام . وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغني باصطناعك اياه عن تحريكى اياك في امره فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليه ووسيلة الى مصطنعه فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من أهلها ووصل بك أسبابها : وفصل له : موصل كتابى اليك أنا فكن له أنا وتامله بعين مشاهدتى وخلتي فلسانه اشكر ما آتيت اليه وأذم ماقصرت فيه : فصول فى عتاب : كتب أحمد بن يوسف لولا حسن الظن بك أعزك الله لكان

فى اغضائك عنى ما يقبضني عن الطلبة اليك ولكن امسك برمق من الرجاء علمي برأيك فى رعاية الحق وبسط يدك الى الذي لو قبضتها عنه لم يكن له الا كرمك مذكرا وسوددك شافعا . فصل : ما أبعد البرء من مريض داؤه فى دوائه وعلته فى حميته أنا منك كالغاص بالماء لامساغ . وكما قال الشاعر :

كنت من كربتى أفر اليهم * وهم كربتي فاين الفرار

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين عتبي تكون منك أو عتبي تغنى عنك . فصل : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا نرضى الا بالكل لنا منك . فصل : أنا أبقى على ودك من عارض يغيره أو كتاب يقدح فيه وآمل عائدا من حسن رأيك يغني عن اقتضائك . فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو أن كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا أولى بالذنب منه ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لها منك . فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : أما بعد فقد عاقني الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب فاطمعني أولك فى أخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف . فصل : اذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد ان جعلته حكما يحيف فى حكومته . فاين الموئل من جورك ولست أسلك طريقا من العتب عليك الاشدة ما انطوى عليه من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الا اليك ولا استعانة الا بك وما أحق من جعلك على أمرعونا أن تكون له الى النجاح سببا . وقال الشاعر :

عجبت لقلبك كيف انقلب * ومن طول ودك اني ذهب
وأعجب من ذا وذا انني * أراك بعين الرضا فى الغضب

وفصل : ان مسلتى اليك حوائجى مع عتبك على من اللؤم وان امساكى عنها فى حال ضرورة اليها مع علمي بكرمك في السخط والرضا لعجز غير انى اعلم ان قرب الوسائل في طلب رضاك مساءلتك ماسنح من الحاجة اذ كنت لاتجعل عتبك سببا لمنع معروفك . وفصل لو كانت الشكوك تختلجني فى صحة مودتك وكريم إخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك فى تواتر كتبي واحتباس جواباتها عنى ولكن الثقة بما تقدم عندى تعذرك وتحسن ما يقبحه جفاؤك والله يديم نعمته لك ولنا بك . وفصل لابن المدبر وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل والتقريع

اللطيف فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك لتقطعت غما بعتابك الذى لطف حتي كاديخفى عن أهل الرقة والفطنة وغلظ حتى كاديفهمه أهل الجهل والبله فلا أعد مني الله رضاك مجازيا به على مااستحقه عتبك فانت ظالم فيه وعتابك ولى المخرج منه . وقال أبو الدرداء أعتاب الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقي العتاب

وقال آخر في غير هذا المعني :

اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب فى كل يوم عليا
طلبت رضاك فان عزنى * عددتك ميتا وان كنت حيا
ولا تعجبن بما فى يديك * فاكثر منه الذى في يديا

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب فليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك . وفصل : قدحميت جانب الامل فيك وقطعت أسباب الرجاء منك وقد اسلمنى اليأس منك الى العزاء عنك فان ترغب من الآن فصفح لاتثريب معه وان تماديت فهجر لاوصل بعده ﴿ فصل فى التنصل ﴾ كتب ابن مكرم لاق عظيم أملى فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنبا مخطئا ولا متعمدا ولعل فلتة لم الق لها بالافواطيء لها اعتذارا وان تكن فبغية حاسدزخرفها على لسان واش نبذها اليك في بعض غراتك أصابته مني مقتلا وشفت منك غليلا . وفصل : ليس بزيلني عن حسن الظن بك فعل حملك الاعداء عليه ولا يقطعني عن رجائك عتب حدث على منك بل أرجو ان يتقاضى كرمك انجاز وعدك اذ كان أبلغ الشفعاء اليك وأوجب الوسائل لديك . وفصل أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقو به من ان تجازيني بالسوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان بل جناه على لسان واش فاما قولك انك لاتسهل سبيل العذر فانت أعلم بالكرم وأرعي لحقوقه وأقعد بالشرف وأحفظ لذماماته من ان ترديدمؤملك صفرامن عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه وذريعة له . وفصل لابراهيم بن العباس : الكريم أوسع ماتكون مغفرته اذاضاقت بالمذنب معذرته . وفصل : ياأخى اشكوالى الله واليك تعامل الايام على وسوءشر الدهر عندي وانى معلق فى حبائل من لا يعرف موضعي ولا يحلوعنده موقعى اطلب منه الخلاص فيزيدني كلفا وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنا فالثواء ثواءمقيم والنية نية ظاعن وبزمام الرأى مرتحل ماذهب الى ناحية من

الحيلة الا وجدت من دونها ما نعامن العوائق واحمل الذنب على الدهر فارجع الى الله بالشكر وأساله جميل العقبي وحسن الصبر

١١ — فصول في حسن التواصل — للمفضل ان يخص لفضله من شاء ولله الحمد ثم له فيما أعطى ولاحجة عليه فيما منع كن كيف شئت فاني واجد أمرى خالصة سريرتي أرى ببقائك بقاء سروري و بدوام النعمة عندك دوامها عندى . وفصل : قدأغني الله بكرمك عن الذريعة اليك والاستعانة عليك لان حسن الظن بالله فيك وتأويل نجح الرغبة دون الشفعاء عندك . وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله وتعجلت راحة الناس ممن يجود بالوعد ويضن بالانجاز والحسدان يفضل ويزهد فى أن يفضل ويعيب الكذب ولا يصدق وفصل : ضعني أكرمك الله من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك أصاب الله بمعروفك مواضعه وبسط بكل خير يدك . وفصل : لا أزال أبقاك الله أسال الكتاب اليك مرة أتوقف توقف المخفف عنك من المؤنة ومرة أكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقيل لا أعدمنا الله دوام عزك ولاسلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لله فانا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعما الا فى ظلك ولئن كانت الرغبة الى بشر من الناس خساسة وذلا لقد جعل الله الرغبة اليك كرامة وعزا لانك لا تعرف حرا قعد به دهره الا سبقت مسئلته بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة . وفصل : لى عليك حق التاميل والشكر بما ابتدأت من المعروف ولك على حق الاصطناع والفضل والتنويه بالاسم والزيادة فى القدر وليس يمنعني علمك زيادة حقك على ما أبلغه من شكرك من مساءلتك المزيد اذ كنت قد انتهيت الى ما بلغه المجهود وخرجت من منزلة الاضاعة والتقصير واذ كنت تسمح بالحق عليك و تطيب نفسا عن حقك على ما أبلغه من شكرك وشكر اليسير ولا تكلف أحد اشكرك على الكثير . فصل لك أصلحك الله عندى اياد تشفع لى الى محبتك ومعروف يوجب عليك الود والاتمام . فصل : انا أسال الله ان ينجز لى مالم تزل الفراسة تعدنيه فيك . فصل : قد أجل الله قدرك عن الاعتذار وأغناني فى القول وأوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما أنعمت وصلت أوقطعت

١٢ — فصول الشكر — كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتابا عن المعتصم الى عبد الله بن طاهر الخراساني فكان فى فصل منه لو لم يكن من فضل الشكر الا انك لا تراه الا بين

نعمة مقصورة عليك أو زيادة منتظرة له ثم قال لمحمد بن ابراهيم بن زياد كيف ترى قال كأنهما قرطان بينهما وجه حسن . وفصل للحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعته اليها أو ثروة أقدرته اياها فان شكرى لك على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها ورمق أمسكت به وقمت بين التلف وبينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره وانت من وراء كل غاية رددت كيد العدو وأرغمت انف الحسود فنحن نلجأ اليه منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر وأين يبلغ جهد المجتهد . وقال ابراهيم بن المهدى يشكر المامون :

رددت مالى ولم تمنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمي
فاين منك وقد جللتني نعما * هى الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
البر بي منك وطى العذر عندك لى * فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم
وقام علمك بى يحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

فصول فى البلاغة : كتب الحسن بن وهب الى ابراهيم بن العباس وصل كتابك فما رأيت كتابا اسهل فنونا ولا املس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع منه انجزت فيه عدة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن يقينا والامل مبلوغا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فصل : الكلام كثيرة فنونه قليلة عيونه فمنه ما يفكه الاسماع و يؤنس القلوب ومنه ما يحمل الآذان ثقلا ويملأ الاذهان وحشا . فصول من المدح : وكتب ابن مكرم الى أحمد بن المدبر ان جميع اكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل فاذا انتهوا اليك اقروا لك ويتنافسون المنازل فاذا بلغوك وقفوا دونك فزادك الله وزادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقبله رأيك و يقدمه اختيارك ويقع من الامور بموقع بموافقتك ويجري فيها على سبيل طاعتك . وفصل له : ان من النعمة على المثني عليك أن لا يخاف الافراط ولا يامن التقصير ويامن ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية الا وجد فضلك تجاوزها ومن سعادة جدك ان الداعى لا يقدم كثرة المثنا بعين له والمؤمنين معه . وفصل : ان مما يطمعنى فى بقاء النعمة عندك

ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بمافيك من أسبابها ومن شان الاجناس ان تتالف وشان الاشكال ان تتقاوم وكل شيء يتقلقل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ونزل في مغرسه ضرب بعرقه وسبق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وتفتك تفتك الطبيعة . وفصل : انى فيما أتعاطي من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذى لايخفى على كل ناظر وأيقنت اني حيث انتهي بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك . وفصل لمحمد بن الجهم : انك لزمت من الوفاء طريقة محمودة وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الاخوان فيك يبتدرون ودك ويتمسكون بحبلك فمن أثبت الله له عندك وداً فقد وضع حلته موضع حرزها . وفصل لابن مكرم : السيف العتيق اذا أصابه الصدأ استغني بالقليل من الجلاء حتى تعود جدته ويظهر فرنده للين طبيعته وكرم جوهره ولم أصف نفسى لك عجبا بك بل شكرا . وفصل له : زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور حقير وعند الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندى عظما * أنه عندك مستور حقير
تتناساه كان لم تاته * وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابي : أنت أيها الامير وارث سلفك وبقية أعلام أهل بيتك المسدود بهم ثلمهم المجدد به قديم شرفهم والمحيا به أيام سعيهم وانه لم يخمل من كنت وارثه ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا انمحت اعلام من خلفته في رتبته ﴿ فصول في الذم ﴾ كتب أحمد بن يوسف أما بعد فانى لا أعرف للمعرف طريقا أوعر من طريقه اليك فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور وانما غايتك في المعرف ان تحقره وفى وليه ان تكفره . وكتب أبو العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة : أما بعد فانى توسلت اليك في طلب نائلك باسباب الامل وذرائع الحمد فرارا من الفقر ورجاء للغني وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تبعدت وقد قسمت اللائمة بيني وبينك لاني أخطات في سؤالك وأخطات في منعي أمرت بالياس من أهل البخل فسالتهم ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم وفى ذلك أقول :

فررت من الفقر الذي هو مدركى * الى بخل محظور النوال منوع
فاعقبنى الحرمان غب مطامعي * كذلك من يلقاه غير قنوع

وغير بديع منع ذى البخل ماله * كما بذل أهل الفضل غير بديع
اذا أنت كشفت الرجال وجدتهم * لاعراضهم من حافظ ومذيع

وفصل لابراهيم بن المهدى : أما بعد فانك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا كما قال زهير بن أبى سلمى :

وذي خطل فى القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

فصل : ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تميل معهما وتصرف فى آثارهما وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس وأنزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك أقوي أسباب عذرى فى قطيعتك عند من يتصفح أمرى وامرك بعين عدل لا تميل الى هوى ولا ترى القبيح حسنا . فصل للعتابى : تأتينا افاقتك من سكرتك وترقبنا انتباهك من رقدتك وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك فها أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعديك لطورك واطراحك حق من غلط فى اختيارك ﴿ فصل فى الادب ﴾ كتب سعيد حميدان من امارات الحزم صحة الرأى فى الرجل بترك التماس ما لا سبيل اليه اذا كان ذلك داعية لغي لا عزة له وشفاء لا درك فيه وقد سمحت فى أمر تخبرك أوائله عن أواخره وينبيك بدؤه عن عواقبه ولو كان هذا الخبر الصادق مستمع حازم ورأيت رائد الهوى ما مال بك الى هذا الامر ميلا ايأس من رغب فيك ودل عدوك على معايبك وكشف له عن مقاتلك ولولا علمى بان غلط الناصح يؤدي الى نفع فى اعتقاد صواب الرأى لكان غير هذا القول أولى بك والله يوفقك لما يحب ويوفق لك ما تحب . وفصل : انت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق عزمك فقدم على نفسك من قدمك على نفسه . وفصل . من أخطأ فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى ان يخطىء فى امر دينه وفيما يؤخذ بالعقل . وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء وطلبك من لا ينام دون الظفر فاشدد حيازيمك وكن على حذر . وفصل : قد آن ان تدع ما تسمع بما تعلم ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه . وفصل . لست بحال يرضى بها حر ولا يقيم عليها كريم وليس يرضي لك بهذا الامن لا ينبغى لك ان ترضى به . وفصل : أنت طالب مقيم وانا دافع مغرم فان كنت شاكرا فيما مضى فاعذر فيما بقي . وفصل للعتابى : أما

بعد فان قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرك من أحسن عشرتك وأهدى الناس الى مودتك من اهدى بره اليك . فصول الى عليل : ليست حالى اكرمك الله فى الاغتمام بعلتك حال المشارك فيها بان ينالني نصيب منها وأسلم من اكثرها بل اجتمع على منها انى مخصوص بها دونك مؤلم منها بما يؤلمك فان عليل مصروف المناية الى عليل كاني سليم فانا أسال الله الذى جعل عافيتي في عافيتك ان يخصني بما فيك فانها شاملة لى ولك . وفصل : ان الذى يعلم حاجتي الى بقائك قادر على المدافعة عن حوبائك فلو قلت ان الحق قد سقط عنى في عيادتك لانى عليل بعلتك لقام بذلك شاهد عدل في ضميرك وارتياد فى حال لغيبتك واصدق الخبر ماحققه الاثر وافضل القول ما كان عليه دليل من العقل . وفصل : لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصا عن خبرك يحب ان تقسم جوارحه وصبك وان زاد فى ألمها ألمك وان تتصل به احوالك فى السراء والضراء ولما بلغتنى افاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب الا بخير السلامة ان شاء الله . ولأحمد بن يوسف : قد اذهب الله وصب العلة ونصبها ووفر أجرها وثوابها وجعل فيها من ارغام العدو بعقباها اضعاف ما كان عنده من السرور بفتح أولاها . فصول الى خليفة وامير : منها كتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان كل من عنت به فكرتك فما هو الاسعيد يؤثر أوشقى يوتر . كتب الحسن بن سهل : يصف عقل المامون وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة موفيا بما أخذ الله عليه مطلعا بما حمله منه مؤديا الى الله حقه مقرا له بنعمته شاكرا لآلائه لا يأتمر الا عدلا ولا ينطق الا فصلا رعيا الدينه وامانته كافا ليده ولسانه . وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان حق الاولياء على السلطان تنفيذ أمورهم وتقويم أودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء فى احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم . وفصل له : ان من أعظم الحق حق الدين وأوجب الحرمة حرمة المسلمين فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ان يراعى له حسب ما رعاه الله ويحفظ له حسب ماحفظ الله على يديه . وفصل له : ان الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة واحياء السنن الصالحة فاذا أدى كل الى كل حقه كان ذلك سببا لتمام المعونة واتصال الزيادة واتساق الكلمة ودوام الالفة . وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لامير المؤمنين فى نفسه خاصة الا

اتصلت برعيته عامة وشملت المسلمين كافة وعظم بلاء الله عندهم فيها و وجب عليهم شكره عليها لان الله جعل بنعمته تمام نعمتهم و بتدبيره وذبه عن دينه حفظ حريمهم و بحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم فاطال الله بقاء أمير المؤمنين منطوي القلب على مناصحته مؤيدا بالنصر معززا بالتمكين موصول البقاء بالنعيم المقيم . فصل : الحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين معقود النيـة بطاعته منطوي القلب على مناصحته مستحوذ السيف على عدوه ثم وهب له الظفر ودوخ له البلاد وشرد به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا و برا و بحرا . وفصل : أفعال الامير عندنا معسولة كالامانى متصلة كالايام ونحن نواتر الشكر لكريم فعـله ونواصل الدعاء له مواصلة بره انه الناهض بكلنا والحامل لاعبائنا والقائم بما ناب من حقوقنا . وفصل : أما بعـد فقد انتهى الى أمير المؤمنين كذا فانكره ولا يخلو من احدي منزلتين ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة اما تقصير فى عملك دعاك للاخلال بالحزم والتفريط فى الواجب واما مظاهرة لاهل الفساد ومداهنة لاهل الريب وأية هاتين كانت منك محلة النكر بك وموجبة العقوبة عليـك لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الاناة والنظرة والاخذ بالحجة والتقدم فى الاعذار والانذار على حسب ما أقلت من عظيم العثرة ما يجب اجتهادك فى تلافى التقصير والاضاعة والسلام . وكتب طاهر بن الحسين : حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدى . أما بعد فانه عزيز على ان أكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الامرة وسلامها غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكس المخلوع فان كان كما بلغني فقليل ما كتبت به كثير لك وان يكن غير ذاك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله و بركاته وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته * جهل رمى بك بالاقحام تغرير
أهون بدنيا يصيب المخطؤن بها * حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صوابا وخذ بالحزم حيطته * فلن يذم لاهـل الحزم تدبير
فان ظفرت مصيبا أو هلـكت به * فانت عند ذوى الالباب معذور
وان ظفرت على جهل ففزت به * قالوا جهـول أعانتـه المقادير

فصـل للحسن بن وهب : أما بعد فالحمد لله متمم النعم برحمته الهادى الى شكره بفضله وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى جمع له من الفضائل ما فرقه فى الرسل قبله وجعل

ترائه راجعا الى من خصه بخلافته وسلم تسليما ﴿فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب﴾ : منها فصول فى عتاب . أما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة و التفضل على ذوى الاحسان نافلة : أما بعد فلها السكوت على لسانك ان كانت العافية من شانك . أما بعد فلا تزهد فيما رغب اليك فتكون لحظك معاندا وللنعمة جاحدا . أما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبايهما ظفرت كانت فى حزبه . أما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . أما بعد فان القلوب أوعية والعقول معادن فما فى الوعاء ينفد اذا لم يمده المعدن . أما بعد فكفى بالتجارب تاديبا و بتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرت معرفة و بذكرك الموت زاجرا . أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من اطفائه بالشتم والقدع . أما بعد فان أهل النظر فى العواقب أولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرىء الا استغرقت الدنيا همته ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الايام مطايا عمله والآخرة مقيل مرتحله . أما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد فى الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . أما بعد فانه ليس كل من علم أمسك وقد يستجهل الحليم حين يستحق الهجران . أما بعد فان أحببت ان تملك الثقة فى قلوب اخوانك فاستقل كثير ما تو ليهم . أما بعد فان أنظر الناس فى العاقبة من لطف حين كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز واستل حقده بالرفق والتحبب . وكتب الى أبى حاتم السجستاني : و بلغه عنه أنه نال منه . أما بعد فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلا لذلك منك والسلام فلم يعد أبو حاتم الى ذكره بقبيح . وله فصول فى وصاة : اما بعد فان أحق من أسعفته فى حاجته واجبته الى طلبته من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . أما بعد فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل اليك بمنانه لويت عنه فتثبت فى ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . أما بعد فان فلانا أسبابه متصلة بنا يلزمنا ذمامه و بلوغ موافقته من أياديك عندنا وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته فاولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقه علينا . اما بعد فقد أتانا كتابك فى فلان وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته ورعاية حقه ونحن من المعتبة بامره على ما كان فى حرمته و يؤدي شكره . وله فصول فى استنجاز وعد . أما بعد فقد رسفنا فى قيود مواعيدك وطال مقامنا فى سجون مطلك فاطلقنا أبقاك الله من ضيقها وشد يد غمها بنعم منك مثمرة أو مريحة . أما بعد فان شجر مواعيدك قد أورقت فليكن

ثمرها سالما من جوائح المطل . أما بعد فان سحاب وعدك قد برقت فليكن وبلها سالما من صواعق المطل والاعتلال . وله فصول فى الاعتذار : أما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار وبئس العوض من التوبة الاصرار . اما بعد فان أحق ماعطفت عليه بحلمك من لم يتشفع اليك بغيرك . أما بعد فانه لاعوض من اخائك ولا خلف من حسن رأيك وقد انتقمت مني فى زلتي بجفائك فاطلق أسير تشوقي الى لقائك . أما بعد فانني بمعرفتي ببلوغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك . اما بعد فان من جحد احسانك بسوء مقالته فيك مكذب نفسه بما يبدو للناس منه . اما بعد فقد مسني من الالم مالم يشفه غير مواصلتك مع حبسك الاعتذار من هفوتك ولكن ذنبك تغتفره مودتك فامنن علينا بصلتك تكن بدلا من مساءتك وعوضا من هفوتك . اما بعد فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الاخوان . امابعد فان أولى الناس عندي بالصفح من أسلمه الى ملكك النماس رضاك من غير مقدرة منك عليه . امابعد فان كنت ذممتنى على الاساءة فلم رضيت لنفسك المكافاة . وله فصول فى التعازى : أما بعد فان الماضي قبلك الباقي لك والباقي بعدك الماجور فيك وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب : أما بعد فان فى الله العزاء من كل هالك والخلف من كل مصاب وانه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة . أما بعد فان الصبر يعقبه الاجر والجزع يعقبه الهلع فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذى تطلب وتدرك به الذي تامل . أما بعد فقد كفى بكتاب الله واعظا ولذوى الالباب زاجرا فعليك بالتلاوة تنج مما أوعد الله أهل المعصية . صدور الى خليفة وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده وأيده وأصلح به وعلى يديه اكرم الله امير المؤمنين بالظفر وأيده بالنصر فى دوام نعمته وحاط الرعية بطول مدته . صدور الى ولى عهد : متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الامير واجرى على يديه فعل الجميل وآنس بولايته المؤمنين مد الله للامير النعمة واسعد بطول عمره الامة وجعله غياثا ورحمة أكمل الله له الكرامة وحاطه بالنعمة والسلامة ومتع به الخاصة والعامة متع الله بسلامتك أهل الحرمة وجمع لك شمل الامة واستعملك بالرأفة والرحمة . صدور الى ولى شرطة : انصف الله بك المظلوم واغاث بك الملهوف وأيدك بالتثبت ووفقك للصواب ارشدك الله بالتوفيق وانطقك بالصواب وجعلك عصمة للدين وحصنا للمسلمين اعانك الله على ماقلدك وحفظ لك ما استعملك بما يرضي من فعلك سددك الله وأرشدك وأدام لك فضل ماعودك زادك الله شرفا فى المنزلة

وقدرا فى قلوب الامة وزلفة عند الخليفة نصر الله بعدلك المظلوم وكشف لك كربة الملهوف واعانك على اداء الحقوق . صدور الى قاض : الهمك الله الحجة وأيدك بالتثبت ورد بك الحقوق ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم والتثبت فى الحكم الهمك الله الحكمة وفصل الخطاب وجعلك اماما لذوى الالباب زين الله بفضلك الزمان وأنطق بشكرك اللسان وبسط يدك فى اصطناع المعروف وأدام الله لك الافضال وحقق فيك الآمال . صدور الى عالم : جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة وسببا الى النجاة وزلفة عند الله نفع الله بعلمك المستفيدين وقضى بك حوائج المتحرمين واوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين أدام الله لك التطول باسعاف الراغب وأنجح بك حاجة الطالب وأمنك مكروه العواقب . صدور الى اخوان : متع الله أبصارنا برؤيتك وقلوبنا بدوام ألفتك ولا أخلانا من جميل عشرتك ووهب لك من كريم نفسك بحسب ماتنطوي عليه مودتك وأبهج الله اخوانك بقربك وجمع الفتهم بالانس بك وصرف الله عن الفتنا عواقب القدر واعاذ صفوا خائنا من الكدر وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشكر من الله علينا بطول مدتك وآنس أيامنا بمواصلتك وهنانا النعمة بسلامتك قرب الله منا ما كنا نامل منك وجمع شمل السرور بك نزه الله بقربك القلوب وبرؤيتك الابصار وبحديثك الاسماع اقبل الله بك على أودائك ولا ابتلاهم بطول جفائك ازال الله حرصنا من فتورك عنا ورغبتنا عنك من تقصيرك فى أمورنا حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده ورد الينا ما كنا نالفه ونعهده رحم الله فاقة الحنين اليك ومابي من تباريح الحزن عليك وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك يسر الله لنا من صفحك مايسع تقصيرنا ومن حلمك مايرد سخطك عنا زين الله الفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بزيارتك أعاد الله علينا من اخائك وجميل رأيك مايكون معهودا منك بالوفاء لك . صدور فى عتاب : أنصف الله شوقنا اليك من جفائك لنا وأخذ لبرنا بك من تقصيرك عنا . وكتب معاوية : الى عمرو ابن العاصى وبلغه عنه أمر : وفقك الله لرشدك بلغني كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغني أذله الفقر وهما ضدان نخادعان للمرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من بين له الداء والسلام . فاجابه : طاولتك النعم وطاولت بك علوا نصافك يؤمن سطوة جورك ذكرت اني نطقت بما تكره وأنا مخدوع وقد علت انى ملت الي محبتك ولم أخدع ومثلك شكر مسعى معتذر وعفا زلة معترف اه الكتاب

١٤

فن من كتاب العسجدة الثانية

﴿ في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى التوقيعات والفصول والصدور والكتابة وهذا كتاب ألفناه فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وأسماء كتابهم وحجابهم

١ — أخبار الخلفاء — نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم روي أبو الحسن على ابن محمد بن عبد الله بن أبي يوسف عن أشياخه * هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان : وأمه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب

﴿ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول . وقال بعضهم لليلتين خلتا منه . وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوما فهذا جمع ما اختلفوا فى مولده وأوحي الله اليه وهو ابن أربعين عاما واقام بمكة عشرا او بالمدينة عشرا . وقال ابن عباس : أقام بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرا والمجمع عليه انه اقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا . هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول . مات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم وجعلنا ممن يرد حوضه وينال مرافقته فى أعلى عليين من درجات الفردوس واسأل الله الذى جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ولا يحرمنا رؤيته فى الدنيا والآخرة ﴿ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشربا بحمرة ضخم الرأس أزج الحاجبين عظيم العينين أدعج أهدب شثن الكفين والقدمين اذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صبب ويمشي فى صعد كأنما يتقلع من صخر اذا

التفت التفت جميعا ليس بالجعد القطط ولا السبط ذا وفرة الى شحمة أذنيه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتطامن عرقه اطيب من المسك الاذفر لم تلد النساء قبله ولا بعده مثله بين كتفيه خاتم النبوة كبيض الحمامة لا يضحك الا تبسما فى عنفقته شعرات بيض لا تكاد تبين . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيب الذى كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة وقيل له يارسول الله عجل عليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها ﴿ هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم ﴾ كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض ويمشى فى الاسواق ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضى من نفسه ولا يأكل متكئا ولم يرقط ضاحكا ملء فيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت ﴿ شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد البشر ولا فخر وأنا أفصح العرب وانا أول من يقرع باب الجنة وانا أول من ينشق عنه التراب دعا لي ابراهيم وبشر بي عيسى ورأت أمي حين وضعتني نورا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق فجعلني فى خير خلقه وجعلهم افراقا فجعلني فى خيرهم فرقة وجعلهم قبائل فجعلني فى خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني فى خير بيت فانا خيركم بيتا وخيركم نسبا . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم واسترضعت فى بنى سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعرب اللغات فلكل العرب فيه لغة ولبني سعد بن بكر سبع لغات وبنو سعد بن بكر بن هوازن افصح العرب فهم من الاعجاز وهى قبائل من مضر متفرقة . وكان ظئر النبي صلى الله عليه وسلم التي أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب من بني ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث . وجذامة بنت الحرث وهى التى أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم فى أسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلاث عاتكة بنت هلال ولدت هاشما وعبد شمس ونوفلا وعاتكة بنت الاوقص بن هلال ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعاتكة بنت فالج . وقال على للاشعث اذ خطب اليه : أغرك ابن أبي قحافة اذ زوجك أم فروة وانها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ﴿ أبو النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ولم يكن له ولد غيره صلى الله عليه وسلم . وتوفى وهو فى بطن أمه فلما ولد كفله جده عبد المطلب الى أن توفى فكفله عمه أبو طالب . وكان أخا عبد الله لامه

وأبيه فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وأولادهم به . وأما أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته فان عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه عشرة من الذكور وستة من الاناث وأسماء بنيه عبد الله والد النبي عليه الصلاة والصلام . والزبير . وابو طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وضرار . وحمزة . والمقوم . وأبو لهب واسمه عبد العزى . والحرث والغيداق واسمه حجل . ويقال نوفل * وأسماء بناته عمات النبي صلي الله عليه وسلم عاتكة . والبيضاء وهي أم حكيم . وبرة . وأميمة . وأروى . وصفية . ولد النبي صلى الله عليه وسلم : ولد له من خديجة القاسم والطيب وفاطمة وزينب ورقيـة وأم كلثوم وولد له من مارية القبطية ابراهيم فجميع ولده من خـديجة غير ابراهيم . وأزواجه صلى الله عليه وسلم : أولهن خـديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ولم يتزوج عليها حتى ماتت ثم تزوج سودة بنت زمعة . وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجرة الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وهى ابنة ست وابتني عليها ابنة تسع وتوفي عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة وعاشت بعده الى أيام معاوية . وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين . ودفنت ليلا بالبقيع . واوصت الى عبد الله بن الزبير : وتزوج حفصة ابنة عمر بن الخطاب : وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله الى كسرى ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة . وكانت تحت عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب أول شهيد كان ببدر : ثم تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أول من مات من أزواجه فى خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة ابنة أبي سفيان وهى أخت معاوية وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدي فتنصر ومات بارض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومى وكانت تحت أبي سلمة فتوفى عنها وله منها أولاد وبقيت الى سنة تسع وخمسين : وتزوج ميمونة بنت الحرث من بني عامر بن صعصعة وكانت تحت أبي سبرة بن ابى رهم العامرى . وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية وكانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم عنقه وسبي أهله . وتزوج جويرية بنت الحرث وكانت من سبي بنى المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . وتزوج امرأة يقال لها عمرة فطلقها ولم يبن بها وذلك ان اباها قال له وأزيدك انها لم

تمرض قط فقال ما لهذه عند الله من خير فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها أميمة بنت النعمان فطلقها قبل ان يطاها وخطب امرأة من بني مرة بن عوف فردها أبوها وقال ان بها برصا . فلما رجع اليها وجدها برصاء ﴿ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه ﴾ كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت . ومعاوية بن أبى سفيان . وحنظلة بن ربيعة الاسدى . وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ارتد ولحق بمكة مشركا . وحاجبه أبو أنيسة مولاه وخادمه أنس بن مالك الانصارى ويكنى أبا حمزة . وخازنه على خاتمه معيقب بن أبي فاطمة . ومؤذناه بلال . وابن أم مكتوم . وحراسه سعد بن زيد الانصاري . والزبير بن العوام . وسعد بن ابي وقاص وخاتمه فضة وفصه حبشى مكتوب عليه محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر الله سطر . وفى حديث أنس بن مالك : خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبه تختم أبو بكر وعمر وتختم به عثمان ستة أشهر ثم سقط منه فى بئر ذى اروان فطلب فلم يوجد ﴿ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وسنه ﴾ توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وحفر له تحت فراشه فى بيت عائشة : وصلى عليه المسلمون جميعا بلا امام الرجال ثم النساء ثم الصبيان . ودفن ليلة الاربعاء فى جوف الليل . ودخل القبر على والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه . ويقال اسامة بن زيد وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله . وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . واختلف فى سنه فقال عبد الله بن عباس وعائشة وجرير بن عبد الله ومعاوية توفى وهو ابن ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة اثنتين وستين سنة

٢ — نسب أبي بكر الصديق وصفته رضي الله عنه — هو عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأمه أم الخير ابنة صخر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكاتبه عثمان بن عفان . وحاجبه رشيد مولاه . وقيل كتب له زيد بن ثابت أيضا وعلى أمره كله . وعلى القضاء عمر بن الخطاب . وعلى بيت المال ابو عبيدة بن الجراح ثم وجهه الى الشام . ومؤذنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر قيل لعائشة صفى لنا أباك قالت كان أبيض نحيف الجسم خفيف العارضين أحنى لا يستمسك ازاره معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عارى الاشاجع أقرع وكان عمر بن الخطاب أصلع وكان ابو بكر يخضب بالحناء والكتم . وقال أبو جعفر الانصارى رأيت ابا بكر كان لحيته ورأسه جمرى الغضى . وقال أنس بن مالك قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فى

أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم . وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله ﴿خلافة أبي بكر رضي الله عنه﴾ شعبة عن سعد بن ابراهيم عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت يارسول الله ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر فليصل بالناس قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة فقلت لحفصة قولي له ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر ففعلت حفصة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس . أبو جعدة : عن الزبير قال قالت حفصة يارسول الله انك مرضت فقدمت ابا بكر قال لست الذي قدمته و لكن الله قدمه . أبو سلمة : عن اسماعيل بن مسلم عن أنس قال صلى أبو بكر بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم مريض ستة أيام . النضر بن اسحق : عن الحسن قال قيل لعلي علام بايعت أبا بكر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت فجاة كان يأتيه بلال في كل يوم في مرضه يؤذنه بالصلاة فيامر أبا بكر فيصلي بالناس و قد تركني وهو يرى مكاني فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم فبايعوه وبايعته . ومن حديث الشعبي : قال أول من قدم مكة بوفاة رسول الله صلي الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي . فقال له أبو قحافة من ولي الامر بعده قال أبو بكر ابنك قال فرضي بذلك بنو عبد مناف قال نعم قال لا مانع لما أعطي الله ولا معطي لما منع الله . جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما انصرف لقي رجلا في بعض طريقه مقبلا من المدينة فقال له مات محمد قال نعم . قال فمن قام مقامه قال أبو بكر قال ابو سفيان فما فعل المستضعفان علي والعباس . قال جالسين قال اما والله لئن بقيت لهما لارفعن من اعقابهما ثم قال اني أرى غيرة لا يطفئها الادم . فلما قدم المدينة جعل يطوف في ازقتها و يقول

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة اوعدي
فما الامر الا فيكم واليكم * وليس لها الا أبو حسن علي

فقال عمر لابي بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شرا . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على

الاسلام فدع له ما بيده من الصدقة ففعل فرضي أبو سفيان وبايعه

٣ — سقيفة بن ساعدة — أحمد بن الحرث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن المقبري ان المهاجرين بينما هم في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قبضه الله اليه اذ جاء معن بن عدى وعويم بن ساعدة . فقالا لأبي بكر باب فتنة ان يغلقه الله بك هذا سعد بن عبادة والانصار يريدون ان يبايعوه فمضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاؤا سقيفة بني ساعدة وسعد على طنفسة متكئا على وسادة وبه الحمي . فقال له أبو بكر ماذا ترى أبا ثابت قال أنا رجل منكم فقال حباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجري في الانصارى شيا رد عليه وان عمل الانصارى في المهاجرى شيا رد عليه وان لم تفعلوا فانا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب لنعيدنها جذعة . قال عمر فاردت ان أتكلم وكنت زورت كلاما في نفسي . فقال أبو بكر على رسلك يا عمر فما ترك كلمة كنت زورتها في نفسي الا تكلم بها . وقال نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا واوسطهم دارا واحسنهم وجوها وأمسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما وأنتم اخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب وابا عبيدة بن الجراح . فقال عمر يكون هذا وأنت حي ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذى أقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر . فقالت الانصار قتلتم سعدا . فقال عمر اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنة فبايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعلى التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على ما هذا قال العباس ما رىء مثل هذا قط ما قلت لك . ومن حديث النعمان بن بشير الانصارى : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالامر بعده . فقال قوم أبو بكر وقال قوم ابي بن كعب قال النعمان بن بشير فاتيت أبيا قلت يا أبى ان الناس قد ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر واياك فانطلق حتي تنظر في هذا الامر . فقال ان عندي في هذا الامر من رسول الله صلي الله عليه وسلم شيا ما أنا بذاكره حتى يقبضه الله اليه . ثم انطلق وخرجت معه حتى دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصبح

وهو يحسو حسوا فى قصعة مشعوبة . فلما فرغ أقبل على أبي فقال هذا ما قلت لك قال فاوص بنا فخرج يخط برجليه حتى صار على المنبر . ثم قال يامعشر المهاجرين انكم اصبحتم تزيدون وأصبحت الانصار كما هي لا تزيد ألا وان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى من أمرهم شيا فليقبل من محسنهم ويعف عن مسيئهم ثم دخل فلما توفى قيل لي هاتيك الانصار مع سعد بن عبادة يقولون نحن أولى بالامر والمهاجرون يقولون لنا الامر دونكم فاتيت أبيا فقرعت بابه فخرج الى ملتحفا . فقلت ألا أراك قاعدا ببيتك مغلقا عليك بابك وهؤلاء قومك فى بني ساعدة ينازعون المهاجرين فاخرج الى قومك فخرج . فقال انكم والله ما أنتم من هذا الامر فى شىء وانه لهم دونكم يليها من المهاجرين رجلان ثم يقتل الثالث وينزع الامر فيكون ههنا وأشار الى الشام وان هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلق بابه ودخل . ومن حديث حذيفة . قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار الى ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه

﴿ الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر ﴾ على والعباس والزبير وسعد بن عبادة فاما على والعباس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة . وقال له ان أبوا فقاتلهم فاقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة . فقالت يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة فخرج على حتى دخل على أبي بكر فبايعه . فقال له أبو بكر أكرهت امارتى فقال لا ولكننى آليت أن لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن فعليه حبست نفسى . ومن حديث الزهري : عن عروة عن عائشة قالت لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم فارسل على الى أبى بكر فاتاه فى منزله فبايعه . وقال والله ما نفسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير ولكنا كنا نري ان لنا فى هذا الامر شيا فاستبديت به دوننا وما ننكر فضلك . وأما سعد بن عبادة فانه رحل الى الشام . أبو محمد : عن الكلبي قال بعث عمر رجلا الى الشام فقال ادعه الى البيعة واحمل له بكل ما قدرت عليه فان أبى فاستعن الله عليه . فقدم الرجل الشام فلقيه بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة فقال لا أبايع قرشيا أبدا قال فانى أقاتلك قال وان قاتلتنى قال أفخارج أنت مما دخلت فيه الامة قال اما من البيعة فانا خارج فرماه بسهم فقتله . ميمون بن مهران : عن أبيه قال رمى سعد بن عبادة فى حمام بالشام فقتل

ـ سعيد بن أبي عروة : عن ابن سيرين قال رمى سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا في جسده فمات فبكته الجن فقالت :

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده
رميناه بسهم * فلم يخط فؤاده

﴿ فضائل أبي بكر رضي الله عنه ﴾ محمد بن المنكدر قال نازع عمر أبا بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركوني وصاحبي ان الله بعثني بالهدى ودين الحق الى الناس كافة فقالوا جميعا كذبت وقال أبو بكر صدقت وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليسه في الغار وأول من صلى معه وآمن به واتبعه . وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يريد بلالا وكان بلال عبدا لامية بن خلف فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكان من مولدي مكة أبوه رباح وأمه حمامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم من أول من قام معك في هذا الامر قال حر وعبد يريد بالحر أبا بكر وبالعبد بلالا وقال بعضهم علي وخباب ـ أبو الحسن المدايني قال : دخل هرون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى مالك بن أنس فقيه المدينة فاتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة . قال يا مالك صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا . فقال مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره فقال شفيتني يا مالك . أبو سلمة : عن الشعبي أن عليا سئل عن أبي بكر وعمر فقال على الخبير سقطت . كانا والله امامين صالحين مصلحين خرجا من الدنيا خميصين . وقال علي بن أبي طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثني أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة عمياء كما شاء الله . وقالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابي لهدها أشرأب النفاق وارتدت العرب فوالله ما طاروا في نقطة الا طار أبي لحظها وعنائها في الاسلام . عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة أنه بلغها ان أناسا يتناولون من أبيها فارسلت اليهم . فلما حضروا قالت ان أبي والله لا تعطوه الايدي طود منيف وظل ممدود ونجح اذ كذبتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامر فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعثها فما برحت شكيمته في ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيي فيه ما أمات المبطلون . وكان وقيذ الجوانح غزير الدمعة شجي النشيج وتصفقت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به والله

يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وأكثرت ذلك رجالات قريش فما فلوا الله صفاة ولا قصموا لله قناة حتى ضرب الحق بجرانه وألقى بركه ورست أوتاده . فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله ورجله . فقام الصديق حاسرا مشمرا فرد الاسلام على عربه واقام أود ثقافه فاذعر النفاق بوطنه وانتاش الناس بعدله حتى أزاح الحق على أهله وحقن الدماء في أهبها . ثم أتته منيته فسد ثلمته نظيره في المرحمة وشقيقه في المعدلة ذلك ابن الخطاب لله در أم حفلت له ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك وبعج الارض فقاءت أكلها ولفظت جناها ترأمه ويأباها وتريده ويصرف عنها . ثم تركها كما صحبها فاروني ماذا ترون وأي يومى ابى تنقمون أيوم اقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظعنته اذ نظر لكم أقول هذا واستغفر الله لى ولكم ﴿ وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾ الليث بن سعد عن الزهرى قال أهدي لابى بكر طعام وعنده الحرث ابن كلدة فاكلا منه : فقال الحرث أكلنا سم سنة واني واياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا في يوم واحد عند انقضاء السنة وانما سمته يهود كما سمت النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر في ذراع الشاة . فلما حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة قال مازالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهرى . وهذا مثل ماقال الله تعالى « ثم لقطعنا منه الوتين » والابهر والوتين عرقان في الصلب اذا انقطع أحدهما مات صاحبه . الزهرى : عن عروة عن عائشة قالت اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وكان يأمر عمر يصلي بالناس وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وغسلته امرأته أسماء بنت عميس وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر وكبر أربعا . الزهري : عن سعيد بن المسيب قال لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فبلغ ذلك عمر فنهاهن فابين . فقال لهشام بن الوليد اخرج الى بنت أبي قحافة فخرجت اليه أم فروة فعلاها بالدرة ضربا فتفرق النوائح وقالت عائشة وأبوها يغمض رضي الله عنه :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

قالت عائشة فنظر الى وقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغمي عليه فقالت :

لعمرك مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الى كالغضبان وقال قولى « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ثم قال

انظروا ملاءتي خلق فاغسلوها وكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت . عروة ابن الزبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما توفي حفر له وجعل رأسه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند حقوي أبي بكر وبقي في البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن علي أوصى بان يدفن مع جده في ذلك الموضع فلما أراد بنو هاشم ان يحفروا له منعهم مروان وهو والي المدينة في أيام معاوية . فقال أبو هريرة علام تمنعه ان يدفن مع جده فاشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة قال له مروان لقد ضيع الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يروه غيرك قال أنا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه قال وسطح قبر أبي بكر كما سطح قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورش بالماء . هشام بن عروة عن أبيه : ان أبا بكر صلي عليه ليلا ودفن ليلا . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم وعاش أبو قحافة بعد أبي بكر أشهرا وأياما ووهب نصيبه في ميراثه لولد أبي بكر : وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سجي بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودهش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء علي بن أبي طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما وأصدقهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غنى وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به يريد محمدا ويريدك كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكبا لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في دينك متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في الارض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتى تاخذ الحق من القوي وتاخذه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك . القاسم بن محمد : عن عائشة أم المؤمنين انها دخلت على أبيها في مرضه الذي توفي فيه فقالت يا أبت اعهد الى خاصتك وانفذ رأيك في عامتك وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محضور ومتصل بي لوعتك وأرى

تخاذل أطرافك وانتقاع لونك قال الله تعز بني عليك ولديه ثواب حزني عليك ارقو فلا أرقي وأشكو فلا أشكى . قال فرفع رأسه وقال يا أمه هذا يوم يجلى لى عن غطائى وأشاهد جزائى ان فرحا فدائم وان ترحا فمقيم انى أطعت أمانة هؤلاء القوم حين كان النكوص اضاعة والخذل تفريطا فشهيدى الله ما كان يقيلني اياه فتعلقت بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم فأقمت صلاتي معهم لا مختالا أشرا ولا مكاثرا بطرا لم أعد سد الجوعة ووري العورة وقرابة القوة من طوى عفص تهفو منه الاحشاء وتجف له الامعاء فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض الى المعيف الآجن فاذا أنامت فردى اليهم صحفتهم وعبدهم ولقحتهم ورحاهم ووثارة مافوقي اتقيت بها البرد ووثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الارض كان حشوهما قطع السعف . قال ودخل عليه عمر فقال ياخليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبا ووليتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك

٤ — استخلاف أبي بكر لعمر — عبدالله بن محمد التيمي عن محمد بن عبدالعزيز أن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأه على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد أبي بكر فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه فقال بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب اني أمرت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل واتقى فذاك ظني به ورجائي فيه وان بدل وغير فالخير اردت ولا يعلم الغيب الا الله . قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضاح قال حدثني محمد بن زهيج بن مهاجر التجيبي قال حدثني الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر رضى الله عنه فى مرضه الذى توفي فيه فاصابه مفيقا . فقال أصبحت بحمد الله بارئا قال أبو بكر أبرأه الله . قال نعم قال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعى اني وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك انفه يريد أن يكون له الامر ورأيتم الدنيا مقبلة . ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتالمون الاضطجاع على الصوف الازدى كما يألم أحدكم الاضطجاع على شوك السعدان والله لان يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من ان يخوض فى غمرة الدنيا الا وانكم أول ضال بالناس غدا فتصدوهم عن الطريق يمينا وشمالا ياهادى

الطريق انما هو الفجر أو النحر قال فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس فى أمرك بين رجلين اما رجل رأى ما رأيت فهو معك وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت الا الخير ولم تزل صالحا مصلحا مع انك لا تاسي على شيء من الدنيا . فقال أجل انى لا آسي على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن ووددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت انى فعلتهن وثلاث وددت أنى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن . فاما الثلاث التى فعلتهن ووددت اني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وان كانوا اغلقوه على الحرب ووددت أني لم أكن حرقت النجام السلمى وانى قتلته شديخا أو خليته نجيحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أحدهما أميرا وكنت له وزيرا يعنى بالرجلين عمر بن الخطاب وابا عبيدة بن الجراح . وأما الثلاث التى تركتهن ووددت انى فعلتهن فوددت انى يوم أتيت بالاشعث بن قيس اسيرا ضربت عنقه فانه يخيل الى انه لا يرى شرا الا أعان عليه ووددت أنى يوم سيرت خالد بن الوليد الى اهل الردة اقمت بذي القصة فان ظفر المسلمون ظفروا وان انهزموا كنت بصدد لقاء اومدد ووددت انى وجهت خالد بن الوليد الى الشام ووجهت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله . وأما الثلاث التى وددت انى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فانى وددت اني سالته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه احد واني سالته هل للانصار فى هذا الامر نصيب فلا يظلموا نصيبهم منه ووددت انى سالته عن بنت الاخ والعمة فان فى نفسى منهما شيا

٥ — نسب عمر بن الخطاب وصفته — أبو الحسن على بن محمد قال هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك . وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهاشم هو ذو الرمحين . قال ابو الحسن . كان عمر رجلا آدم مشربا بحمرة طويلا اصلع له حفافان حسن الخدين والانف والعينين غليظ القدمين والكفين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس اعسر ايسر اذا مشى كانه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وطعن لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من التاريخ

فعاش ثلاثة أيام ويقال سبعة أيام . معدان بن أبي حفصة قال : قتل عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة في رواية الشعبي ولها مات أبو بكر ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم . فضائل عمر بن الخطاب : أبو الاشهب عن الحسن قال عاتب عيينة عثمان فقال له كان عمر خير النا منك اعطانا فاغنانا وأخشانا فانقانا . وقيل لعثمان مالك لا تكون مثل عمر قال لا استطيع ان أكون مثل لقمان الحكيم . القاسم بن عمر قال كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة . وقيل ان عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة فزوجوها المغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا زوجتم عمر فانه خير قريش أولها آخرها الا ماجعل الله لرسوله . الحسن بن دينار : عن الحسن قال مافضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى أنه ضربه وتعدى عليه فقال اللهم انى لا أحل لهم أشارهم ولا أبشارهم كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دوني ثم اقاده منه . عوانة عن الشعبي قال كان عمر يطوف في الاسواق ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم . وقال المغيرة بن شعبة : وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه ان يخدع وعقل يمنعه ان ينخدع فقال عمر لست بخب ولا الخب يخدعني . عكرمة عن ابن عباس : قال بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب في خلافته وهو عامد لحاجة له وفي يده الدرة فانا أمشي خلفه وهو يحدث نفسه ويضرب وحشي قدميه بدرته اذا التفت الي . فقال يا ابن عباس أتدري ما حملني على مقالتي التي قلت يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا . قال الذي حملني على ذلك أني كنت أقرأ هذه الآية « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » فوالله انى كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا باخف أعمالنا فهو الذي دعاني الى ماقلت . ابن دأب قال : قال ابن عباس خرجت أريد عمر في خلافته فالفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفي رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت اجبذ الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام ويقول كل لي ولك . ومن حديث ابن وهب : عن الليث ان أبا بكر لم يكن ياخذ من بيت المال شيا ولا يجرى عليه من الفيء درهما الا أنه

استلف منه مالا . فلما حضرته الوفاة أمر عائشة برده . وأما عمر بن الخطاب فكان يجري على نفسه درهمين كل يوم فلما ولي عمر بن عبد العزيز قيل له لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب . قال كان عمر لا مال له وأنا مالي يغنيني فلم يأخذ منه شيأ : أبو حاتم : عن الاصمعي قال قال عمر وقام على الردم أين حقك يا أباسفيان مما هنا . قال ماتحت قدميك الى قال طالما كنت قديم الظلم ليس لاحد فيما وراء قدمي حق انما هي منازل الحاج : قال الاصمعي وكان رجل من قريش قد تقدم صدر من داره عن قدمي عمر فهدمه واراد ان يغور البئر فقيل له في البئر للناس منفعة فتركها . قال الاصمعي اذا ودع الحاج ثم بات خلف قدمي عمر لم ار عليه ان يرجع يقول قد خرج من مكة ﴿ مقتل عمر ﴾ أبو الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له فيروز ابو لؤلؤة وكان نجار الطيفا وكان خراجه ثقيلا فشكا الى عمر ثقل الخراج وساله أن يكلم مولاه ان يخفف عنه من خراجه . فقال له وكم خراجك قال ثلاثة دراهم في كل شهر . قال وما صناعتك قال نجار . قال ما ارى هذا ثقيلا في مثل صناعتك فخرج مغضبا فاستعمل خنجرا محدود الطرفين وكان عمر قد رأى في المنام ديكا احمر ينقره ثلاث نقرات فتاوله رجلا من العجم يطعنه ثلاث طعنات فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك في صلاة الصبح ثلاث طعنات احداها بين سرته وعانته فخرقت الصفاق وهي التي قتلته وطعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة . فاقبل رجل من بني تميم يقال له حطان فالقي كساء عليه ثم احتضنه . فلما علم العلج أنه ماخوذ طعن نفسه وقدم عمر صهيبا يصلي بالناس فقرأ بهم في صلاة الصبح . قل هو الله أحد في الركعة الاولى وقل يا أيها الكافرون في الركعة الثانية واحتمل عمر الى بيته . فعاش ثلاثة أيام ثم مات وقد كان استاذن عائشة ان يدفن في بيتها مع صاحبيه فاجابته وقالت والله لقد كنت اردت ذلك المضطجع لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي . فكانت ولاية عمر عشر سنين صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ودفن عند غروب الشمس . كاتبه زيد بن ثابت وكتب له معيقيب أيضا . وحاجبه يرفا مولاه وخازنه يسار وعلى بيت ماله عبد الله بن ارقم . وقال الليث بن سعد كان عمر أول من جند الاجناد ودون الدواوين وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين واوصى ان يحضر عبد الله بن عمر معهم وليس له من امر الشوري شيء

٦ — امر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان — صالح بن كيسان قال قال ابن عباس دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من ادم وعنده جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل ليس عليك باس قال لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت أحب ان أنجى نفسى وأنجو منكم وما كنت من امركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه واشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي مالبستها فاخلقتها وثمرتكم يانعة فى أكمامها ما أكلتها وماجنيت ماجنيت الا لكم وما تركت ورائي درهما ماعدا ثلاثين أو اربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت يا أمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك قال المغرور والله من غررتموه اما والله لوان لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع . داود بن أبي هند : عن قتادة قال لما ثقل عمر قال لولده عبد الله ضع خدى على الارض فكره ان يفعل ذلك فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولام عمر ان لم يعف الله عنه . أبو أمية بن يعلى عن نافع قال قيل لعبد الله ابن عمر تغسل الشهداء قال كان عمر افضل الشهداء فغسل وكفن وصلى عليه يونس بن الحسن : وهشام بن عروة عن أبيه قال : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت . قال ان تركتكم فقد تركوكم من هو خير مني وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سالني ربي قلت سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته فان سالني ربى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه قيل له فلو انك عهدت الى عبد الله فانه له أهل فى دينه وفضله وقديم اسلامه قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت أني نجوت من هذا الامر كفافا لا لى ولا علي ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت فقال قد كنت اجمعت بعد مقالتي لكم أن اولى رجلا امركم ارجو أن يحملكم على الحق وأشار الى على . ثم رأيت أن لا أتحملها حيا ولا ميتا فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

ولست مدخله فيهم ولكن الستة على وعثمان ابنا عبد مناف وسعد وعبد الرحمن بن عوف خال رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فاحسنوا موازرته . فقال العباس لعلى لا تدخل معهم قال اكره الخلاف قال اذا ترى ماتكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا والزبير وعبد الرحمن ثم قال انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وانى لا أخاف الناس عليكم ولكني أخافكم على الناس وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا وليصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ولا ياتي اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ويحضركم عبد الله مشيرا ولا شىء له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الثلاثة أيام فاحضروه أمركم وان مضت الثلاثة أيام قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال سعد انا لك به ان شاء الله ثم قال لابي طلحة الانصارى يا أبا طلحة ان الله قد أعزبكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود الكندى اذا وضعتموني فى حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن وطلحة ان حضر وأحضر عبد الله بن عمر وليس له فى الامر شيء وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبي واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان اطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبدا وتلقاه العباس . فقال له عدلت عنا قال له وما أعلمك قال قرن بي عثمان . ثم قال ان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فلو كان الآخران معي ما نفعاني فقال العباس لم أدفعك فى شيء الا رجعت الى متاخرا بما اكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر فابيت وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعاجل الامر فابيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فابيت فاحفظ عني واحدة كلما عرض عليك القوم فامسك الى ان يولوك واحذر هذا الرهط فانهم لا يبرحون

يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا فيه غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلي عليه . فقال عبد الرحمن كلاكما يحب الامر لستما من هذا في شيء هذا صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام فصلى عليه صهيب . فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود أهل الشوري في بيت عائشة باذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا فروة فحجبهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما . وقال تريدان تقولا حضرنا وكنا في الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر بينهم الكلام كل يرى انه أحق بالامر . فقال أبو طلحة لا تتدافعوا فانى أخاف ان تناقضوها لا والذى ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد . قال فانا أنخلع منها قال عثمان أنا أول من رضى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عبد الرحمن أمين فى السماء أمين فى الارض فقال القوم رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوي ولا تخص ذا رحم ولا تألوا لامة نصحا . قال اعطوني مواثيقكم على ان تكونوا معي على من نكل وان ترضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن فخلا بعلى فقال انك أحق بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبعد فمن أحق بها بعدك من هؤلاء . قال عثمان ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال على ثم خلا بسعد فقال على ثم خلا بالزبير فقال عثمان فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن ان أردت أن لا يختلف عليك اثنان فول عليا . وقال ابن ابى سرح ان أردت ان لا يختلف عليك قرشى فول عثمان . وقال عبد الرحمن والله ما خلعت نفسى وأنا أرى فيه خيرا لانى علمت أنه لا يلى بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الاحداث من أهل بيته وتقديم قرابته قيل لعبد الرحمن هذا كله فعلك قال لم أظن هذا به ولكن لله على ان لا أكلمه أبدا فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان عائدا فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ذكروا ان زيادا أوفد ابن حصين على معاوية فاقام عنده ما أقام ثم ان معاوية بعث اليه ليلا فخلا به . فقال له يا ابن حصين قد بلغني أن عندك ذهنا وعقلا فاخبرني عن شيء أسالك عنه . قال سلني عما بدالك قال اخبرني ما الذى شتت أمر المسلمين وملأهم وخالف بينهم قال نعم قتل الناس عثمان قال ما صنعت شيأ قال فمسير على اليك وقتاله اياك . قال ما صنعت شيأ قال فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال

على اياهم قال ماصنعت شيئاً قال ماعندى غير هذا يا أمير المؤمنين . قال فانا أخبرك انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشوري التي جعلها عمر الى ستة نفر وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ثم قبضه الله اليه وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لامر دنياهم اذ رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر دينهم فعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ثم جعلها شوري بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم الا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف . وقال المغيرة بن شعبة : اني لعند عمر بن الخطاب ليس عنده أحد غيرى اذ أتاه آت فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون ان الذي فعل أبو بكر فى نفسه وفيك لم يكن له وانه كان بغير مشورة ولا مؤامرة . وقالوا تعالوا نتعاهد ان لا نعود الى مثلها قال عمر واين هم قال فى دار طلحة فخرج نحوهم وخرجت معه وما أعلمه يبصرنى من شدة الغضب . فلما رأوه كرهوه وظنوا الذي جاء له فوقف عليهم . وقال أنتم القائلون ماقلتم والله لا تتحابوا حتى يتحاب الاربعة الانسان والشيطان يغوبه وهو يلعنه والنار والماء يطفئها وهي تحرقه ولم يأن لكم بعد وقد آن ميعادكم ميعاد المسيح متى هو خارج قال فتفرقوا فسلك كل واحد منهم طريقا قال المغيرة قال لى أدرك ابن أبي طالب فاحبسه علي . فقلت لا يفعل أمير المؤمنين فوالله ماغدوت أبغضهم فقال ادركه والا قلت لك يا ابن الدباغة قال فادركته فقلت له قف مكانك لامامك واحلم فانه سلطان وسيندم وتندم . قال فاقبل عمر فقال والله ماخرج هذا الامر الامن تحت يدك . قال علي اتق أن لا نكون الذى نطيعك فنفتنك . قال وتحب ان تكون هو قال لا ولكننا نذكرك الذى نسيت فالتفت الى عمر فقال انصرف فقد سمعت منا عند الغضب ما كفاك فتنحيت قريبا وما وقفت الا خشية أن يكون بينهما شيء فاكون قريبا فتكلما كلاما غير غضبانين ولا راضيين . ثم رأيتهما يضحكان وتفرقا وجاءنى عمر فمشيت معه وقلت يغفر الله لك أغضبت قال فاشار الى علي وقال أما والله لولا دعابة فيه ماشككت فى ولايته وان نزلت على رغم أنف قريش . العتبي عن أبيه : ان عتبة بن أبي سفيان قال كنت مع معاوية فى دار كندة اذ أقبل الحسن والحسين ومحمد بنو على بن ابي طالب . فقلت يا أمير المؤمنين ان لهؤلاء القوم اشعارا وابشارا وليس مثلهم كذب وهم يزعمون ان أباهم كان يعلم فقال اليك من صوتك فقد قرب القوم فاذا قاموا

تذكرني بالحديث . فلما قاموا قلت يا أمير المؤمنين ما سألتك عنه من الحديث قال كل القوم
كان يعلم وكان أبوهم بن أعلمهم ثم قال قدمت على عمر بن الخطاب فاني عنده اذ جاءه على وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاستاذنوا فاذن لهم فدخلوا وهم يتدافعون
ويضحكون فلما رآهم عمر نكس فعلموا انه على حاجة فقاموا كما دخلوا فلما قاموا أتبعهم
بصره فقال فتية اعوذ بالله من شرهم وقد كفاني الله شرهم قال ولم يكن عمر بالوجل يسال عما
لا يفسر . فلما خرجت جعلت طريقي على عثمان فحدثته الحديث وسالته الستر . قال
ثم على شريطة قلت هي لك قال تسمع ما أخبرك به وتسكت اذا أسكت قال نعم قال ستة
يقدح بينهم زناد الفتنة يجرى الدم منهم على أربعة قال ثم سكت وخرجت الى الشام
. فلما قدمت على عمر فحدث من امره ما حدث فلما مضت الشورى ذكرت الحديث
فاتيت بيت عثمان وهو جالس وبيده قضيب فقلت يا أبا عبد الله تذكر الحديث الذي
حدثتني قال فازم على القضيب عضا ثم أقلع عنه وقد أثر فيه فقال ويحك معاوية أى شيء
ذكرتني لولا ان يقول الناس خاف ان يؤخذ عليه لخرجت الى الناس منها قال فاني قضاء
الله الاماترى . أبو الحسن قال : لما خاف على بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف
والزبير وسعدا ان يكونوا مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين . فقال له «واتقوا الله
الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» أسالك برحم ابنى هذين من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على
اعماد فاني أدلي بما لا يدلي به عثمان ثم دار عبد الرحمن لياليه تلك على مشايخ قريش يشاورهم
فكلهم يشير بعثمان حتي اذا كان فى الليلة التي استكمل فى صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن
مخرمة بعد هجعة من الليل فايقظه . فقال ألا أراك نائما ولم أذق فى هذه الليالى نوما فانطلق
فادع لى الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد . فقال خل بنى عبد مناف
لهذا الامر فقال نصيبي لعلى . فقال لسعد أنا وانت كالآلة فاجعل نصيبك لى فاختار
قال اما ان اخترت نفسك فنعم واما ان اخترت عثمان فعلى أحب الى منه . قال يا أبا
اسحق انى قد خلعت نفسى منها على ان اختار ولو لم أفعل وجعل الى الخيار ما أردتها انى
رأيت كاني فى روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم أر مثله فحلا كرم
منه فمر كانه سهم لا يلتفت الى شيء مما فى الروضة حتي قطعها ودخل بعير تناوة فاتبع اثره
حتي خرج اليه من الروضة . ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت
يمينا وشمالا ويمضى قصد الاولين ثم خرج من الروضة . ثم دخل بعير رابع فرتع

فى الروضة ولا والله لا اكون البعير الرابع ولا يقوم بعد أبي بكر وعمر احد فيرضى الناس عنه . ثم ارسل المسور الى على فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم أرسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتى فرق بينهما أذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع اليه الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين والانصار والى أمراء الاجناد حتى ارتج المسجد باهله . فقال ايها الناس ان الناس قد أحبوا أن تلحق اهل الامصار بامصارهم وقد علموا من اميرهم . فقال عمار بن ياسر ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا . قال ابن ابي سرح ان أردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان ان بايعت عثمان سمعنا وأطعنا فشتم عمار ابن ابي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو امية . فقال عمار ايها الناس ان الله أكرمنا بنبينا وأعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن بيت نبيكم فقال له رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتامير قريش لانفسها . فقال سعد بن أبي وقاص افرغ قبل ان يفتتن الناس فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ، ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . قال اعمل بمبلغ علمى وطاقتى ثم دعا عثمان . فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال نعم فبايعه فقال على حبوته محاباة ليس ذا باول يوم تظاهرتم فيه علينا أما والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو فى شان فقال عبد الرحمن يا على لا تجعل على نفسك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لا يعدلون بعثمان أحدا فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله . قال المقداد اما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال يامقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال لئن كنت أردت بذلك الله فاثابك الله ثواب المحسنين . ثم قال المقداد ما رأيت مثل ما أوتى أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضى منهم بالعدل ولا أعرف بالحق أما والله لو أجد أعوانا . قال له عبد الرحمن يامقداد اتق الله فانى أخشي عليك الفتنة . قال وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به قالوا نعم واتي عثمان فقال له عثمان أنت علي رأس أمرك . قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه . وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن ياأبا محمد قد أصبت

اذ بايعت عثمان ولو بايعت غيره مارضيناه قال كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته وقلت هذه المقالة . وقال عبدالله بن عباس : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي يا ابن عباس ما يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة قلت لا أدرى . قال لكنني أدرى انكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيا وان أفضل النصيبين بايديكم بل ما إخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنف قريش . فلما أحدث عثمان ما احدث من تامير الاحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد قيل لعبد الرحمن هذا عملك قال ما ظننت هذا ثم مضى ودخل عليه وعاتبه وقال انما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطاتهم رقاب المسلمين . فقال ان عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبد الرحمن لله على ان لا اكلمك أبدا فلم يكلمه أبدا حتى مات ودخل له عثمان عائدا له في مرضه فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ومما نقم الناس على عثمان انه آوي طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص ولم يؤوه أبو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف وسير أبا ذر الى الربذة وسير عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام وطلب منه عبيدالله بن خالد بن أسيد صلة فاعطاه أربعمائة ألف وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهزون موضع سوق المدينة على المسلمين فاقطعها الحرث بن الحكم أخا مروان واقطع فدك مروان وهى صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح افريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان . فقال عبد الرحمن بن جعل الجمحي :

فاحلف بالله رب الانا * م ما ترك الله شيا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة * لكى نبتلي بك أو تبتلي
فان الامينين قد بينا * منار الحق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة * وما تركا درهما فى هوي
وأعطيت مروان خمس العبا * د هيهات شأوك ممن تشا

٧ — نسب عثمان وصفته — هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عثمان أبيض مشربا صفرة كانها فضة وذهب حسن القامة حسن الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا اعتم

مشرف الانف عظيم الارنبة كثير شعر الساقين والذراعين ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين . ولما أسن شدا سنانه بالذهب وسلس بوله فكان يتوضأ لكل صلاة ولي الخلافة منسلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين . وفي ذلك يقول حسان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وستة عشر يوما وهو ابن أربع وثمانين سنة . وكان على شرطته وهو أول من اتخذ صاحب شرطة عبيد الله بن قنفذ وعلى بيت المال عبيد الله بن ارقم ثم استعفاه وكاتبه مروان وحاجبه حمران مولاه ﴿ فضائل عثمان ﴾ سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر قال أصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى عثمان طعاما على ما يصلح العسكر وجهز به عيرة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى سواد مقبل فقال هذا جمل اشقر قد جاءكم بعيرة فانيخت الركائب فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه وكان عثمان حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال أحبك والرحمن حب قريش لعثمان وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم رقية ابنته فماتت عنده فزوجه أم كلثوم ابنته أيضا . الزهري . عن سعيد بن المسيب قال لما ماتت رقية جزع عثمان عليها وقال يا رسول الله انقطع صهري منك قال ان صهرك مني لا ينقطع وقد أمرني جبريل ان أزوجك أختها بامر الله . عبد الله بن عباس قال : سمعت عثمان بن عفان يقول دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت فرآنى ضجاعا لام كلثوم فاستغفر فقلت والذي بعثك بالحق ما أضجعت على أنثى بعدها . فقال ليس لهذا استغفرت فان الثياب للحى وللميت الحجر ولو كن يا عثمان عشر الزوجتكهن واحدة بعد واحدة وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فابي منها فشكاه عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وزوج ابنته من عثمان بن عفان . ودخل عليه عثمان فسوى ثوبه عليه وقال كيف لا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ﴿ مقتل عثمان بن عفان ﴾ الرياشى

عن الاصمعي قال : كان القواد الذين ساروا الى المدينة فى أمر عثمان أربعة عبد الرحمن بن عديس التنوخي وحكيم بن جبلة العبدى والاشتر النخعي وعبدالله بن فديك الخزاعى . فقدموا المدينة فحصروه وحاصره معهم قوم من المهاجرين والانصار حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه . ثم تقدم وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر وأرادوا أن يقطعوا رأسه ويذهبوا به فرمت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة وابنة شيبة بن علية فتركوه وخرجوا فلما كان ليلة السبت انتدب لدفنه رجال منهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو الجهم بن حذيفة وعبدالله بن الزبير فوضعوه على باب صغير وخرجوا به الى البقيع ومعهم نائلة بنت الفرافصة بيدها السراج فلما بلغوا به البقيع منعهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة فردوه الى حش كوكب فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم ويقال حكيم بن حزام ودخلت القبر نائلة بنت الفرافصة وام البنين بنت عتبة زوجتاه وهما دلتاه فى القبر والحش البستان . وكان حش كوكب اشتراه عثمان فجعله أولاده مقبرة للمسلمين . يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ما كان شان الناس وشانه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا . قلت وكيف ذاك قال ان عثمان لما ولى كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عثمان كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولى بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيء من امرائه ما يكره أصحاب محمد فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم . فلما كان فى الحجج الآخرة استاثر بني عمه فخرجوا فولاهم وأمرهم بتقوى الله وولى عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ومن قبل ذلك كانت من عثمان هناة الى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابى ذر فى قلوبهم ما فيها . وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فابى ابن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه وضرب رجلا ممن أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبى سرح . فقام طلحة بن عبيد الله

فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت اليه عائشة قد تقدمت اليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوك عزل هذا الرجل فابيت أن تعزله فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه علي وكان متكلم القوم . فقال انما سالوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم وان وجب عليه حق فانصفهم منه . فقال لهم اختاروا رجلا أوله عليكم مكانه فاشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر . فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وأخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه . فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام اسود على بعير يخبط الارض خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ماقصتك وماشانك كانك هارب او طالب . فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقالوا هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا اريد واخبر بامره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه فاتي به . فقال له غلام من أنت قال فاقبل مرة يقول غلام أمير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لعثمان . فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يوجد معه شيء الا اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم . ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا جاء محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وابطل كتابهم وقر على عملك حتي ياتيك رأيي واحبس من جاء يتظلم منك لياتيك في ذلك رأيي ان شاء الله . فلما قرؤا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم . ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وابي ذر وعمار بن ياسر غضبا وحنقا وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم مامنهم أحد الا وهو مغتم بما قرؤا في الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن ابي بكر بني تيم وغيرهم وأعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرضه كثيرا . فلما رأى ذلك علي بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير . وقال له على هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم والخاتم خاتمك قال نعم . قال فانت كتبت الكتاب . قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام الى مصر قط . وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا فى أمر عثمان وسالوه ان يدفع اليهم مروان فابى . وكان مروان عنده فى الدار فخرج أصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف باطلا الا ان قوما قالوا لا نبرئ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب وكيف يامر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى أمره . ولزموا بيوتهم وأبى عثمان ان يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه بالماء فاشرف عليهم . فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت . ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح من سببها عدة من موالى بني هاشم و بني أمية حتى وصل اليه الماء فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله . فقال انما أردنا منه مروان . فاما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه . وبعث الزبير ولده وبعث طلحة ولده على كره منه . وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان وسالوه اخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على وخشى محمد بن أبى بكر ان تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فاخذ بيدى رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم أحد . فتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الانصار ويقال من دار محمد بن حزم الانصارى ومما يدل على ذلك قول الاحوص :

لا ترثين لحزمي ظفرت به * طرا ولو طرح الحزمي فى النار
الناخسين لمروان بذى خشب * والمداخلين على عثمان فى الدار

فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت فتقدم اليه محمد وأخذ بلحيته . فقال له عثمان ارسل لحيتى يا ابن

أخي فلورآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده من لحيته وغمز الرجلين فوجآه بمشاقص معهما حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته . فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا فأكبوا عليه يبكون و بلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا . وقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وانتما على الباب ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير ثم خرج على وهو غضبان يرى ان طلحة أعان عليه . فلقيه طلحة فقال مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال عليك وعليهما لعنة الله يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ولم تقم بينة ولا حجة . فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال لو دفع مروان قتل قبل ان تثبت عليه حجة وخرج على فاتى منزله وجاءه القوم كلهم يهرعون اليه أصحاب محمد وغيرهم يقولون امير المؤمنين على بن أبى طالب . فقال ليس ذلك الا لاهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفه فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا . فقالوا ما نرى أحدا أولى بها منك فمد يدك نبايعك . فقال أين طلحة والزبير فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده . فلما رأى ذلك على خرج الى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده وكانت أصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان مظلوما . فقال لها عمار انت بالامس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه وجاء على الى امرأة عثمان . فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما الا ان أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبي بكر وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر فدعا على بمحمد فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد لم تكذب وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبي فقمت وأنا تائب والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما . المعتمر عن أبيه : عن الحسن ان محمد بن أبى بكر أخذ بلحية عثمان . فقال له يا ابن أخي لقد قعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليقعده . وفى حديث آخر انه قال يا ابن أخى لورآك أبوك لساءه مكانك فاسترخت يده . وخرج محمد فدخل عليه رجل والمصحف فى حجره . فقال له بينى وبينك كتاب الله فخرج وتركه ثم دخل عليه آخر . فقال بيني وبينك كتاب الله فاهوى اليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول يد خطت المفصل

﴿ القواد الذين أقبلوا الى عثمان ﴾ الاصمعى عن أبي عوانة قال : كان القواد الذين أقبلوا الي عثمان علقمة بن عثمان وكنانة بن بشر وحكيم بن جبلة والاشتر النخمى وعبد الله بن بديل . وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعلى قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لا أقوم معكم . قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم كتابا قط . قال فنظر القوم بعضهم الى بعض وخرج على من المدينة . الاعمش : عن عيينة عن مسروق قال قالت عائشة مصتموه موص الاناء حتي تركتموه كالثوب الرحض نقيا من الدنس ثم عدوتم فقتلتموه . فقال مروان فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تامرينهم بالخروج عليه . فقالت والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم بسواد فى بياض حتى جلست فى مجلسى هذا فكانوا يرون أنه كتب على لسان على وعلى لسانها كما كتب أيضا على لسان عثمان مع الاسود الى عامل مصر فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للفتنة . وقال أبو الحسن : أقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى وأهل الكوفة عليهم الاشتر واسمه مالك بن الحرث النخمى فى أمر عثمان حتى قدموا المدينة . قال أبو الحسن لما قدم وفد أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا اكتبت فينا كذا وكذا . قال انما هما اثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا قد أحل الله دمك وحصروه فى الدار فارسل عثمان الى الاشتر . فقال ما يريد الناس مني قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد . قال ماهى قال يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فقلدوه من شئتم واما أن تقتص من نفسك فان أبيت فالقوم قاتلوك . قال اما أن أخلع لهم أمرهم ما كنت لاخلع سربالا سربلنيه الله فتكون سنة من بعدى كلما كره القوم امامهم خلعوه واما ان اقتص من نفسي فوالله لقد علمت ان صاحبي بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص واما ان تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون بعدي جميعا أبدا . قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على النواء جميعا وان قلوبهم مختلفة وقال ابو الحسن : اشرف عليهم عثمان وقال انه لا يحل سفك دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان اوقتل نفس بغير نفس فهل انا فى واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا . ثم قال أنشدتكم الله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من اصحابه انا احدهم فتزلزل الجبل حتى همت حجاره ان تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك الا

نبي او صديق اوشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى ورب الكعبة . قال ابو الحسن : اشرف عليهم عثمان فقال السلام عليكم فما رد احد عليه السلام . فقال ايها الناس ان وجدتم في الحق ان تضعوا رجلي في القيد فضعوها فما وجد القوم له جوابا . ثم قال استغفر الله ان كنت ظلمت وقد غفرت ان كنت ظلمت . يحيي بن سعيد : عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأي ان لى عليه سمعا وطاعة ان يكف يده و يلقى سلاحه فالقى القوم اسلحتهم . ابن ابى عروبة . عن قتادة أن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار فقال ان هذه الانصار بالباب و تقول ان شئت كنا انصار الله مرتين قال لا حاجة لى في ذلك كفوا . ابن ابى عروة : عن يعلى بن حكيم عن نافع ان عبد الله بن عمر لبس درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه عثمان ان يخرج و يضع سلاحه و يكف يده ففعل . محمد بن سيرين . قال : قال سليط نهانا عثمان عنهم ولو اذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارنا ﴿ ماقالوا فى قتلة عثمان ﴾ العتبي قال : رجل من بنى ليث لقيت الزبير قادما فقلت ابا عبد الله مابالك قال مطلوب مغلوب يغلبنى ابني و يطلبنى ذنبي قال فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت ابا اسحق من قتل عثمان قال قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه على . قلت فما حال الزبير قال اشار بيده وصمت بلسانه . وقالت عائشة : قتل الله مذمما بسعيه على عثمان تريد محمدا اخاها واهرق دم ابن بديل على ضلالته . وساق الى اعين بن تميم هوانا فى بيته ورمي الاشتر بسهم من سهامه لا يشرى ، قال فما منهم احد الا ادركته دعوة عائشة . سفيان الثورى قال : لقى الاشتر مسروقا فقال له ابا عائشة مالى اراك غضبان على ربك من يوم قتل عثمان بن عفان لو رأيتنا يوم الدار ونحن كاصحاب عجل بني اسرائيل. وقال سعد بن ابي وقاص لعمار بن ياسر لقد كنت عندنا من افاضل اصحاب محمد حتي لم يبق من عمرك الاظمء الحمار فعلت وفعلت يعرض له بقتل عثمان قال عمار اى شيء احب اليك مودة على دخل او هجر جميل قال هجر جميل قال فلله علي ان لا اكلمك ابدا . دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت يا أبا عبد الله لو رأيتني يوم الجمل. قد أنفذت النصل هودجي حتي وصل بعضها الى جلدى قال لها المغيرة وددت والله ان بعضها كان قتلك . قالت يرحمك الله ولم تقول هذا. قال لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان . قالت اما والله لئن قلت ذلك لما علم الله اني اردت قتله و لكن علم الله اني اردت ان يقاتل فقوتلت و أردت ان يرمى فرميت واردت أن يعصى فعصيت ولو علم مني

أني اردت قتله لقتلت . وقال حسان بن ثابت لعلى انك تقول ماقتلت عثمان ولكن خذلته ولم آمر به ولكن لم انه عنه فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القائل : أخذ هذا المعنى كعب بن جعل الثعلبي وكان مع معاوية يوم صفين . فقال في علي بن أبي طالب

وما فى على لمستحدث * مقال سوي عصمة المحدثينا
وايثاره لاهالى الذنوب * ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه زوى وجهه * وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط * ولا فى النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساه ولا سره * ولا آمن بعض ذا ان يكونا

وقال رجل من أهل الشام فى قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه :

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ثقاته الانصار
ضربوا بالبلاء فيه مع النا * س وفى ذاك للبرية عار
حرمة بالبلاء من حرمة الله * ووال من الولاة وجار
أين أهل الحياء اذ منع الما * ء فدته الاسماع والابصار
من عذيرى من الزبير ومن طل * حة هاجا أمرا له اعصار
تركوا الناس دونهم عبرة العج * ل فشبت وسط المدينة نار
هكذا زاغت اليهود عن الـ * ـحق حين زخرفت لها الاحبار
ثم وافي محمد بن أبي بكـ * ـر جهارا وخلفه عمار
وعلي فى بيته يسال النا * س ابتداء وعنده الاخبار
باسطا للتي يريد يديه * وعليه سكينة ووقار
يرقب الامر أن يزف اليه * بالذى سببت له الاقدار
قد أري كثرة الكلام قبيحا * كل قول يشينه اكثار .

وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه :

من سره الموت صرفا لامزاج له * فليات ماسدة فى دار عثمانا
صبرا فدا لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر فى المكروه احيانا
لعلكم ان تروا يوما بمغيظة * خليفة الله فيكم كالذى كانا

اني لمنهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وما سميت حسانا
يا ليت شعرى وليت الطير تخبرني * ما كان شان على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

﴿ فى مقتل عثمان بن عفان ﴾ أبو الحسن عن مسلمة عن ابن عوف قال كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربوهم حتي يخرجوهم من أقطارها . أبو الحسن : عن جبير بن سيرين قال دخل ابن بديل على عثمان وبيده سيف وكانت بينهما شحناء فضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول كف خطت المفصل . أبو الحسن قال : يوم قتل عثمان يقال له يوم الدار وأغلق على ثلاث من القتلى غلام اسود كان لعثمان وكنانة بن بشر وعثمان . ابو الحسن قال : قال سلامة بن روح الخزاعي لعمرو بن العاصي كان بينكم وبين الفتنة باب فكسر تموه فما حملكم على ذلك . قال أردنا ان نخرج الحق من حفيرة الباطل وان يكون الناس فى الحق سواء . مجالد عن الشعبي قال : كتب عثمان الى معاوية ان امددنى فامده باربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز العجلى . فتلقاه الناس بقتل عثمان فانصرف . فقال لو دخلت المدينة وعثمان حى ماتركت بها مختلفا الا قتلته لان الخاذل والقاتل سواء . قيس بن رافع قال . قال زيد بن ثابت رأيت عليا مضطجعا فى المسجد . فقلت أبا الحسن ان الناس يرون انك لو شئت رددت الناس عن عثمان فجلس . ثم قال والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت فى شيء من شانهم قال فاتيت عثمان فاخبرته فقال :

وحرق قيس على البلا * دحتى اذا اضطرمت أحجما

الفضل عن كثير : عن سعيد المقبرى قال لما حصروا عثمان ومنعوه الماء قال الزبير « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل » ومن حديث الزهرى قال : لما قتل مسلم بن عقبة أهل المدينة يوم الحرة قال عبد الله بن عمر بفعلهم في عثمان ورب الكعبة . ابن سيرين : عن ابن عباس قال لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له . ابو سعيد : مولى أبي حذيفة قال بعث عثمان الى أهل الكوفة من كان بطالبني بدينار او درهم أو لطمة فليات ياخذ حقه أو يتصدق فان الله يجزي المتصدقين . قال فبكى بعض القوم وقالوا تصدقنا . ابن عوف : عن ابن سيرين قال لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد على عثمان من طلحة . أبو الحسن قال : كان

عبد الله بن عباس يقول ليغلبن معاوية وأصحابه لان الله تعالى يقول « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » أبو الحسن قال : كان ثمامة الانصاري عاملا لعثمان فلما أتاه قتله بكى وقال اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف فمن غلب على شيء أكله . أبو الحسن : عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي ان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت الى معاوية كتابا مع النعمان بن بشير و بعثت اليه بقميص عثمان مخضوبا بالدماء . وكان في كتابها من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد : فاني أدعوكم الى الله الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وانقذكم من الكفر ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة وأنشدكم الله واذكركم حقه وحق خليفته ان تنصروه بعزم الله عليكم فانه قال « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » فان امير المؤمنين بغى عليه ولو لم يكن لعثمان عليكم الا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجو امامته ان ينصره فكيف وقد علمتم قدمه في الاسلام وحسن بلائه وأنه أجاب الله وصدق كتابه واتبع رسوله والله أعلم به اذا انتخبه فاعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة واني أقص عليكم خبره اني شاهدة أمره كله ان أهل المدينة حصروه في داره وحرسوه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بالسلاح يمنعونه من كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى علي ومحمد ابن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير فامروهم بقتله . وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وانباط يثرب . فهؤلاء كانوا أشد الناس عليه ثم انه حصر فرشق بالنبل والحجارة فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه فاتاه الناس يصرخون اليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم وأمرهم ان يردوا اليهم نبلهم فردوها عليهم فما زادهم ذلك في القتل الا جرأة وفي الامر الا اغراقا فحرقوا باب الدار . ثم جاء نفر من اصحابه فقالوا ان ناسا يريدون ان يأخذوا من الناس بالعدل فاخرج الى المسجد يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية فقال ما أرى اليوم أحدا يعدل فدخل الدار وكان معهم نفر ليس على عامتهم سلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا أنتم ما لبست اليوم درعي فوثب عليه القوم . فكلمهم ابن الزبير واخذ عليهم ميثاقا في صحيفة بعث بها الى عثمان عليكم عهد الله وميثاقه ان لا تقربوه بسوء حتى

تكلموه وتخرجوا فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته ودعوه باللقب . فقال انا عبد الله وخليفته عثمان فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم العين فوق الانف ضربة أسرعت في العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون ان يقطعوا راسه فيذهبوا به فاتقني ابنة شيبة بن ربيعة فالقت بنفسها معي فوطئنا وطأ شديداً وعرينا من حلينا وحرمة امير المؤمنين اعظم فقتلوا امير المؤمنين في بيته مقهورا على فراشه وقد ارسلت اليكم بثوبه عليه دمه فانه والله ان كان أثم من قتله فما سلم من خذله فانظروا اين انتم من الله وانا اشتكي كل مامسنا الى الله عز وجل واستصرخ بصالحي عباده فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من اهل الشام ان لا يمسوا غسلا حتى يقتلوا عليا أو تفنى أرواحهم . وقال الفرزدق في قتل عثمان :

ان الخلافة لمـا اظعنت ظعنت * عن اهل يثرب اذ غير الهدي سلكوا
صارت الى اهلها منهـم ووارثها * لمـا راى الله في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمـه ظلمـا ومعصية * اي دم لاهدوا من غيهم سفكوا

وقال حسان :

ان تمس دار بني عثمان خاوية * باب صريع وبيت محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويأوي اليها المجـد والحسب
يامعشر الناس ابدوا ذات انفسكم * لا يستوى الحق عند الله والكذب

﴿تبرؤ علي من دم عثمان﴾ قال علي بن ابي طالب على المنبر والله لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لادخلتها ابدا ولئن لم يدخل النار الا من قتل عثمان لادخلتها ابدا . واشرف على من قصر له بالكوفة فنظر الى سفينة في دجلة فقال والذي ارسلها في بحره مسخرة بامره مابدأت في امر عثمان بشيء ولئن شاءت بنو امية لاباهلنهم عند الكعبة خمسين يوما مابدات في حق عثمان بشيء فبلغ هـذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال اني لا احسبه صادقا . وقال معبد الخزاعي : لقيت عليا بعد الجمل فقلت له اني سائلك عن مسئلة كانت منك ومن عثمان فان نجوت اليوم نجوت غدا ان شاء الله قال سل عمـا بدالك . قلت اخبرني اي منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره . قال ان عثمان كان اماما وانه نهى عن القتال . وقال من سل سيفه فليس مني فلو قاتلنا دونه عصينا . قال فاي منزلة وسعت عثمان اذ استسلم حتى قتل . قال المنزلة التي وسعت ابن آدم اذ قال لاخيه لئن

بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين . قلت فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل قال انا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا . قال الله « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الامور . ومن حديث بكر بن حماد : ان عبد الله بن الكواء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين . فقال له اخبرني عن مخرجك هذا تضرب الناس بعضهم ببعض أعهد اليك عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى أرتأيته . قال علي اللهم انى كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركت أخا تيم وعدي على منابرها . ولكن نبينا صلي الله عليه وسلم كان نبي رحمة مرض أياما وليالى فقدم أبا بكر علي الصلاة وهو يرانى و يرى مكانى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيناه لامر دنيانا اذ رضيه رسول الله لامر ديننا فسلمت عليه و بايعت وسمعت وأطعت فكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى ان عمر أطوق لهذا الامر من غيره ووالله ما أراد به المحاباة ولو أرادها لجعلها في أحد ولديه فسلمت له و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأي انه من استخلف رجلا فعمل بغير طاعة الله عذبه الله به فى قبره فجعلها شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أحدهم فاخذ عبد الرحمن مواثيقنا وعهودنا علي ان يخلع نفسه و ينظر لعامة المسلمين . فبسط يده الى عثمان فبايعه اللهم ان قلت انى لم أجد فى نفسى فقد كذبت ولكنني نظرت فى أمرى فوجدت طاعتى قد تقدمت معصيتى ووجدت الامر الذي كان بيدى قد صار بيد غيرى فسلمت و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه ثم نقم الناس عليه أمورا فقتلوه . ثم بقيت اليوم أنا ومعاوية فارى نفسى أحق بها من معاوية لانى مهاجرى وهو اعرابي وانا ابن عم رسول الله وصهره وهو طليق ابن طليق . قال له عبد الله بن الكواء صدقت ولكن طلحة والزبير أما كان لهما فى هذا الامر مثل الذى لك قال ان طلحة والزبير بايعانى فى المدينة ونكثا بيعتي بالعراق فقاتلتهما على نكثهما ولو نكثا بيعة أبي بكر وعمر لقاتلاهما على نكثهما كما قاتلتهما قال صدقت ورجع اليه

واستعمل عبد الملك بن مروان : نافع بن علقمة بن صفوان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان قاعد عند أصل المنبر فنال من طلحة والزبير . فلما نزل قال لابن أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين قال لا ولكنك سؤتنى حسبي أن يكونا بريئين من أمره وعلى هذا المعنى . قال اسحق بن عيسى أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان أن يكون قتله على وهذا الكلام على مذهب قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أوقتله نبي . سعيد بن جبير : عن أبي الصهباء ان رجالا ذكروا عثمان فقال رجل من القوم اني أعرف لكم رأى على فيه فدخل الرجل على على فنال من عثمان فقال على دع عنك عثمان فوالله ما كان باشرنا ولكنه ولى فاستأثر فخدعنا فاساءنا الخدع . وقال عثمان بن حبيب : انى شهدت مشهدا اجتمع فيه علي وعمار ومالك والاشتر وصعصعة فذكروا عثمان فوقع فيه عمار . ثم أخذ مالك فحذا حذوه ووجه على يتمعر ثم تكلم صعصعة . فقال ما على رجل يقول كان والله أول من ولى فاستأثر وأول من تفرقت عنه هذه الامة فقال على الى أبا اليقظان لقد سبقت لعثمان سوابق لا يعذبه الله بها أبدا . محمد بن حاطب : قال قال لى على يوم الجمل انطلق الى قومك فابلغهم كتبي وقولى فقلت ان قومي اذا أتيتهم يقولون ماقول صاحبك فى عثمان . فقال أخبرهم ان قولى فى عثمان أحسن القول ان عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين . جرير بن حازم : عن محمد بن سيرين قال ما علمت ان عليا اتهم فى دم عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس . محمد بن الحنفية : اتى عن يمين على يوم الجمل وابن عباس عن يساره اذ سمع صوتا فقال ماهذا قالوا عائشة تلعن قتلة عثمان فقال على لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبحر والبر ﴿ مانقم الناس على عثمان ﴾ ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لعبد الرحمن بن عوف هذا عملك واختيارك لامة محمد . قال لم أظن هذا به ودخل على عثمان فقال له انى انما قدمتك على ان تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر وقد خالفتهما فقال عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . فقال له لله علي ان لا أكلمك أبدا فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان . ولما رد عثمان الحكم بن ابي العاصى طريد النبي صلى الله عليه وسلم وطريد أبي بكر وعمر الى المدينة تكلم الناس فى ذلك فقال عثمان ماينقم الناس مني انى وصلت رحما وقربت عينا . حصين بن زيد بن وهب قال : مررنا بابى ذر بالربذة فسألناه عن منزله

فقال كنت بالشام فقرأت هذه الاية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فقال معاوية انما هي فى أهل الكتاب فقلت انها لفينا وفيهم فكتب الى عثمان اقبل . فلما قدمت ركبنى الناس كانهم لم يرونى قط فشكوت ذلك الى عثمان . فقال لو اعتزلت فكنت قريبا فنزلت هذا المنزل فلا أدع قولى ولو أمروا على عبدا حبشيا لاطعت الحسن بن ابى الحسن : عن الزبير بن العوام فى هذه الآية « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » قال لقد نزلت وماندرى من يختلف لها . فقال بعضهم يا أبا عبدالله فلم جئت الى البصرة قال ويحك اننا ننظر ولا نبصر . ابو نضرة : عن أبي سعيد الخدرى قال ان أناسا كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمر بنا عثمان فما بقي أحد من القوم الا لعنه غيرى فكان فيهم رجل من اهل الكوفة فكان عثمان على الكوفى اجرأ منه على غيره . فقال يا كوفى أتشتمنى فلما قدم المدينة كان يتهدده . قال فقيل له عليك بطلحة . قال فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان والله لاجلدنه مائة سوط . قال طلحة والله لاتجلده مائة الا ان يكون زانيا قال والله لاحرمنه عطاءه قال الله يرزقه . ومن حديث ابن أبي قتيبة عن الاعمش عن عبدالله بن سنان قال خرج علينا ابن مسعود ونحن فى المسجد وكان على بيت مال الكوفة والكوفة الوليد بن عقبة بن ابي معيط . فقال يا أهل الكوفة فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لى بها براءة . قال فكتب الوليد بن عقبة الى عثمان فى ذلك فنزعه عن بيت المال .
ومن حديث الاعمش برويه أبوبكر بن أبي شيبة قال : كتب اصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه فى صحيفة فقالوا من يذهب بها اليه . قال عمار أنا فذهب بها اليه فلما قرأها قال أرغم الله انفك . قال وبانف ابي بكر وعمر قال فقام اليه فوطئه حتى غشى عليه ثم ندم عثمان وبعث اليه طلحة والزبير يقولان له اختر احدي ثلاث اما ان تعفو واما ان تاخذ الارش واما ان تقتص . فقال والله لا قبلت واحدة منها حتى القى الله قال أبو بكر فذكرت هذا الحديث لحسن بن صالح . فقال ما كان على عثمان اكثر مما صنع . ومن حديث الليث بن سعد قال : مر عبد الله بن عمر بحذيفة فقال لقد اختلف الناس بعد نبيهم فما منهم أحد الا أعطى من دينه ماعدا هذا الرجل . وسئل سعد بن أبي وقاص : عن عثمان فقال أما والله لقد كان أحسننا وضوأ وأطولنا صلاة واتلانا لكتاب الله واعظمنا نفقة فى سبيل الله . ثم ولى فانكروا عليه شيا فاتوا اليه اعظم مما انكروا . وكتب عثمان : الى اهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص اما بعد

فاني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه وثاب حلمه وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما اعيتكم علانيته طعنتم في سريرته قد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته وأوصيكم به خيرا فاستوصوا به خيرا . وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه وكان عامله على الكوفة فصلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم . فقال وان شئتم زدتكم فقامت عليه البينة بذلك عند عثمان . فقال لطلحة قم فاجلده قال لم أكن من الجالدين فقام اليه علي فجلده وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر
لنزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر
مسكوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا واجتمعوا الى علي وسالوه ان يلقى لهم عثمان فاقبل حتى دخل عليه . فقال ان الناس ورائي قد كلموني ان اكلمك والله ما أدرى ما أقول لك ما أعرف شيا تنكره ولا أعلمك شيا تجهله وما ابن الخطاب أولى بشيء من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وان الطريق لبين واضح تعلم يا عثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدي وهدى فاحيا سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان شر الناس عند الله امام ضلالة ضل واضل فاحيا بدعة مجهولة وامات سنة معلومة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالامام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر فيلقى في جهنم فيدور دور الرحى يرتطم بجمرة النار الى آخر الابد » وأنا أحذرك أن تكون امام هذه الامة المقتول يفتح به باب القتل والقتال الى يوم القيامة يمرج بهم أمرهم ويمرجون فخرج عثمان . ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة . وكان علي كلما اشتكى الناس اليه أمر عثمان ارسل ابنه الحسن اليه . فلما اكثر عليه قال له ان أباك يرى ان أحدا لا يعلم ما يعلم ونحن اعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث علي ابنه في شيء بعد ذلك . وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج الى علي يعوده في مرضه ومروان معه فرآه ثقيلا . فقال اما والله لولا ما أري منك ما كنت اتكلم بما اريد ان اتكلم به والله ما أدرى أي يوميك أحب الي أو أبغض أيوم حياتك أو يوم موتك أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتا بعدك كفاويتخذك عضدا ولئن مت لافجعن بك فحظي منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق ان عاش عقه وان مات فجعه فليتك جعلت لنا من أمرك علما نقف عليه ونعرفه اما صديق مسالم واما عدو

معاني ولم تجعلني كالمختنق بين السماء والارض لا يرقى بيده ولا يهبط برجل اما والله لئن قتلتك لا اصيب منك خلفا ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفا وما أحب أن أبقى بعدك . قال مروان أى والله وأخرى انه لا ينال ماوراء ظهورنا حتى تكسر رماحنا وتقطع سيوفنا فما خير العيش بعد هذا . فضرب عثمان في صدره وقال مايدخلك في كلامنا فقال على اني والله في شغل عن جوابكما ولكني أقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . وقال عبد الله بن عباس : أرسل الى عثمان فقال لى اكفني ابن عمك فقلت ان ابن عمي ليس بالرجل يرى له ولكنه يرى لنفسه فارسلني اليه بما أحببت قال قل له فليخرج الى ماله بالينبع فلا أغتم به ولا يغتم بي فاتيت عليا فاخبرته . فقال ما اتخذني عثمان الا ناصحا ثم أنشد يقول :

فكيف به اني أداوى جراحه * فيدوي فلا امل الدواء ولا الداء

أما والله انه ليختبر القوم فاتيت عثمان فحدثته الحديث كله الا البيت الذى أنشده وقوله انه ليختبر القوم . فانشد عثمان

فكيف به اني أداوى جراحه * فيدوى فلا امل الدواء ولا الداء

وجعل يقول يارحيم انصرني يارحيم انصرني . قال فخرج على الى ينبع . فكتب اليه عثمان حين اشتد الامر . أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع فى من كان يضعف عن نفسه :

وانك لم يعجز عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فاقبل الى على أي أمريك احببت وكن لى أم على صديقا كنت أم عدو :

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

٨ — خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه — قال لما قتل عثمان بن عفان أقبل الناس يهرعون الى على بن أبي طالب فتراكمت عليه الجماعة فى البيعة . فقال ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا . فقال أين طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والانصار . ثم بايعه الناس وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين وكان أول من بايعه طلحة فكانت اصبعه شلاء فتطير منها علي وقال ما أخلقه ان ينكث فكان كما قال علي رضي الله عنه

﴿ نسب على بن أبي طالب وصفته ﴾ هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن

هاشم بن عبدمناف : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته كان أصلع بطيناً خمش الساقين . صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي . ومالك بن حبيب اليربوعي وكاتبه سعد بن مهران وحاجبه قنبر مولاه . وقتل يوم الجمعة بالكوفة وهو خارج الى المسجد لصلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر صلى عليه ولده الحسن . ودفن برحبة الكوفة ويقال فى لحف الحيرة وغير قبره واختلف فى سنه . فقال الشعبي قتل علي رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد علي بمكة فى شعب بني هاشم ﴿ فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ أبو الحسن قال أسلم عليّ وهو ابن خمس عشرة سنة وهو أول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي . وبهذا الحديث سمت الشيعة علي بن أبي طالب الوصي وتاولوا فيه أنه استخلفه على أمته اذ جعله منه بمنزلة هرون من موسى لان هرون كان خليفة موسى على قومه اذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري رحمه الله تعالى :

اني أدين بما دان الوصي به * وشاركت كفه كفي بصفينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً والحسن والحسين فالقى عليهم كساءه وضمهم الى نفسه ثم تلا هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فتاولت الشيعة الرجس ههنا بالخوض في عشرة الدنيا وكدورتها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يمسي حتى يفتح الله له . فدعا عليا وكان أرمد فتفل فى عينيه . وقال اللهم قه داء الحر والبرد فكان يلبس كسوة الصيف فى الشتاء وكسوة الشتاء فى الصيف ولا يضره . ابو الحسن قال : ذكر علي عند عائشة فقالت ما رأيت رجلا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ولا رأيت امرأة كانت احب اليه من امرأته . وقال علي بن أبي طالب : أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه لا يقولها بعدي الا كذاب . الشعبي قال : كان علي بن أبي طالب فى هذه الامة مثل المسيح ابن مريم فى بني اسرائيل احبه قوم فكفروا فى حبه وابغضه قوم فكفروا فى بغضه وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيد اشباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما

أبو الحسن قال . كان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يبقى منه شيا ثم برش له و يقيل فيه . و يتمثل بهذا البيت :

هـذا جنائي وخياره فيـه * اذ كل جان يده الى فيـه

كان على بن أبي طالب اذا دخل بيت المال و نظر الى ما فيه من الذهب والفضة قال :

ابيضى واصفرى وغري غيرى * اني من الله بكل خـير

ودخل رجـل عـلى الحسن بن أبي الحسن البصرى فقال : يا أبا سعيد انهم يزعمون انك تبغض عليا قال فبكى الحسن حتى اخضلت لحيته . ثم قال كان عـلى بن أبي طالب سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ورباني هذه الامة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابة قريبة من رسول الله صـلى الله عليـه وسلم لم يكن بالنؤمة عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم ولا الملومة فى ذات الله ولا السروقة لمـال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة بينة ذلك على بن أبي طالب يالكع

٩ — يوم الجمل — أبو اليقظان قال قدم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهـم النـاس بأعلى المربد حتى لو رموا بحجر ما وقع الا على رأس انسان فتكلم طلحة وتكلمت عائشة وكثر اللغط فجعل طلحة يقول أيها النـاس انصتوا وجعلوا يركبون ولا ينصتون فقال اف اف فراش نار وذباب طمع . وكان عثمان ابن حنيف الانصارى عامل على بن أبي طالب على البصرة . فخرج اليهـم في رجاله ومن معه فتواقفوا حتي زالت الشمس ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا ان يكفوا عن القتال حتى يقدم على بن أبي طالب . بن لعثمان وحنيف دار الامارة والمسجد الجامع وبيت المـال فكفوا . ووجه على بن أبي طالب الحسن ابنـه وعمـار بن ياسر الى أهل الكوفة يستنفرانهم فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال عمار أما والله انى لاعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها . وخرج على فى أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم ثمـانمائة من الانصار . وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . وراية على مع ابنه محمد بن الحنفية . وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين . وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر وعلى المقدمة عبد الله بن عباس وأبو طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام وعلى الخيل طلحة بن عبيد الله . وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من

جمادى الآخرة يوم الخميس وكانت الوقعة يوم الجمعة . وقالوا : لما قدم علي بن أبي طالب البصرة قال لابن عباس ائت الزبير ولا تات طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا بقرنه يركب الصعوبة ويقول هي أسهل فاقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا . قال ابن عباس : فاتيته فابلغته فقال قل له بيننا بينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف نحل ما أحلت وتحرم ماحرمت . وقال علي ابن أبي طالب : مازال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنا . وقال طلحة : لاهل البصرة وسالوه عن بيعة علي فقال ادخلوني في حش ثم ضعوا اللج على قفي فقالوا بايع والا قتلناك * قوله اللج يريد السيف وقوله قفى لغة طي وكانت أمه طائية . وخطبت عائشة : أهل البصرة يوم الجمل فقالت أيها الناس صه صه كانما قطعت الالسن في الافواه . ثم قالت ان لي عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمني الا من عصي ربه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وانا احدى نسائه في الجنة ادخرني ربي وسلمني من كل بضاعة وبي ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبي أرخص لكم في صعيد الابواء . ثم أبي ثالث ثلاثة من المؤمنين وثاني اثنين في الغار وأول من سمي صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة . ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه وزبن له افياءه فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفا ماحش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثاى وأوذم العطلة وانتاش من الهوات واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله . ثم ولى أمركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكة للاذن بجنسه يقظان الليل في نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع اعضادها جمع القران وانا نصب المسئلة عن مسيري هذا ألم التمس اثما ولم أدلس فتنة اوطئكموها أقول قولي هذا صدقا وعدلا واعذارا وتعذيرا واسال الله ان يصلي على محمد وان يخلفه فيكم بافضل خلافة المرسلين . وكتبت أم سلمة : زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين اذ عزمت على الخروج الى الجمل من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين فاني أحمد

الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته حجاب مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها وسكر خفارتك فلا تبتذليها فالله من وراء هذه الامة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء يحتملن الجهاد عهد اليك أما علمت انه قد نهاك عن الفراطة فى الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع جهاد النساء غض الاطراف وضم الذيول وقصر الموادة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحييت ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على فاجعليه سترك وقاعة البيت حصنك فانك انصح ما تكونين لهذه الامة ما قعدت عن نصرتهم ولو انى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام . فاجابتها عائشة : من عائشة أم المؤمنين الى أم سلمة سلام عليك فانى احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فما اقبلني لوعظك واعرفني لحق نصيحتك وما أنا بمعتمرة بعد تعريج ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين فان اقعد فعن غير حرج وان امض فالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه والسلام . وكتبت عائشة : الى زيد ابن صوحان اذ قدمت البصرة من عائشة أم المؤمنين الى ابنها الخالص زيد بن صوحان سلام عليك . اما بعد فان أباك كان رأسا فى الجاهلية وسيدا فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد بلغك الذى كان فى الاسلام من مصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون عليك والعيان اشفى لك من الخبر فاذا أتاك كتابى هذا فثبط الناس عن على بن أبي طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام فكتب اليها : من زيد بن صوحان الى عائشة أم المؤمنين سلام عليك اما بعد فانك أمرت بامر وامرنا بغيره أمرت ان تقري فى بيتك وامرنا ان نقاتل النـاس حتى لا تكون فتنة فتركت ما أمـرت به وكتبت تنهينا عما أمرنا به والسلام . وخطب على رضى الله عنـه : باهل الكوفة يوم الجمل اذا قبلوا اليه مع الحسن بن على فقام فيهم خطيبا . فقال الحمـد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، اما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين . كافة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشر المنـازل ، مستضعفون لما بهم فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به

السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكورا سعيه ، مرضيا عمله ، مغفورا ذنبه ، كريما عند الله نزله فيالها من مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الاقربين ، وولى أبو بكر فسار فينا بسيرة رضارضي بها المسلمون ثم ولى عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما . ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه . ثم كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم أتيتموني فقلتم لو بايعتنا . فقلت لا افعل وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم كفي فجذبتموها وقلتم لانرضى الابك ولا نجتمع الا عليك وترا كمتم على ترا كم الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت انكم قاتلى وان بعضكم قاتل بعضا فبايعتموني وبايعني طلحة والزبير : ثم مالبثا ان استاذناني الى العمرة فسارا الى البصرة فقاتلا بها المسلمين وفعلا بها الافاعيل وهما يعلمان والله انى لست بدون من مضى ولو شاء الله ان أقول لقلت اللهم انهما قطعا قرابتي ونكثا بيعتي وألبا على عدوى . اللهم فلاتحكم لهما ما أبرما وارهما المساءة فيما عملا . وأملى على بن محمد عن سلمة بن محارب عن داود بن أبي هند عن ابي حرب عن ابي الاسود عن أبيه قال خرجت مع عمران بن حصين وعثمان بن حنيف الى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا اعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيتيه . قالت بل رأي رأيته حين قتل عثمان بن عفان أنا نقمنا عليه ضربه بالسوط وموقع المسحاة المحماة وامرة سعيد والوليد فعدوتم عليه فاستحللتم منه الثلاث حرم حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد ان مصتموه كما يماص الاناء فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم قلنا ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تقري في بيتك فجئت تضرب الناس بعضهم ببعض . قالت وهل أحد يقاتلني أو يقول غير هذا قلنا نعم . قالت ومن يفعل ذلك هل أنت مبلغ عني ياعمران قال لست مبلغا عنك حرفا واحدا قلت لكنني مبلغ عنك فهات ماشئت . قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان وارم الاشتر بسهم من سهامك لايشوى وادرك عمارا بحيرته على عثمان . أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبد الله بن ادريس عن حصين عن الاحنف ابن قيس قال قدمنا المدينة ونحن نريد الحج فانطلقت فاتيت طلحة والزبير فقلت اني لا أرى هذا الا مقتولا فمن تامراني به كما ترضيانه لى قالا نامرك بعلى قلت فتامراني به وترضيانه لى قالا نعم . قال ثم انطلقت حتى أتيت مكة فبينما نحن بها اذ أتانا قتل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين فانطلقت اليها فقلت من تامريني ان أبايع قالت على بن أبي طالب . قلت أتامريني به وترضيه لى قالت نعم قال فمررت على على بالمدينة فبايعته ثم رجعت الى البصرة وأنا أري ان الامر

قد استقام ثم راعنا الاقدوم عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة . قال فقلت ماجاء بهم قد أرسلوا اليك يستنصرونك على دم عثمان انه قتل مظلوما قال فانا ني افظع أمر لم يأتني قط قلت ان خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أمروني ببيعته لشديد . قال فلما أتيتهم قالوا جئناك نستصرخك على دم عثمان قتل مظلوما . قال فقلت يا أم المؤمنين أنشدك الله اقلت لك من تامريني به وترضيه لي فقلت علي قالت بلى ولكنه بدل قلت يا زبير يا حواري رسول الله ويا طلحة نشدتكما بالله أقلت لكما من تامراني به وترضيانه لي فقلتما علي قالا بلى ولكنه بدل قال والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اختاروا مني احدى ثلاث خصال . امان تفتحوا لي باب الجسر فالحق بارض الاعاجم حتي يقضى الله من أمره ماقضى واما ان ألحق بمكة فاكون بها أو أتحول فاكون قريبا . قالوا نأتمر ثم نرسل اليك . قال فائتمروا وقالوا نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل أو يلحق بمكة فيفحشكم في قريش ويخبرهم باخباركم اجعلوه ههنا قريبا حيث تنظرون اليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بني تميم ﴿ مقتل طلحة ﴾ أبو الحسن قال كانت وقعة الجمل يوم الجمعة في النصف من جمادى الآخرة التقوا فكان أول مصروع فينا طلحة ابن عبيد الله أتاه سهم غرب فاصاب ركبته فكان اذا أمسكوه فتر الدم واذا تركوه انفجر فقال لهم اتركوه فانما هو سهم أرسله الله . حماد بن زيد : عن يحيي بن سعيد قال قال طلحة يوم الجمل

ندمت ندامة الكسعي لما ٭ شر بت رضا بني حزم برغم

اللهم خذ مني لعثمان حتي يرضى . ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال . لما رأي مروان ابن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله قال لا أنتظر بعد اليوم بثاري في عثمان فانتزعه بسهم فقتله . ومن حديث سفيان الثوري قال : لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى حتي وقف على طلحة بن عبيد الله في بطن واد متعفرا فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول أعزز علي يا أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الاودية انا لله وانا اليه راجعون شفيت نفسي وقتلت معشري الى الله أشكو عجري وبجري ثم قال والله اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم

من غل اخوانا على سرر متقابلين واذا لم نكن نحن فمن هم . أبو ادريس : عن ليث بن طلحة عن مطرف ان على بن أبي طالب اجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه. ومن حديث سفيان : أن عائشة ابنة طلحة كانت ترى فى نومها طلحة وذلك بعد موته بعشرين سنة فكان يقول لها يابنية اخرجيني من هذا الماء الذى يؤذيني فلما انتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته فوجدته صحيحا كما دفن لم تنحسر له شعرة وقد اخضر جنبه كالساق من الماء الذى كان يسيل عليه فلفته فى الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها وبنت حوله مسجدا . قال فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفر . ومن حديث الخشني قال : لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا فى تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل . وقع قوم فى طلحة عند على بن أبي طالب فقال أما والله لئن قلتم فيه انه لكما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه * وفى خده الشعري وفى الآخر البدر

١٠ — مقتل الزبير بن العوام — شريك عن الاسود بن قيس . قال حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصا فنوه به على أبا عبد الله أتذكر يوما أتانا النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال أتناجيه والله ليقاتلنك وهو ظالم لك قال فصرف الزبير وجه دابته وانصرف . قال ابو الحسين : لما انحاز الزبير يوم الجمل مر بماء لبنى تميم . فقيل للاحنف بن قيس هذا الزبير قد أقبل قال وما أصنع به ان جمع بين هذين الفاذين وترك الناس وأقبل يريد بالفاذين المعسكرين وفى مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادى السباع نائما فقتله وأقبل برأسه الى علىّ بن أبي طالب . فقال على أبشر بالنار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشروا قاتل الزبير بالنار فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول :

أتيت عليا برأس الزبير * وقد كنت احسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان * فبئس بشارة ذي التحفه

ومن حديث ابن ابى شيبة قال : اقبل رجل بسيف الزبير الى الحسن بن على فقال لا حاجة لى به ادخله الى امير المؤمنين فدخل به الى على فناوله اياه وقال هذا سيف الزبير فاخذه على . فنظر

اليه مليا ثم قال رحم الله الزبير لطالما فرج الله به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت امرأة الزبير ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معدد
يا عمرو ولو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

وقال جرير ينعى على بن مجاشع قتل الزبير رضى الله تعالى عنه :

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قيس مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو العيون مع الرسول سبيلا

هشام بن عروة عن ابيه : عن عبد الله بن الزبير قال دعانى أبي يوم الجمل فقمت عن يمينه . فقال انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم وما أراني الا سأقتل مظلوما وان أكبر همي ديني فبع مالى ثم اقض ديني فان فضل شيء فثلثه لولدك وان عجزت عن شيء يا بني فاستعن مولاى . قلت ومن مولاك يا أبت قال الله قال عبد الله بن الزبير فوالله ما بقيت بعد ذلك فى كربة من دينه أو عسرة الا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه قال : فقتل الزبير ونظرت فى دينه فاذا هو ألف ألف ومائة ألف قال فبعت ضيعة له بالغابة بألف ألف وستمائة ألف ثم ناديت من كان له قبل الزبير شيء فليأتنا نقضه فلما قضيت دينه اتانى اخوتى فقالوا اقسم بيننا ميراثنا قلت والله لا أقسم حتى انادى أربع سنين بالموسم من كان له على الزبير شيء فليأتنا نقضه قال فلما مضت الاربع سنين اخذت الثلث لولدي ثم قسمت الباقى فصار لكل امرأة من نسائه وكان له أربع نسوة فى ربع الثمن الف الف ومائة الف فجميع ما ترك مائة الف الف وسبعمائة الف الف . ومن حديث ابن أبي شيبة قال : كان على يخرج مناديه يوم الجمل يقول لا يسلبن قتيل ولا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح قال وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف فى عنقه فجعل ينشره بين الصفين ويناشد الناس فى دمائهم اذ أتاه سهم فقتله وهو فى تلك الحال لا يدرى من قتله . وقال على ابن أبي طالب : يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث وكان على الميمنة احمل فحمل فكشف

من بازائه وقال لهاشم بن عقبة أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فكشف من بازائه فقال على لاصحابه كيف رأيتم ميسرتى وميمنتى . ومن حديث الجميلي الخشني : عن أبي حاتم السجستاني قال انشدني الاصمعي عن رجل شهد الجمل يقول :

شهدت الحروب وشيبنني * فلم ترعينى كيوم الجمل
اشير على مؤمن فتنة * وأفتك منه لخرق بطل
فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

ابن منبه وهبه لعائشة وجعل لههودجا من حديد وجهز من ماله خمسمائة فارس باسلحتهم وازودتهم وكان أكثر أهل البصرة مالا وكان على بن أبي طالب يقول بليت باقضى الناس وانطق الناس وأطوع الناس فى الناس بريد باقضي الناس بعلي بن منبه وكان أكثر الناس ناضا و يريد بانطق الناس طلحة بن عبيد الله وأطوع الناس فى الناس عائشة ام المؤمنين . أبو بكر بن ابي شيبة : عن مخلد بن عبيد عن التميمي قال كانت على راية يوم الجمل سوداء وراية اهل البصرة كالجمل الاعمش : عن رجل سماه قال كنت ارى عليا يوم الجمل يحمل فيضرب بسيفه حتي ينثني ثم يرجع فيقول لاتلوموني ولوموا هذا ثم يعود ويقومه . ومن حديث أبى بكر بن ابي شيبة قال : قال عبد الله بن الزبير التقيت مع الاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتي ضربني خمسة اوستة ثم جر برجلي فالقاني فى الخندق وقال والله لولا قربك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمع فيك عضو الى آخر . ابو بكر بن ابى شيبة قال : اعطت عائشة الذى بشرها بحياة ابن الزبير اذالتقي مع الاشتر يوم الجمل اربعة آلاف . سعيد عن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون الفا منهم ثمانمائة من بني ضبة . وقالت عائشة ما انكر راس جمل حتى فقدت اصوات بنى عدي وقتل من اصحاب على خمسمائة رجل لم يعرف منهم الا عمار بن الحرث السدوسى وهند الجملى قتلهما ابن اليثربي وانشا يقول :

انى لمن يجهلنى ابن اليثربى * قتلت عمارا وهند الجملى

عبد الله بن عون عن ابى رجاء قال : لقدرايت الجمل حينئذ وهو كظهر القنفذ من النبل ورجل من بنى ضبة آخذ بخطامه وهو يقول :

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل * الموت عندنا احلى من العسل * ننعي ابن عفان باطراف الاسل

غندر قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبدالله بن سلمة وكان مع على بن أبي طالب يوم الجمل والحرث بن سويد وكان مع طلحة والزبير وتذاكرا وقعة الجمل . وقال الحرث بن سويد والله مارأيت مثل يوم الجمل لقد أشرعوا رماحهم فى صدورنا وأشرعنا رماحنا فى صدورهم ولوشاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت يقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر ويقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم واني أعمى مقطوع اليدين والرجلين . قال عبدالله بن سلمة والله مايسرني أني غبت عن ذلك اليوم ولا عن مشهد شهده على بن أبي طالب بحمر النعم . على بن عاصم : عن حصين قال حدثني أبو جميلة البكاء قال اني لفى الصف مع على بن أبي طالب اذا عقر بام المؤمنين جملها فرأيت محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يسبق اليها فقطعا عارضة الرحل واحتملاها في هودجها : ومن حديث الشعبي قال . من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر الا أربعة فكذبه كان على وعمار فى ناحية وطلحة والزبير في ناحية . أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن ابزى قال انتهى عبدالله بن بديل الى عائشة وهى فى الهودج فقال ياأم المؤمنين أنشدك بالله أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان . فقلت لك ان عثمان قد قتل فما تامريني فقلت لى الزم عليا فوالله ماغير ولا بدل فسكتت ثم أعاد عليها فسكتت ثلاث مرات . فقال اعقروا الجمل فعقروه فنزلت أنا وأخوها محمد بن ابي بكر فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدى على فسر به فادخل فى منزل عبدالله بن بديل . وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان وظفر على بن أبي طالب حتى دنا من هودج عائشة فكلمها بكلام فاجابته ملكت فاسجح فجهزها على باحسن الجهاز و بعث معها أربعين امرأة وقال بعضهم سبعين امرأة حتى قدمت المدينة . عكرمة عن ابن عباس قال لما انقضى أمر الجمل دعا على بن أبي طالب بآجرتين فعلاهما فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : ياأنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة رغا فجئتم ، وعقر فهزمتم ، نزلتم شر بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شر سماء هى البصرة والبصيرة والمؤتفكة وتدمر ، اين ابن عباس قال فدعيت له من كل ناحية ، فاقبلت اليه فقال ائت هذه المرأة فلترجع الى بيتها التي امرها الله ان تقر فيه . قال فجئت فاستاذنت عليها فلم تاذن لى فدخلت بلا اذن ومددت يدى الى وسادة فى البيت فجلست عليها . فقالت تالله يا ابن عباس مارأيت مثلك تدخل بيتنا بلا اذننا وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت والله ماهو بيتك ولا بيتك الا الذى امرك

الله ان تقري فيه فلم تفعلي ان امير المؤمنين يامرك ان ترجعي الى بلدك الذى خرجت منه . قالت رحم الله امير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قلت نعم وهذا امير المؤمنين على بن ابي طالب . قالت أبيت أبيت قلت ما كان أباؤك الا فواق ناقة بكية ثم صرت ما تحلين ولا تمرين ولا تامرين ولا تنهين . قال فبكت حتي علا نشيجها ثم قالت نعم ارجع فانا ابغض البلدان الى بلد أنتم فيه . قلت أما والله ما كان ذلك جزاءنا منك اذ جعلناك للمؤمنين اما وجعلنا اباك لهم صديقا قالت أتمن على برسول الله يا ابن عباس . قلت . نعم نمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا . قال ابن عباس فاتيت عليا فاخبرته وقبل بين عيني وقال بابى ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . ومن حديث ابن ابي شيبة عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب ان قاضيا من قضاة اهل الشام اتي عمر بن الخطاب . فقال يا امير المؤمنين رأيت رؤيا افظعتني . قال وما رايت قال رايت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال فمع ايهما كنت قال مع القمر على الشمس قال عمر بن الخطاب وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فانطلق فوالله لا تعمل لى عملا ابدا . قال فبلغنى انه قتل مع معاوية بصفين . ابو بكر ابن ابي شيبة قال . اقبل سليمان بن صرد وكانت له صحبة مع النبي صلي الله عليه وسلم الى على بن ابي طالب بعد وقعة الجمل فقال له تنأنأت وتزحزحت وتربصت فكيف رايت الله صنع قال يا امير المؤمنين ان الشوط بطين وقد بقي من الامور ما تعرف به عدوك من صديقك . وكتب علي بن ابي طالب . الى الاشعث بن قيس بعد الجمل وكان واليا لعثمان على اذربيجان سلام عليك اما بعد فلولا هنات كن منك لكنت انت المقدم فى هذا الامر قبل الناس ولعل امرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ما قد بلغك وقد كان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نكثا بيعتي من غير حدث ولا سبب واخرجا ام المؤمنين فسارا الى البصرة وسرت اليهم فيمن بايعني من المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت فى الدعاء واحسنت فى البقيا وامرت ان لا يذفف على جريح ولا يتبع منهزم ولا يسلب قتيل ومن القي سلاحه واغلق بابه فهو آمن واعلم ان عملك ليس لك بطعمة انما هو امانة فى عنقك وهو مال من مال الله وانت من خزانى عليه حتى تؤديه الى ان شاء الله ولا قوة الا بالله فلما بلغ الاشعث كتاب على قام فقال ايها الناس ان عثمان بن عفان ولانى اذربيجان فهلك

وقد بقيت في يدي وقد بايع الناس عليا وطاعته لواجبة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان وهو المأمون على من غاب من ذلك المجلس ثم جلس ﴿قولهم فى أصحاب الجمل﴾ ابو بكر بن أبي شيبة قال سئل على عن أصحاب الجمل امشركون هم قال من الشرك فروا قال فمنافقون هم قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قال فما هم قال اخواننا بغوا علينا . ومر على بقتلى الجمل فقال اللهم اغفر لنا ولهم ومعه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فقال احدهما لصاحبه أما تسمع مايقول قال اسكت لا يزيدك . وكيع : عن مسعدة بن عبد الله بن رباح عن عمار قال : لا تقولوا كفر أهل الشام ولكن قولوا فسقوا وظلموا . وسئل عمار بن ياسر : عن عائشة يوم الجمل . فقال اما والله انا لنعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اتتبعونه او اياها وقال على بن أبي طالب : يوم الجمل ان قومنا زعموا ان البغى كان منا عليهم وزعمنا انه منهم علينا وانما قتلناهم على البغي ولم نقتلهم على التكفير . ابو بكر بن ابي شيبة قال : أول ماتكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا ما أحل لنا دماءهم وحرم علينا اموالهم فقال على هي السنة فى أهل القبلة قالوا ما ندرى ما هذا قال فهذه عائشة رأس القوم اتتساهمون عليها قالوا سبحان الله آمنا قال فهى حرام قالوا نعم قال فانه يحرم من ابنائها مايحرم منها . قال : ودخلت أم أوفي العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها يا أم المؤمنين ماتقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا قالت وجبت لها النار قالت فما تقولين فى امرأة قتلت من اولادها الاكابر عشرين الفا فى صعيد واحد قالت خذوا بيد عدوة الله . وماتت عائشة فى أيام معاوية وقد قاربت السبعين وقيل لها تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت لا انى أحدثت بعده حدثا فادفنوني مع اخوتي بالبقيع وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ياحميراء كاني بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليا وانت له ظالمة والحوأب قرية فى طريق المدينة الى البصرة وبعض الناس يسمونها الحوب بضم الحاء وتثقيل الواو وقد زعموا ان الحوأب ماء فى طريق البصرة . قال في ذلك بعض الشيعة :

انى أدين بحب آل محمد * وبنى الوصى شهودهم والغيب
وانا البرى من الزبير وطلحة * ومن التى نبحت كلاب الحوأب

وكان وجهه الى معاوية في اخذ بيعته فاقام عنده ثلاثة اشهر يماطله بالبيعة . فكتب اليه على : سلام عليك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل وخيره بين حرب معضلة أوسلم محربة فان اختار الحرب فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته واقبل الى . وكتب على الى معاوية : بعد وقعة الجمل سلام عليك أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن امرهم خارج ردوه الى ما خرج عنه فان أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الى قبولك العافية وقد اكثرت فى قتلة عثمان فان انت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم الى حملتك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريدها فهى خدعة الصبي عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم انك من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة ولايدخلون في الشوري وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبدالله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايعه ولاقوة الا بالله . فكتب اليه معاوية : سلام عليك اما بعد فلعمري لو بايعك الذين ذكرت وانت بريء من دم عثمان لكنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بدم عثمان وخذلت الانصار فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبي أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شوري بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمري ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولاحجتك على كحجتك على طلحة والزبير كانا بايعاك فلم أبايعك أنا فاما فضلك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست ادفعه . فكتب اليه على : أما بعد فقد اتانا كتابك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتي خفري لعثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا

من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمي وما أمرت فلزمتني خطيئة الامر ولا قتلت فاخاف على نفسي قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم حكام أهل الحجاز فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار ونحن نأتيك به من قريش الحجاز . وأما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وههنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك فان زعمت انك أقوي على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعة التي لزمتك وحاكم القوم الى وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمرى فما الامر هناك الا واحد لانها بيعة عامة لا يتاتى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمي في الاسلام فلو استطعت دفعه لدفعته . وكتب معاوية . الى على أما بعد فانك قتلت ناصرك واستنصرت واترك فايم الله لارمينك بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء فاذا وقع وقب واذا مس ثقب فلا تحسبني كسحيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن . فاجابه على : أما بعد فوالله ما قتل ابن عمك غيرك وانى أرجو أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وان السيف الذي ضربت به أباك وأهلك لمعى دائم والله ما استحدثت ذنبا ولا استبدلت نبيا واني على المنهاج الذي تركتموه طائعين وأدخلتم فيه كارهين . وكتب معاوية الى على بن أبي طالب : أما بعد فان الله اصطفى محمدا وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان أفضلهم في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة الثالث فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفسك الصعداء وابطائك على الخلفاء وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش حتي تبايع وأنت كاره ولم تكن لاحد منهم أشد حسدا منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس حتي ضربت اليه آباط الابل وشهر عليه السلاح في حرم الرسول فقتل معك في المحلة أنت تسمع في داره الهائعة لا تؤدى عن نفسك في أمره بقول ولا فعل براقسم قسما صادقا لو قمت في أمره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحد ولمحا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به في المجانبة لعثمان والبغى عليه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ضنين ايواءك قتلة عثمان فهم بطانتك وعضدك وانصارك فقد بلغنى انك تنتفى من دمه فان

كنت صادقا فادفع الينا قتلته نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لاصحابك عنـدنا الا السيف والذى نفس معاوية بيده لاطلبن قتلة عثمان فى الجبـال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو نلحق أرواحنا بالله . فاجابه عـلى : أما بعد فان أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحى فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكنه فى البلاد وأظهره على الاعادى من قومه الذين أظهروا له التكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه واخراج أصحابه وألبوا عليه العرب وحزبوا الاحزاب حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وذكرت ان الله اختار من المسلمين أعوانا أيده بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم ابن عمك فى الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده ولعمرى ان كان مكانهم فى الاسلام لعظيما وان كان المصاب بهم لجرح فى الاسلام شديد فرحمهما الله وغفر لهما وذكرت ان عثمان كان فى الفضل ثالثا فان كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم وان يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا ولا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمرى انى لارجو اذا الله أعطى الاسلام ان يكون سهمنا أهل البيت أوفر نصيب وايم الله ما رأيت ولا سمعت باحد كان أنصح لله فى طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله فى طاعة الله ولا أصبر على البلاء والاذى فى مواطن الخوف من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا فى طاعة الله عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد وجعفر وزيد يوم مؤتة وفى المهاجرين خير كثير جزاهم الله باحسن أعمالهم وذكرت ابطائى عن الخلفاء وحسدى اياهم والبغى عليهم فاما البغى فمعاذ الله أن يكون وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك وذكرت بغيى على عثمان وقطعى رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك فقد علمت أنى كنت من أمره فى عزلة الا أن تجنى فتجن ماشئت وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم اليك فان نظرت فى هـذا الامر وضربت أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك وان لم تنزع عن غيك لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم فى سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر وقد كان أبوك ابو سفيان أتانى حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابسط يدك أبايعك فأنت حق الناس بهـذا الامر فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين لقرب عهد النـاس بالكفر فابوك كان أعلم بحقي منك وان تعرف من حقى ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك والا فنستعين الله عليك . وكتب عبد

الرحمن بن الحكم الى معاوية :

ألا بلغ معاوية بن حرب * كتابا من أخى ثقة يلوم
فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم *

١٢ — يوم صفين — أبو بكر بن ابى شيبة قال خرج على بن ابى طالب من الكوفة الى معاوية فى خمسة وتسعين ألفا وخرج معاوية من الشام فى بضع وثمانين ألفا فالتقوا بصفين وكان عسكر على يسمي الزحزحة لشدة حركته وعسكر معاوية يسمي الخضرية لاسوداده بالسلاح والدروع . أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة بين الفريقين الا على حامية ثم يكرون . أبو الحسن قال : كان منادى على يخرج كل يوم وينادى أيها الناس لا تجهزن على جريح ولا تتبعن موليا ولا تسلبن قتيلا ومن ألقى سلاحه فهو آمن . أبو الحسن قال : خرج معاوية الى على يوم صفين ولم يبايعه أهل الشام بالخلافة وانما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه فلما كان من أمر الحكمين ما كان بايعوه بالخلافة فكتب معاوية الى سعد بن أبي وقاص يدعوه الى القيام معه فى دم عثمان . سلام عليك أما بعد فان احق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ونصرة طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكره مارضوا ولا ترد ماقبلوا وانما نريد ان نردها شورى بين المسلمين والسلام . فاجابه سعد : أما بعد فان عمر رضي الله عنه لم يدخل في الشورى الا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد أولى بها من صاحبه الا باجتماعنا عليه غير ان عليا كان فيه مافينا ولم يكن فينا مافيه ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو باقصى اليمن وهذا الامر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما والله يغفر لام المؤمنين ماأتت . وكتب معاوية : الى قيس بن سعد بن عبادة . أما بعد فانما أنت يهودى ابن يهودي ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر ابغض الفريقين اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطا المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران . فاجابه قيس : أما بعد فانت وثنى ابن وثني دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم إيمانك ولم يحذر نفاقك ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذي دخلت فيه والسلام

وخطب على بن ابى طالب اصحابه يوم صفين فقال أيها الناس ان الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص والذى نفس ابن أبي طالب بيده ان ضربة سيف أهون من موت الفراش أيها الناس اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدي واياكم الراية الحمراء. فقال رجل من أهل العراق: مارأيت كاليوم خطيبا يخطبنا يأمرنا ان نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا وبينها مائة ألف سيف. قال أبو عبيدة فى التاج جمع علي بن ابى طالب رياسة بكر كلها يوم صفين لحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وجعل الويتها تحت لوائه وكانت له راية سوداء يخفق ظلها اذا أقبل فلم يغن أحد فى صفين غناءه. فقال فيه على بن أبي طالب رضى الله عنه:

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها فى الصف حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزي الله عني والجزاء يكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وكان من همدان فى صفين حسن فقال فيهم على بن أبي طالب رضى الله عنه

لهمدان أخلاق ودين يزينهم * وبأس اذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

أبو الحسن قال: كان على بن ابى طالب يخرج كل غداة لصفين فى سرعان الخيل فيقف بين الصفين ثم ينادى يا معاوية علام يقتتل الناس ابرز الى وأبرز اليك فيكون الامر لمن غلب. فقال له عمرو بن العاص أنصفك الرجل فقال له معاوية أردتها يا عمرو والله لا رضيت عنك حتى تبارز عليا فبرز اليه متنكرا فلما غشيه على بالسيف رمي بنفسه الى الارض وأبدي له سوأته فضرب علي وجه فرسه وانصرف عنه فجلس معه معاوية يوما فنظر اليه فضحك فقال عمر وأضحك الله سنك ما الذي أضحكك قال من حضور ذهنك يوم بارزت عليا اذ اتقيته بعورتك أما والله لقد صادفت منانا كريما ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح قال عمرو بن العاصى أما والله انى عن يمينك اذ دعاك الى البراز فاحولت عيناك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك. وذكر عمرو بن العاصى: عند على بن أبى طالب فقال فيه علي عجبا لابن الباغية يزعم اني لقائه أعافس وامارس انى وشر القول أكذبه انه يسأل فيلحف ويسئل فيبخل فاذا احمر البأس وحمى الوطيس وأخذت

السيوف ماخذها من هام الرجال لم يكن له هم الا غرقة ثيابه ويمنح الناس استه فضحه الله وترحه : مقتل عمار بن ياسر. العتبي قال لما التقى الناس بصفين نظر معاوية الى هشام بن عتبة الذي يقال له المرقال لقول النبي صلى الله عليه وسلم ارقل ليمون وكان أعور والراية بيده وهو يقول :

أعور يبغي نفسه محلا * قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد ان يفل او يفلا

فقال معاوية لعمرو بن العاصي ياعمرو هذا المرقال والله لئن زحف بالراية زحفا انه ليوم أهل الشام الاطول ولكني ارى ابن السوداء الى جنبه يعني عمارا وفيه عجلة فى الحرب وأرجو ان تقدمه الى الهلكة وجعل عمار يقول اباعتبة تقدم فيقول يا أبا اليقظان انا أعلم بالحرب منك دعني ازحف بالراية زحفا فلما اضجره وتقدم ارسل معاوية خيلا فاختطفوا عمارا فكان يسمى أهل الشام قتل عمار فتح الفتوح . ابو بكر بن أبي شيبة : عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن أسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد قال انى لجالس عند معاوية اذ اتاه رجلان يختصمان فى رأس عمار كل واحد منهما يقول انا قتلته فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقتلك الفئة الباغية . أبو بكر بن أبي شيبة : عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أم سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية . ابو بكر قال حدثنا علي بن حفص عن أبي معشر عن محمد بن عبادة قال مازال جدى خزيمة بن ثابت كافا سلاحه يوم صفين حتى قتل عمار فلما قتل سل سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فما زال يقاتل حتى قتل . أبو بكر عن غندر عن عمرو بن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال رأيت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد وهو يقول والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذى نفسي بيده لو ضربونا حتي يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انا على حق وانهم على باطل ثم جعل يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال السيوف . أبو بكر بن ابي شيبة : عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري قال لما كان يوم صفين واشتدت الحرب دعا عمار بشربة لبن وشربها وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ان آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن . أبو ذرعن محمد بن يحيي عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن جدته أم

سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج اليه ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والانصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا العمل مضلل

قالت وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متنظفا فكان يحمل اللبنة ويجافى بها عن ثوبه فاذا وضعه نفض كفيه ونظر الى ثوبه فاذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه على رضى الله عنه فانشده :

لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها راكعا وساجدا
وقائما طورا وطورا قاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى فسمعه عثمان . فقال يا ابن سمية ما أعرفنى بمن تعرض ومعه جريدة . فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط . فقال عمار جلدة ما بين عيني وأنفى فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني وأشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قرآن . فقال أنا أرضيه كما غضب فاقبل عليه فقال يا رسول الله مالى ولاصحابك قال ومالك ولهم . قال يريدون قتلى يحملون لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ به وطاف به فى المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية . فقتل بصفين وروى هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال معاوية هم قتلوه لانهم أخرجوه الى القتل فلما بلغ ذلك عليا قال ونحن قتلنا أيضا حمزة لانا أخرجناه ﴿ من حرب صفين ﴾ أبو الحسن قال كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة فى أحد الفريقين الاعلى حامية ثم يكرون - ابو بكر بن أبي شيبة قال : انقضت وقعة صفين عن سبعين ألف قتيل خمسين ألفا من أهل الشام وعشرين ألفا من أهل العراق ولما انصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شبت الحرب فاعددت لها * مشرف الحارك محبوك الثبج
يصل الشر بشر فاذا * وثب الخيل من الشر معج
جرشع اعظمه حفزبة * فاذا ابتل من الماء حرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فان شهدت جمل مقامي ومشهدي * بصفين يوماشاب منها الذوائب
عشية جا أهـل العـراق كأنهم * سحاب ربيع رفعته الجنائب
وجئناهم تـرى كان صفوفنا * من البحر مد موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنـا انا نرى ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

وقال السيد الحميري وهـو رأس الشيعة وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادا بمسجد الكوفة :

انى ادين بمـا دان الوصي به * وشاركت كفه كفي بصفينا
في سفك ماسفكت منها اذا احتضروا * وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معـا يارب فى عنقى * ثم اسقنى مثلهـا آمـين آمينـا
آمـين من مثلهم فى مثل حالهم * فى فتية هاجروا فى الله شارينا
ليسوا يريدون غـير الله ربهم * نعم المـراد توخاه المريدونا

وقال النجاشي يوم صفين وكتب بها الى معاوية :

يا أيهـا الملك المبدى عـداوته * أنظر لنفسك أي الأمر تأتمر
فان نفست على الاقـوام مجدهم * فابسط يديك فان الخير مبتدر
واعـلم بان علي الخير من نفـر * شم العرانين لايعـلوهم بشر
نعـم الفـتى هـو الا ان بينكما * كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما اخالك الا لست منتهيـا * حتى ينالك من أظفاره ظفـر

١٣ - خبر عمرو بن العاص مع معاوية - سفيان بن عيينة . قال أخبرني أبو موسى الاشعرى قال اخبرني الحسن قال : علم معاوية والله ان لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر . فقال له ياعمـر واتبعني قال لماذا للآخرة فوالله مامعـك آخـرة أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيهـا قال فانت شريكى فيهـا قال فاكتب لى مصر وكورها فكتب له مصر وكورها وكتب فى آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطـاعة قال عمرو واكتب ان السمع والطاعة لاينقصان من شرطه شيئا . قال معاوية لا ينظر الناس الى هذا قال عمرو حتى تكتب قال فكتب والله مايجد بدا من كتابتها . ودخل عتبة

ابن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا في مصر وعمرو يقول له انما أبايعك بها دينى فقال عتبة ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب عمرو الى معاوية :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء وانني * لآخذ ما تعطى ورأسى مقنع
فان تعطني مصرا فاربح صفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

وقالوا : لما قدم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه فى شان على بعد ان جعل له مصر طعمة قال له ان بارضك رجلا له شرف واسم والله ان قام معك استهويت به قلوب الرجال وهو عبادة بن الصامت فارسل اليه معاوية فلما أتاه وسع له بينه وبين عمرو بن العاص فجلس بينهما فحمد الله معاوية وأثنى عليه وذكر فضل عبادة وسابقته وذكر فضل عثمان وما ناله وحضه على القيام معه فقال عبادة قد سمعت ما قلت أتدريان لم جلست بينكما فى مكانكما قالا نعم لفضلك وسابقتك وشرفك قال لا والله ماجلست بينكما لذلك وما كنت لاجلس بينكما فى مكانكما ولكن بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك اذ نظر اليكما تسيران وأنتما تتحدثان فالتفت الينا فقال اذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فانهما لا يجتمعان على خير أبدا وأنا أنهاكما عن اجتماعكما فاما ما دعوتماني اليه من القيام معكما فان لكما عدوا هو أغلظ اعدائكما عليكما وأنا كامن من ورائكم فى ذلك العدو وان اجتمعتم على شيء دخلت فيه

١٤ — امر الحكمين — أبو الحسن قال : لما كان يوم الهدير وهو أعظم يوم بصفين زحف أهل العراق على أهل الشام فازالوهم عن مراكزهم حتى انتهوا الى سرادق معاوية فدعا بالفرس وهم بالهزيمة ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال له ما عندك قال تامر بالمصاحف فترفع فى اطراف الرماح ويقال هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم فلما نظر أهل العراق الى المصاحف ارتدعوا واختلفوا وقال بعضهم نحاكمهم الى كتاب الله وقال بعضهم لا نحاكمهم لانا على يقين من أمرنا ولسنا على شك ثم اجمع رأيهم على التحكيم فهم على ان يقدم أبا الاسود الدؤلى فابى الناس عليه فقال له ابن عباس اجعلني أحد الحكمين فوالله لافتلن لك حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينشر طرفاه فقال له على لست من كيدك ولا من كيد معاوية فى شيء لا أعطيه الا السيف حتى يغلبه الحق قال وهو والله لا يعطيك الا السيف حتى يغلبك الباطل قال وكيف

ذلك قال لانك تطاع اليوم وتعصى غدا وانه يطاع ولا يعصى . فلما انتشر عن على أصحابه قال لله بلاد ابن عباس انه لينظر الى الغيب بستر رقيق . قال ثم اجتمع اصحاب البرانس وهم وجوه أصحاب علىّ على ان يقدموا أباموسي الاشعرى وكان مبرنسا وقالوا لا نرضى بغيره فقدمه على وقدم معاوية عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو انك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأى فلا ترمه بعقلك كله فاخلي لهما مكان يجتمعان فيه فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ثم اقبل اليه بانواع من الطعام يشهيه بها حتى اذا استبطن أبو موسى ناجاه عمرو . فقال له ياأباموسى انك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها وقد ترى ماوقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها فهل لك ان تكون ميمون هذه الامة فيحقن الله بك دماءها فانه يقول فى نفس واحدة ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا فكيف بمن احيا انفس هذا الخلق كله . قال له وكيف ذلك قال تخلع انت على بن أبي طالب واخلع انا معاوية ابن أبي سفيان ونختار لهذه الامة رجلا لم يحضر فى شيء من الفتنة ولم يغمس يده فيها قال له ومن يكون ذلك وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى فى عبد الله بن عمر فقال له عبد الله بن عمر . فقال انه لكما ذكرت ولكن كيف لى بالوثيقة منك فقال له ياأباموسي الا بذكر الله تطمئن القلوب خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى ثم لم يبق عمرو بن العاص عهدا ولا موثقا ولا يمينا مؤكدة حتى حلف بها حتى بقي الشيخ مبهوتا وقال له قد أجبت فنودى فى الناس بالاجتماع اليهما فاجتمعوا فقال له عمرو قم فاخطب الناس ياأباموسي فقال قم أنت اخطبهم فقال سبحان الله انا اتقدمك وانت شيخ أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والله لافعلت ابدا قال اوعسى فى نفسك أمر فزاده ايمانا وتوكيدا حتى قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال أيها الناس أنى قد اجتمعت أنا وصاحبي على ان اخلع أنا على بن أبي طالب ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ونجعل هذا الامر لعبد الله بن عمر فانه لم يحضر فى فتنة ولم يغمس يده فى دم امرىء مسلم ألا واني قد خلعت على بن ابي طالب كما اختلع سيفى هذا ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس وقال لعمرو قم فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثني عليه وقال ايها الناس انه قد كان من رأى صاحبي ما قد سمعتم وانه قد أشهدكم أنه خلع على بن أبى طالب كما يخلع سيفه وأنا أشهدكم أنى قد اثبت معاوية ابن أبى سفيان كما اثبت سيفى هذا وكان قد خلع سيفه قبل ان يقوم الى الخطبة فاعاده

على نفسه فاضطرب الناس وخرجت الخوارج . وقال ابو موسى لعمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث . قال عمرو ولعنك الله فان مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا وخرج ابو موسى من فوره اذلك لى مكة مستعيذا بها من على وحلف ان لا يكلمه أبدا . فاقام بمكة حينا حتي كتب اليه معاوية سلام عليك أما بعد فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد واعذر الطالب والحق لمن نصب له فاصابه وليس لمن عرض له فاخطأ . وقد كان الحكمان اذا حكما على على لم يكن له الخيار عليهما وقد اختاره القوم عليك فاكره منهم ما كرهوا منك وأقبل الى الشام فاني خير لك من على ولا قوة الا بالله . فكتب اليه أبو موسى سلام عليك أما بعد فانى لم يكن منى فى على الا ما كان من عمر وفيك غير أني أردت بما صنعت ما عند الله وأراد به عمرو ما عندك وقد كان بينى وبينه شروط وشوري عن تراض فلما رجع عمر ورجعت أما قولك ان الحكمين اذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما فانما ذلك فى الشاة والبعير والدينار والدرهم فاما أمر هذه الامة فليس لاحد فيما يكره حكم وان يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر واما دعاؤك اياي الى الشام فليس لى رغبة عن حرم ابراهيم فبلغ عليا كتاب معاوية الى ابى موسى الاشعرى فكتب اليه سلام عليك أما بعد فانك امرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور حقق بك حسن الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فاستقل الله يقلك فان الله يغفر ولا يغفل وأحب عباده اليه التوابون وكتبه سماك بن حرب فكتب اليه أبوموسى سلام عليك فانه والله لولا أنى خشيت ان يرفعك مني منع الجواب الى اعظم مما فى نفسك لم اجبك لانه ليس لى عندك عذر ينفعني ولا قوة تمنعني وأما قولك ولزومى بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فانى اسلمت أهل الشام وانقطعت عن أهل العراق وأصبت أقواما صغروا من ذنبي ماعظمتم وعظموا من حقى ماصغرتم اذلم يكن لى منكم ولىّ ولا نصير . وكان علي بن أبي طالب : اذوجه الحكمين قال لهما انما حكمنا كما بكتاب الله فتحييا ما أحيا القرآن وتميتا ما أمات فلما كاد عمرو بن العاص على أبي موسى اضطرب الناس على علي واختلفوا وخرجت الخوارج وقالوا لا حكم الا الله فجعل علي يتمثل بهذه الابيات :

لى زلة اليكم فاعتذر * سوف أكيس بعدها واشمر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

ابو الحسن قال : لما قدم أبو الاسود الدؤلى على معاوية عام الجماعة قال له معاوية بلغني ياأبا

الاسودان على بن أبي طالب ارادان يجعلك أحد الحكمين فما كنت تحكم به قال لو جعلني أحدهما لجمعت الفا من المهاجرين وابناء المهاجرين والفا من الانصار وأبناء الانصار ثم ناشدتهم الله المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الامر أم الطلقاء قال له معاوية لله أبوك أى حكم كنت تكون لو حكمت

١٥ — احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين — ابو الحسن قال : لما انقضى امر الحكمين واختلف اصحاب على قال بعض الناس مامنع امير المؤمنين ان يامر بعض أهل بيته فيتكلم فانه لم يبق أحد من رؤساء العرب الا وقد تكلم . قال فبينما على يوما على المنبر اذ التفت الى الحسن ابنه فقال قم يا حسن فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فقام الحسن . فقال أيها الناس انكم قد أكثرتم فى هذين الرجلين وانما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه وقد أخطأ عبد الله بن قيس اذ جعلها لعبد الله بن عمر فاخطا فى ثلاث خصال واحدة انه خالف اباه اذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى واخرى انه لم يستامره فى نفسه وثالثة انه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة فقد حكم النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ فى بني قريظة فحكم بما يرضي الله به ولا شك ولو خالف لم يرضه رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم جلس . فقال لعبد الله بن عباس : قم فقال عبد الله بن عباس بعد ان حمد الله واثني عليه أيها الناس ان للحق اهلا أصابوه بالتوفيق فالناس بين راض به وراغب عنه فانه بعث عبد الله بن قيس بهدى الى ضلالة وبعث عمرو بضلالة الى الهدي فلما التقيا رجع عبد الله بن قيس عن هداه وثبت عمرو على ضلاله وايم الله لئن كانا حكما بما سارا به لقد سار عبد الله وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه فما بعد هذا من غيب ينتظر . فقال على لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : قم فقام فحمد الله واثني عليه . وقال : ايها الناس ان هذا الامر كان النظر فيه الى على والرضا الى غير فجئتم الى عبد الله بن قيس مبرنسا فقلتم لا نرضى الا به وايم الله ما استفدنا به علما ولا انتظرنا منه غائبا وما نعرفه صاحبا وما افسدا بما فعلا اهل العراق وما اصلحا اهل الشام ولا وضعا حق على ولا وضعا باطل معاوية ولا يذهب الحق رقية راق ولا نفحة شيطان ونحن اليوم على ما كنا عليه امس

١٦ — احتجاج على على أهل النهروان — قالوا : ان عليا لما اختلف عليه اهل النهروان والقرى واصحاب البرانس و نزلوا قرية يقال لها حروراء وذلك بعد وقعة الجمل فرجع اليهم على بن أبي طالب فقال لهم : ياهؤلاء من زعيمكم قالوا ابن الكواء قال فليبرز الى فخرج اليه ابن الكواء فقال له على يا ابن الكواء ما اخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ومقامكم بالكوفة قال قاتلت بنا عدوا لا نشك فى جهاده فزعمت ان قتلانا فى الجنة و قتلاهم فى النار فبينما نحن كذلك اذ ارسلت منافقا وحكمت كافرا وكان من شكك فى أمر الله ان قلت للقوم حين دعوتهم كتاب الله بيني و بينكم فان قضى على بايعتكم وان قضى عليكم بايعتموني فلولا شكك لم تفعل هذا والحق فى يدك فقال على يا ابن الكواء انما الجواب بعد الفراغ افرغت فاجيبك . قال نعم : قال على اما قتالك معى عدوا لا نشك فى جهاده فصدقت ولو شككت فيهم لم اقاتلهم واما قتلانا وقتلاهم فقد قال الله فى ذلك ما يستغنى به عن قولي وأما ارسالى المنافق وتحكيمي الكافر فانت أرسلت ابا موسى مبرنسا ومعاوية حكم عمرا أتيت بابي موسى مبرنسا فقلت لا نرضي الا أباموسى فهلا قام الى رجل منكم . فقال يا على لا نعطى هذه الدنية فانها ضلالة . وأما قولى لمعاوية ان جرني اليك كتاب الله تبعتك وان جرك الى تبعتني زعمت انى لم أعط ذلك الا من شك فقد علمت ان أوثق ما فى يديك هذا الامر . فحدثني ويحك عن اليهودى والنصرانى ومشركى العرب أهم اقرب الى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام . قال بل معاوية واهل الشام اقرب قال على افرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما فى يديه من كتاب الله أو انا قال بل رسول الله قال افرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه أن كنتم صادقين » اما كان رسول الله يعلم انه لا يؤتي بكتاب هو اهدي مما فى يديه قال بلي . قال فلم أعطى رسول الله القوم ما اعطاهم قال انصافا وحجة . قال فاني اعطيت القوم ما اعطاهم رسول الله . قال ابن الكواء فانى اخطأت هذه واحدة زدني . قال على فما اعظم ما نقمتم على . قال تحكيم الحكمين نظرنا فى أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيرا . قال على فمتي سمي أبو موسى حكما حين ارسل أو حين حكم . قال حين أرسل قال اليس قد سار وهو مسلم وانت ترجو ان يحكم بما انزل الله قال نعم . قال علي فلا ارى الضلال فى ارساله فقال ابن الكواء سمي حكما حين حكم . قال نعم اذا فارساله كان عدلا أرأيت يا ابن الكواء لو ان رسول الله بعث مؤمنا الى قوم مشركين يدعوهم الى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا أ كان يضر نبي الله شيئا قال لا

قال علي فما كان ذنبي ان كان أبوموسى ضل هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله اذ قال . قال ابن الكواء لا ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان في كتاب الله . قال علي ويلك يا ابن الكواء هل بعث عمرا غير معاوية وكيف احكمه وحكمه على ضرب عنقي انما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك . وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله أرأيت لوان رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ففزع الناس الى كتاب الله وفي كتابه « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين الذين يجوز لهما ان يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء وهذه أيضا أمهلنا حتى ننظر فانصرف عنهم علي . فقال له صعصعة ابن صوحان يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام القوم . قال نعم مالم تبسط يدا . قال فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج اليه فقال أنشدكم بالله يا معشر الخارجين ان لا تكونوا عارا على من يغزو لغيره وان لا تخرجوا بارض تسموا بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل . فقال له ابن الكواء ان صاحبك لقينا بامر قولك فيه صغير فامسك . قالوا ان عليا خرج بعد ذلك اليهم فخرج اليه ابن الكواء . فقال له علي يا ابن الكواء انه من أذنب في هذا الدين ذنبا يكون في الاسلام حدثا استتبناه من ذلك الذنب بعينه وان توبتك ان تعرف هدى ما خرجت منه وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء اننا لا نشكر انا قد فتنا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز ادركنا والله هذه الآية « ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وكان عبد الله من قراء أهل حروراء فرجعوا فصلوا خلف علي الظهر وانصرفوا معه الى الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضا . فقال زيد بن عبد الله الراسبي وكان من أهل حروراء يشككهم :

شككتم ومن أرسى ثبيرا مكانه * ولو لم تشكوا ما انثنيتم عن الحرب
وتحكيمكم عمرا على غير توبة * وكان لعبد الله خطب من الخطب
فانكصه للعقب لما خلا به * فاصبح يهوي من ذرى حالق صعب

وقال الرياحي :

ألم تر ان الله أنزل حكمه * وعمرو وعبد الله مختلفان

وقال مسلم بن يزيد الثقفي وكان من عباد حروراء :

وان كان ما عبناه عيبا فحسبنا * خطايا باخذ النصح من غير ناصح

وان كان عيباً فاعظم من بتركنا * علياً على أمر من الحق واضح
ونحسن اناس بين بين وعلنا * سررنا بامر غبه غير صالح

ثم خرجوا على علىّ فقتلهم بالنهروان

١٧ — خروج عبد الله بن عباس على علىّ — قال أبو بكر بن ابي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب . وكان يقدمه على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط . فقال له يوما كدت أستعملك ولكن أخشى ان تستحل الفيء على التأويل . فلما صار الامر الى علىّ استعمله على البصرة فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربي » واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبى راشد عن عبد الرحمن بن عبيد قال مر ابن عباس على أبي الاسود الدؤلى . فقال له لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى له فكتب أبو الاسود الى على . أما بعد فان الله جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مسؤلا . وقد بلوناك رحمك الله فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للامة توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشى بشيء فى أحكامهم . وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فيما هنالك . واكتب الى برأيك فما أحببت أتبعه ان شاء الله والسلام . فكتب اليه على : أما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وفارق الجور . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت الى فيه ولم أعلمه بكتابك الى فلا تدع اعلامى ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح فانك بذلك جدير وهو حق واجب لله عليك والسلام . وكتب على الى ابن عباس : أما بعد فانه قد بلغني عنك أمر ان كنت فعلته . فقد أسخطت الله وأخربت أمانتك وعصيت امامك وخنت المسلمين بلغنى أنك خربت الارض وأكلت ما تحت يدك . فارفع الى حسابك واعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام . وكتب اليه ابن عباس : أما بعد فان كل الذى بلغك باطل وأنا لما تحت يدى ضابط وعليه حافظ فلا تصدق على الضنين والسلام . فكتب اليه على : أما بعد فانه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته وما وضعت منها أين وضعته فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعيتك اياه فان المتاع بما أنت رازمه قليل وتباعته

و بيلة لا تبيد والسلام . فلما رأي ان عليا غير مقلع عنه كتب اليه . أما بعد : فانه بلغني تعظيمك على مرزأة مال بلغك انى رزأته أهل هذه البلاد وايم الله لان القى الله بما فى بطن هذه الارض من عقيانها ومخبئها و بما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحب الى من أن القى الله وقد سفكت دماء هذه الامة لانال بذلك الملك والامرة ابعث الى عمالك من أحببت فانه ظاعن والسلام . فلما أراد عبد الله المسير من البصرة دعا اخواله بني هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالى فاجاره ومعه رجل منهم يقال له رزين بن عبد الله بن رزين وكان شجاعا بئيسا . فقالت بنو هلال لاغنى بنا عن هوازن . فقالت هوازن لاغني بنا عن بني سليم . ثم اتتهم قيس . فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان فى بيت مال البصرة وكان فيما زعموا ستة آلاف الف فجعله فى الغرائر قال فحدثنى الازرق اليشكري . قال سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا لما وضع المال فى الغرائر . ثم مضي به تبعته الاخماس كلها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فوافقوه فقالت لهم قيس والله لا تصلوا اليه ومنا عين تطرف . فقال ضمرة وكان رأس الازد والله ان قيسا لاخوتنا فى الاسلام وجيراننا فى الدار وأعواننا على العدو وان الذى تذهبون به من المال لورد عليكم لكان نصيبكم منه الاقل وهم خير لكم من المال . قالوا فما ترى قال انصرفوا عنهم فقال بكر بن وائل وعبد القيس نعم الرأى رأى ضمرة واعتزلوهم . فقالت بنو تميم والله لا نفارقهم حتي نقاتلهم عليه . فقال الاحنف بن قيس أنتم والله أحق أن لا تقاتلوهم عليه وقد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما . قالوا والله لنقاتلنهم فقال والله لا نشا نيكم على قتالهم وانصرف عنهم فقدم عليهم ابن مجدبة فقاتلهم فحمل عليه الضحاك بن عبد الله فطعنه في كتفه فصرعه فسقط الى الارض بغير قتل . وحمل سلمة بن ذؤيب السعدى على الضحاك فصرعه أيضا وكثرت بينهم الجراح من غير قتل . فقال الاخماس الذين اعتزلوا والله ما صنعتم شيا اعتزلتم قتالهم وتركتموهم يتشاجرون فجاؤا حتي صرفوا وجوه بعضهم عن بعض وقالوا لبنى تميم والله ان هذا اللؤم قبيح لنحن اسخى أنفسا منكم حين تركنا أموالنا لبني عمكم وأنتم تقاتلونهم عليها خلوا عنهم وأرواحهم فان القوم فدحوا . فانصرفوا عنهم ومضي معه ناس من قيس فيهم الضحاك بن عبد الله وعبد الله بن رزين حتى قدموا الحجاز فنزل مكة . فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له فى الطريق ويقول :

صبحت من كاظمة القصر الخرب * مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز و يقول :

آوى الى أهلك يا رباب * آوى فقد حان لك الاياب

وجعل أيضا يرتجز ويقول :

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقال له يا أبا العباس أمثلك يرفث فى هذا الموضع . قال انما الرفث مايقال عند النساء قال أبو محمد فلما نزل مكة اشترى بن عطاء بن جبير مولى بنى كعب من جواريه ثلاث مولدات حجازيات يقال لهن شادن وحوراء وفنون بثلاثة آلاف دينار . وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي الكنود قال كنت من أعوان عبد الله بالبصرة . فلما كان من أمره ما كان أتيت عليا فاخبرته فقال « واتل عليه نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ثم كتب معه اليه : أما بعد فاني كنت أشركتك فى أمانتي ولم يكن من أهل بيتى رجل أوثق عندي منك بمواساتي وموازرتي باداء الامانة . فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد وأمانة الناس قد خربت وهذه الامة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اليه أديت كأنك لم تكن على بينة من ربك وانما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم . فلما امكنتك الفرصة فى خيانة الامة اسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ماقدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كأنك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأمك سبحان الله أما تؤمن بالمعاد أما تخاف الحساب أما تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما وتشترى الاماء وتنكحهم باموال اليتامى والارامل والمجاهدين فى سبيل الله التي أفاء الله عليهم فاتق الله واد الى القوم اموالهم فانك والله لئن لم تفعل وأمكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك فوالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولما تركتهما حتي آخذ الحق منهما والسلام . فكتب اليه ابن عباس : أما بعد فقد بلغني كتابك تعظم على أمانة المال الذي أصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي فى بيت مال الله أكثر من الذى أخذت والسلام . فكتب اليه على : اما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك فى بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين قد أفلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاؤك مالا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك عمرك الله انك لانت البعيد البعيد قد بلغني أنك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى المولدات من المدينة والطائف وتختارهن على عينك وتعطي بهامال غيرك . واني

أقسم بالله ربي وربك رب العزة ما أحب ان ما أخذت من أموالهم لي حلالا ادعه ميراثا لعقبي فما بال اغتباطك به تاكله حراما صح رويدا فكانك قد بلغت المدي وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى فيه المغتر بالحسرة و يتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة . فكتب اليه : ابن عباس والله لئن لم تدعني من أساطيرك لاحملنه الى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي

١٨ — مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه — سفيان بن عيينة قال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل الى المسجد . فقال أناس من أصحابه نخشى ان يصيبه بعض عدوه ولكن تعالوا نحرسه فخرج ذات ليلة فاذا هو بنا . فقال ماشانكم فكتمناه فعزم علينا فاخبرناه . فقال تحرسوني من أهل السماء أومن أهل الارض قلنا من أهل الارض . قال انه ليس يقضى فى الارض حتى يقضى فى السماء . التميمي باسناد له قال : لما تواعد ابن ملجم وصاحباه بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن الملجم المسجد في فروغ الفجر الاول فدخل في الصلاة تطوعا ثم افتتح فى القراءة وجعل يكرر هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فاقبل ابن أبي طالب بيده مخفقة وهو يوقظ الناس للصلاة و يقول ايها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية فظن علي انه ينسى فيها ففتح عليه . فقال والله رؤف بالعباد . ثم انصرف علي وهو يريد ان يدخل الدار فاتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف فى الجدار فاطار فدرة من آخره فابتدره الناس فاخذوه ووقع السيف منه فجعل يقول أيها الناس احذروا السيف فانه مسموم . قال فاتي به علي فقال احبسوه ثلاثا واطعموه واسقوه فان أعش أرى فيه رأيي . وان أمت فاقتلوه ولا تمثلوا به فمات من تلك الضربة فاخذه عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع . فقيل له لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعت لقطع لسانك . قال اني أكره ان تمر بي ساعة لا أذكر الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه . وتوجه الخارجي الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلا . ووجه الثالث الى عمرو فوجده قد أغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقدم مكانه رجلا يقال له خارجة فضربه الخارجي بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص فقتله . فاخذه الناس فقالوا قتلت خارجة قال أوليس عمرا قالوا لا قال أردت عمرا وأراد الله خارجة . وفى الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشد الناس عذابا يوم القيامة . قال أخبرني يارسول الله قال فان أشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك . وقال كثير عزة :

ألا أن الائمة من قريش * ولاة العهد أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتي * يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

قال الحسن بن عليّ : صبيحة الليلة التي قتل فيها عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه حدثني أبي البارحة فى هذا المسجد . فقال يابني اني صليت البارحة مارزق الله . ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال لى ادع الله ان يريحك منهم فدعوت الله . وقال الحسن : صبيحة تلك الليلة أيها الناس انه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلاينثني حتى يفتح الله له ماترك الا ثلثمائة درهم

١٩ — خلافة الحسن بن عليّ — ثم بويع للحسن بن عليّ وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ . فكتب اليه ابن عباس ان الناس قد ولوك أمرهم بعد عليّ فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستر من الضنين ذنبه بما لا يثلم دينك واستعمل اهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . ثم اجتمع الحسن ابن عليّ ومعاوية بمسكن من أرض السواد من ناحية الانبار . واصطلحا وسلم الحسن الامر الى معاوية وذلك فى شهر جمادي الاولى سنة احدى وأربعين وسمي عام الجماعة فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ومات الحسن فى المدينة سنة تسع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيد بن العاص وهو والى المدينة وأوصى ان يدفن مع جده فى بيت عائشة فمنعه مروان بن الحكم فردوه الى البقيع . وقال ابو هريرة : لمروان علام تمنع ان يدفن مع جده فلقد أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة . فقال له مروان لقد ضيع حديث نبيه اذلم يروه غيرك قال اما انك اذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه . ولما بلغ معاوية موت الحسن بن عليّ خرّ ساجداً لله . ثم أرسل الى ابن عباس وكان معه فى الشام فعزاه وهو مستبشر وقال له ابن كم سنة

مات أبو محمد . فقال له سنه كان يسمع في قريش فالعجب من ان يجهل مثلك . قال بلغني انه ترك أطفالا صغارا . قال : كل ما كان صغيرا يكبر وان طفلنا لكهل وان صغيرنا لكبير . ثم قال مالي أراك يامعاوية مستبشرا بموت الحسن بن علي . فوالله لا ينسأ في أجلك ولا يسد حفرتك وما أقل بقاءك وبقاءنا بعده . ثم خرج ابن عباس فبعث اليه معاوية ابنه يزيد فقعد بين يديه فعزاه واستعبر لموت الحسن . فلما ذهب اتبعه ابن عباس بصره . وقال اذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس

٢٠ — خلافة معاوية — ثم اجتمع الناس على معاوية سنة أحدى وأربعين وهو عام الجماعة . فبايعه أهل الامصار كلها وكتب بينه وبين الحسن كتابا وشروطا ووصله باربعين ألفا وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبة انه قال له والله لاجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ولا أجيز بها أحدا بعدك فامر له باربعمائة الف . هو معاوية ابن أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكنيته أبو عبد الرحمن وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . ويقال ابن ثمانين سنة كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوما . صاحب شرطته يزيد بن الحرث العبسي وعلى حرسه وهو أول من اتخذ حرسا رجل من الموالي يقال له المختار . وحاجبه سعد مولاه وعلى القضاء أبو ادريس الخولاني . وولده عبد الرحمن وعبد الله من فاختة ابنة قرظة . أما عبد الرحمن فمات صغيرا . وأما عبد الله فمات كبيرا وكان ضعيفا ولا عقب له من الذكور . وكان له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبد الملك وفيها يقول الشاعر :

يا بيت عاتكة التي اتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

ويزيد بن معاوية وامه ابنة بحدل كلبية

٢١ — فضائل معاوية — ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا آدم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينام الا على الرضا ويتناول ما فوقه من تحته . سئل عبد الله بن عباس : عن معاوية فقال سما بشيء أسره واستظهر عليه بشيء أعلنه فحاول ما أسر بما أعلن فناله وكان حلمه قاهر الغضبه وجوده غالبا على منعه يصل ولا يقطع

ويجمع ولا يفرق فاستقام له أمره وجرى الى أمده . قيل : فاخبرنا عن ابنه . قال كان فى خير سبيله وكان ابوه قد أحكمه وأمره ونهاه فتعلق بذلك وسلك طريقا مذللا له . وقال معاوية : لم يكن فى الشباب شيء الا كان منى فيه مستمتع غير اني لم أكن صرعة ولا نكحة ولا سبا . قال الاصمعى : السب كثير السباب . ميمون بن مهران قال . كان أول من جلس بين الخطبتين معاوية . واول من وضع شرف العطاء الفين معاوية . وقال معاوية : لا زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن . العتبي عن أبيه قال : قال معاوية لقريش ألا أخبركم عني وعنكم قالوا بلى قال فانا أطير اذا وقعتم واقع اذا طرتم ولو وافق طيراني طيرانكم سقطنا جميعا . وقال معاوية : لو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا قيل له : وكيف ذلك . قال : كنت اذا مدوها أرخيتها واذا ارخوها مددتها . وقال زياد . ماغلبنى أمير المؤمنين معاوية قط الا فى أمر واحد طلبت رجلا من عمالى كسر على الخراج فلجا اليه فكتبت اليه ان هذا فساد عملى وعملك . فكتب الى انه لا ينبغي لنا ان نسوس الناس سياسة واحدة لا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك : ولكن تكون انت للشدة والفظاظة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة

٢٢ — أخبار معاوية — قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة : فدخل دار عثمان ابن عفان فصاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها : فقال معاوية يا أبنة أخي ان الناس اعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا ذلا تحته حقد ومع كل انسان سيفه ويري موضع أصحابه فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى اعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض الناس . القحذمي قال : لما قدم معاوية المدينة قال أيها الناس ان ابا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده . وأما عمر فارادته الدنيا ولم يردها . وأما عثمان فنال منها ونالت منه . واما انا فمالت بي وملت بها . وأنا ابنها فهى أمي فان لم تجدونى خيركم فانا خير لكم . ثم نزل . قال جويرية بن أسماء : نال بشر بن ارطاة من علي بن أبي طالب عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس فعلا بشرا ضربا حتي شجه فقال معاوية : يا زيد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بشر . وقال تشتم عليا وهو جده وأبوه الفاروق على رؤس الناس أفكنت تراه يصبر على

شتم علي . وكانت أم زيد ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ولما قدم معاوية مكة :
وكان عمر قد استعمله عليها دخل علي أمه هند . فقالت له يا بني انه قلما ولدت حرة مثلك .
وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه احببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه ابي
سفيان فقال له يا بني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتاخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا
تاخيرنا فصرنا اتباعا وصاروا قادة . وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن رأيهم
فانك تجرى الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من
اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ . العتبي : عن ابيه ان عمر بن الخطاب : قدم الشام
على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار . فتلقاهما معاوية في موكب نبيل فجاوز عمر
حتي اخبر فرجع اليه . فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا
فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل . فاقبل عليه عمر فقال يا معاوية أنت صاحب
الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك . قال نعم يا أمير
المؤمنين . قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلا بد لهم مما
يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك قمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت . قال
لئن كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب ولئن كان باطلا فانها خدعة اديب ولا آمرك به
ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردته فيه .
قال لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه . وقال معاوية لابن الكواء :
يا ابن الكواء انشدك الله ما علمك فى قال انشدتنى الله ما أعلمك الا واسع الدنيا ضيق
الآخرة . ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة وأراد ان يلعن عليا
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه
يرضى بهذا فابعث اليه وخذ رأيه فارسل اليه وذكر له ذلك . فقال ان فعلت
لاخرجن من المسجد . ثم لا أعود اليه فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد . فلما مات
لعنه على المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم الى معاوية انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون على بن أبي
طالب ومن أحبه وأنا اشهد أن الله احبه ورسوله فلم يلتفت الى كلامها وقال بعض العلماء لولده :
يا بني ان الدنيا لم تبن شيا الا هدمه الدين وان الدين لم يبن شيا فهدمته الدنيا الا ترى ان قوما لعنوا
عليا ليخفضوا منه فكانما أخذوا بناصيته جرا الى السماء . ودخل صعصعة بن صوحان

على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره . فقال وسع له على ترابية فيه . فقال صعصعة انى والله لترابى منه خلقت واليه أعود ومنه أبعث وانك لمارج من مارج من نار . العتبي عن أبيه قال : قال معاوية يوما لعمرو بن العاص ما أعجب الاشياء قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه قال معاوية أعجب من ذلك أن يعطي من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة . وقال معاوية : أعنت على على بأربعة كنت أكتم سرى وكان رجلا يظهره وكنت في أصلح جند وأطوعه وكان في أخبث جند وأعصاه وتركته واصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اغتربها في دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الىّ ومفرق عنه . العتبي قال : أراد معاوية أن يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد فابى معاوية الا أن يفعل . فكتب اليه يزيد يقول :

تجنىّ لا يزال يعد ذنبا * لتقطع وصل حبلك من حبالى
فيوشك أن يريحك من اذائى * نزولى فى المهالك وارتحالى

وتجهز للخروج فلم يتخلف عنه احد حتي كان فيمن خرج أبو أيوب الانصارى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . قال العتبي : وحدثنى أبو ابراهيم قال أرسل معاوية الى ابن عباس قال يا أبا العباس ان أحببت أن تخرج مع ابن أخيك فيانس بك ويقربك وتشير عليه برأيك ولا يدخل الناس بينك وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه . وأقل من ذكر حقك فانه ان كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حبا وان لم يكن لك فلا حاجة بك الى ذكره مع انه صائر اليك وكل آت قريب . ولتجدنا اذا كان ذلك خير الكم منا . فقال ابن عباس والله لئن عظمت عليك النعمة فى نفسك لقد عظمت عليك فى يزيد . وأما ما سألتني عن الكف عن ذكر حقى فانى لم أغمد سيفى وأنا أريد أن انتصر بلسانى ولئن صار هذا الامر الينا ثم وليكم من قومي مثل ما وليناه من قومك مثلك لا يرى أهلك الا ما يحبون . قال فخرج يزيد . فلما صار على الخليج ثقل أبو أيوب الانصارى فاتاه يزيد عائدا . فقال ما حاجتك أبا أيوب . فقال أما دنياكم فلا حاجة لى فيها ولكن قدمنى ما استطعت فى بلاد العدو . فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن عند سور القسطنطينية رجل صالح أرجو أن أكون هو . فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل على سريره . ثم اخرج الكتائب فجعل قيصر يرى سريرا يحمل والناس يقتتلون فارسل الى يزيد ما هذا الذى أرى . قال صاحب نبينا وقد سألنا أن نقدمه فى بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فارسل اليه

العجب كل العجب كيف يدهي الناس أباك وهو يرسلك فتعمد الى صاحب نبيك فتدفنه في بلادنا فاذا وليت أخرجناه الى الكلاب . فقال يزيد : اني والله ما أردت ان أودعه بلادكم حتى أودع كلامي آذا نكم فاني كافر بالذي اكرهت هذا له لئن بلغني انه نبش من قبره أومثل به لا تركت بارض العرب نصرانيا الا قتلته ولا كنيسة الا هدمتها . فبعث اليه قيصر أبوك كان أعلم بك فوحق المسيح لا حفظنه بيدي سنة : فلقد بلغني انه بني على قبره قبة يسرج فيها الى اليوم

٢٣ — طلب معاوية البيعة ليزيد — أبو الحسن المدائني: قال لما مات زياد وذلك سنة ثلاث وخمسين اظهر معاوية عهداً مفتعلا . فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد . فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطي الاقارب ويداني الاباعد حتى استوثق له من أكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : ماترى في بيعة يزيد . قال يا أمير المؤمنين اني أناديك ولا أناجيك ان أخاك من صدقك . فانظر قبل أن تتقدم وتفكر قبل أن تندم . فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال ثعلب رواغ تعلمت الشجاعة عند الكبر في دون ماتشجعت به على ابن أخيك مايكفيك . ثم التفت الى الاحنف فقال . ماترى في بيعة يزيد . قال نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا . فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الامصار أن يفدوا عليه فوفد عليه من كل مصر قوم وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال له ماترى في بيعة يزيد . فقال يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الارض أحد هو أحب الى رشداً من نفسك سوى نفسي وان يزيد أصبح غنياً في المال وواسطاً في الحسب وان الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد . فاخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وذلك في يوم شات . ثم قال يا محمد انك امرؤ ناصح قلت برأيك ولم يكن عليك الا ذاك . قال معاوية : انه لم يبق الا ابني وأبناؤهم فابني أحب الى من أبنائهم أخرج عني . ثم جلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدم الى أصحابه أن يقولوا في يزيد : فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين انه لا بد للناس من وال بعدك والانفس يغدى عليها ويراح وان الله قال . « كل يوم هو في شان » ولا ندري مايختلف به العصران . ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن معدنه وقصد سيرته من أفضلنا حلما وأحكمنا علما فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك فانا قد بلونا الجماعة والالفة . فوجدناه احقن

للدماء وآمن للسبل وخير في العاقبة والآجلة . ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ان يزيد أمل تاملونه وأجل تامنونه طويل الباع رحب الذراع اذا صرتم الى عدله وسعكم وان طلبتم رفده أغناكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد وقورع فقرع خلفا من أمير المؤمنين ولا خلف منه فقال : اجلس أبا أمية فلقد أوسعت واحسنت . ثم قام يزيد بن المقفع فقال : أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية فان هلك فهذا . وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه . فقال معاوية اجلس فانك سيد الخطباء ثم تكلم الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين انت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه . فان كنت تعلمه لله رضا ولهذه الامة فلا تشاور الناس فيه . وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة . قال فتفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف . قال ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية . فقال رجل وقد دعى الى البيعة اللهم اني أعوذ بك من شر معاوية فقال له معاوية تعوذ من شر نفسك فانه أشد عليك وبايع . قال اني أبايع وانا كاره للبيعة . فقال له معاوية بايع أيها الرجل فان الله يقول « فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ثم كتب الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع أهل المدينة الى بيعة يزيد . فان أهل الشام والعراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضهم على الطاعة وحذرهم الفتنة ودعاهم الى بيعة يزيد . وقال سنة أبي بكر الهادية المهدية . فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر كذبت ان أبا بكر ترك الاهل والعشيرة وبايع لرجل من بني عدي رضى دينه وامانته واختاره لامة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان : أيها الناس ان هذا المتكلم هو الذي انزل الله فيه « والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني ان أخرج وقد خلت القرون من قبلي » فقال له عبد الرحمن : يا ابن الزرقاء أفينا تتاول القرآن . وتكلم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير . وعبد الله بن عمر وانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان الى معاوية بذلك . فخرج معاوية الى المدينة في الف . فلما قرب منها تلقاه الناس . فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين قربوا دابة لابي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر مرحبا بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لابن عمر مرحبا بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزبير مرحبا بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته . ودعا لهم بدواب فحملهم عليها وخرج حتى أتى مكة فقضى حجه . ولما أراد الشخوص امر باثقاله فقدمت وامر بالمنبر فقرب من الكعبة وأرسل الى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه فقال

على أن لا تخالفوني . قالوا لك ذلك ثم أتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم وصلتي أرحامكم . ويزيد أخوكم وابن عمكم . وانما أردت ان أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تامرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير . فقال : نخبرك بعد احدي ثلاث أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار ان شئت فاصنع فينا ماصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ولم يستخلف فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم . وان شئت فاصنع أبو بكر عهد الى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الادنين من كان لها أهلا . وان شئت فما صنع عمر صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا . قال معاوية : هل غير هذا قال لا . ثم قال للآخرين ماعندكم : قالوا نحن على ما قال ابن الزبير . فقال معاوية اني أتقدم اليكم وقد أعذر من أنذراني قائل مقالة فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمته حتى يضرب رأسه فلا ينظر امرؤ منكم الا الى نفسه ولا يبقي الا عليها . وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما فان تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتى رقي المنبر وحف به أهل الشام . واجتمع الناس . فقال : بعد حمد الله والثناء عليه انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار . قالوا ان حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد . وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم أمرا دونهم . ولا نقضي امرا الا عن مشورتهم . واني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين فبايعوا وسلموا وأطاعوا . فقال : أهل الشام وما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب أعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال : معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ودعا الناس الى البيعة فبايعوا . ثم قربت رواحله فركب ومضى . فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لا نبايع فلما دعيتم وأرضيتم بايعتم قالوا لم نفعل قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم . أفلا أنكرتم . قالوا : خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم

٢٤ — وفاة معاوية — عن الهيثم بن عدي قال : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المري فقال أبلغا عني يزيد وقولا له انظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده . وانظر أهل العراق فان سالوك عزل عامل في كل يوم فاعزله فان عزل

عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف لا تدرى على من تكون الدائرة . ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم . ثم اردد أهل الشام الى بلدهم ولا يقيموا فى غيره فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك الا ثلاثة الحسين ابن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر . فاما الحسين بن على فارجو أن يكفيكه الله فانه قتل أباه وخذل أخاه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه إربا إربا . وأما ابن عمر فانه رجل قد قرقره الورع فخل بينه و بين آخرته يخل بينك و بين دنياك . ثم أخرج الى يزيد بريدا بكتاب يستقدمه و يستحثه فخرج مسرعا فتلقاه يزيد فاخبره بموت معاوية . فقال يزيد :

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم * قالوا الخليفة أمسى مثبتا وجعا
فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا الى خوص مذممة * نرمى العجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالى اذا بلغن أرحلنا * ما مات منهن بالموماة أوظلعا
أودي ابن هند وأودى المجد يتبعه * كذاك كنا جميعا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أخلاقهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهي ولو جهدوا * ان يرقعوه ولا يوهون مارقعا

قال محمد بن عبد الحكم : قال الشافعى سرق هذين البيتين من الاعشى . ابن داب قال : لما هلك معاوية خرج الضحاك بن قيس الفهرى و على عاتقه ثياب حتي وقف الى جانب المنبر . ثم قال : أيها الناس ان معاوية كان إلف العرب و ملكها اطفا الله به الفتنة وأحيا به السنة وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه و بين ربه . فمن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره وصلي عليه الضحاك بن قيس الفهرى . ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم احد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن هلال السلولى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك حاباكا
لا رزء اعظم فى الاقوام قد علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعى اهل الارض كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام . ثم دخل يزيد فاقام ثلاثة أيام لا يخرج للناس . ثم خرج و عليه أثر الحزن فصعد المنبر واقبل الضحاك فجلس الى جانب المنبر وخاف عليه الحصر . فقال له يزيد : ياضحاك

اجئت تعلم بنى عبد شمس الكلام . ثم قام خطيبا فقال . الحمد لله الذي ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان معاوية بن أبي سفيان كان حبلا من حبال الله مده ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه فكان دون من قبله وخيرا ممن ياتى بعده ولا أزكيه وقد صار الى ربه فان يعف عنه فبرحمته وان يعذبه فبذنبه وقد وليت بعده الامر واست اعتذر من جهل ولا أنى عن طلب وعلى رسلكم اذا كره الله شيئا غيره واذا أراد شيئا يسره

٢٥ — خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته — هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون ابنة بحدل بن قياسة احد بني حارثة بن خباب . وكنيته أبو خالد . وكان آدم جعدا مهضوما أحور العين بوجهه آثار جدرى حسن اللحية خفيفها . ولى الخلافة فى رجب سنة ستين ومات فى النصف من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ودفن بحوارين خارجا من المدينة وكانت ولايته أربع سنين وأياما وكان على شرطته حميد بن حريث بن بحدل . وكاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور . وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . وعلى الخراج مسلمة بن حديدة الازدي . أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان أمهم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة . وعبد الله وعمرو أمهما أم كلثوم ابنة عبد الله ابن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا وولده خالد عالما لم يكن فى بنى أمية ازهد من هذا ولا أعلم من هذا . الاصمعى عن أبي عمرو قال : اعرق الناس فى الخلافة عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أبوها خليفة وجدها معاوية خليفة واخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة وارباؤها الوليد وسليمان وهشام خلفاء

٢٦ — مقتل الحسين بن على — على بن عبد العزيز قال : قرأ على أبو القاسم عبد الله بن سلام وأنا أسمع فسألته نروى عنك كما قرئ عليك قال نعم . قال أبو عبيد : لما مات معاوية بن سفيان وجاءت وفاته الى المدينة وعليها يومئذ الوليد بن عتبة فارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فدعاهما الى البيعة ليزيد . فقالا بالغداة ان شاء الله على رؤس الناس وخرجا من عنده فدعا الحسين برواحله فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الاكبر. وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العرج حتى قدم مكة . ومر حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئر له فنزل عليه . فقال للحسين يا أبا عبد الله لا سقانا الله بعدك ماء طيبا أين تريد . قال العراق قال

سبحان الله . قال : مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف . قال لا نفعل أبا عبد الله فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك فكيف يحفظونك . ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك الا استحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة فاقام بها هو وابن الزبير . قال فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم وعزل الوليد بن عتبة . فلما استوى على المنبر رعف . فقال اعرابي مه جاءنا والله بالدم . قال : فتلقاه رجل بعمامته فقال مه عم الناس والله . ثم قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان . فقال تشعب الناس والله . ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم ووفدت الناس للحسين يقولون يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانزلتهم بدارك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عمرو بن سعيد فكبر . فقيل للحسين اخرج أبا عبد الله اذ أبيت أن تتقدم . فقال الصلاة في الجماعة افضل . قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه ان حسيناً قد خرج . فقال اطلبوه اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فعجب الناس من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه وأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليردا حسيناً فابى حسين ان يرجع . وخرج ابنى عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وأرسل الى ابن الزبير ليأتيه فابى ان يأتيه وامتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فارسل عمرو بن سعيد لهم جيشاً من المدينة وأمر عليهم عمرو بن الزبير اخا عبد الله بن الزبير وضرب على أهل الديوان البعث الى أهل مكة وهم كارهون للخروج . فقال اما ان تأتوني ببدلاء واما ان تخرجوا . قال فبعثهم الى مكة فقاتلوا ابن الزبير فانهزم عمرو بن الزبير وأسره أخوه عبد الله فحبسه في السجن . وقد كان بعث الحسين بن على مسلم بن عقيل بن أبي طالب الى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم . وكان على الكوفة حين مات معاوية فقال يا أهل الكوفة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بنت بحدل . قال فبلغ ذلك يزيد فقال يا أهل الشام أشيروا على من استعمل على الكوفة . فقالوا : نرضى من رضى به معاوية قال نعم قيل له فان الصك بامارة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدمها قبل ان يقدم حسين . وبايع مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفاً من أهل الكوفة وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسل منهم ناس حتى بقى في شرذمة قليلة . قال فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هانىء بن عروة المرادى وكان له شرف ورأى فقال له هانىء ان لى من ابن زياد مكاناً واني سوف

أتمارض . فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه . قال فبلغ ابن زياد ان هانيء بن عروة مريض يقيء الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيؤها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانيء اذا قلت لكم اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه يقولها لمسلم بن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس . قال هانيء اسقوني فتثبطوا عليه . فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه نفسي . قال فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئا قال وكان أشجع الناس ولكن أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ماأراده ابن هانيء فارسل اليه فقال اني شاك لا أستطيع . فقال ائتوني به وان كان شاكيا فاسرجت له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا . ثم يقف ويقول ماأذهب الى ابن زياد حتى دخل على ابن زياد . فقال له ياهانيء اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلي قال ويدي قال بلي . فقال له هانيء قد كانت لك عندي ولابيك وقد أمنتك في نفسك ومالك . قال اخرج فخرج فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتي كسرها ثم قدمه فضرب عنقه . وارسل الى مسلم بن عقيل فخرج اليهم بسيفه . فمازال يقاتلهم حتى اثخنوه بالجراح فاسروه وأتى به ابن زياد فقدمه ليضرب عنقه . فقال له دعني حتى أوصي . فقال أوص فنظر في وجوه الناس . فقال لعمرو بن سعيد ماأرى قرشيا هنا غيرك فادن مني حتي أكلمك فدنا منه . فقال له هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش ان حسينا ومن معه وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب لهم ماأصابني . ثم ضرب عنقه فقال عمرو لابن زياد أتدري ماقال لي قال اكتم على ابن عمك . قال هو اعظم من ذلك قال وما هو قال قال لي ان حسينا اقبل وهم تسعون انسانا مابين رجل وامرأة فارددهم واكتب اليه بما أصابني . فقال له ابن زياد أما والله اذ دللت عليه لايقاتله أحد غيرك . قال فبعث معه جيشا وقد جاء حسينا الخبر وهم بشراف فهم بان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل . فقالوا ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به . فقال الحسين لبعض أصحابه والله مالي على هؤلاء من صبر قال فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء . فقال حسين أي أرض هذه قالوا كربلاء . قال أرض كرب وبلاء واحاطت بهم الخيل . فقال الحسين لعمرو بن سعيد : ياعمرو اختر مني احدى ثلاث خصال اماأن تتركني أرجع كما جئت . واماأن تسيرني الى يزيد فاضع يدي في يده . واما ان تسيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد . فقال له شمر بن ذي الجوشن امكنك الله من عدوك فتسيره

لا الا ان ينزل فى حكمك فارسل اليه بذلك فقال الحسين أنا نزل على حكم ابن مرجانة والله لا افعل ذلك أبدا . قال وأبطأ عمرو عن قتاله فارسل ابن زياد الى شمر بن ذى الجوشن . وقال له ان تقدم عمرو وقاتل والا فاتركه وكن مكانه . قال وكان مع عمرو بن سعيد ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيا فتحولوا مع الحسين فقاتلوا ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن على وكان من أجمل الناس فقال لاقتلن هذا الفتى . فقال له رجل ويحك ماتصنع به دعه فابي وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله فلما أصابته الضربة . قال يا عماه قال : لبيك صوتا قل ناصره وكثر واتره وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا . على بن عبد العزيز : قال حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسين . قال لما نزل عمرو بن سعيد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : قد نزل بى ماترون من الامر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واشمازت فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الاخنس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا ينهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله فاني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ذلا وندما . وقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين بالطف من شاطىء الفرات بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليال من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنان بن أبى أنس . وأجهز عليه خولة بن يزيد الاصبحى من حمير . وحز رأسه وأتي به عبيد الله بن زياد وهو يقول

أوقر ركابى فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا * خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله بن زياد اذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله فلم قتلته قدموه فاضربوا عنقه فضربت عنقه . روح بن زنباع عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الحرشي : قال انى لعند يزيد بن معاوية اذا اقبل زحر بن قيس الجعفى حتى وقف بين يدى يزيد . فقال : ماوراءك يا زحر فقال ابشرك يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين فى سبعة عشر رجلا من أهل بيته وستين رجل من شيعته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا او ينزلوا على حكم الامير أو القتال فابوا الا القتال . فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف ماخذها من هام الرجال . فجعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر

فلم يكن الا نحر جزور او نوم نائم حتى أتينا على آخرهم. فهاتيك أجسامهم مجزرة وهامهم مزملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح بقاع سبسب زوارهم العقبان والرخم . قال فدمعت عينا يزيد . وقال : لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو كنت صاحبه لتركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له . على ابن عبد العزيز عن محمد بن الضحاك بن عثمان الخزاعى عن أبيه . قال : خرج الحسين الى الكوفة ساخطا لولاية يزيد بن معاوية فكتب يزيد الى عبيد الله بن زياد وهو واليه بالعراق انه قد بلغني ان حسينا سار الى الكوفة وقد ابتلى به زمانك بين الازمان وبلدك بين البلدان . وابتليت به من بين العمال وعنده تعتق أو تعود عبدا فقتله عبيد الله وبعث برأسه وثقله الى يزيد . فلما وضع الرأس بين يديه تمثل بقول حصين بن الحمام المزني :

تفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين . وكان فى السبي كتاب الله اولى بك من الشعر يقول الله : «ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته . ثم قال غير هذا من كتاب الله أولى بك وبابيك . قال الله : «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» ماترون يا أهل الشام فى هؤلاء . فقال له رجل منهم لا تتخذ من كلب سوء جروا . قال النعمان بن بشير الانصارى : انظر ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم لو رآهم فى هذه الحالة فاصنعه بهم . قال : صدقت خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج اليهم جوائز كثيرة . وقال لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ماقتلهم ثم ردهم الى المدينة . الرياشى قال أخبرني محمد بن أبي رجاء قال أخبرني أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن الحسين ابن على بن أبي طالب . قال : أتى بنا يزيد بن معاوية بعد ما قتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاما . وكان اكبرنا يومئذ على بن الحسين فادخلنا عليه . وكان كل واحد منا مغلولة يده الى عنقه . فقال لنا أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبي عبد الله ولا بقتله . أبو الحسن المدائنى عن اسحق عن اسمعيل عن سفيان عن أبي موسى عن الحسن البصرى . قال : قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الارض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبايا على أحقاب الابل . فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين يا يزيد أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا . قال بل حرائر كرام ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن مافعلت : قالت فاطمة : فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفيانية الا متلدمة تبكي . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه :

عيني ابكي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي * قد أصيبوا وخمسة لعقيل

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته فبكى فتركته فدنا منه . فاخذته فبكى فتركته فقال له جبريل أتحبه يا محمد . قال نعم قال : اما ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها فبسط جناحه فاراه منها فبكي النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن خالد قال قال ابراهيم النخعي : لوكنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن لهيعة عن أبي الاسود قال : لقيت رأس الجالوت فقال ان بيني وبين داود سبعين أباوان اليهود اذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا احفظي وانه ليس بينكم وبين نبيكم الا أب واحد وقتلتم ابنه . ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الا برصت . جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغير الاهم . علي بن عبد العزيز عن الزبير عن مصعب بن عبد الله قال : حج الحسين خمسة وعشرين حجة ملبيا ماشيا . وقيل لعلي ابن الحسين : ما كان أقل ولد ابيك قال : العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . يحيي بن اسمعيل عن سالم ان الشعبي . قال : قيل لابن عمر ان الحسين توجه الى العراق فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائبا عند خروجه . فقال أين تريد فقال اريد العراق واخرج اليه كتب القوم . ثم قال هذه بيعتهم وكتبهم فناشده الله ان يرجع فابى . فقال أحدثك بحديث ماحدثت به أحدا قبلك ان جبريل أتي النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانكم بضعة منه . فوالله لا يليها أحد من اهل بيته أبدا وماصرفها عنكم الا لما هو خير لكم فارجع فانت تعرف غدر اهل العراق وما كان يلقي ابوك منهم فابي فاعتنقه . وقال

أستودعتك الله من قتيل . وقال الفرزدق : خرجت أريد مكة فاذا بقباب مضروبة وفساطيط فقلت لمن هذه قالوا للحسين . فعدلت اليه فسلمت عليه . فقال من أين أقبلت قلت من العراق قال كيف تركت الناس قلت القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء .

٢٧ — تسمية من قتل مع الحسين بن على رضى الله عنهما — من أهل بيته ومن أسر منهم : قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن أبي معشر قال : قتل الحسين ابن علي وقتل معه عثمان بن على . وأبو بكر بن على . وجعفر بن علىّ . وعلى والعباس وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكلابية . وابراهيم بن على لام ولده . وعبد الله بن حسن . وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب . وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وثلاثة من بني هاشم فجميعهم سبعة عشر رجلا . وأسر اثنا عشر غلاما من بني هاشم فيهم محمد بن الحسين . وعلى بن الحسين . وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلبهم الله ملكهم . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : جنبني دماء أهل هذا البيت فاني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين

٢٨ — حديث الزهرى فى قتل الحسين رضى الله عنه — حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال حدثنا محمد بن موسي الحرشى قال حدثنا حماد بن عيسى الجهني عن عمر بن قيس . قال : سمعت ابن شهاب الزهري يحدث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم . قال حماد بن عيسى وحدثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقالا : قال الزهرى خرجت مع قتيبة أريد المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان واذا هو قاعد فى ايوان له واذا سماطان من الناس على باب الايوان . فاذا أراد حاجة قالها للذى يليه حتي تبلغ المسئلة باب الايوان ولا يمشي أحد بين السماطين . قال الزهرى فجئنا فقمنا على باب الايوان . فقال عبد الملك للذى عن يمينه هل بلغكم أى شىء اصبح فى بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن على . قال فسأل كل واحد منهما صاحبه حتي بلغت المسئلة الباب فلم يرد أحد فيها شيا . قال الزهرى فقلت : عندي فى هذا علم

قال فرجعت المسئلة رجلا عن رجل حتى انتهت الى عبد الملك . قال فدعيت فمشيت بين السماطين . فلما انتهيت الى عبد الملك سلمت عليه فقال لى : من انت قلت انا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . قال فعرفني بالنسب وكان عبد الملك طلابة للحديث . فقال ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب . وفى رواية على بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله عن أبي معشر عن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن العاص عن الزهرى . انه قال : الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين ابن على . قال الزهري نعم فقلت حدثني فلان لم يسمه لنا انه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل على بن أبي طالب والحسين بن على حجر في بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط . قال عبد الملك صدقت حدثني الذى حدثك وإنى وإياك في هذا الحديث لغريبان . ثم قال لى ماجاء بك قلت مرابطا . قال الزم الباب فقمت عنده فاعطانى مالا كثيرا قال فاستأذنته في الخروج الى المدينة فاذن لى ومعي غلام لى ومعي مال كثير فى عيبة . ففقدت العيبة فاتهمت الغلام فوعدته وتواعدته فلم يقر لى بشيء . قال فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرفقى على صدره وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتله . فمات تحتي وسقط فى يدي وقدمت المدينة فسالت سعيد بن المسيب وابا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . فكلهم قال . لا نعلم لك توبة فبلغ ذلك على بن الحسين . فقال علي به فاتيته فقصصت عليه القصة . فقال ان لذنبك توبة صم شهرين متتابعين واعتق رقبة مؤمنة واطعم ستين مسكينا ففعلت ثم خرجت أريد عبد الملك وقد بلغه أني أتلفت المال . فاقمت ببابه أياما لا يؤذن لى بالدخول فجلست الى معلم لولده . وقد حذق ابن لعبد الملك عنده وهو يعلمه ما يتكلم به بين يدى أمير المؤمنين اذا دخل عليه . فقلت لمؤدبه . كم تامل من أمير المؤمنين ان يصلك به فلك عندى ذلك على ان تكلم الصبي اذا دخل على أمير المؤمنين . فقال له سل حاجتك يقول له حاجتي ان ترضي عن الزهرى . ففعل فضحك عبد الملك وقال أين هو قال بالباب . فاذن لى فدخلت حتي اذا صرت بين يديه . قلت يا أمير المؤمنين حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

٢٩ — وقعة الحرة — أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد . فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فاذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته

فلما كان سنة ثلاث وستين قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملا عليها ليزيد ابن معاوية . وأوفد على يزيد وفدا من رجال المدينة فيهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة معه ثمانية بنين له فاعطاه مائة الف . وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم فلما قدم عبدالله بن حنظلة المدينة أتاه الناس . فقالوا : ماوراءك قال اتيتكم من عند رجل والله لولم أجد الا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا فانه قد بلغنا انه أكرمك وأجازك وأعطاك قال قد فعل وماقبلت ذلك منه الا ان اتقوى به عليه أي على قتال يزيد . وحض الناس على يزيد فاجابوه . فكتب عثمان بن محمد الى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف فكتب اليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد « فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » واني قد لبستكم فاخلقتكم ورفعتكم على رأسي . ثم على عيني . ثم على فمي . ثم على بطني . والله ائن وضعتكم تحت قدمي لاطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأتركم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حمي القوم فقدمت الانصار عبدالله بن حنظلة على انفسهم وقدمت قريش عبدالله بن مطيع ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة . ومروان بن الحكم وكل من كان بها من بني أمية . وكان عبد الله بن عباس بالطائف فسال عنهم فقيل له استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة على الانصار فقال أميران هلك القوم . ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقبة فضربت له خارجا عن قصره وقطع البعوث علي أهل الشام فلم تمض ثالثة حتي توافت الحشود فقدم عليهم مسلم بن عقبة المرى فتوجه اليهم وقد عمد أهل المدينة فاخرجوا الى كل ماء لهم بينهم و بين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه . فارسل الله عليهم المطر فلم يستقوا شيئاً حتي وردوا المدينة قال أبو اليقظان وغيره : ان يزيد بن معاوية ولى مسلم ابن عقبة وهو قد اشتكى . فقال له ان حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير فخرج حتى قدم المدينة فخرج اليه أهلها فى عدة وهيئة وجموع كثيرة لم ير مثلها . فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فامر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفين وهو عليه مريض وأمر مناديا ينادى قاتلوا عن أميركم أودعوه . فجد الناس فى القتال فسمعوا التكبير من خلفهم فى جوف المدينة فاذا قد اقتحم عليهم بنو حارثة أهل الشام وهم الجدر . فانهزم الناس وعبدالله بن حنظلة متساند الى بعض بنيه يغط نوما . فلما

فتح عينيه فرأى ماصنعوا امرأ كبر بنيه فتقدم حتى قتل . فلم يزل يقدم واحدا واحدا حتى أتي على آخرهم . ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل : ودخل مسلم بن عقبة المدينة : وتغلب على أهلها ثم دعاهم الى البيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم واهليهم فبايعوا حتى أتي بعبد الله بن زمعة . فقال له بايع على انك خول لامير المؤمنين يحكم في مالك ودمك واهلك قال : لا أبايع الا على اني ابن عم امير المؤمنين يحكم في دمي ومالي واهلي : فقال مسلم بن عقبة اضربوا عنقه .. فوثب مروان بن الحكم فضمه اليه. وقال نبايعك علي ما أحببت فقال لا والله لا أقبلها اياه ابدا ان تنحي والا فاقتلوهما جميعا . فتركه مروان وضرب عنقه وهرب عبد الله بن مطيع حتي لحق بمكة . فكان بها حتي قتل مع عبد الله بن الزبير في ايام عبد الملك بن مروان وجعل يقاتل اهل الشام وهو يقول :

انا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر الامره
فاليوم اجزي كرة بفره * لا باس بالكرة بعد الفره

ابو عقيل الزرقي قال : سمعت أبا نضرة يحدث . قال دخل ابو سعيد الخدرى يوم الحرة فى غار فدخل عليه رجل من أهل الشام وفى عنق أبي سعيد السيف . فوضع أبو سعيد السيف وقال بؤ باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال ابو سعيد الخدرى انت قال نعم قال فاستغفر لى . قال غفر الله لك . وأمر مسلم بن عقبة بقتل معقل بن سنان الاشجعي صبرا . ومحمد بن أبى حذيفة صبرا . ومحمد بن الجهم صبرا . وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل وستة رجال . ومن الموالى وغيرهم أضعاف هؤلاء . وبعث مسلم بن عقبة برؤس اهل المدينة الى يزيد . فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم احد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحا * ولقالوا ليزيد لا فشل

فقال له رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين قال بلى نستغفر الله قال والله لا ساكنتك أرضا أبدا وخرج عنه . ولما انقضي أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من اهل الشام الى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل. فلما كان بالابواء حضره أجله فدعا حصين بن نمير فقال له اني أرسلت اليك فلا أدرى اقدمك على هذا الجيش أم اقدمك فاضرب عنقك. قال اصلحك الله انا سهمك فارم بي حيث شئت. قال انك اعرابي جلف جافه

وان هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من اذنه الاغلبوه على رأيه . فسر بهذا الجيش فاذا لقيت القوم فاياك أن تمكنهم اذنك . لا يكن الا على الوقاف . ثم الثقاف ثم الانصراف . ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصراً لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله . وذلك خمسون يوما ونصب المجانيق على الكعبة وحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين

٣٠ — وفاة يزيد بن معاوية — مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص . وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الاول . وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبي . ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما

٣١ — خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية — واستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وهو ابن احدى وعشرين سنة . ومات بعد أبيه باربعين يوما ولم يزل مريضا طول ولايته لا يخرج من بيته . فلما حضرته الوفاة قيل له لو عهدت الى رجل من أهل بيتك واستخلفت خليفة . قال لم أنتفع بها حيا فلا أقلدها ميتا لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها . ولكن اذا مت فليصل عليّ الوليد بن عقبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم . فلما مات صلى عليه الوليد بن عقبة وصلى بالناس الضحاك بن قيس بدمشق حتى قامت دولة بني مروان

٣٢ — فتنة ابن الزبير — قال عليّ بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر . قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة وابن الزبير بها فدعاهم الى الطاعة فلم يجيبوه فقاتلهم وقاتله ابن الزبير فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من اخوته . ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . والمسور بن مخرمة . وكان حصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقعان . فلم يكن احد يقدر ان يطوف بالبيت فاسند ابن الزبير ألواحا من ساج على البيت وألقى عليها الفرش والقطايف فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطايف كبروا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية فكلما جرح رجل من أصحابه ادخله ذلك الفسطاط . فجاء رجل من أهل الشام بنار في طرفه

سنانه فاشعلها فى الفسطاط وكان يوما شديدا الحر فتمزق الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاخترق الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض .
قال ثم اقتتلوا مع أهل الشام أياما بعد حريق الكعبة . قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . فجلس أهل مكة فى جانب الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل والحجارة فوقعت نبلة بين يدى ابن الزبير . فقال فى هذه خبر فاخذها فوجد فيها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لاربع عشرة خلت من ربيع الاول . فلما قرأ ذلك قال يا أهل الشام يا أعداء الله ومحرقى بيت الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم . فقال حصين بن نمير موعدك البطحاء الليلة أبا بكر . فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج حصين باصحابه الى البطحاء ثم ترك كل واحد منهما أصحابه وانفردا فنزلا . فقال حصين يا أبا بكر أنا سيد أهل الشام لا أدافع وأرى أهل الحجاز قد رضوا بك فتعال أبايعك الساعة ويهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معي الى الشام فانى لا أحب ان يكون الملك بالحجاز . فقال لا والله لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وانتهك حرمته . قال بلى فافعل علي ان لا يختلف عليك اثنان فابي ابن الزبير . فقال له حصين لعنك الله ولعن من زعم أنك سيد والله لا تفلح أبدا اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . أبو عبيد عن الحجاج عن أبى معشر . قال : حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير . قال غلب حصين بن نمير على مكة كلها الا الحجر . قال فوالله اني لجالس عنده ومعه نفر من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير أذهبت رويحة . فقال المختار والله اني لارى فى هذه الرويحة النصر فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتي أخرجوهم من مكة . وقتل المختار رجلا . وقتل ابن مطيع رجلا . ثم جاءنا علي أثر ذلك موت يزيد بعد حريق الكعبة باحدي عشرة ليلة . وانصرف حصين بن نمير واصحابه الى الشام . فوجدوا معاوية بن يزيد قد مات ولم يستخلف . وقال لا أتحملها حيا وميتا فلما مات معاوية ابن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن . وبايع أهل مصر ايضا ابن الزبير واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهرى على اهل الشام . فلما رأي ذلك رجال بني أمية وناس من أشراف اهل الشام ووجوههم . منهم روح بن زنباع وغيره قال بعضهم لبعض ان الملك كان فينا اهل الشام فانتقل عنا الى الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تاخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الامر . فقال استخيروا الله قال فرأي القوم انه غلام حدث السن

فخرجوا من عنده وقالوا هذا احدث فاتوا عمرو بن سعيد بن العاص . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حديثا . فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حريصا على هذا الامر . فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديث . فاتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته بالقرآن فاستاذنوا ودخلوا عليه . فقالوا : يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر . فقال استخيروا والله واسالوه أن يختار لامة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع : ان معى أربعمائة من جذام فانا آمرهم ان يتقدموا فى المسجد غدا ومر انت ابنك عبد العزيز ان يخطب الناس ويدعوهم اليه . فاذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت . فيظن الناس ان أمرهم واحد . فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال ما احد أولى بهذا الامر من مروان كبير قريش وسيدها والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر . فقال الجذاميون . صدقت صدقت . فقال خالد بن يزيد أمر دبر بليل فبايعوا مروان بن الحكم ثم كان من أمره مع الضحاك بن قيس بمرج راهط ماسياتى ذكره بعد هذا فى دولة بنى مروان

٣٣ — دولة بني مروان ووقعة مرج راهط — أبو الحسن قال لما مات معاوية ابن يزيد اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من امراء الاجناد النعمان بن بشير الانصارى . وكان على حمص فدعا لابن الزبير فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابي وهو بقنسرين فدعا الى ابن الزبير أيضا بدمشق سرا ولم يظهر ذلك لمن بها من بنى أمية وكلب و بلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وهو بفلسطين . فقال لروح بن زنباع : انى أري امراء الاجناد يبايعون لابن الزبير . وابناء قيس بالاردن كثير وهم قومي فانا خارج اليها وأقم أنت بفلسطين فان جل اهلها قومك من لخم وجذام . فان خالفك احد فقاتله بهم فقام روح بفلسطين وخرج حسان الى الاردن . فقام ناتل بن قيس الجذامى . فدعا الى ابن الزبير واخرج روح بن زنباع من فلسطين ولحق بحسان بالاردن فقال حسان : يا اهل الاردن قد علمتم ان ابن الزبير فى شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلا من بني حرب فبايعوه . فقالوا : اختر لنا من شئت من بني حرب وجنبنا هذين الرجلين الغلامين عبد الله وخالدا ابنى يزيد بن معاوية فانا نكره ان يدعو الناس الى شيخ . ونحن ندعو الى صبي . وكان هوى حسان فى خالد بن يزيد

وكان ابن أخته فلما رموه بهذا الكلام أمسك . وكتب الى الضحاك بن قيس كتابا يعظم فيه بني أمية وبلاءهم عنده ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة . وقال لرسوله اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس . فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين . فصارت اليمانية مع بنى أمية والقيسية زبيرية . ثم اجتلدوا بالنعال ومشي بعضهم الى بعض بالسيوف حتي حجز بينهم خالد بن يزيد . ودخل الضحاك دار الامارة فلم يخرج ثلاثة أيام وقدم عبيد الله بن زياد فكان مع بني أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس الى المرج مرج راهط فعسكر فيه وأرسل الى أمراء الاجناد فاتوه الا ما كان من كلب . ودعا مروان الى نفسه فبايعته بنو أمية وكلب وغسان والسكاسك وطى . فعسكر فى خمسة آلاف . وأقبل عباد بن يزيد من حوران في الفين من مواليه وغيرهم من بنى كلب . فلحق بمروان وغلب يزيد بن ابى أنيس على دمشق فاخرج منها عامل الضحاك وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك الى أمراء الاجناد فقدم عليه زفر بن الحرث من قنسرين وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذى الكلاع فى أهل حمص . فتوافوا عند الضحاك بمرج راهط . فكان الضحاك فى ستين الفا ومروان فى ثلاثة عشر الفا أكثرهم رجالة . وأكثر أصحاب الضحاك ركبان فاقتتلوا بالمرج عشرين يوما وصبر الفريقان : وكان على ميمنة الضحاك زياد بن الضحاك العقيلى وعلى ميسرته بكر بن أبى بشير الهلالى . فقال عبيد الله بن زياد لمروان : انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه على الباطل وهم أكثر منا عدداً وعدداً ومع الضحاك فرسان قيس . واعلم انك لاتنال منهم ماتريد الا بمكيدة . وانما الحرب خدعة فادعهم الى الموادعة فاذا أمنوا وكفوا عن القتال فكر عليهم . فارسل مروان بشيراً الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ووضع الحرب حتي تنظر فاصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون ان يبايع مروان لابن الزبير . وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس الى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل . فنادي الناس أبا أنيس ، أعجز بعد كيس . وكنية الضحاك – ابو انيس – فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم فترجل مروان . وقال قبح الله من ولاهم اليوم ظهره حتى يكون الامر لاحدي الطائفتين . فقتل الضحاك بن قيس وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون فنظر رجل من بنى عقيل الى ماتلقي قيس عند راياتها من القتل . فقال اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه . فجعل يقطعها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم الناس

فنادى منادى مروان لا تتبعوا من ولاكم اليوم ظهره فزعموا أن رجالا من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلا وقتل من بني سليم ستمائة : وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز وشهد مع الضحاك يوم مرج راهط عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان . فلما انهزم الناس قال له عبيد الله بن زياد: ارتدف خلفي فارتدف فاراد عمرو بن سعيد ان يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد ألا تكف يا لطيم الشيطان . وقال زفر بن الحرث وقد قتل ابناه يوم المرج :

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متباينا
فلم يرمني زلة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
أنترك كلبا لم تنلها رماحنا * وتذهب قتلى راهط وهي ماهيا
وقد تنبت الخضرة في دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
فلا صلح حتى تدعس الخيل بالقنا * وتثأر من أبناء كلب نسائيا

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس . نادى مروان أن لا يتبع أحد . ثم أقبل الى دمشق فدخلها ونزل دار معاوية بن أبي سفيان دار الامارة . ثم جاءته بيعة الاجناد فقال له اصحابه : انا لا نتخوف عليك الا خالد بن يزيد فتزوج امه فانك تكسره بذلك . وأمه ابنة هاشم ابن عتبة بن ربيعة فتزوجها مروان . فلما أراد الخروج الى مصر قال لخالد أعرني سلاحا ان كان عندك فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا فافتدوا منه . ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد رد على سلاحي فابى عليه فالح عليه خالد . فقال له مروان وكان فحاشا : يا ابن رطبة الاست . قال فدخل الى أمه فبكى عندها وشكا اليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له : لا عليك فانه لا يعود اليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياما ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فامرت جوار بها فطرحن عليه الشواذك . ثم غطته حتى قتلته . ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن يا أمير المؤمنين . يا أمير المؤمنين . ثم قام عبد الملك بالامر بعده . فقال لفاختة أم خالد والله لولا أن يقول الناس اني قتلت بابي امرأة لقتلتك بامير المؤمنين . وولد مروان ابن الحكم بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك

ابن مروان . وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما . وكان على شرطته يحيي بن قيس الشيباني . وكاتبه سرحون بن منصور الرومي . وحاجبه أبو سهل الاسود مولاه

٣٤ — ولاية عبد الملك بن مروان — هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى أبا الوليد . و يقال له أبو الاملاك وذلك انه ولى الخلافة أربع من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكان تدمى لثته فيقع عليها الذباب فكان يلقب أبا الذباب . أمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول أبو قيس الرقيات :

أنت ابن عائشة التى * فضلت أروم نسائها
لم تلتفت للداتها * ومشت على غلوائها
ولدت أغر مباركا * كالشمس وسط سمائها

و بويع عبد الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين . ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين سنة . فصلى عليه الوليد ابن عبد الملك وولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث وعشرين . و يقال سنة ست وعشرين و يقال ولد لسبعة أشهر . وكان على شرطته ابن أبي كبشة السكسكي ثم أبو نائل بن رباح ابن عبيدة الغساني . ثم عبد الله بن يزيد الحكمى . وعلى حرسه الريان . وكاتبه على الخراج والجند سرحون بن منصور الرومي . وكاتبه على الرسائل ابو زرعة مولاه . وعلى الخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه ابو يوسف مولاه . وكانت ولايته منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . ودفن خارج باب المدينة . وفي ايام عبد الملك حولت الدواوين الى العربية عن الرومية والفارسية حولها من الرومية سليمان بن سعيد مولى حسين . وحولها عن الفارسية صالح ابن عبد الرحمن مولى عتبة امرأة من بني مرة . و يقال حولت في زمن الوليد ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية فرض للموالى خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين . ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين . ثم قام هشام فاتم للابناء منهم ثلاثين . وكتب عبد الله بن عمر الى عبد الملك ابن مروان ببيعته لما قتل ابن الزبير . وكان كتابه اليه يقول : لعبد الملك بن مروان من عبد الله ابن عمر . سلام عليك فاني أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه . وكتب محمد بن الحنفية ببيعته لما قتل ابن

الزبير وكان في كتابه : انى اعتزلت الامة عند اختلافها فقعدت في البلد الحرام الذى من دخله كان آمنا لاحرز ديني وأمنع دمي وتركت الناس « قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » . وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من امتنا لا نفارق الجماعة . وقد بعثت اليك منا رسولا ليأخذ لنا منك ميثاقا . ونحن أحق بذلك منك فان أبيت فارض الله واسعة والعاقبة للمتقين . فكتب اليه عبد الملك : قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصابة التي معك فلك عهد الله وميثاقه ان لا تهاج في سلطاننا غائبا ولا شاهدا ولا أحدا من أصحابك ما وفوا ببيعتهم . فان أحببت المقام بالحجاز فاقم فلن ندع صلتك وبرك وان أحببت المقام عندنا فاشخص الينا فلن ندع مواساتك . ولعمرى لئن ألجاتك الى الذهاب في الارض خائفا لقد ظلمناك وقطعنا رحمك فاخرج الى الحجاج فبايع فانك أنت المحمود عندنا دينا ورأيا وخير من ابن الزبير وأرضى واتقى . وكتب الى الحجاج بن يوسف : لا تعرض لمحمد ولا لاحد من أصحابه . وكان في كتابه جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب . وانى رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على . فلم يتعرض الحجاج لاحد من الطالبيين في أيامه أبو الحسن المدايني قال : كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . وخطب الناس عبد الملك فقال : أيها الناس انى والله ما أنا بالخليفة المستضعف — يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة المداهن — يريد معاوية بن أبي سفيان — ولا بالخليفة المأفون — يريد يزيد بن معاوية — فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ثم نزل : وخطب عبد الملك على المنبر فقال : ايها الناس ان الله حد حدودا وفرض فروضا فما زلتم تزدادون في الذنب نزداد في العقوبة حتى اجتمعنا نحن وانتم عند السيف . ابو الحسن المدايني قال : قدم عمر بن على ابن أبي طالب على عبد الملك . فسأله ان يصير اليه صدقة على فقال عبد الملك متمثلا بابيات ابن أبي الحقيق :

انى اذا مالت دواعي الهوي * وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهم * نقضى بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقا ولا * نرضي بدون الحق للباطل

لا . لعمرى لا نخرجها من ولد الحسين اليك . وأمر له بصلة فخرج وهو يقول :

فلست بقاتل رجلا يصلى * على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى اثمى * معاذ الله عن سفه وطيش

وقال أيمن بن خريم أيضا :

ان للفتنـة هيطا بينـا * فرويد الميل منها يعتدل
فاذا كان عطاء فانتهز * واذا كان قتالا فاعتزل
انما ابو قـدها فرساننا * حطب النار فدعها تشتعل

وقال زفر بن الحرث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذى نصرك على كره من المؤمنـين . فقال أبو زعزعة : ما كره ذلك الا كافر . فقال زفر : كذبت قال الله لنبيه : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » : وبعث عبد الملك بن مروان الى المدينة حبيش بن دلجة القيسي فى سبعة آلاف فدخل المدينة وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بخبز ولحم فاكل . ثم دعا بماء فتوضا على المنبر . ثم دعا جابر بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال تبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعهد الله عليك وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه فى الوفاء فان خنتنا فهراق الله دمك على ضلالة . قال انت أطوق لذلك منى . ولكن أبايعه على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة . ثم خرج ابن دلجة من يومه ذلك الى الربذة . وقدم على أثره من الشام رجلان مع كل واحد منهما جيش . ثم اجتمعوا جميعا فى الربذة وذلك فى رمضان سنة خمس وستين وأميرهم ابن دلجة . وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة ان يسير الى حبيش بن دلجة فسار حتى لقيه بالربذه . وبعث الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة . وهو عامل ابن الزبير على البصرة مددا الى عباس بن سهل بن حنيف بن السجف فى تسعمائة من أهل البصرة . فساروا حتى انتهوا الى الربذة . فبات أهل البصرة وأهل المدينة يقرؤن القرآن ويصلون وبات اهل الشام فى المعازف والخمور . فلما أصبحوا غدوا على القتال فقتل حبيش بن دلجة ومن معه فتحصن منهم خمسمائة رجل من اهل الشام على عمود الربذة وهو الجبل الذى عليها . وفيهم يوسف أبو الحجاج فاحاط بهم عباس بن سهل فطلبوا الامان . فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم أجمعين . ثم رجع عباس بن سهل الى المدينة . وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملا على البصرة فاستضعفه القوم . فبعث أخاه مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : يا أهل البصرة بلغنى انه لا يقدم عليكم امير الا لقبتموه وانى القب لكم نفسى انا القصاب

٣٥ — خبر المختار بن أبي عبيد — ثم أرسل عبد الله بن الزبير ابراهيم ابن محمد بن طلحة أميرا على الكوفة . ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد الى الكوفة فبلغ المختار اقبال عبيد الله بن زياد فوجه اليهم ابراهيم بن الاشتر في جيش فالتقوا بالجازر . وقتل عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير وذو الكلاع وعامة من كان معهم . وبعث برؤسهم الى عبد الله بن الزبير . أبو بكر بن ابى شيبة قال حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجويرية الحرمى . قال : كنت فيمن سار الى أهل الشام يوم الجازر مع ابراهيم بن الاشتر فلقيناهم بالزاب . فهبت الريح لنا عليهم فادبروا فقتلناهم عشيتنا وليلتنا حتي أصبحوا . فقال ابراهيم : انى قتلت البارحة رجلا فوجدت عليه ريح طيب فالتمسوه فما أراه الا ابن مرجانة فانطلقنا فاذا هو والله معكوس فى بطن الوادي . ولما التقى عبيد الله بن زياد وابراهيم بن الاشتر بالزاب . قال : من هذا الذى يقاتلني . قيل له ابراهيم بن الاشتر . قال لقد تركته أمس صبيا يلعب بالحمام . قال ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه الى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى . قال فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا الا من ليس لله فى عنقه نعمة لقد أدخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد وهو يتغدي . وقال يزيد بن معن :

ان الذي عاش ختارا بذمته * ومات عبدا قتيل الله بالزاب

ثم ان المختار كتب كتابا الى ابن الزبير . وقال لرسوله اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى ابن الزبير فائت المهدى يعنى محمد بن الحنفية فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك أبو اسحق انى أحبك وأحب أهل بيتك قال فاتاه . فقال له ذلك فقال : كذبت وكذب أبو اسحق وكيف يحبني ويحب أهل بيتى وهو يجلس عمرو بن سعيد على وسائده وقد قتل الحسين . فلما قدم عليه رسوله وأخبره . قال المختار لابي عمرو صاحب حرسه استاجر لى نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعيد ففعل . فلما بكين قال عمرو لابنه حفص : يابني ائت الامير فقل له ما بال النوائح يبكين الحسين على بابى . فاتاه فقال له ذلك . فقال : انه أهل ان يبكى عليه . فقال أصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرو صاحب حرسه فقال له اذهب الى عمرو بن سعيد فائتني برأسه فاتاه . فقال له قم الى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف بملحفة فجلله بالسيف فقتله وجاء برأسه الى المختار . ثم قال ائتونى بابن مرجانة . فلما حضره قال أتعرف هذا قال نعم رحمه الله . قال : أتحب ان

نلحقك به . قال : لا خير في العيش بعده . فامر به فضرب عنقه : ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة . وعمرو بن سعيد جعل يتتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم اجمعين . وامر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في ازقة المدينة بالليل ويقولوا ياثارات الحسين . فلما أفناهم ودانت له العراق ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب وانما أراد ان يستاصل الناس . فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته فادعى ان جبريل ينزل عليه ويانيه بالوحي من الله . وكتب الى أهل البصرة بلغني انكم تكذبوني وتكذبون رسلي : وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة الى ابن الزبير وهو بالبصرة فخرج اليه وبرز اليه المختار فاسلمه ابراهيم بن الاشتر ووجوه اهل الكوفة . فقتله مصعب وقتل اصحابه . ابو بكر بن ابي شيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر ان المختار يزعم انه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم . وقتل مصعب من اصحاب المختار ثلاثة آلاف : ثم حج في سنة احدى وسبعين فقدم على اخيه عبد الله بن الزبير ومعه وجوه اهل العراق . فقال : ياامير المؤمنين قد جئتك بوجوه اهل العراق . ولم ادع لهم نظيرا فاعطهم من المال . قال جئتني بعبيد اهل العراق لاعطيهم من مال الله . وددت ان لي بكل عشرة لي منهم رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق . وقد حرمهم عبد الله بن الزبير ماعنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبد الملك بن مروان حتي خرج الى مصعب فقتله . على بن عبد العزيز عن حجاج عن أبي معشر . قال : لما بعث مصعب برأس المختار الى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه . قال مامن شيء حدثنيه كعب الاحبار الاقد رأيته غير هذا فانه قال لي يقتلك شاب من ثقيف فاراني قد قتلته . وقال محمد بن سيرين : لما بلغه هذا الحديث لم يعلم ابن الزبير ان أبا محمد قد خبيء له . ولما قتل مصعب المختار بن ابي عبيد ودانت له العراق كلها الكوفة والبصرة . قال فيه عبد الله بن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن حزام العقيلة العذراء
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتزوج مصعب لما ملك العراق عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ولم يكن لهما نظير في

زمانهما . وقتل مصعب امرأة المختار وهي ابنة النعمان بن بشير الانصارى . فقال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ان من أعظم المصائب عندي * قتل حوراء غادة عيطبول
قتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

٣٦ — مقتل عمرو بن سعيد الاشدق — أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيا أبغضوا ابن الزبير . وكاتبوا عبد الملك بن مروان فخرج يريد مصعب بن الزبير . فلما أخذ في جهازه وأراد الخروج أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في جواريها وقد تزينت بالحلى . فقالت يا أمير المؤمنين لو قعدت في ظلال ملكك ووجهت اليه كلبا من كلابك لكفاك أمره . فقال هيهات أما سمعت قول الاول :

قوم اذا ما غزوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فلما أبي عليها وعزم بكت وبكى معها جواريها . فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي ربيعة كأنه ينظر الينا حيث يقول :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه * بكت فبكى مما دهاها قطينها

ثم خرج يريد مصعب . فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو ابن سعيد دمشق وخالف عليه . قيل له : ماتصنع أتريد العراق وتدع دمشق أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فرجع مكانه فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده وان له مع كل عامل عاملا ففتح له دمشق وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد . فارسل اليه عبد الملك ان أخرج للحرس أرزاقهم . فقال اذا كان لك حرس فان لنا حرسا أيضا . فقال عبد الملك ، اخرج لحرسك أيضا أرزاقهم . فلما كان يوم من الايام أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف النهار ان ائتني أبا أمية حتي أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية لاتذهب اليه فانني أتخوفه عليك منه . فقال أبو الذباب والله لو كنت نائما ما أيقظني . قالت والله ما آمنه عليك واني لاجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتي ضربها بقائم سيفه فشجها فخرج وخرج معه أربعة

آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يقدر على مثلهم مسلحين فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك . فقالوا : يا أبا أمية ان رابك ريب فاسمعنا صوتك . قال فدخل فجعلوا يصيحون أبا أمية أسمعنا صوتك . وكان معه غلام أسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه باس . فقال له عبد الملك : أمكرا عند الموت أبا أمية خذوه فاخذوه . فقال له عبد الملك اني أقسمت ان أمكنتني منك يدان اجعل في عنقك جامعة وهذه جامعة من فضة أريد أن أبر بها قسمي . قال فطرح فى رقبته الجامعة ثم نتره الى الارض بيده فانكسرت ثنيته فجعل عبد الملك ينظر اليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر . قال وجاء المؤذنون فقالوا الصلاة يا أمير المؤمنين لصلاة الظهر . فقال لعبد العزيز بن مروان اقتله حتي أرجع اليك من الصلاة فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه . قال له عمرو نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلني من بينهم فجاء عبد الملك فرآه جالسا : فقال مالك لم تقتله لعنك الله ولعن أما ولدتك . ثم قال قدموه الى فاخذ الحربة بيده . فقال فعلتها يا ابن الزرقاء . فقال له عبد الملك : انى لو علمت انك تبقى ويصلح لى ملكى لفديتك بدم الناظر . ولكن قلما اجتمع فحلان فى ذود الاعدا أحدهما على الآخر . ثم رفع اليه الحربة فقتله وقعد عبد الملك يرعد ثم أمر به فادرج فى بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل الى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي فدخل عليه . فقال كيف رأيك فى عمرو بن سعيد الاشدق . قال وأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير . فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيرا ما علمت انك لموفق . قال قبيصة اطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ففعل وافترق الناس . وهرب يحيي بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة فكان معه . وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد الى رجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه اذا ضاق عليه الامر . فقال له : ماترى ما كان من فعلى بعمرو بن سعيد . قال أمر قد فات دركه قال لتقولن قال حزم لو قتلته وحييت أنت . قال أو لست بحى قال : هيهات ليس بحى من أوقف نفسه موقفا لا يوثق منه بعهد ولا عقد . قال : كلام لو تقدم سماعه فعلى لامسكت . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

٣٧ — مقتل مصعب بن الزبير — فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان أراد الخروج الى مصعب بن الزبير فجعل يستنفر أهل الشام فيبطؤن عليه . فقال له الحجاج بن يوسف سلطني عليهم فو الله لأخرجنهم معك . قال له . قد سلطتك عليهم . فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا احرق عليه داره . فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا وسار عبد الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب باهل البصرة والكوفة فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كتبا الى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها الى نفسه ويجعل لهم الاموال . وكتب الى ابراهيم بن الاشتر بمثل ذلك على ان يخذلوا مصعبا اذا التقوا . فقال ابراهيم ابن الاشتر لمصعب : ان عبد الملك قد كتب اليَّ هذا الكتاب . وقد كتب الى أصحابي بمثل ذلك فادعهم الساعة فاضرب اعناقهم . قال . ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم . قال فاخرى . قال ماهي قال : احبسهم حتى يستبين لك ذلك . قال ما كنت لافعل قال فعليك السلام والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبدا . وقد كان قال له دعني ادعو أهل الكوفة بما شرطه الله فقال لا والله قاتلتهم أمس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا وجوههم وصاروا الى عبد الملك و بقي مصعب في شرذمة قليلة . فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب .. فقال أين الناس أيها الامير . فقال قد غدرتم يا أهل العراق . فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة فنشب السيف في البيضة . فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله . ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فلما نظر عبد الملك الى رأس مصعب خر ساجدا . فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب . ماندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان اذ اتيته برأس مصعب فخر ساجدا ان لا أكون ضربت عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد . وقال في ذلك عبيد الله بن ظبيان :

هممت ولم افعل وكدت وليتني * فعلت فادمنت البكا لاقاربه

فاوردتها في النار بكر بن وائل * والحقت من قد خر شكرا بصاحبه

الرياشي عن الاصمعي قال : لما أتي عبد الملك برأس مصعب بن الزبير نظر اليه مليا ثم قال متى تلد قريش مثلك . وقال هـذا سيد شباب قريش . وقيل لعبد الملك وكان مصعب يشرب الطلاء . فقال : لو علم مصعب ان الماء يفسد مروأته لما شربه . ولما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك يهنؤنه ودخل معهم شاعر فانشده :

الله اعطاك التى لافوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويابى الله الاسوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فامر له بعشرة آلاف درهم . وقالوا : كان مصعب . أجـل الناس ، واسخي الناس ، واشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . ولما قتل مصعب خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بها أهل العراق . وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله . فقالت : لاجزاكم الله عني خيرا ولا اخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبي وجدي وعمي وزوجي أيتمتموني صغيرة وارملتموني كبيرة . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مصعب صعد المنبر فجلس عليه . ثم سكت فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة . فقال رجل من قريش لرجل الى جنبه ماله لا يتكلم فوالله انه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل لعله يريد ان يذكر مقتل سيد العرب فيشتد ذلك عليه وغير ملوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذي له الخلق والامر ، والدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء . اما بعد فانه لم يعز من كان الباطل معه ولو كان معه الانام طرا . ولم يذل من كان الحق معه ولو كان فردا . الا وان خبرا من العراق أتانا فاحزننا وافرحنا فاما الذى احزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ثم يرعوى ذوو الالباب الى الصبر وكريم الاجر . وأما الذى افرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة اسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه باقل من الثمن الذى كانوا ياخذون منه فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين . أما والله لا نموت جيفة كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف . فان تقبل الدنيا علي لم آخذها ماخذ الاشر البطر . وان تدبر عني لم ابك عليها بكاء الحزن الزائل العقل . ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين اظهر بعض بني هاشم الطعن عليه . وذلك بعد موت الحسن والحسين . فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم الى بيعته . فابوا عليه فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر واسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من

خطبته فعوتب فى ذلك . فقال والله ما يمنعني من ذكره علانية انى لاذكره سرا وأصلي عليه ولكن رأيت هذا الحى من بنى هاشم اذا سمعوا ذكره اشرأبت قلوبهم وأبغض الاشياء الى ما يسرهم . ثم قال لتبايعن أولا حرقنكم بالنار فابوا عليه فحبس محمد بن الحنفية فى خمسة عشر من بني هاشم فى السجن وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم . فقال فى ذلك كثير عزة وكان ابن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت :

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
سمى النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك اغلال وقاضى مغارم

وكان أيضا يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم . وفى ذلك يقول رجل من الشعراء فى رملة ابنة الزبير

الا من لقلب معني غزل * بذكر المحلة أخت المحل

ثم ان المختار بن أبي عبيد وجه رجالا يثق بهم من الشيعة يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم . ثم ساروا بهم الى مامنهم . وخطب عبدالله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين . فقال أيها الناس ان فيكم رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأفتى بتزويج المتعة وعبدالله بن عباس فى المسجد . فقام وقال لعكرمة أقم وجهي نحوه ياعكرمة ثم قال هذا البيت :

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففى فؤادي وعقلي منهما نور

وأما قولك ياابن الزبير قاتل أم المؤمنين فانت أخرجتها وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين فكنا لها خير بنين . فتجاوز الله عنها وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان على مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين وان كان كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فانى سمعت على بن أبى طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فافتيت بها ثم سمعته ينهى عنها فنهيت . وأول مجمر سطع فى المتعة مجمر آل الزبير

٣٨ - مقتل عبدالله بن الزبير - أبو عبيدة عن حجاج عن أبى معشر قال : لما بايع الناس عبدالملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير ودخل الكوفة . قال له الحجاج اني رأيت فى المنام كانى أسلخ الزبير من رأسه الى قدميه . فقال له عبدالملك : أنت له فاخرج اليه

: فخرج اليه الحجاج فى الف وخمسمائة حتى نزل الطائف وجعل عبدالملك يرسل اليه الجيوش رسلا بعد رسل حتى توافى اليه الناس قدر ما يظن انه يقوي على قتال ابن الزبير . وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل مني . فحج بالناس وابن الزبير محصور . ثم نصب الحجاج المجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقعان ونواحى مكة كلها يرى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قتل فى صبيحتها ابن الزبير جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين . فقال : ماترون فقال رجل من بني مخزوم من آل بني ربيعة والله لقد قاتلنا معك حتى لانجد مقيلا ولئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت وانما هى احدى خصلتين أما ان تاذن لنا فنا خذ الامان لانفسنا وأما ان تاذن لنا فنخرج : فقال ابن الزبير لقد كنت عاهدت الله ان لا يبايعني أحد فاقيله بيعته الا ابن صفوان . فقال له ابن صفوان أما أنا فاني أقاتل معك حتى أموت بموتك وانها لتاخذني الحفيظة ان أسلمك فى مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب الى عبدالملك بن مروان فقال له : كيف أكتب من عبد الله أمير المؤمنين الى عبدالملك بن مروان فوالله لا يقبل هذا أبدا . أم أكتب لعبد الملك ابن مروان أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من ذلك : فقال عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير : ياامير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة : قال من هو قال حسن بن على خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير . وقال : ياعروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قبلت مايقولون ماعشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وان ضربة بسيف فى عز خير من لطمة فى ذل فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه وهى أم هاشم بنت منصور بن زياد الفزارية . فقال لها اصنعي لنا طعاما فصنعت له كبدا وسناما فاخذ منهما لقمة فلاكها ثم لفظها ثم قال اسقوني لبنا فاتي بلبن فشرب منه ثم قال هيؤا لى غسلا فاغتسل ثم تحنط وتطيب . ثم نام نومة وخرج ودخل على أمه اسماء ابنة أبي بكر ذات النطاقين وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة . فقال ياأماه ماترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي . فقالت لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج فاسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتلهم ويهزمهم وهو يقول ويله ياله فتحا لو كان له رجال . فناداه الحجاج قد كان لك رجال فضيعتهم . وجعل ينظر الى أبواب المسجد والناس يهجمون عليه فيقول من هؤلاء فيقال له أهل مصر . قال قتلة عثمان فحمل عليهم وكان فيهم

رجل من أهل الشام يقال له خلبوب . فقال لاهل الشام أما تستطيعون اذا ولا كم ابن الزبير أن تأخذوه بايديكم . قالوا ويمكنك أنت ان تأخذه بيدك قال نعم قالوا فشأنك فاقبل وهو يريد أن يحتضنه وابن الزبير يرتجز ويقول * لوكان قرني واحدا كفيته * فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب حس . قال ابن الزبير اصبر خلبوب . قال وجاءه حجر من حجارة المنجنيق فأصاب قفاه فسقط فاقتحم أهل الشام عليه فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكي وتقول واأمير المؤمنيناه فحزوا رأسه وذهبوا به الى الحجاج . وقتل معه عبدالله بن صفوان وعمارة بن حزم وعبد الله بن مطيع . قال أبو معشر وبعث الحجاج برؤسهم الى المدينة فنصبوها للناس فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنه يساره ويلعبون بذلك . ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك بن مروان فخرجت أسماء الى الحجاج . فقالت له أتأذن لي ان أدفنه فقد قضيت أربك منه . قال لا ثم قال لها ماظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير . قالت : حسيبه الله . فلما منعها ان تدفنه . قالت : أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف رجلان الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار وأما المبير فانت . فقال الحجاج : اللهم مبير لا كذاب . ومن غير رواية أبي عبيد قال لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلتهم سحابة فأرعدت وابرقت وأرسلت الصواعق ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس لا يهولنكم هذا فاني أنا الحجاج بن يوسف . وقد أصحرت لربي فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرسي فطرح له . ثم قال يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين فكان أهل الشام اذا رموا الكعبة يرتجزون ويقولون هذا :

خطارة مثل الفنيق المزبد * يرمى بها عواذ أهل المسجد

ويقولون أيضا درى عقاب بلبن واشخاب . فلما رأي ذلك الزبير خرج اليهم بسيفه فقاتلهم حينا فناداه الحجاج ويلك يا ابن ذات النطاقين اقبل الامان وادخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء . فقال لها سمعت رحمك الله مايقول القوم ومايدعونني اليه من الامان . قالت سمعتهم لعنهم الله فما أجهلهم وأعجب منهم اذ يعيرونك بذات النطاقين . ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وماذاك ياأماه قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر . فهيأته

لهما سفرة فطلبا شيأ يربطانها بها فما وجداه فقطعت من مئزرى لذلك ما احتاجا اليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما ان لك به نطاقين فى الجنة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيراً فما تأمريني به فانهم قد أعطوني الامان . قالت أرى أن تموت كريما ولا تتبع فاسقا لئيما وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها وضمته الي نفسها ثم خرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه ، وأحدق بكم ربابه ، واجتمع بعد تفرق ، وأرجحن بعد تمشق ، ورجس نحوكم رعده ، وهو مفرغ عليكم ودقه ، وقاد اليكم البلايا تتبعها المنايا . فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر وتمثل بابيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جد أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب لها على ساق

ثم جعل يقاتل وحده ولا يهده شيء كلما اجتمع عليه القوم فرقهم وذادهم حتى أثخن بالجراحات ولم يستطع النهوض . فدخل عليه الحجاج فدعا بالنطع فحز رأسه هو بنفسه فى داخل مسجد الكعبة لا رحم الله الحجاج . ثم بعث برأسه الى عبد الملك بن مروان . وقتل من أصحابه من ظفر به ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزيها فاذنت له . فقالت له ياحجاج قتلت عبد الله . قال يا ابنة أبي بكر انى قاتل الملحدين قالت بلى أنت قاتل المؤمنين الموحدين . قال لها كيف رأيت ماصنعت بابنك . قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضير ان أكرمه الله على يديك فقد أهدى رأس يحيي بن زكريا الى بغي من بغايا بنى اسرائيل . هشام بن عروة عن أبيه قال : كان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار فبذلك ادعى ابن الزبير الخلافة . محمد بن سعيد قال : لما نصب الحجاج راية الامام وتصرم الناس عن ابن الزبير . قال لعبد الله ابن صفوان قد أقلتك بيعتى وجعلتك فى سعة فخذ لنفسك أمانا . فقال مه والله ما اعطيتك اياها حتى رأيتك اهلا لها ومارأيت احدا أولى بهامتك فلا تضرب هذه الصلعة فتيان بني أمية ابدا وأشار الى رأسه . فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه . فقال انى كنت لاراه أعرج جبانا . فلما كانت الليلة التى قتل في صباحها ابن الزبير أقبل عبد الله بن صفوان وقد دنا أهل الشام من المسجد فاستاذن . فقالت الجارية هو نائم فقال أو ليلة نوم هذه أيقظيه فلم تفعل فاقام ثم استاذن . فقالت هو نائم فانصرف ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج اليه

فقال والله مانمت منذ عقلت الصلاة نومي هذه الليلة و ليلة الجمل . ثم دعا بالسواك فاستاك متمكنا ثم توضأ متمكنا ولبس ثيابه . ثم قال : انظرني حتى أودع أم عبد الله فلم يبق شيء وكان يكره أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ الامان . فدخل عليها وقد كف بصرها فسلم . فقالت من هذا فقال عبدالله فتشممته . ثم قالت : يابني مت كريما فقال لها ان هذا قد أمنني يعني الحجاج . قالت يابني لاترض الدنية فان الموت لا بد منه قال أني أخاف أن يمثل بي قالت ان الكبش اذا ذبح لم يألم السلخ . قال فخرج فقاتل قتالا شديدا فجعل يهزمهم . ثم يرجع ويقول بالله فتحا لو كان لك رجال أو كان المصعب أخي حيا فلما حضرت الصلاة صلى صلاته ثم قال أين باب أهل مصر حنقا لعثمان . فقاتل حتى قتل وقتل معه عبدالله بن صفوان وأتي برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه . فقال : هذا رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير اليه فلذلك فتح عينيه وفاه . هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد في الاسلام فلما ولد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما قتل كبر الحجاج بن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر ماهذا . قالوا كبر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا لمولده خير من الذين كبروا لقتله . أيوب عن أبي قلابة قال : شهدت ابنة أبي بكر غسلت ابنها ابن الزبير بعد شهر وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه وكفنته وصلت عليه . هشام بن عروة قال قال عبدالله بن عباس : للجائزة جنبني خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها فقال ماهذا فقال خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له وقال لئن علتك رجلاك لطالما وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لاصحابه أما والله ماعرفته الاصواما قواما ولكنني مازلت أخاف عليه منذ رأيته تعجبه بغلات معاوية الشهب . قال وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الارجوان فيها الجواري عليهن الجلابيب والمعصفرات ففتن الناس

٣٩ — أولاد عبد الملك بن مروان — الوليد وسليمان بن العبسية ويزيد وهشام وأبو بكر ومسلمة وسعد الخير وعبد الله وعنبسة والحجاج والمنذر ومروان الاكبر ومروان الاصغر . ولم يعقب مروان الاكبر ويزيد ومعاوية وداود

٤٠ — وفاة عبد الملك بن مروان — توفي عبد الملك بن مروان بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين . وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . وولد

عبدالملك فى المدينة فى دارمروان سنة ثلاث وعشرين . وكتب عبد الملك الى هشام ابن اسمعيل المخزومى . وكان عامله على المدينة : أن يدعوالناس الى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناس غير سعيد بن المسيب فانه أبي : وقال لاأبايع وعبد الملك حى . فضربه هشام ضربامبرحا وألبسه المسوح وأرسله الى ثنية بالمدينة يقتلونه عندها ويصلبونه . فلما انتهوا به الى الموضع ردوه . فقال سعيد : لوعلمت انهم لايصلبوننى مالبست لهم الثياب . وبلغ عبدالملك خبره فقال : قبح الله هشاما مثل سعيد بن المسيب يضرب بالسياط انما كان ينبغى له أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه . وقال للوليد : اذاأنامت فضعنى في قبرى ولا تعصر على عينيك عصر الامة ولكن شمر وائتزر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا

٤١ — ولاية الوليد بن عبدالملك — ثم بويع للوليد بن عبدالملك فى النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن حرب بن الحرث ابن خزيمة العبسي . وكان على شرطته كعب بن حماد ثم عزله . وولى أبا نائل بن رباح بن عبدة الغساني . ومات الوليد يوم السبت فى النصف من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور . ولدالوليد . عبد العزيز ومحمد وعنبسة ولم يعقبوا وأمهم أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان . والعباس وبه كان يكني . ويقال انه كان أكبرهم وعمرو وبشر وروح وتمام ومبشر وحزم وخالد ويزيد ويحيي وابراهيم وأبوعبيدة ومسرور ومحمد وصدقة لامهات أولاد . وأم أبي عبيدة فزارية . وكان أبوعبيدة ضعيفا وولى الخلافة من ولد الوليد إبراهيم شهرين . ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرا ثم مات وكان تمام ضعيفا هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرام فى ارومتهم * نالوا المكارم طراغير تمام

ومسرور بن الوليد كان ناسكا وكانت عنده بنت الحجاج . وكان بشر من فتيانهم . وروح من غلمانهم والعباس من فرسانهم . وفيه يقول الفرزدق :

ان أبا الحارث العباس نائله * مثل السماك الذى لايخلف المطرا

وكان تحته بنت قطرى بن الفجاءة سباها و تزوجها وله منها المؤمل والحرث . وكان عمرو من رجالهم كان له تسعون ولدا ستون منهم كانوا يركبون معه اذا ركب . وقال رجل من أهل الشام

ليس من ولد الوليد أحد الا ومن رآه يحسب انه من أفضل اهل بيته ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيه يقول جرير :

وبنو الوليد من الوليد بمنزل * كالبدر حف بواضحات الانجم

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه ان يبايع له بعد سليمان فابى عليه سليمان . وحدث الهيثم بن عدى عن سليمان عن ابن عباس قال : لما أراد الوليد ان يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبي ذلك سليمان وشنع عليه . وقال للوليد : لو أمرت الشعراء ان يقولوا فى ذلك لعله كان يسكت فيشهد عليه بذلك فدعا الاقيبل العتبى . فقال له ارتجز بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسايره والاقيبل خلفه فرفع صوته وقال :

ان ولى العهد لابن أمه * ثم ابنه ولى عهد عمه * قد رضى الناس فسمه

فهو يضم الملك فى مضمه * ياليتها قد خرجت من فمه

فالتفت اليه سليمان . وقال يا ابن الخبيثة من رضى بهذا

٤٢ — أخبار الوليد — أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه فتراخى فى تأديبه لشدة حبه اياه فكان لحانا . وقال عبد الملك : أضر نا في الوليد حبنا له فلم يوجهه الى البادية . وقال الوليد يوما وعنده عمر بن عبد العزيز : ياغلام ادع لى صالح . فقال الغلام ياصالحا . فقال له الوليد انقص الفا : فقال له عمر بن عبد العزيز وأنت ياأمير المؤمنين فزد ألفا . وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم واكثرهم فتوحا وأعظمهم نفقة في سبيل الله بني مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتي أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح . ومر الوليد بمعلم كتاب فوجد عنده صبية : فقال ما تصنع هذه عندك فقال أعلمها الكتابة والقرآن . قال فاجعل الذى يعلمها أصغر منها سنا . وشكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه . فقال نقضه عنك ان كنت لذلك مستحقا فقال : ياأمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا في منزلتي وقرابتي قال قرأت القرآن . قال لا قال : ادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب فى يده ثم قرعه به قرعة . وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن فقام اليه آخر . فقال : ياأمير المؤمنين اقض ديني فقال له أتقرأ

القرآن . قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ فقال نعم نقضي دينك وأنت أهل لذلك . وركب الوليد بعيرا وحاد يحدو بين يديه والوليد يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا * ويحك تعلم الذى علاكا
خليفة الله الذى امتطاكا * لم يحب بكر مثل ما حباكا

٤٣ — ولاية سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائني : ثم بويع سليمان ابن عبد الملك في ربيع الاول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ثلاث وأربعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا . وولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بني جديلة ومات بدابق من ارض قنسرين وكان سليمان فصيحا جميلا وسيما نشأ بالبادية عند اخواله بني عبس . وكانت ولايته يمنا وبركة افتتحها بخير وختمها بخير فاما افتتاحه فيها بخير فرد المظالم واخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . واما ختمها بخير فاستخلافه عمر بن عبد العزيز * ولبس يوما واعتم بعمامة وكانت عنده جارية حجازية . فقال لها كيف ترين الهيئة ، فقالت انت اجمل العرب لولا . قال : على ذلك لتقولين قالت ،

انت نعم المتاع لو كنت تبقي * غير ان لا بقاء للانسان
انت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير انك فان

قال فتنغص عليه ما كان فيه فما لبث بعدها الا أياما حتى توفى رحمه الله . وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك فذكر ولد عمر فضل ابيه وخاله : فقال له ولد سليمان ان شئت اقل وان شئت اكثر فما كان ابوك الا حسنة من حسنات ابي . محمد بن سليمان ، قال فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبد العزيز في طول عمره اعتق سبعين الفا ما بين مملوك ومملوكة وبغتهم اي كساهم — والبغت — الكسوة . وولد لسليمان ايوب : وامه ام ابان بنت الحكم بن العاص وهو اكبر ولد سليمان وولي عهده فمات في حياة سليمان . وله يقول جرير :

ان الامام الذي ترجي فواضله * بعد الامام ولي العهد ايوب

وعبد الواحد وعبد العزيز أمهما ام عامر بنت عبد الله بن خالد بن عبد الاسد . وفي عبد الواحد يقول القطامي :

أهل المدينة لا يحزنك حالهم * اذا تخطا عبد الواحد الاجل
قد يدرك المتاني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولما مات أيوب ولى عهد سليمان بن عبد الملك . قال عبد الاعلى يرثيه وكان من خواصه :

ولقد أقول لذى الشماتة اذ رأي * جزعي ومن يذق الحوادث يجزع
أبشر فقد قرع الحوادث مروتي * وافرح بمروتك التي لم تقرع
ان عشت تفجع بالاحبة كلهم * أو يفجعوا بك ان بهم لم تفجع
أيوب من يشمت بموتك لم يطق * عن نفسه دفعا وهل من مدفع

٤٤ — أخبار سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائني . قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم ان سليمان بن عبد الملك عزله عن خراسان واستعمل يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحف . وقال للرسول : ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد . فادفع اليه هذه . فان شتمني فادفع هذه فلما سار الرسول اليه دفع الكتاب اليه وفيه : يا أمير المؤمنين ان من بلائى فى طاعة أبيك وأخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد . فاعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : يا أمير المؤمنين . كيف تامن ابن رحمة على أسرارك وأبوه لم يامنه على أمهات اولاده . فلما قرأ الكتاب شتمه وناوله ليزيد . فاعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فوالله لاوثقن له أخية لا ينزعها المهر الأرن مؤاخاة . فلما قرأها قال سليمان : عجلنا على قتيبة يا غلام جدد له عهدا على خراسان · ودخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم ، أم هو يهوي فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ان الحجاج ياتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النار حيث شئت . قال فامر به الى الحبس فكان فيه طول ولايته . قال محمد بن يزيد الانصارى : فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعثني فاخرجت من السجن من حبس سليمان ما خلا يزيد بن أبي مسلم فقدرد . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولاه يزيد ابن عبد الملك افريقية وأنا فيها . فاخذت فاتي بي اليه فى شهر رمضان عند الليل . فقال : محمد بن يزيد قلت نعم . قال الحمد لله الذي مكنني منك بلا عهد ولا عقد ، فطالما سالت الله أن يمكنني منك . قلت : وأنا والله طالما استعذت بالله منك . قال فوالله

ما أعاذك الله مني ولو ان ملك الموت سابقني اليك لسبقته . قال فاقيمت صلاة المغرب فصلى ركعة فثارت عليه الجند فقتلوه وقالوا الى خذ الى الطريق أي طريق شئت . وأراد سليمان بن عبد الملك ان يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فاعمدها عشرين ألف دينار . واشترى جارية باربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت ان أضرب على يد هذا السفيه ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين . بابني عاتكة يزيد ومروان . وحبس سليمان بن الملك موسى بن نصير وأوحي اليه اغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمنها مائة مرة فحملها عنه يزيد بن المهلب وشكر ما كان من موسى الى أبيه المهلب أيام بشر بن مروان وذلك ان بشرا اتهم بالمهلب . فكتب اليه موسى يحذره فتمارض المهلب ولم يأته حين أرسل اليه . وكان خالد بن عبد الله القسري واليا على المدينة للوليد ثم أقره سليمان وكان قاضي مكة طلحة بن هرم فاختصم اليه رجل من بني شيبة الذين اليهم مفتاح الكعبة يقال له الاعجم مع ابن أخ له في ارض لهما فقضي للشيخ على ابن أخيه . وكان متصلا بخالد بن عبد الله . فاقبل الى خالد فاخبره . فحال خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتابا الى سليمان يشكو له خالدا ووجه الكتاب اليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان الى خالد : لا سبيل لك على الاعجم ولا ولده فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال لا سبيل لك علينا هذا كتاب أمير المؤمنين . فامر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب الى سليمان وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فامر سليمان بقطع يد خالد فكلمه يزيد بن المهلب : وقال ان كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تقطع يده ، وان كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان الى داود بن طلحة بن هرم : ان كان خالد ضرب الشيخ بعد ما قرأ الكتاب الذي أرسلته اقطع يده . وان كان ضربه قبل ان يقرأ كتابي فاضربه مائة سوط . فاخذ داود بن طلحة لما قرأ الكتاب خالدا فضربه مائة سوط فجزع خالد من الضرب فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم اليك يديك يا ابن النصرانية . فقال خالد : ليهنأ الفرزدق وضممت يدي وقال الفرزدق :

لعمري لقد صبت على متن خالد * شآبيب لم يصببن من صيب القطر
فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الجناح الى الوكر

فردت أم خالد عليه تقول :

لعمري لقد باع الفرزدق عرضه * بخسف وصلى وجهه حمي الجمر
فكيف يساوى خالداً أو يشينه * خميص من التقوي بطين من الخمر

وقال الفرزدق أيضاً في خالد القسري :

سلوا خالداً لاقدس الله خالداً * متى ملكت قسر قريشاً تدينها
أقبل رسول الله أو بعد عهده * فتلك قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لاهدى الله قلبه * وما أمه بالام يهدي جنينها

فلم يزل خالد محبوساً بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل بن المهلب . فقال سليمان : لاطت بك الرحم أبا عثمان ان خالداً جرعني غيظاً . قال : يا أمير المؤمنين هبني ما كان من ذنبه . قال قد فعلت ولا بد أن يمشي الى الشام راجلا فمشى خالد الى الشام راجلا .

وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

سليمان غيث الممحلين ومن به * عن البائس المسكين حلت سلاسله
وما قام من بعد النبي محمد * وعثمان فوق الارض راع يماثله
جعلت مكان الجور في الارض مثله * من العدل اذ صارت اليك محامله
وقد علموا ان لن يميل بك الهوى * وما قلت من شيء فانك فاعله

زياد عن مالك . ان سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمر بن عبد العزيز كذبت . قال : والله ما كذبت منذ شددت علي ازارى . وان في غير هذا المجلس لسعة وقام مغضباً . فتجهز يريد مصر فارسل اليه سليمان فدخل عليه . فقال له : يا ابن عمي ان المعاتبة تشق عليّ ولكن والله ما أهمني أمر قط من ديني ودنياي الا كنت أول من أذكره لك :

٤٥ — وفاة سليمان بن عبد الملك — قال رجاء بن حيوة قال لى سليمان : الى من ترى ان أعهد . فقلت : الى عمر بن عبد العزيز . قال كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة من كان منهما حياً . قلت : تجعل الامر بعده ليزيد . قال صدقت قال : فكتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده ولما ثقل سليمان قال ائتوني بقميص بني أنظر اليها فاتى بها فنشرها فرآها قصاراً فقال

ان بني صبية صغار * أفلح من كان له كبار

فقال له عمر . « أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك ان نصرانيا أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا . قال : قشروا فقشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فاتخم فمرض فمات . ولما حج سليمان تاذي بحر مكة . فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيت الطائف فأتاها فلما كان بسحق لقيه ابن أبي الزهير . فقال : يا أمير المؤمنين اجعل منزلك علي . قال كل منزلي فرمى بنفسه على الرمل فقيل له . يساق اليك الوطاء فقال : الرمل أحب الي وأعجبه برده فالزق بالرمل بطنه قال : فاتي اليه بخمس رمانات فأكلها . فقال : أعندكم غير هذه . فجعلوا يأتونه بخمس بعد خمس حتى أكل سبعين رمانة . ثم أتوه بجدي وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف فنثر بين يديه فأكل عامته . ونعس فلما انتبه أتوه بالغداء فأكل كما أكل الناس فاقام يومه ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : اتبعني الى مكة فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيته فقال أقول ماذا ، أعطني ثمن قراى الذي قريتكه . العتبي عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قدم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو . وقال فجال في البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا مالا . ثم ألقى صدره على غصن وقال : ويلك يا شمردل ما عندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله عندي جدي كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخري . قال : عجل به ويحك فاتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا عمرو ولا ابنه حتى اذا بقي الفخذ قال : هلم أبا حفص . قال : أنا صائم . فأتي عليه ثم قال : ويلك يا شمردل ما عندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله دجاجتان هنديتان كأنهما رألا النعام . فاتيته بهما فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقي عظامها نقية حتى أتي عليهما ثم رفع رأسه فقال . ويلك يا شمردل ما عندك شيء تطعمني . قلت : بلى عندي حريرة كأنها قراضة ذهب . قال : عجل بها ويلك فاتيته بعس يغيب فيه الرأس فجعل يقلعها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح في جب . ثم قال : يا غلام أفرغت من غدائي . قال نعم قال : وما هو قال ثمانون قدرا . قال ائتني بها قدرا قدرا قال فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت الخوانات وقعد . وأذن للناس فما أنكرت شيئا من أكله

٤٦ — خلافة عمر بن عبد العزيز — المدائني قال: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم. وكنيته أبو حفص. وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب وولي الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين. ومات يوم الجمعة لست بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص سنة أحدى ومائة وصلى عليه يزيد بن عبد الملك. علي بن زيد قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: تمت حجة الله على ابن الاربعين. ومات لها وكان على شرطته يزيد بن بشير الكناني. وعلى حرسه عمرو بن المهاجر. ويقال أبو العباس الهلالي. وكان كاتبه على الرسائل ابن أبي رقية وكاتبه أيضا اسمعيل بن أبي حكيم. وعلى خاتم الخلافة نعيم بن أبي سلامة وعلى الخراج والجند صالح بن ابي جبير. وعلى اذنه أبو عبيدة الاسود مولاه يعقوب. ابن داود الثقفي عن أشياخ من ثقيف قال: قرىء عهد عمر بالخلافة وعمر في ناحية فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر فأخذ بضبعيه فأقامه. فقال عمر. أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بها مني دنيا. أبو بشر الخراساني قال: خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال: أيها الناس والله ما سألت الله هذا الامر قط في سر ولا علانية. فمن كان كارها لشيء مما وليته فالآن. فقال سعيد بن عبد الملك: ذلك أسرع فيما نكره أتريد ان تختلف ويضرب بعضنا بعضا. قال رجل: سبحان الله وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يقولوا هذا ويقوله عمر

٤٧ — أخبار عمر بن عبد العزيز — بشر بن عبد الله بن عمر قال: كان عمر يخلو بنفسه ويبكي فنسمع نحيبه بالبكاء. وهو يقول: أبعد الثلاثة الذين بوأتهم بيدي عبد الملك والوليد وسليمان. وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال: ياأمير المؤمنين اني رأيت في منامي قائلا يقول اذا ولي الاشج من بني أمية يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً. فولي الوليد فسألت عنه فقيل لي ليس باشج. ثم ولي سليمان فسألت عنه فقيل ليس باشج ووليت أنت فكنت الاشج. فقال عمر: تقرأ كتاب الله قال نعم قال فبالذي أنعم به عليك أحق ما أخبرتني قال نعم فأمره ان يقيم في دار الضيافة فمكث نحوا من شهرين ثم أرسل اليه عمر فقال هل تدري لم احتبسناك. قال لا: قال أرسلت الى بلدك لنسأل عنك فاذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء فانصرف راشدا. وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيأ ولا يجري

على نفسه من الفيء درهما . وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنيني . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أعدنى على هذا وأشار الى رجل . قال فيم ؟ قال أخذ مالى وضرب ظهرى . فدعا به عمر فقال ما يقول هذا ! . قال صدق انه كتب الى الوليد بن عبد الملك وطاعتكم فريضة . قال كذبت لا طاعة لنا عليكم الا فى طاعة الله وأمر بالارض فردت الى صاحبها . عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره قال : كنت مع خالد بن يزيد ابن معاوية فى صحن بيت المقدس فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه فأخذ بيد خالد . وقال : يا خالد أعلينا عين . قلت عليكما : من الله عين بصيرة وأذن سميعة . قال فاستل يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه ومضى : فقلت لخالد من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز وان عاش فيوشك ان يكون اماما عدلا . وقال رباح بن عبيدة اشتريت لعمر قبل الخلافة مطرفا بخمسمائة فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشنا جدا واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال لقد اشتريته لينا جدا . ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر وعليه ريطة من رياط مصر : فقال : بكم أخذت هذا يا أبا سعيد قال بكذا وكذا قال فلو نقصت من ثمنها ما كان ناقصا من شرفك . قال مسلمة : ان أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة ، وأفضل اليد ما كان بعد الولاية . وكان لعمر غلام يقال له درهم يحتطب له . فقال له يوما : ما يقول الناس يا درهم . قال وما يقولون الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال : وكيف ذلك قال انى عهدتك قبل الخلافة عطر اللباس فاره المركب ، طيب الطعام ، فلما وليت رجوت ان أستريح وأتخلص . فزاد عملى شدة وصرت أنت فى بلاء . قال فأنت حر فاذهب عنى ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا . ميمون بن مهران . قال : كنت عند عمر فكثر بكاؤه ومسألته ربه الموت . فقلت لم تسال الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحيا بك سننا وأمات بك بدعا . قال : أفلا أكون مثل العبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له أمره قال : «رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين» . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قال : ان فدك كانت مما أفاء الله على رسوله فسألتها فاطمة رسول الله

فقال لها مالك ان تسالينى ولا لى أن أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولى معاوية فاقطعها مروان ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز فقسمناها بيننا اثلاثا انا والوليد وسليمان فلما ولى الوليد سالته نصيبه فوهبه لى وما كان لى مال أحب الى منها وانا أشهدكم : انى قد رددتها الى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر : الامور ثلاثة . أمر استبان رشده فاتبعه ، وأمر استبان ضره فاجتنبه ، وأمر اشكل أمره عليك فرده الى الله . وكتب عمر الى بعض عماله : الموالى ثلاثة . مولى رحم ، ومولى عتاقة ، ومولى عقد . فمولى الرحم : يرث ويورث ، ومولى العتاقة يورث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يورث وميراثه لعصبته . وكتب عمر الى عماله : مروا من كان على غير الاسلام ان يضعوا العمائم ، ويلبسوا الا كسية ، ولا يتشبهوا بشىء من الاسلام . ولا تتركوا أحدا من الكفار يستخدم أحدا من المسلمين . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة عامله على العراق : اذا امكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق القادر عليك . واعلم ان مالك عند الله ، أكثر مما لك عند الناس . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله : مروا من كان قبلكم فلا يبقى أحد من احرارهم ولا مما ليكهم صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى الا أخرج عنه صدقة فطر رمضان . مدين من قمح اوصاعا من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم . فأما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم . واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الامانة يقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يقسمانه فى مسكنة أهل الحاضرة . ولا يقسم على أهل البادية . وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن الى عمر : ان رجلا شتمك فاردت ان اقتله . فكتب اليه : لو قتلته لا قدتك به فانه لا يقتل أحد بشتم أحد الا رجل شتم نبيا . وكتب رجل من عمال عمر الى عمر : انا أتينا بساحرة فالقيناها فى الماء فطفت على الماء . فما ترى فيها فكتب اليه : لسنا من الماء فى شىء ان قامت عليها بينة والا خل سبيلها . وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة فى المظالم فيراده فيها فكتب اليه : انه يخيل لى انى لو كتبت لك ان تعطى رجلا شاة لكتبت الى اذكر أم أنثى . ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرة أم كبيرة ولو كتبت باحدهما لكتبت ضائنة ام معزا . فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد على والسلام . وخطب عمر فقال : أيها الناس لا تستصغروا

الذنوب ، والتمسوا تمحيص ماسلف منها بالتوبة منها . ان الحسنات يذهبن السيأته ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عز وجل : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » . وقال عمر لبني مروان : ادوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجؤني الى ما اكره فاحملكم على ماتكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال . أجيبوني فقال رجل منهم : والله لانخرج من أموالنا التي صارت الينا من آبائنا فنفقر ابناءنا ونكفر آباءنا حتي تزايل رؤسنا . فقال عمر : اما والله لولا ان تستعينوا على بمن طلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم عاجلا ولكنني أخاف الفتنة ولئن أبقاني الله لاردن الى كل ذي حق حقه ان شاء الله . وكان عمر : اذا نظر الى بعض موالى بني أمية قال اني ارى رقابا سترد الى اربابها . ولما مات عمر بن عبد العزيز . قعد سلمة على قبره فقال : اما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر . العتبي قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الامويون . فلما دخل الى منزله قال له الحاجب : الامويون بالباب . قال : ومايريدون قال ماعودتهم الخلفاء قبلك . قال ابنه عبد الملك وهو اذذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لى فى ابلاغهم عنك . قال . وما تبلغهم قال : أقول أبى يقرئكم السلام ويقول لكم : « اني اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » . زياد عن مالك قال قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه : يا أبت مالك لا تنفذ الامور فوالله ما أبالى لو ان القدور غلت بى وبك فى الحق . قال له عمر : لا تعجل يا بني فان الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة . وأنا أخاف ان أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلك فتنة . ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت . قال له عمر : كيف تجدك يا بني . قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى فثواب الله خير لك مني . فقال : يا بني والله لان تكون فى ميزانى أحب الى من ان اكون فى ميزانك . قال اما والله لان يكون ما تحب أحب الى من ان يكون ما احب . ثم مات فلما فرغ من دفنه وقف على قبره . وقال . يرحمك الله يابنى فلقد كنت سارا مولودا ، وبارا ناشئا ، وما أحب اني دعوتك فاجبتني . فرحم الله كل عبد من حرا وعبد ذكرا وأنثى دعا لك برحمة . فكان الناس يترحمون على عبد الملك ليدخلوا فى دعوة عمر . ثم انصرف فدخل الناس يعزونه . فقال : ان الذى نزل بعبد الملك امر لم نزل نعرفه فلما وقع لم ننكره . وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز . فلما فرغ من دفنها دنا اليه رجل فعزاه . فلم يرد عليه ثم

آخرا فلم يرد عليه . فلما رأى الناس ذلك أمسكوا ومشوا معه : فلما دخل على الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركت الناس وهم لا يعزون فى المرأة الا أن تكون اما :

٤٨ — وفاة عمر بن عبد العزيز — مرض عمر بن عبد العزيز بارض حمص . ومات بدير سمعان . فيرى الناس ان يزيد بن عبد الملك سمه . دس الي خادم كان يخدمه فوضع السم على ظفر ابهامه فلما استسقي عمر غمس ابهامه فى الماء ثم سقاه فمرض مرضه الذى مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا فلقد عطفت علينا قلوبا كانت عنا نافرة ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا . زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى المرضة التي مات فيها فقال له : يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ولا بد لهم من شيء يصلحهم . فلو أوصيت بهم الى أو الى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم ان شاء الله . فقال عمر : أجلسوني فاجلسوه . فقال : الحمد لله أبالله تخوفني يا مسلمة اما ما ذكرت انى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة فاني لم أمنعهم حقا هو لهم . ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . واما ما سألت من الوصاة اليك أو الى نظرائك من أهل بيتي فان وصيتي بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب . ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه : ادعوا الى بنيّ فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى أغرورقت عيناه بالدمع . ثم قال : بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم يا بني اني قد تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يا بني مثلت رأيي بين أن تفتقروا فى الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار : فكان أن تفتقروا الى آخرا لابد خيرا من دخول أبيكم يوما واحد فى النار : قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم . قال فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر . واشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دير سمعان موضع قبره بأربعين درهما . ومرض تسعة أيام ومات رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدي ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك وقال جرير بن الخطفى يرثى عمر بن عبد العزيز

ينعي النعاة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمراً عظيماً فاصطبرت له * وسرت فينا بحكم الله ياعمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وأنشد أبو عبيدة الاعرابي في عمر بن عبد العزيز :

مقابل الاعراق في الطيب الطاب * بين أبي العاص وآل الخطاب

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب كما يقال أديم ودام

٤٩ — خلافة يزيد بن عبد الملك — ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة . ومات ببلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة . وهو ابن أربع وثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين وشهراً وفيه يقول جرير :

سربلت سربال ملك غير مغتصب * قبل الثلاثين ان الملك مؤتشت

وكان على شرطته كعب بن مالك العبسي . وعلى الحرس غيلان ابو سعيد مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر مولاه — وكان فاسقا — وعلى الخاتم الصغير بكير أبو الحجاج . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير الهمداني ثم عزله واستعمل اسامة بن زيد مولى كلب . وعلى الخزائن وبيوت الاموال هشام بن مصاد . وحاجبه خالد مولاه : وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذات وهو صاحب حبابة وسلامة وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب . اسماء ولد يزيد : الوليد ويحيي وعبد الله والفهر وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ولا عقب له . والعوام ولا عقب له . وكتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز اما بعد فان عمر كان مغروراً . غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة . فاذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى أخصبوا ام أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا والسلام . أبو الحسن المدائني قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك . وجه الجيوش الى يزيد بن المهلب فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وللعباس ابن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : ياأمير المؤمنين ان أهل العراق ارجافه وقد خرجنا اليهم محاربين والاحداث تحدث فلو عهدت الى عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك . قال : غدا ان شاء الله وبلغ مسلمة الخبر فاتاه فقال له : ياأمير المؤمنين

أولاد عبدالملك أحب اليك أم أولاد الوليد . قال : ولد عبدالملك . قال : فاخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك . قال : بل أخي اذ كان ولدي أحق بها من ابن أخي . قال : يا أمير المؤمنين فان ابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبدالملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غدا ان شاء الله فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم على استخلاف هشام . فكان اذا نظر الى ابنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك . قال ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبدالملك العراق لاخيه مسلمة بن عبدالملك فبعث هلال بن أحوز المازني الى قندابيل في طلب آل المهلب فالتقوا فقتل المفضل بن المهلب وانهزم الناس وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ولم يفتش على النساء ولم يعرض لهن . وبعث العيال والاسرى الى يزيد بن عبدالملك قال حدثني جابر بن مسلم قال لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي حماد الذي يقال له كثير عزة فقال :

حليم اذا مانال عاقب مجملا * أشد عقاب أو عفا لم يثرب
فعفواً أمير المؤمنين وحسبة * فما تكتسب من صالح لك يكتب
أساؤا فان تغفر فانك قادر * وأعظم حلم حسبة حلم مغضب
تفتهم قريش عن أباطح مكة * وذو يمن بالمشرفي المشطب

فقال يزيد لاطت بك الرحم . لاسبيل الى ذلك من كان له قبل آل المهلب دم فليقم فدفعهم اليهم حتى قتل نحو ثمانين . قال : وبلغ يزيد بن عبدالملك ان هشاما ينتقصه فكتب اليه : أن مثلي ومثلك كما قال الاول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها باوحد
لعل الذي يبغي رداى ويرتجى * به قبل موتي أن يكون هو الردى

فكتب اليه هشام : ان مثلي ومثلك كما قال الاول

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

فكتب اليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون مابلغنا عنك ، مع حفظ وصية أبينا عبدالملك . وما حض عليه من صلاح ذات البين . واني لاعلم انك كما قال معن بن أوس :

لعمرك ماأدرى واني لاوجل * على أينا تعدو المنية أول
واني على أشياء منك تريبني * قديما ولاصلح على ذاك بجمل
ستقطع في الدنيا اذا ماقطعتني * يمينك فانظر أى كف تبدل
اذا سؤتني يوما رجعت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلا متحول

فلما جاءه الكتاب رحل هشام اليه فلم يزل فى جواره الى أن مات يزيد وهو معه فى عسكره مخافة أهل البغي . محمد المغازي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثني الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا . فلما توفيت اكب عليها يتشممها أياما حتى أنتنت فاخذها في جهازها وخرج بين يدى نعشها حتي اذا بلغ القبر نزل فيه فلما فرغ من دفنها الصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤسيه فقال : قاتل الله ابن أبي جمعة كانه كان يرى مانحن فيه حيث يقول :

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

قال وطعن فى جنازتها فدفناه الى سبعة عشرا يوما

٥٠ — خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان — ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان . يكني أبا الوليد : وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام المخزومى يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة . أسماء ولد هشام بن عبد الملك : معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد — وهو الأبكم — ومروان وابراهيم ومحمد ومنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن . وكان على شرطته كعب بن عامر العبسي . وعلى الرسائل سالم مولاه وعلى خاتم الخلافة الربيع مولى لبنى الحريش وهو الربيع بن سابور . وعلي الخاتم الصغير أبو

الزبير مولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن يزيد ثم عزله وولى الخشخاش . وعلى اذنه غالب بن مسعود مولاه

٥١ — أخبار هشام بن عبد الملك — أبو الحسن المدائني . قال . كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه ان عائشة ابنة اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمه ذلك فارسل الى سعيد بن المسيب فقصها عليه . فقال سعيد تلد غلاما يملك عشرين سنة وكانت عائشة أم هشام حمقاء فطلقها عبد الملك لحمقها وولدت هشاما وهي طالق ولم يكن في ولد عبد الملك أكمل من هشام . قال خالد ابن صفوان : دخلت على هشام بن عبد الملك بعد ان سخط على خالد بن عبد الله القسري وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق . فلما دخلت عليه استدناني حتى كنت أقرب الناس اليه فتنفس الصعداء . ثم قال ياخالد رب خالد قعد مقعدك هذا أشهي الى حديثا منك . فعلمت انه يريد خالد بن عبد الله القسري . قلت : ياأمير المؤمنين أفلا تعيده . قال هيهات ان خالدا ادل فامل ، وارجف فاعجف ، ولم يدع لمرجع مرجعا ، على أنه ماسالني حاجة قط . فقلت : ياأمير المؤمنين فلو أدنيته فتفضلت عليه . قال هيهات وأنشد :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال اصبغ بن الفرج لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام : خرج حاجا فحمل ثياب ظهره على ستمائة جمل . ودخل المدينة فقال لرجل انظر من في المسجد فقال رجل طويل آدم أدهم قال هذا سالم بن عبد الله ادعه فاتاه . فقال أجب أمير المؤمنين وان شئت أرسل فتؤتى بثيابك فقال : ويحك أتيت الله زائرا في رداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام . فدخل عليه فوصله بعشرة آلاف ثم قدم مكة فقضى حجه . فلما رجع الى المدينة قيل له : ان سالما شديد الوجع فدخل عليه وساله عن حاله ومات سالم فصلى عليه هشام . وقال ماأدري باي الامرين أنا أسر بحجي أم بصلاتي على سالم . قال : ووقف هشام يوما قريبا من حائط فيه زيتون له فسمع نفض الزيتون . فقال لرجل . انطلق اليهم فقل لهم التقطوه ولاتنفضوه . فتفقؤا عيونه ، وتكسروا اغصونه . وخرج هشام هاربا من الطاعون فانتهي الى دير فيه راهب فادخله

الراهب بستانه فجعل ينتقي له أطايب الفاكهة والبالغ منها فقال هشام يا راهب هبني بستانك هذا فلم يجبه . فقال : مالك لا تتكلم فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : ولم قال لعلك أن تشبع . فالتفت هشام الى الابرش . فقال أتسمع مايقول قال الابرش بلي والله ان لقيك حر غيره العتبي قال : اني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال الحرسي : ان أمير المؤمنين جرأني في خصومة بينه وبين ابراهيم . قال القاضي شاهديك على الجراءة فقال : أتراني قلت علي أمير المؤمنين مالم يقل وليس بيني وبينه الا هذه السترة . قال : لا ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة قال فقام فلم يلبث حتى قعقعت الابواب وخرج الحرسي . فقال : هذا أمير المؤمنين قال فقام القاضي فاشار اليه فقعد وبسط له مصلى فقعد عليه هو وابراهيم وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال فتكلما وأحضرت البينة فقضى القاضي على هشام فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق . فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت ان أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . قال : له استرها علي يا ابراهيم . قلت لا ستر الله على ذنبي اذا يوم القيامة . قال اني معطيك عليها مائة الف . قال ابراهيم فسترتها عليه طول حياته ثمنا لما أخذت منه وأذعتها عنه بعد موته تزيينا له . وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد ابن هشام بن عبد الملك عاملا لابيه على حمص . وكان يرمى بالنساء والشراب فقدم حمصي لهشام فلقيه أبو جعد الطائي في طريق فقال له هل تري ان أعطيك هذه الفرس فاني لا أعلم بمكان مثلها على ان تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ليس فيه حاجة بمسئلة دينار ولا درهم فاخذها واخذ الكتاب . فلما قدم على هشام ساله ماقصة هذا الفرس فاخبره فقال : هات الكتاب فاذا فيه :

ابلغ اليك أمير المؤمنين فقد * أمددتنا بامير ليس عنينا
طورا يخالف عمرا في حليلته * وعند ساحته يسقى الطلادينا

فلما قرأ الكتاب بعث الى سعيد فاشخصه . فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة . وقال : يا ابن الخبيثة تزني وأنت ابن أمير المؤمنين . ويلك أعجزت ان تفجر فجور قريش . أوتدري ما فجور قريش لا أم لك قتل هذا . واخذ مال هذا . والله لا تلي لي عملا حتي تموت قال فما ولى له عملا حتي مات . احمد بن عبيد قال : أخبرني هشام الكلبي عن أبي محمد بن سفيان القرشي عن أبيه قال

كنا عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضرو الاستماع بلاغة خطبائهم . فحضرت كلامهم حتى محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى وكان أعظم القوم قدرا وأكبرهم سنا . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ان خطباء قريش قد قالت فيك ماقالت وأكثرت وأطنبت والله مابلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصي خطيبهم فضلك ، وان أذنت فى القول قلت . قال : قل وأوجز قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والاولى . ان لى حوائج . فاذكرها قال هاتها . قال كبرسنى ، ونال الدهر مني ، فان رأى امير المؤمنين ان يجبر كسرى ، وينفي فقرى ، فعل . قال قال : وما الذي ينفي فقرك ، ويجبر كسرى قال ألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال فاطرق هشام طويلا ثم قال يا ابن أبي الجهم بيت المال لا يحتمل ماذكرت . ثم قال له : هبه قال : ماهيه اما والله ان الامر لواحد ولكن الله آثرك لمجلسك فان تعطنا فحقنا اديت ، وان تمنعنا فنسال الله الذى بيده ماحويت . يا أمير المؤمنين ان الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة . والله لان أحبك احب الى من ان أبغضك . قال فالف دينار لماذا قال اقضى بها دينا فدحان قضاؤه ، وقد عنانى حمله ، واضربي اهله . قال فلا باس تنفس كربة ، وتؤدي امانة وألف دينار لماذا . قال ازوج بها من بلغ من ولدى . قال نعم المسلك سلكت اغضضت بصرا واعففت ذكرا ورفعت نسلا . وألف دينار لماذا . قال اشتري بها أرضا يعيش بها ولدى ! واستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخرا لمن بقى . قال فانا قد أمرنا لك بما سالت قال فالمحمود الله على ذلك . خرج فاتبعه هشام بصره وقال اذا كان القرشي فليكن مثل هذا . مارأيت رجلا أوجز فى مقال ولا أبلغ فى بيان منه . ثم قال : أما والله انا لنعرف الحق اذا نزل ، ونكره الاسراف والبخل ، وما نعطي تبذيرا ، ولا نمنع تقتيرا ، ومانحن الاخزان الله فى بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فاذا أذن أعطينا واذا منع ابينا . ولوكان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ماجبهنا قائلا ؟ ولا رددنا سائلا ، ونسال الذي بيده مااستحفظنا أن يجريه على أيدينا فانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بعباده خبير بصير فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فابلغت ومابلغ فى كلامه ماقصصت . قال : انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى . وذكروا : ان العباس والوليد وجماعة من بنى مروان اجتمعوا عند هشام . فذكروا أمورا من يزيد وعابوه وذموه . وكان هشام ينقصه ودخل الوليد فقال له العباس ياوليد . كيف حبك للروميات فان أباك كان مشغوفا بهن قال

كيف لا يكون وهن يلدن مثلك : قال الا تسكت يا ابن البظراء قال حسبك أيها المفتخر علينا بختان أمه وقال له هشام ماشرابك يا وليد : قال بشرابك يا أمير المؤمنين . وقام يخرج فقال له هشام هذا الذي زعمتموه احمق وقرب الوليد بن يزيد فرسه فجمع جراميزه ووثب على سرجه . ثم التفت الى ولد هشام . وقال له هل يقدر أبوك ان يصنع مثل هذا . قال لا بي مائة عبد يصنعون مثل هذا . فقال الناس لم ينصفه في الجواب . العتبي عن أبيه قال سمعت معاوية بن عمر بن عتبة يحدث قال انى لقاعد بباب هشام بن عبد الملك وكان الناس يتقربون اليه بعيب الوليد بن يزيد قال فسمعت قوما يعيبونه فقلت دعونا من عيب من يلزمنا مدحه ووضع من يجب علينا رفعه . وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام فنقلوا اليه كلامي وكلام القوم فلم ألبث الا يسيرا حتى راح الى مولى للوليد قد التحف على ألف دينار . فقال لى يقول لك مولاى انفق هذه في يومك وغدا أمامك قال فلئت رعبا من هشام وخشيت سطوته ورماه الله بالعلة فدفناه ثمانية عشر يوما بعد ذلك اليوم فلما قام الوليد بعده دخلت عليه : فقال لى يا ابن عتبة أترانى ناسيا قعودك بباب الاحول يهدمني وتبنيني ويضعني وترفعني فقلت يا أمير المؤمنين شاركت قومك فى احسانك اليهم . وتفردت دونهم باحسانك الى فلست أحمل لك نفسي فى اجتهاد ولا أعذرها فى تقصير ونشهد بذلك ألسنة الجائزين بنا ويصدق قولهم فى الفعال بنا قال كذلك انتم لنا آل أبي سفيان وقد اقطعتك مالى بالبثنية وما أعلم لقرشى مثله * وقال عبد الله ابن الحكم فقيه مصر : سمعت الاشياخ يقولون سنة خمس وعشرين ومائة أديل من الشرف وذهبت المروءة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك . قال أبو الحسن المدائني : مات هشام بن عبد الملك بالذبحة يوم الاربعاء بالرصافة فى ربيع الآخر لست خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وصلى عليه مسلمة بن هشام أو بعض ولده واشترى له كفن من السوق

٥٢ — خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك — بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وامه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف وقتل بالهجرا من تدمر على ثلاثة أميال يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين . قال حاتم بن مسلم ابن خمس وأربعين وأشهر . وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين

وعشرين يوما فاول شيء نظر فيـه الوليدان كتب الى العباس بن الوليد بن عبـد الملك أن ياتى الرصافة يحصى مافيهـا من أموال هشام وولده وياخـذ عمـاله وحشمه الا مسلمة بن هشام . فانه كتب اليه أن لا يعرض له ولا يدخـل منزله وكان مسلمة كثيرا مايكلم أباه فى الرفق بالوليد ففعل العباس ما أمره به . وكتب الوليـد بن يزيد الى يوسف بن عمر فقدم عليـه من العراق فدفع اليـه خالد بن عبـد الله القسرى ومحمد أوابراهيم ابني هشام بن اسميعل المخزومى وأمره بقتلهـم . فحدث أبو بشر بن السرى قال رأيتهم حين قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة وخالد فى عباءة فى شق محمـل فعذبهم حتي قتلهم ثم عكف الوليـد عـلى البطالة وحب القيـان . والملاهي والشراب ومعاشقة النساء فتعاشق سعدى ابنة سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها . ثم تعاشق اختها سلمي فطلق أختها سعدى وتزوج سلمي فرجعت سعـدى الى المـدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبـد الملك ثم ندم الوليد عـلى فراقها وكلف بحبها فدخـل عليـه اشعب المضحك فقال له الوليد هـل لك عـلى ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون الف درهم قال : هاتها فدفعها اليـه فقبضها وقال مارسالتك قال اذا قدمت المدينة فاستاذن عليها وقل لهـا يقول لك الوليد

أسعدى ما اليك لنـا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلي ولعل دهرا ان يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

فاتاها أشعب فاستاذن عليها وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنـه . فقالت له : مابدالك فى زيارتنا ياأشعب . قال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة قالت هاتها فانشدها البيتين . فقالت لجواريها خذن هـذا الخبيث . وقالت ماجرأك عـلى مثل هذه الرسالة . قال انها بعشرين ألفا معجلة مقبوضة قالت والله لا جلدنك أو لتبلغنه كما أبلغتنى عنـه . قال فاجعلى لى جعلا قالت بساطى هذا . قال فقومي عنـه . فقامت عنه وطوى البساط وضمه ،. ثم قال هاتى رسالتك فقالت له قل له :

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب . وقال اختر احدى ثلاث خصال ولا بدلك من احداها اما ان أقتلك . واما ان أطرحك للسباع فتاكلك . واما ان ألقيك من هذا القصر . فقال أشعب : ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فضحك وخلى سبيله .

وأقامت عنده سلمى حتى قتل عنها وهو القائل فى سلمى :

شاع شعرى في سليمي وظهر * ورواه كل بدو وحضر
وتهادته الغوانى بينها * وتغنين به حتى انتشر
لو رأينا من سليمي أثراً * لسجدنا ألف الف للاثر
واتخذناها اماما مرتضى * ولكانت حجنا والمعتمر
انما بنت سعيد قمر * هل حرجنا ان سجدنا للقمر

وفيها يقول قبل تزوجه لها :

حدثوا ان سليمي * خرجت يوم المصلى
فاذا طير مليح * فوق غصن يتفلى
قلت ياطير ادن مني * فدنا ثم تدلى
قلت هل تعرف سلمي * قال لا ثم تولى
فتظامي القلب كلا * باطنا ثم تجلي

وقال فى سلمي قبل تزوجه لها :

لعل الله يجمعني بسلمي * أليس الله يفعل مايشاء
ويأتى بى و يطرحني عليها * فيوقظني وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة من بعد هذا * فتغسلنا وليس بنا عناء

وقال فيها بعد تزوجه لها :

أنا فى يمنى يديها * وهي فى يسرى يديه
ان هذا لقضاء * غير عدل ياأخيه
ليت من لام محبا * فى الهوى لاقي منيه
فاستراح الناس منه * ميتة غير سويه

قال : ولهج الوليد بالنساء والشراب والصيد . فارسل الى المدينة فحملوا له المغنين فلما قربوا اليه أمر ان يدخلوا العسكر ليلا وكره أن يراهم الناس فاتاموا حتى أمسوا غير محمد بن أبى عائشة فانه دخل نهارا . فامر الوليد بحبسه فلم يزل محبوسا حتي شرب الوليد يوما فطرب فكلمه معبد فامر

الوليد باخراجه ودعاه فغناه فقال :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * يطرق عليك النجى والولج

فرضى عنه . وكان سعيد الاحوص ومعبد . قدما على الوليد ونزلا فى الطريق على غدير وجارية تستسق فزاغت فانكسرت الجرة فجلست تغني :

يابيت عاتكة التى أتغزل * حذر العداوبه الفؤاد موكل

فقال : ياجارية لمن أنت . فقالت كنت لآ ل الوليد بالمدينة . فاشترانى مولاى وهو من بني عامر بن صعصعة أحد بنى الوحيد من بنى كلاب وعنده بنت عم له فوهبني لها فامرتنى ان أستقى لها . فقال لها : فلمن الشعر . قالت : سمعت بالمدينة ان الشعر للاحوص والغناء لمعبد فقال معبد للاحوص : قل شيا أغني عليه . فقال :

ان زين الغدير من كسر الجر وغني غناء فحل مجيد
قلت من أنت يامليحة قالت * كنت فيما مضى لآ ل الوليد
ثم قد صرت بعد عز قريش * فى بني عامر لآ ل الوحيد
وغنائي لمعبد ونشيدى * لفتى الناس الاحوص الصنديد
فتضاحكت ثم قلت أنا الاحـ * ـوص و الشيخ معبد فاعيدى
فاعادت وأحسنت ثم ولت * تتهادى فقلت أم سعيد
يقصر المال عن شراك ولكن * أنت فى ذمة الامام الوليد

وأم سعيد كانت للاحوص بالمدينة : فغني معبد على الشعر . فقال . ماهذا فاخبراه فاشتراها الوليد قال أبو الحسن وقال ابن أبي الزناد : اني كنت عندهشام وعنده الزهرى فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيبا شديدا . ولم أعرض لشئ مما كانا فيه فاستاذن فاذن له فدخل وأنا أعرف الغضب فى وجهه . فجلس قليلا ثم قام . فلما مات هشام : كتب بي فحملت اليه فرحب بى . وقال : كيف حالك ياابن ذكوان والطف المسئلة . ثم قال أتذكر هشاما الاحول . وعنده الفاسق الزهرى وهما يعيباني . فقلت: اذكر ذلك ولم أعرض لشىء مما كانا فيه . قال صدقت أرأيت الغلام الذى كان على رأس هشام قائما : قلت نعم . قال : فانه نم الى بما قالاه وأيم الله لو بقي الفاسق الزهرى لقتلته . قلت قد عرفت الغضب فى وجهك حين دخلت . قال : ياابن ذكوان

ذهب الاحول قلت يطيل الله عمرك ، ويمتع الامة ببقائك ؟ ودعا بالعشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وجلس : فقال : اسقني فجاؤا باناء مغطى وجيء بثلاث جواز فصففن بيني وبينه حتى شرب ودهش فتحدثنا واستسقى فصنعوا مثل ذلك فما زال كذلك يستسقي ويتحدث ويصنعون مثل ذلك حتى طلع الفجر . فاحصيت له سبعين قدحا . على بن عياش قال : اني عند الوليد بن يزيد فى خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماساله عن نفسه ولا عن مسيره حتى قال له : ياابن شراعة أنا والله ماأبعث اليك لأسالك عن كتاب الله وسنة رسوله . قال والله لو سالتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا . قال انما أرسلت اليك لاسالك عن القهوة . قال دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم . قال فاخبرني عن الشراب . قال : يسال أمير المؤمنين عما بداله قال ماتقول فى الماء . قال لابد لى منه والحمار شريكى فيه . قال ماتقول فى اللبن . قال مارأيته قط إلا استحييت من أمي لطول مارضعتني به . قال : ماتقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال فنبيذ التمر . قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش . قال فنبيذ الزبيب . قال حاموا به على الشراب . قال : ماتقولون فى الخمر . قال : أواه تلك صديقة روحى . قال : وأنت والله صديق روحى قال فاي المجالس أحب قال ماشرب الكاس قط على وجه أحسن من السماء قال أبو الحسن كان أبو كامل مضحكا غزلا مغنيا فغني الوليد يوما فطرب فاعطاه قلنسوة برود كانت عليه فكان أبو كامل لايلبسها الا فى عيد ويقول كسانيها أمير المؤمنين فانا اصونها وقد أمرت أهلى اذا مت ان توضع فى اكفاني وله يقول الوليد

من مبلغ عني أبا كامل * انى اذا ماغاب كالهابل
وزادنى شوقا الى قربه * ماقد مضى من دهرنا الحائل
انى اذا عاطيته مرة * ظلت بيوم الفرح الجازل

قال وجلس الوليد يوما وجارية تغنيه فانشدت الوليد * قينة في يمينها ابريق * فاستنشدها حماد الراوية فقال :

ثم نادى الا أصبحوني فقامت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

وكتب له الوليد الى المدينة فحمل اليه اشعب فالبسه سراويل جلد قرد له ذنب وقال له ارقص

وغن صوتا يعجبني فان فعلت أعطيتك الف درهم فرقص وغني فاعجبه فاعطاه الف درهم وأنشد الوليد هذا :

علاني واسقياني * من شراب اصفهاني
من شراب الشيخ كسري * أو شراب الهرمزان
ان بالكاس لمسكا * أو بكفي من سقاني
انما الكاس ربيع * يتعاطي بالبنان

وقال أيضا :

وصفراء فى الكاس كالزعفران * سباها الدهاقين من عسقلان
لها قاد رمح اذا صفقت * تراها كلمعة برق يماني

وقال أيضا :

ليت حظي اليوم من * كل معاش لى وزاد
قهوة أبذل فيها * طار فى بعد تلادى
فيزال القلب منها * هائما فى كل وادى
ان فى ذاك فلاحى * وصلاحي ورشادى

اوقال امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

وبلغ الوليد ان الناس يعيبونه وينتقصونه بالشراب وطلب اللذات . فقال فى ذلك :

ولقد قضيت ولم يجلل لمتى * شيب على رغم العدا لذاتي
من كاعبات كالدمى ومناصف * ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تابي الشموس وجوههم * شم لانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يعطونها * أو يطلبوا لايدركوا بترات

وقال معاوية بن عمرو بن عتبة ، للوليد بن يزيد حين تغير له الناس وطعنوا عليه : ياأمير المؤمنين انه ينطقني الامن بك ، وتسبقني اليك الهيبة لك وأراك تامن أشياء أخافها عليك . أفاسكت مطيعا ام أقول مشفقا قال كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعد ذلك بايام وقال اذ كثر القول فيه :

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم * ثباتا لايساوى ماحييت عقالا
دعوا لى سليمى مع طلاء وقينة * وكاس الا حسبي بذلك مالا

أبالملك أرجوأن أخلد فيكم * ألارب ملك قد أزيل فزالا
ألارب دار قد تحمل أهلها * فاضحت قفاراوالديار خلالا

قال اسحق بن محمد الازرق دخلت على منصور بن جهور الازدى بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جوارى الوليد . فقال لى : اسمع من هاتين الجاريتين مايقولان قالتا قد حدثناك قال بل حدثاه كما حدثماني . قالت : احداهما كنا أعزجواريه عنده فنكح هذه وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فاخرجها وهى سكرى جنبة متلثمة فصلت بالناس

٥٤ — مقتل الوليد بن يزيد — اسمعيل بن ابراهيم قال حدثني عبدالله بن واقد الجرمي وكان شهد قتل الوليد . قال لما اجمعوا على قتله قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك فاتى أخاه العباس ليلا فشاوره في قتل الوليد فنهاه عن ذلك فاقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق فى أربعين رجلاً فكسروا باب المقصورة ودخلوا على واليها فاوثقوه وحمل يزيد الاموال على العجل الى باب المضمار وعقد لعبدالعزيز بن الحجاج ونادى مناديه من انتدب الى الوليد فله ألفان فانتدب معه الفارجل وضم مع عبدالعزيز ابن الحجاج يعقوب بن عبدالرحمن ومنصور بن جهور وبلغ الوليد بن يزيد ذلك فتوجه من البلقاء الى حمص . وكتب الى العباس بن الوليد أن يأتيه فى جند من أهل حمص وهو منها قريب . وخرج الوليد حتى انتهى الى قصر فى برية ورمل من تدمر على أميال وصبحت الخيل الوليد بالصحراء وقدم العباس بن الوليد بغير خيل فحبسه عبدالعزيز بن الحجاج خلفه . ونادى منادي عبدالعزيز من أتى العباس بن الوليد فهو آمن وهو بيننا وبينكم وظن الناس ان العباس مع عبد العزيز فتفرقوا عن الوليد وهجم عليه الناس فكان أول من هجم عليه السرى بن زياد بن أبي كبشة السكسكى وعبدالسلام اللخمي فاهوى اليه السري بالسيف وضربه عبدالسلام على قرنه فقتل . قال اسمعيل وحدثني عبد الله بن واقد قال حدثني يزيد بن أبي فروة مولى بنى أمية قال لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد قال لى انصبه للناس قلت لا أفعل انما ينصب رأس الخارج فحلف لينصبن ولا ينصبه غيرى فوضع على رمح ونصب على درج مسجد دمشق . ثم قال : اذهب فطف به فى مدينة دمشق : وخليفة ابن خياط قال حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف قال اقتل كما قتل ابن عمي عثمان . أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليد صاحب لهو وصيد وشراب ولذات فلما ولى الامر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها . فلم يدخل

مدينة من مدائن الشام حتى قتل ولم يزل يتنقل و يتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بني هاشم واضر بهم وضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغر به الى عمان فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام وهو الافقم فرماه بنو هاشم وبنو الوليد وكان أشدهم قولا فيه يزيد بن الوليد . وكان الناس الى قوله أميل لانه كان يظهر النسك ولما دفع الوليد خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر فقتله غضب له اليمانية وغيرهم فاتت يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع عليهم وخاف أن لا تبايعه الناس ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرا . ولما قتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس اني والله ماخرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك ومابى اطراء نفسى ولا تزكية عملى واني لظلوم لنفسى ان لم يرحمني ربي ولكنني خرجت غضبا لله ودينه . وداعيا الى كتاب الله وسنة نبيه حين درست معالم الهدى ، وطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل للحرمة ، والراكب للبدعة والمغير للسنة ، فلما رأيت ذلك أشفقت أن غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت ان يدعو كثيرا من الناس الى ماهو عليه فيجيبه من أجابه منكم فاستخرت الله فى أمرى وسألته أن لا يكلني الى نفسى ودعوت الى ذلك من اجابني من أهلي وأهل ولايتى وهو ابن عمى فى نسبى وكفئي فى حسبي فاراح الله منه العباد وطهر منه البلاد ولاية من الله وعونا بلا حول ولا قوة ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه ، أيها الناس : ان لكم على ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على لبنة ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى أسد ثغره وأقسم بين أهله ماتقوون به فان فضل رددته الى اهل البلد الذي يليه ومن هو أحوج اليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ولا أحد بعوزكم فتفتنوا فتنة أهاليكم فان اردتم بيعتي على الذى بذلت لكم فانا لكم به وان ملت فلا بيعة لى عليكم وان رأيتم أحدا هو أقوى عليها مني فاردتم بيعته فانا أول من بايع ودخل فى طاعته أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وقال خلف بن خليفة فى قتل الوليد بن يزيد يقول فى قتل خالد بن عبد الله :

لقد سكنت كلب واسياف مذحج * صدى كان يزقو ليله غير راقد
تركنا أمير المؤمنين جليسة * مكبا على خيشومه غير ساجد
فان تقطعوا امنا مناط قلادة * قطعنا بها منكم مناط قلائد

وان تشغلونا عن أذان فاننا * شغلنا الوليد عن غناء الولائد

٥٥ — ولاية يزيد الناقص - ثم بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين ومائة . وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى سباها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها الى الحجاج بن يوسف فبعث بها الحجاج الى الوليد بن عبد الملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره . ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وصلى عليه أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . قال عبد العزيز : بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة ومات ولم يبلغ الاربعين . وعلى شرطته بكير بن عثمان الحسنى وكاتب الرسائل ابن أبي سليمان بن سعد . وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي . ويقال قطن مولاه وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد بالجزيرة وبلغه عنه تلكؤ فى بيعته . أما بعد : فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . ثم قطع اليه البعوث وأمر لهم بالعطاء فلم ينقص عطاؤه حتى مات يزيد . ولما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعته وبعث وفدا عليهم سليمان بن علاثة العقيلى فخرج فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد فانصرفوا الى مروان والله أعلم

٥٦ — ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع — العلاء بن يزيد بن سنان قال حدثني أبي قال . حضرت الوليد بن يزيد حين حضرته الوفاة فاتاه قطن . فقال أنا رسول من وراء بابك يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك ابراهيم بن الوليد فغضب وضرب بيده على جبهته وقال : أنا أولى ابراهيم . ثم قال لى يا أبا العلاء الى من ترى ان أعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فى اوله فلا أشير عليك فى الدخول فى آخره . قال فاصابته إغماءة حتى ظننت انه قد مات ففعل ذلك غير مرة ثم خرجت من عنده فقعد قطن وافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لابراهيم بن الوليد ودعا ناسا فاشهدهم عليه . قال والله ماعهد اليه يزيد ولا الى احد من الناس وقال يزيد فى مرضه لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا مني لرأيت فيه رأيي . وفى رواية ابى الحسن المدائني . قال لما مرض يزيد قيل له لو بايعت لاخيك ابراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده فقال له قيس بن هانىء العبسي

اتق الله يا أمير المؤمنين وانظر لنفسك وارض الله فى عباده ، فاجعل ولى عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال الوليد لا يسالني الله عن ذلك ولو كان سعيد ابن عبد الملك مني قريبا لرأيت فيه رأيي . وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان فالحت القدرية عليه وقالوا : لا يحل لك اهمال أمر الامة فبايع لاخيك ابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده فلم يزالوا به حتى بايع لابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده ومات يزيد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوما فلما قدم مروان نبش يزيد من قبره وصلبه وكان يقرأ فى الكتب القديمة . يا مبذر الكنوز يا سجاد في الاسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة نبشوك فصلبوك وبويع ابراهيم ابن الوليد وأمه بربرية فلم يتم له الامر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة . وجماعة تبايع وجماعة يأبون أن يبايعوا فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع ابراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج وولى الامر بنفسه . وفى رواية خليفة بن خياط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفا من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم عطياتهم وولى على قيس اسحق بن مسلم العقيلى وعلى ربيعة المساور بن عقبة . ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد بن مروان فتلقاه وجوه قريش الوثيق بن زفر ويزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى وأبو الورد بن الهذيل بن زفر وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى فى خمسة آلاف من قيس فساروا معه حتى قدم حلب وبها بشر ومسرور ابنا الوليد بن عبد الملك أرسلهما ابراهيم ابن الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد فالتقوا فانهزم بشر ومسرور من ابن محمد من غير قتال فاخذهما مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حمص فدعاهم للمسير معه والبيعة وولى العهد الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وهما محبوسان عند ابراهيم بن الوليد بدمشق فبايعوه وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد وبلغ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو معسكر فى ناحية الري . فاقبل الى دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد من دمشق ونزل بباب الجابية وتهيأ للقتال ومعه الاموال على العجل ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز بن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما

في السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى قد دخل السجن فقتل يوسف بن عمر والحكم وعثمان بني الوليد بن يزيد وهما الحملان وأتاهم رسول ابراهيم فتوجه عبد العزيز بن الحجاج الى داره ليخرج عياله . فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه فاتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية . وكان محبوسا مع يوسف بن عمر وأصحابه فاخرجوه فوضعوه على المنبر في قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وابراهيم ابني الوليد وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوسا وبعث برأسه الى مروان بن محمد واستامن أبو محمد لاهل دمشق فامنهم مروان ورضى عنهم . وبلغ ابراهيم فخرج هاربا حتى اتى مروان فبايعه وخلع نفسه فقبل منه وأمنه فسار ابراهيم فنزل الرقة على شاطىء الفرات ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستامنه فامنه فاتاه فبايعه واستقامت لمروان بن محمد وكانت ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع أشهرا . قال أبو الحسن شهرين ونصفا

٥٧ — ولاية مروان بن محمد بن مروان — ثم بويع مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم أمه بنت ابراهيم بن الاشتر قال بعضهم بل كانت أمه لخباز لمصعب بن الزبير أولابن الاشتر واسم الخباز رزيا . وقال بعضهم كان رزيا عبد المسلم بن عمر الباهلى . وقال ابو العباس الهلالى حين دخل على ابي العباس السفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن امة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بنى مروان وأنجدهم وأبلغهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ودفع الى مروان أبياتا قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس وهي :

الا فتيان من مضر فيحموا * أسارى في الحديد مكبلينا
أتذهب عامر بدمي وملكي * فلا غثا أصبت ولا سمينا
فان أهلك انا وولى عهدي * فمروان امير المؤمنينا
فادب لاعدمتك حرب قيس * فتخرج منهم الداء الدفينا
الا من مبلغ مروان عني * وعمى الغمر طال بذا حنينا
فاني قد ظلمت وطال حبسي * لحضري الداء في لخف مهينا

وقتل مروان بابى صير من ارض مصر فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة الوليد بن هشام عن ابيه وعبد الله بن المغيرة عن ابيه وابو اليقظان قالوا ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وقتل

بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت ولايته خمس سنين وستة اشهر وعشرة أيام . وأم مروان أمة لمصعب بن الزبير وقتل وهو ابن خمسين سنة ولده مروان عبد الملك ومحمد وعبد العزيز وعبيد الله وعبد الله وأبان ويزيد ومحمدا الاصغر وأبا عثمان وكاتبه عبد الحميد بن يحيي بن سعيد مولى بنى عامر بن لؤى وكان معلما وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن علاثة وعلى شرطته الكوثر بن عتبة وأبو الاسود الغنوى وكان للحرس نوب فى كل ثلاثة أيام نوبة يلي ذلك صاحب النوبة وعلى حجابته صقلاب ومقلاص وعلى الخاتم الصغير عبد الاعلي بن ميمون بن مهران وعلى ديوان الجند عمران بن صالح مولى بني هذيل :

٥٨ — مقتل مروان بن محمد بن مروان — قال والتقى مروان وعامر بن اسمعيل ببوصير من أرض مصر فقاتلوهم ليلا وعبد الله وعبيد الله ابنا مروان واقفان ناحية فى جمع من أهل الشام فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن مراكزهم ثم كروا عليهم فهزموهم حتي ردوهم الى عسكرهم ورجعوا الى موقفهم . ثم ان أهل الشام بدؤهم فحملوا على أهل خراسان فكشفوا كشفا قبيحا ثم رجعوا الى أماكنهم وقد مضي عبيد الله وعبد الله فلم يروا أحدا من أصحابهم فمضوا على وجوههم وذلك فى السحر وقتل مروان وانهزم الناس وأخذوا عسكر مروان وما كان فيه وأصبحوا فاتبعوا الفل وتفرق الناس فجعلوا يقتلون من قدروا عليه ورجع أهل خراسان عنهم فلما كان الغد لحق الناس بعبد الله وعبيد الله ابني مروان وجعلوا يأتونهما متقطعين العشرة والعشرين وأكثر وأقل ويقولان كيف أمير المؤمنين فيقول بعضهم تركناه يقاتلهم ويقول بعضهم انحاز وثاب اليه قوم ولا يتبعونه حتي أتوا الحرون . فقال كنت معه أنا ومولى له فصرع فجررت برجله فقال أوجعتني فقاتلت أنا ومولاه عليه وعلموا انه مروان فألحوا عليه فتركته ولحقت بكم فبكى عبد الله فقال له أخوه عبيد الله يا ألأم الناس فررت عنه وتبكى عليه ومضوا فقال بعضهم كانوا أربعة آلاف وقال بعضهم كانوا ألفين فأتوا بلاد النوبة فأجرى عليهم ملك النوبة ما يصلحهم ومعهم أم خالد بنت يزيد وأم الحكم بنت عبيد الله صبية جاء بها رجل من عسكر مروان حين انهزموا فدفعها الى أبيها ثم أجمع ابنا مروان على ان يأتيا اليمن وقالا نأتيها قبل ان يأتيها السودان فلنتحصن فى حصونها وندعو الناس . فقال لهم صاحب النوبة لا تفعلوا انكم فى بلاد السودان وهم فى عدد كثير ولا من

عليكم فاقيموا فابوا . قال : فاكتبوا الى كتابا فكتبوا له انا قدمنا بلادك فاحسنت مثوانا وأشرت علينا ان لا نخرج من بلادك فابينا وخرجنا من عندك وافرين راضين شاكرين لك بطيب أنفسنا وخرجوا فاخذوا فى بلاد العدو فكانوا ربما عرضوا لهم ولا يأخذون منهم الا السلاح وأكثر ذلك لا يعرضون لهم حتى أتوا بعض بلادهم فتلقاهم عظيمهم فاحتبسهم فطلبوا الماء فمنعهم ولم يقاتلهم ولم يخلهم وعطشهم وكان يبيعهم القربة بخمسين درهما حتى اخذ منهم مالا عظيما ثم خرجوا فساروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقين فسلك عبدالله أحدهما فى طائفة وسلك عبيد الله الاخرى فى طائفة وظنوا أن للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون بهم عند آخرها فلم يلتقوا وعرض قوم من العدو لعبيدالله وأصحابه فقاتلوهم فقتل عبيد الله وأخذت أم الحكم بنته وهى صبية . وقتل رجل من أصحابه وكفوا عن الباقين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش فجعلوا يتنكبون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الايام فتمضى طائفة وتقيم الاخرى حتى بلغ العطش منهم . فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون اكراشها فيشربونه حتى وصلوا الى البحر بحيال علائقة المندب . ووافاهم عبدالله وعليه مقرمة قد جابها فكانوا جميعا خمسين أو أربعين رجلا فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون . وعفان مولى بنى هاشم . فعبروا اليهم البحر فى السفن فمشوا الى المندب فأقاموا بها شهرا فلم تحملهم . فخرجوا الى مكة . وقال بعضهم اعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وثياب الاكرياء حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشي فمروا بقوم فرقوا لهم فحملوهم . وفارق عبد الله الحجاج بجدة ثم حجوا وخرجوا من مكة الى قتاله . وكان على عبدالله فص أحمر كان قد غيبه حين عبر الى المندب . فلما أمن استخرجه وكانت قيمته ألف دينار وكان يقول : وهو يمشي ليت به دابة . حتى صار فى مرقعة تكون عليه بالنهار فيلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبدالله قائل فكان اشد الناس ومشوا فكان اقواهم ، وجاعوا فكان اصبرهم ، وعروا فكان أحسنهم عريا . وبعث وهو بالمندب الى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيدالله ففداها وردها اليه . فكانت معه ثم أخذ عبيدالله فقدم به على المهدى . فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم فكلمت العباس بن يعقوب كاتب عيسى بن على واعطته لؤلؤ ليكلم فيه عيسى فكلمه واعلمه بما أعطته فلم يكلم فيه عيسى ابن على المهدي . واراد المهدى ان يخليه فقال له عيسى : ان له فى أعناقنا بيعة وقد أعطى كاتبي قيمة ثلاثين الف درهم فحبسه المهدي . وكان عبدالله بن مروان

تزوج أم يزيد ابنة يزيد بن محمد بن مروان وكانت فى الحبس . فلما اخرجهم العباس خرجت الى مكة فاقامت بها وقدم عبدالله بن مروان سرا فتزوجها . وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب. فقال لى يوما : أين عزبت عنا حلومنا فى نسائنا ألا زوجناهن منا اكفائهن من قريش فكفينا مؤنتهن اليوم . وقال بعض آل مروان : ما كان شيء انفع لنا فى هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذى يساوى خمسة دنانير فما دون كان يخرجه الصبي والخادم فيبيعه وكنا لا نستطيع ان نظهر الجوهر الثمين الذى له قيمة كثيرة . وقال مصعب بن الربيع الخثعمي كاتب مروان بن محمد لما انهزم مروان وظهر عبد الله ابن على على أهل الشام : طلبت الاذن فانا عنده جالس وهو متكيء اذ ذكر مروان وانهزامه . فقال : شهدت القتال : قلت . نعم اصلح الله الامير وقال لى مروان احذر القوم . فقلت انما أنا صاحب قلم . ولست بصاحب حرب . فاخذ يمنة ويسرة فقال لى : هم اثنا عشر ألف رجل . وقال مصعب قيل لمروان : قد انتهب بيت المال الصغير فانصرف يريد بيت المال . فقيل له انتهب بيت المال الاكبر انتهبه أهل الشام . وقال أبو الجارود السلمي : حدثني رجل من أهل خراسان قال لقينا مروان على الزاب فحمل علينا أهل الشام كانهم جبال حديد . فجثونا على الركب واشرعنا الرماح فزالوا عنا كانهم سحابة ومنحنا الله اكتافهم وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا فبقي عليه رجل من أهل الشام فخرج اليه رجل منا فقتله الشامى . ثم خرج اليه آخر فقتله حتي والى بين ثلاثة . فقال رجل منا اطلبوا لى سيفا قاطعا وترسا صلبا فاعطيناه ومشى اليه فضربه الشامى فاتقاه بالترس وضرب رجله فقطعها وقتله ورجع فحملناه وكبرنا فاذا هو عبيد الله الكابلى . سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم . وانهم لم يزالوا على استقامة حتى افضي أمرهم الى أبنائهم المترفين . وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات ، وايثار اللذات ، والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا باستدراج الله ، وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل النوبة هاربا فيمن تبعه . سال ملك النوبة عنهم فاخبر فركب الى عبدالله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين ان يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويساله عن ذلك . فامر المنصور باحضاره وساله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بامرنا

فدخل على رجل أقنى الانف طوال حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا . قال . لاني ملك ويحق على الملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لاي شيء تشربون الخمر وهي محرمة عليكم قلت اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا واتباعنا لان الملك قد زال عنا . قال فلم تطؤن الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم قلت : يفعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم . قلت : ذهب الملك عنا وقل انصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال . فاطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت الارض ويقول عبيدنا واتباعنا وقوم دخلوا في ديننا وزال الملك عنا يردده مرارا . ثم قال ليس ذلك كذلك بل أنتم قوم قد استحللتم ما حرم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملكتم فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدي

٥٩ — أخبار الدولة العباسية — الهيثم بن عدي قال: حدثني عياش قال حدثني بكير أبو هاشم مولي مسلمة قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سر ودعوة باطنة منذ قتل الحسين بن علي ابن أبي طالب ولم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك وقيل لبعض بني أمية ما كان سبب زوال ملككم قال اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا . الهيثم بن عدي قال : حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ ان علي بن أبي طالب اصار الامر الى الحسن فاصاره الحسن الى معاوية وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن علي صار أمر الشيعة الي محمد بن الحنفية . وقال بعضهم الى علي بن الحسين . ثم الى محمد بن علي . ثم الى جعفر بن محمد والذى عليه الاكثران محمد بن الحنفية أوصي الى أبي هاشم ابنه عبد الله بن محمد بن الحنفية . ولم يزل قائما بامر الشيعة يأتونه ويقوم بامرهم ويؤدون اليه الخراج حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاتاه وافدا ومعه عدة من الشيعة فلما كلمه سليمان . قال ما كلمت قط قرشيا يشبه هذا وما نظن الذي كنا نحدث عنه الا حقا فاجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين فلما كان ببلاد لخم وجذام ضربوا له أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم . فكلما مر بقوم قالوا هل لكم في الشراب . قالوا جزيتم خيرا ثم بآخرين فعرضوا عليه . فقال : هاتوا فلما شرب واستقر

بجوفه . قال لاصحابه اني ميت فانظروا من القوم فنظروا فاذاهم قد قوضوا أبنيتهم وذهبوا فقال ميلوا بي الى ابن عمي وما أحسبني أدركه فاسرعوا حتي أتوا الحميمتين أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبدالله بن العباس . فنزل بها : فقال يا ابن عمي اني ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الامر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان . ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى أفريقية وما بين غانة وأقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيرا فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لاسيما مرو واستبطن هذا الحي من اليمن فان كل ملك لا يقوم به فمصيره الى انتقاض وانظر هذا الحي من ربيعة فالحقهم بهم فانهم معهم في كل أمر . وانظر هذا الحي من قيس وتميم فاقصهم الا من عصم الله منهم . وذلك قليل ثم مرهم أن يرجعوا فليجعلوا اثني عشر نقيبا . وبعدهم سبعين نقيبا . فان الله لم يصلح أمر بني اسرائيل الا بهم . وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك في خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتي يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي يا أبا هاشم وما سنة الحمار . قال : انه لم تمض مائة سنة من نبوة قط الا انتقض أمرها لقول الله عز وجل « أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس » واعلم أن صاحب هذا الامر من ولدك عبدالله بن الحارثية . ثم عبدالله أخوه ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبدالله فولد له من الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله وكني الاكبر أبا العباس . والاصغر أبا جعفر فوليا جميعا الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالامر بعده . واختلفت الشيعة اليهم . فلما ولد أبو العباس أخرجه اليهم في خرقة قال لهم : هذا صاحبكم فجعلوا يلحسون أطرافه : وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبدالعزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فاخبروه انهم حبسوا بخراسان في السجن وكان يخدمهم فيه غلام من السراجين ما رأوا قط مثل عقله وظرفه ومحبته في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو مسلم . وقال أحر أم عبد . قال أما عيسى فيزعم أنه عبد . وأما هو فيزعم أنه حر . قال فاشتروه وأعتقوه واجعلوه بينكم اذ رضيتموه واعطوا محمد بن علي مائتي الف كانت معهم . فلما انقضت المائة سنة بعث محمد بن علي رسله الى خراسان فغرسوا بها غرسا . وأبو مسلم المقدم عليهم وثارت الفتنة في خراسان بين المضرية واليمانية فتمكن أبو مسلم وفرق رسله في كور خراسان يدعوا الناس الى آل الرسول

فاجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان لهشام بن عبد الملك . فكان يكتب لهشام بخبرهم وتمضى كتبه الى ابن هبيرة صاحب العراق لينفذها الى أمير المؤمنين فكان يحبسها ولا ينفذها لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان فى ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام كتب كتابا وأمضاه الى هشام على غير طريق ابن هبيرة وفى جوف الكتاب هذه الابيات مدرجة يقول فيها :

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أوله الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
تصرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه هشام ان احسم ذلك الثؤلون الذى نجم عندكم . قال نصر وكيف لنا بحسمه . وقال نصر بن سيار يخاطب المضرية واليمانية ويحذرهم هذا العدو الداخل عليهم بقوله :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم * فليغضبوا قبل ان لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا * حربا يحرق فى حافاتها الحطب
مابالكم تلقحون الحرب بينكم * كأن أهل الحجا عن رأيكم غرب
وتتركون عدوا قد أظلكم * مما تاشب لا دين ولا حسب
قدما يدينون دينا ما سمعت به * عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم * فان دينهم ان تقتل العرب

ومات محمد بن على فى ايام الوليد بن يزيد واوصي الى ولده ابراهيم بن محمد . فقام بامر الشيعة وقدم عليهم أبو مسلم السراج وسليمان بن كثير . وقال لابي مسلم ان استطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ومن شككت فى امره فاقتله . فلما استعلى امر ابى مسلم بخراسان واجابته الكور كلها كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد بخبر ابى مسلم وكثرة من تبعه وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وان يدعو الى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فالقي الكتاب مروان وقد

أتاه رسول ابي مسلم بجواب ابراهيم الى أبي مسلم فكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وهو عامله على دمشق انا كتب الى عاملك بالبلقاء ليسير الى الحسينية فيأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجهه الى فحمل الى مروان وتبعه من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى فادخل على مروان فامر به الى الحبس . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال : كنت آتيه في السجن ومعه فيه سعيد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز فوالله اني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا بمولى لمروان قد استفتح الباب ومعه عشرون رجلا من موالي مروان الاعاجم ومعهم صاحب السجن فاصبحنا وسعيد وعبد الله وابراهيم قد ماتوا . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في الحبس : انه غم عبد الله مولاه بمرفقة وابراهيم بن محمد بجراب نورة وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن . فلقيه بعض حرس مروان في ظلمة الليل فوطئته الخيل وهم لا يعرفون من هو فمات . ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها فارسل الى نصر بن سيار فهرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا الى الري . فمات نصر بن سيار بفسطاط وتفرق أصحابه ولحق داود بالكوفة وولده جميعا . واستعمل ابو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمر قندوا حوازها . ثم اخرج الرايات السود وقطع البعوث وجهز الخيل والرجال عليهم قحطبة بن شبيب وعامر بن اسمعيل ومحرز ابن ابراهيم في عدة من القواد فلقوا من بطوس فانهزموا ومن مات في الزحام أكثر ممن قتل . فبلغ القتلى بضعة عشر الفا . ثم مضى قحطبة الى العراق فبدأ بجرجان وعليها نباتة بن حنظلة الكلابي . وكان قحطبة يقول لاصحابه : والله ليقتلن عامر بن منارة وينهزمن ابن هبيرة ولكني أخاف أن أموت قبل ان ابلغ ثاري . وأخاف أن أكون الذي يغرق في الفرات فان الامام محمد بن علي قال لي ذلك . قال الهيثم : فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ودخل جرجان فانتهبها وقسم ما أصاب بين أصحابه . ثم سار الى عامر بن ضبارة باصبهان فلقيه فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه ولم ينج منهم الا الشريد ولحق فلهم بابن هبيرة . وقال قحطبة لما اقتل ابن ضبارة : ما شيء رأيته ولا عدو قتلته الا وقد حدثني به الامام صلوات الله عليه الا انه حدثني اني لا أعبر الفرات . وسار قحطبة حتى نزل بحلوان ووجه أباعون في نحو من ثلاثين الفا الى مروان بن محمد . فاخذ على شهر زور حتى أتى الزاب وذلك برأى أبي مسلم . حدثني أبو عون عبد الملك بن يزيد قال لي أبو هاشم بكير بن ماهان : انت والله الذي تسير الى مروان ولتبعثن اليه غلاما من

مذحج يقال له عامر فليقتله . فامضيت والله عامر بن اسمعيل على مقدمتي فلقى مروان فقتله . ثم صار قحطبة من حلوان الى ابن هبيرة بالعراق فالتقوا بالفرات فاقتتلوا . حتى اختلط الظلام وقتل قحطبة في المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم : غرق في الفرات . ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط . وأصبح المسودة وقد فقدوا أميرهم فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هبيرة قال : هذا والله الادبار والا فمتى رأيتم ميتا هزم حيا . واقام ابن هبيرة بواسط وغلبت المسودة على العراق وبايعوا لابي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبيدالله بن علي لقتال مروان وأهل الشام وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر الى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام ابو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب . وامضى عبد الله بن علي اباعون في طلبه وأقام على دمشق ومدائن الشام يأخذ بيعتها لابي العباس . وكان أبو مسلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان يدعى وزير آل محمد . وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا مسلمة الخلال واتهمه بحب بني فاطمة وانه كان يخطب حبالهم فقتل ابو جعفر أبامسلم وكان أبو مسلم يقول لقواده : اذا اخرجهم لا تكلموا الناس الا رمزا ولا تلحظوهم الا شزرا لتمتلىء صدورهم من هيبتكم

٦٠ — مقتل زيد بن على ايام هشام بن عبد الملك — كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك : ان خالد بن عبدالله أودع زيد بن حسين بن على بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام الى زيد فقدم عليه يساله عن ذلك فانكر . فاستحلفه فحلف فخلي سبيله واقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الايام فقال له هشام : بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال أما قولك اني احدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله . وأما قولك : انى ابن أمة فهذا اسمعيل صلى الله عليه وسلم ابن امة اخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم . واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال هشام ما أحب أحد الحياة الا ذل قال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد وخرج زيد حتى قدم الكوفة . فقال .

سوده الخوف وأزري به * كذاك من يكره حر الجلاد
محتفى الرجلين يشكو الوجا * تنكبه اطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فوجه يوسف بن عمر اليه الخيل . وخرج في أثرهم حتي التقوا فقاتله فرمى زيد في آخر النهار بنشابة في نحره فمات فدفنه أصحابه في حماة كانت قريبة منهم وتبع أصحاب زيد فانهزم من انهزم وقتل من قتل . ثم أتي يوسف فقيل له ان زيدا دفن في حماة فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام . ثم صلبه في سوق الكناسة فقال في ذلك أعور كاب وكان مع يوسف في جيش أهل الشام :

نصبنا لكم زيدا على جذع نخلة * وما كان هذا على الجذع بنصب

الشيباني قال : لما نزل عبد الله بن على نهر أبي قطرس . حضر الناس بابه للاذن وحضر اثنان وثمانون رجلا من بني أمية فخرج الآذن . فقال : يا أهل خراسان قوموا فقاموا اسماطين في مجلسه . ثم اذن لبنى أمية فاخذت سيوفهم ودخلوا عليه . وقال أبو محمد العبدى الشاعر وخرج الحاجب فادخلنى فسلمت عليه فرد على السلام : ثم قال انشدني قولك .

* وقف المتيم في رسوم ديار * فانشدته حتي انتهيت الى قولى :

اما الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا * فلها يتم المجد غير فخار

والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه علي المصلى . وبنو أمية علي الكراسى فألقى الى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار . فقال : لك عندنا عشرة آلاف درهم وجارية وبرذون وغلام وتخت ثياب . قال : فوفى والله بذلك كله ثم انشأ عبد الله ابن على يقول :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد والهه * حتي يفادوا زيدها وحسينها

ثم أخذ قلنسوته من رأسه فضرب بها الارض . فأقبل أولئك الجند على بني أمية فخبطوهم بالسيوف والعمد . وقال الكلبي الذي كان بينهم وكان من أتباعهم أيها الامير اني والله ما أنا منهم فقال عبد الله بن على :

ومدخل رأسه لم يدعه أحد * بين الفريقين حتى بزه القرن

اضربوا عنقه . ثم أقبل على الغمر فقال : ما أحسب لك في الحياة بعد هؤلاء خيرا . فقال : أجل قال يا غلام اضرب عنقه فاقيم من المصلى فضرب عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم

ودعا بالطعام فجعل يأكل وأنين بعضهم تحت البساط . وفى رواية أخرى قال لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبى العباس السفاح فى ثمانين رجلا من بني أمية فوضعت لهم الكراسي ووضعت لهم نمارق وأجلسوا عليها وأجلس الغمر مع نفسه فى المصلى . ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون وكان متوشحا . سيفا متنكبا قوسا وكان طويلا آدم فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيزعم الضلال بما حبطت أعمالهم ان غير آل محمد أولى بالخلافة فلم وبم . أيها الناس لكم الفضل بالصحابة دون حق ذوى القرابة الشركاء فى النسب ، الاكفاء فى الحسب ، الخاصة فى الحياة ، الوفاة عند الوفاة مع ضربهم على الامير جاهلكم واطعامهم فى الاولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يسمع بمثل العباس لم تخضع له أمة بواجب حق أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيه ، أمينه ليلة العقبة ، ورسوله الى أهل مكة وحاميه يوم حنين ، لا يرد له رأيا ، ولا يخالف له قسما ، انكم والله معاشر قريش ما اخترتم لانفسكم من حيث ما اختاره الله لكم . تيمي مرة وعدوى مرة وكنتم بين ظهرانى قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والفانى على الباقى ، وجعلوا الصدقات فى الشهوات ، والفيء فى اللذات ، والغناء والمغانم فى المحارم ، اذا ذكروا بالله لم يذكروا ، واذا قدموا بالحق أدبروا . فذلك زمانهم ، وبذلك كان يعمل شيطانهم . فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبل . فلما جلسوا قام شبل فاستأذن فى الانشاد فاذن له . فانشد :

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فلقوها * بعد ميل من الزمان وباس
لا تقبلن عبد شمس عثارا * اقطعوا كل نخلة وغراس
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من منابر وكراسى
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
وقتيلا بجوف حران أضحي * تحجل الطير حوله فى الكناس
نعم شبل الهراس مولاك شبل * لونجا من حبائل الافلاس

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد فدخلوا ودخل الشيعة فلما جلسوا قام سديف بن ميمون . فانشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس * مستعدين يوجعون المطيا
عفوة أيها الخليفة لا عن * طاعة بل تخوفوا المشرفيا

لايغرنك ماترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

ثم قام خلف بن خليفة الاقطع فانشد .

ان تجاوز فقد قدرت عليهم * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
أو تعاتبهم على رقة الدين فقد كان دينهم سامريا

فالتفت أبو العباس الى الغمر . فقال : كيف ترى هذا الشعر قال والله ان هذا لشاعر ولقد قال شاعرنا ماهو أقعد قال وما قال فانشده :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فشرق وجه أبي العباس بالدم . وقال : كذبت يا ابن اللخناء اني لأرى الخيلاء في رأسك بعد . ثم قاموا وأمر بهم فدفعوا الى الشيعة فاقتسموهم فضربوا أعناقهم . ثم جروا بارجلهم حتى ألقوهم في الصحراء بالانبار وعليهم سراويلات الوشي فوقف عليهم سديف مع الشيعة وقال .

طمعت أمية ان سيرضي هاشم * عنها و يذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد والهه * حتي يبيد كفورها وخؤنها

وكان أشد الناس على بني أمية عبدالله بن عليّ وأحنهم عليهم سليمان بن عليّ وهو الذي كان يسميه أبو مسلم كنف الامان . وكان يجير كل من استجار به . وكتب الى أبي العباس يا أمير المؤمنين انا لم نحارب بني أمية على أرحامهم وانما حاربناهم على عقوقهم . وقد دافت الى منهم دافة لم يشهروا سلاحا ولم يكثروا جمعا فاحب ان تكتب لهم منشور أمان فكتب لهم منشور أمان وأنفذه اليهم فمات سليمان بن علي : وعنده بضع وثمانون حرمة لبني أمية :

٦١ — خلفاء بني أمية بالاندلس — عبدالرحمن بن معاية بن هشام أول خلفاء الاندلس من بني أمية . عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك وتوفي في عشرة من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فكان ملكه اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ولى الملك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة . وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكان يقال له صقر قريش . وذلك ان أبا جعفر المنصور قال لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو قالوا أمير المؤمنين الذى راض الملك . وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء . قال

ماصنعتم شيا . قاوا : فمعاوية قال ولاهذا . قالوا . فعبدالملك بن مروان قال : ولا هذا قالوا فمن ياأمير المؤمنين : قال : عبدالرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين . وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره . وشد شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه . وعبدالملك ببيعه تقدم له عقدها وأمير المؤمنين يطلب غيره واجتماع شيعته . وعبدالرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه . وقالوا لما توطد ملك عبدالرحمن بن معاوية عمل هذه الابيات وأخرجها الى وزرائه فاستغربت من قوله اذصدقها فعله . وهى :

ماحق من قام ذا امتعاض * منتضى الشفرتين نصلا
فـبر ملـكا وساد علمـا * ومنبرا للخطاب فصلا
فجاز قفراً وشق بحراً * مساميا لجة ومحـلا
وجند الجندحين أودى * ومصر المصرحين أجلي
ثم دعا أهـله جميعـا * حيث انتاي ان هلم أهلا
فجاء هـذا طريد جوع * شريد سيف أباد قتلا
فحـل أمنـا ونال شبعـا * وحاز مالا ونال أهلا
ألم يكن حـق ذا عـلى ذا * أوجب من منعم ومولى

وكتب أمية بن يزيد عنه كتابا الى بعض عماله يستقصره فيما فرط فيه من عمله فاكثر وأطال الكتاب . فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه . وكتب : أما بعد فان يكن التقصير لك مقدما ، بعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا . وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيهما أحببت . وكان ثار عليه ثائر يغزولده . فغزاه فظفر به وأسره . فبينما هو منصرف وقد حمل الثائر على بغل مكبولا : نظر اليه عبدالرحمن بن معاوية . وتحته فرس له فقنع رأسه بالعباءة وقال : يابغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق . قال الثائر : يافرس ماذا تحمل من العفو والرحمة فقال له عبد الرحمن : والله لاتذوق موتا على يدى أبدا ﴿ هشام بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولى هشام ابن عبدالرحمن لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ومات فى صفر سنة ثمانين ومائة . وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر . ومات وهو ابن احـدى وثلاثين سنـة . وهو أحسن النـاس وجها وأشرفهم نفسا : الكامل

المروءة الحاكم بالكتاب والسنة . الذى أخذ الزكاة على حلها . ووضعها فى حقها . لم يعرف منه هفوة فى حداثته . ولا زلة فى أيام صباه . ورآه يوما أبوه وهو مقبل ممتلىء شبابا فاعجبه . فقال : ياليت نساء بني هاشم أبصرنه حتى يعدن فوارك .
وكان هشام يصر الصرر بالاموال فى ليالى المطر والظلمة ، ويبعث بها الى المساجد فيعطي من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد . واوصى رجل فى زمن هشام بمال فى فك سبية من أرض العدو . فطلبت فلم توجد احتراسا منه للثغر واستنقادا لاهل السبي ﴿ الحكم بن هشام ﴾ ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام فى صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة تسعين ومائة . وهو ابن خمسين سنة . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم العفو ، متخير الاهل عمله ، ولاحكام رعيته أورع من يقدر عليه وأفضلهم فيبسطهم على نفسه فضلا عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضله وعدله وورعه وزهده . فمرض مرضاً شديداً واغتم له الحكم غما شديدا . فذكر يزيد فتاه انه أرق يوما وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه . فقلت أصلح الله الامير انى أراك متململا وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عرض لك . قال : ويحك انى سمعت نائحة هذه الليلة وقاضينا مريض فما أراه الا وقد قضى نحبه وأين لنا بمثله ، ومن يقوم للرعية مقامه . ثم ان القاضى مات . واستقضى الحكم بعده سعيد بن بشير . فكان أقصد الناس الى حق . وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ، وانفذهم لحكم ، رفع اليه رجل من اهل كورة جيان ان عاملا للحكم اغتصبه جارية وعمل فى تصييرها الى الحكم . فوقعت من قلبه كل موقع وان الرجل أثبت أمره عند القاضي وأتاه ببينة يشهدون على معرفة ما تظلم منه وعلى عين الجارية ومعرفتهم بها . وأوجب البينة أن تحضر الجارية واستاذن القاضى على الحكم فاذن له فلما دخل عليه . قال : انه لا يتم عدل فى العامة ، دون افاضته فى الخاصة . وحكى له أمر الجارية وخيره فى ابرازها اليه ، أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك الى خير من ذلك . تباع الجارية من صاحبها بعين ثمنها وأبلغ ما يساله فيها . فقال : ان الشهود قد شخصوا من كورة جيان يطلبون الحق فى مظانه . فلما صاروا ببابك تصرفهم دون انفاذ الحق لاهله . ولعل قائلا أن يقول : باع من لا يملك بيع متيسر على نفسه فلما رأى عزمه أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها . وقضي بها لصاحبها .

وكان سعيد بن بشير القاضي اذا خرج الى المسجد . أو جلس في مجلس الحكم . جلس في رداء معصفر وشعره مفرق الى شحمة أذنيه . فاذا طلب ماعنده وجد أورع الناس ، وافضلهم وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة عرفاء تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح فاذا بلغه عن ثائر في طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : ان جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان فى الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فاشار اليه ان يخرج من تحت يده الى جابر بن لبيد . ثم فعل مثل ذلك باصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين فلما رأى ذلك عدوه سقط فى أيديهم وظنوا ان الدنيا قد حشرت لديهم فولوا مدبرين . وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض :

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقد ما رأيت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة * أبادرها منتضي السيف دارعا
وشافه على ارض الفضاء جماجما * كاجفان شريان الجبير لوامعا
ولما تساقينا سجال حروبنا * سقيتهم سما من الموت ناقعا
وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب قدم علينا عباس بن ناصح من الجزيرة أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدني شعر الحكم فانشدته فلما انتهيت الى قوله

* وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم * قال لو جوني الحكم فى حكومة لاهل الربض لقام بعذره هذا البيت ﴿ عبد الرحمن بن الحكم ﴾ ثم ولى بعده عبد الرحمن ابن الحكم . أندى الناس كفا ، وأكرمهم عطفا ، وأوسعهم فضلا ، في ذى الحجة سنة ست ومائتين فملك احدي وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ومات ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة . وكتب اليه بعض عماله : يساله عملا رفيعا لم يكن من شاكلته فوقع في أسفل كتابه : من لم يصب وجه مطلبه ، كان الحرمان أولى به ﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولى الملك محمد بن عبد الرحمن . يوم الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين . فملك أربعا وثلاثين سنة . وتوفى يوم الجمعة مستهل ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وهو ابن سبع وستين سنة . وكتب عبد الرحمن بن

الشمر : الى الامير محمد بن عبد الرحمن فى حياة أبيه عبد الرحمن . وكان يتجنب الوقوف ببابه مخافة نصر الفتي . فلما مات نصر كتب ابن الشمر هذه الابيات الى محمد يقول فيها :

لئن غاب وجهي عنك ان مودتي * لشاهدة فى كل يوم تسلم
وما عاقني الا عدو مسلط * يذل ويقصي من يشاء ويرغم
ولم يستطل الا بكم وبعزكم * ولا ينبغي ان يمنح العز مجرم
فمكنتموه فاستطال عليكم * وكادت بنا نيرانه تتضرم
كذلك كلب السوء ان يشبع الذرا * واشبعه مستشليا يترمرم
فجمع خوانا لصوصا أراذلا * ومناهم أن يقتلونا ويغنموا
رأى بامين الله سقما بعده * ولم يك يدرى انه يتقدم
فنحمد ربا سرنا بهلاكه * فمازال بالاحسان والطول ينعم
أراد بكيد الله نصرا فكاده * ولله كيد يغلب الكيد مبرم
بكى الكفر والشيطان نصرا فاعولا * كما ضحكت شوقا اليه جهنم
وكانت له فى كل شهر جباية * جبابة آلاف تعد وتختم
فهل حائط الاسلام يوما يسوؤهم * بما اجترموا يوما عليه وأقدموا
وينهبنا أموالهم وهو قاعل * فانى أري الدنيا له تتبسم
ألا أيها الناس اسمعوا قول ناصح * حريص عليكم مشفق وتفهموا
محمد نور يستضاء بوجهه * وسيف بكف الله ماض مصمم
فكونوا له مثل البنين يكن لكم * أبا جد فى الرحم بل هو أرحم
فيا ابن أمين الله لازلت سالما * معافى فانا ما سلمت سنسلم
ألست المرجى من أمية والذى * له المجد منها الاتلد المتقدم
وأنت لاهل الخير روح ورحمة * نعم ولاهل الشر صاب وعلقم

وحدث بقى بن محمد الفقيه قال : ما كلمت أحدا من الملوك أكمل عقلا ، ولا أبلغ لفظا . من الامير محمد دخلت عليه يوما فى مجلس خلافته فافتتح الكلام : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة . فحكى كل واحد منهم بحليته ونعته ، ووصفه وذكر مآثره ومناقبه . بافصح لسان ، وابين بيان ، حتى انتهى الى نفسه فسكت

. وخرج الامير محمد يوما متنزها الى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز فكان بها صدر نهاره على لذته فلما أمسى واختلط الظلام رجع منصرفا الى القصر وبه اختلاط فاخبرني من سمعه وهاشم يقول : له ياسيدي يا ابن الخلائف . ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا . قال لولا الموت . قال له : يا ابن اللخناء لحنت في كلامك وهل ملكنا هذا الملك الذى نحن فيه الا بالموت ولولا الموت ما ملكناه أبدا . وكان الامير محمد : غزاء لاهل الشرك والخلاف وربما أوغل في بلاد العدو الستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف وله في العدو وقيعة وادي سليط . وهي من أمهات الوقائع . لم يعرف مثلها في الاندلس قبلها . وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره يكفينا من صفتها :

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحف * لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها * بروقا تراءي في الجهام وتستخفي
كأن ذرى الاعلام في سيلانه * قرا قدم قد عجزن عن القذف
وان طحنت اركانه كان قطبها * حجي ملك نجد شمائله عف
سمي ختام الانبياء محمد * اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة * وقد نقض الاصباح حل عرى السجف
بكي جبلا وادي سليط فاعولا * على النفر العيدان والعصبة الغلف
دعاهم صريخ العير فاجتمعوا له * كما اجتمع الجعلان للبعر في قف
فما كان الا أن رماهم ببعضها * فولوا على اعقاب مهزولة كشف
كأن مساعير الموالى عليهم * شواهين جادت للغرانيق بالسيف
بنفسي تنانير الوغا حين صممت * الى الجبل المشحون صفا على صف
يقول ابن بليوس لموسي وقد ولى * أرى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
قتلناهم ألفا وألفا ومثلها * وألفا وألفا بعد ألف الى ألف
سوى من طواه النهر في مستلجه * فاغرق فيه أوتردى من الجرف

﴿المنذر بن محمد﴾ ثم ولي المنذر بن محمد . يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت في غزاة له على بشتر لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . وهو ابن ست وأربعين سنة . وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم

عزيمة . ولما ولي الملك بعث اليه أهل طليطلة بجبايتهم كاملة فردها عليهم . وقال : استعينوا بها في حربكم فانا سائر اليكم ان شاء الله . ثم غزا الى المارق الموتر عمرو بن حفصون وهو بحصن فامره فاحدق به بخيله ورجله . فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا . فاعمل الحيلة وغاص بالمكر والخديعة واظهر الانابة والاجابة وان يكون من مستوطني قرطبة باهله وولده . وسال الحاق أولاده في الموالي فاجابه الامير الى كل ما سال وكتب لهم الامانات . وقطعت لاولاده الثياب وخرزت له الخفاف ثم سال مائة بغل يحمل عليها ماله ومتاعه الى قرطبة فامر الامير بها وطلبت البغال ومضت الى ببشتر وعليها عشرة من العرفاء وانحل العسكر عن الحصن بعض الانحلال وقفل القاضي وجماعة من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوا . فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها ففتق ليلا وخرج فلقي العرفاء بالبغال فقتلهم . وأخذ البغال وعاد الى سيرته الاولى فعقد المنذر على نفسه عقدا ان لا اعطاه صلحا ولا عهدا الا ان يلقي بيده وينزل على عهده وحكمه ثم غزاه الغزاة التي توفي فيها فامر بالبنيان والسكنى عليه وان يرد سوق قرطبة عليه فعاجله أجله عن ذلك ﴿عبد الله بن محمد﴾ ثم تولى عبد الله بن محمد التقي النقي العابد الزاهد التالي لكتاب الله ، والقائم بحدود الله يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط وخرج الى الجامع والتزم الصلاة الى جانب المنبر حتى أتاه أجله رحمه الله يوم الثلاثاء لليلة بقيت من صفر سنة ثلثمائة وكانت له غزوات منها غزاة بلي التي أنست كل غزاة تقدمتها . وذلك ان المرتد بن حفصون ألب عليه كور الاندلس فنزل حصن بلي وخرج اليه الامير عبد الله ابن محمد في اربعة عشر الفا من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه الفاسق وقد كردس كراديسه في سفح الجبل وناهضه الامير عبد الله بجمهور عسكره فلم يكن لهم فيه الا صدمة صادقة ازالوهم بها عن عسكرهم . فلم يقدروا ان يتراجعوا اليه . ونظر الفاسق الى معسكر عبد الله الامير . فاذا بمدد مقبل مثل الليل ، في انحدار السيل لا ينقطع ، فجشمت نفسه وعطف الى الحصن يظهر اخراج من بقي فيه . فتسلم ثلمة وخرج منها في خمسة معه وقد طار بهم جناح الفرار فلما انتهى ذلك الى اهل عسكره ولوا مدبرين لا يلوي أحد على أحد . فعملت الرماح على أكتافهم ، والسيوف في طلا أعناقهم ، حتي أفنوهم اوكادوا . وكان منهم جماعة قد افترقوا في عسكر الامير عبد الله فقعد الامير في المظلة . وأمر بالتقاطهم وأن لا يمر أحد على أحد منهم الا قتله فقتل منهم الف رجل صبرا بين يدي الامير

﴿ عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ﴾ ثم ولي الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة ، سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء ، عبد الرحمن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الاول سنة ثلثمائة . فقلت فيه :

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدى * ما كان فيه مزيد

وهي عدة أبيات فتولى الملك . وهي جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق . فأخمد نيرانها ، وسكن زلازلها ، وفتحها عوداً ، كما افتتحها بدأ سميه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله . وقد قلت وقيل فى أشعار غزواته كلها أشعار قد جالت فى الامصار ، وشردت فى البلدان ، حتى اتهمت وأنجدت وأعرقت . ولولا أن الناس مكتفون بما فى أيديهم منها لاعدنا ذكرها أو ذكر بعضها . ولكنا سنذكر ما سبق الينا من مناقبه التي لم يتقدمه اليها متقدم ولا أخت لها ولا نظير : فمن ذلك أول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتلون افتتح بها سبعين حصنا كل حصن منها قد نكبت عنه الطوائف واعيا على الخلائف وفيها أقول :

قد أوضح الله للاسلام منهاجا * والناس قد دخلوا فى الدين أفواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها * كأنما ألبست وشيا وديباجا
يا ابن الخلائف ان المزن لو علمت * نداك ماكان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت بأسا تصول به * ما هيجت من حبال الدين أهياجا
مات النفاق وأعطى الكفر ذمته * وذلت الخيل الجاما واسراجا
وأصبح النصر معقودا بألوية * تطوي المراحل تهجيرا وادلاجا
أدخلت فى قبة الاسلام مارقة * أخرجتها من ديار الشرك اخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء به * كالبحر يقذف بالامواج أمواجا
يقوده البدر يسرى في كواكبه * عرمرما كسواد الليل رجراجا
تروق فيه بروق الموت لامعة * ويسمعون به للرعد اهزاجا
غادرت فى عفرتى جيان ملحمة * أبكيت منها بارض الشرك أعلاجا
فى نصف شهر تركت الارض ساكنة * من بعد ماكان فيها الطير قد ماجا
وجدت فى الخبر المأثور منصلتا * من الخلائف خراجا وولاجا

تملا بك الارض عدلا مثل ماملئت * جورا وتوضح للمعروف منهاجا
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتها * ياليث حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى وان رضيت * حتى عقدت لها فى رأسك التاجا

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك فى الجاهلية والاسلام . وله غزاة مارتش التي كانت أخت بدر وحنين وقد ذكرناها على وجهها فى الارجوزة التى ضمنتها مغازيه كلها من سنة احدي وثلثمائة الى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وأوقفناها . ومن مناقبه : ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ، ويقضى عليها بآثارها . وانه بنى فى المدة القليلة مالم تبن الخلفاء فى المدة الطويلة نعم لم يبق فى القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية الاوله فيها أثر محدث اما بزيد أو تجديد ومن مناقبه : انه أول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بنى أمية بالاندلس . ومن مناقبه : التى لا أخت لها ولا نظير : ما أعجز فيه من بعده . وفات فيه من قبله . من الجود الذى لم يعرف لاحد من أجواد الجاهلية والاسلام الا له . وقد ذكرت ذلك فى شعرى الذي أقول فيه :

يا ابن الخلائف والعلى للمعتلى * والجود يعرف فضله للمفضل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهم * حتي كأن نبيلهم لم ينبل
أذكرت بل أنسيت ماذكر الالى * من فعلهم فكأنه لم يفعل
وأتيت آخرهم وشأوك فائت * للآخرين ومدرك للاول
الآن سميت الخلافة باسمها * كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تابى فعالك ان تقر لآخر * منهم وجودك أن يكون لاول

﴿وهذه الارجوزة التي ذكرت جميع مغازيه وما فتح الله عليه فيها فى كل غزاة وهي﴾

سبحان من لم تحوه أقطار * ولم تكن تدركه الابصار * ومن عنت لوجهه الوجوه
فماله ند ولا شبيه * سبحانه من خالق قدير * وعالم بخلقه بصير
وأول ليس له ابتداء * وآخر ليس له انتهاء * أوسعنا احسانه وفضله
وعز ان يكون شيء مثله * وجل ان تدركه العيون * أو يحوياه الوهم والظنون
لكنه يدرك بالقريحه * والعقل والابنية الصحيحه * وهذه من أثبت المعارف

في الاوجه الغامضه اللطائف * معرفة العقل من الانسان * أثبت من معرفة العيان
فالحمد لله على نعمائه * حمدا جزيلا وعلى آلائه * وبعد حمد الله والتمجيد
وبعد شكر المبدئ المعيد * أقول في أيام خير الناس * ومن تحلي بالندى والباس
ومن أباد الكفر والنفاقا * وشرد الفتنة والشقاقا * ونحن في حنادس كالليل
وفتنة مثل زهاء السيل * حتى تولى عابد الرحمن * ذاك الاعز من بني مروان

مؤيد حكم في عدائه * سيفا يسيل الموت من ظباته
وصبح الملك مع الهلال * فاصبحا بدرين في الجمال
واحتمل التقوى على جبينه * والدين والدنيا على يمينه
قد أشرقت بنوره البلاد * وانقطع التشغيب والفساد
هذا على حين طغى النفاق * واستفحل النكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها * وأذكت الحرب لظي نيرانها
ونحن في عشواء مدلهمه * وظلمة مامثلها من ظلمه
تاخذنا الصيحة كل يوم * فما تلذ مقلة بنوم
وقد نصلي العيد بالنواظر * مخافة من العد والثائر
حتي أتانا الغوث من ضياء * طبق بين الارض والسماء
خليفة الله الذى اصطفاه * على جميع الخلق واجتباه
من معدن الوحى وبيت الحكمه * وخير منسوب الى أميه
تكل عن معروفه الجنائب * وتستحي من جوده السحائب
في وجهه من نوره برهان * وكفه لعقله قربان
أحيا الذى مات من المكارم * من عهد كعب وزمان حاتم
مكارم يقصر عنها الوصف * وغرة يحسر عنها الطرف
وشيمة كالصاب أو كالماء * وهمة ترقى الى السماء
وانظر الى البديع من بيانه * يريك بدعا من عظيم شانه
لو كايل البحر ندى يديه * اذا لجت عفاتة اليه
لغاض او لكاد ان يغيضا * ولا ستحي من بعد ان يفيضا
من أسبغ النعماو كانت محقا * ورتق الدنيا وكانت فتقا

هو الذي جمع شمل الامه * وجاب عنها دامسات الظلمه
وجدد الملك الذى قد أخلقا * حتي رست أوتاده واستوثقا
وجمع العدة والعديدا * وكنف الاجناد والحشودا

﴿ أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ﴾

ثم انتحي جيان فى غزاته * بعسكر يسعد من هماته
فاستنزل الوحش من الهضاب * كانما حطت من السحاب
فاذعنت مراقها سراعا * وأقبلت حصونها تداعى
لما رماها بسيوف العزم * مشحوذة على دروع الحزم
كادت لها أنفسهم تجود * وكادت الارض بهم تميد
لولا الاله زلزلت زلزالها * وأخرجت من رهبة أثقالها
فانزل الناس الى البسيط * وقطع البين من الخليط
وافتتح الحصون حصنا حصنا * وأوسع الناس جميعا أمنا
ولم يزل حتى انتحي جيانا * فلم يدع بارضها شيطانا
فاصبح الناس جميعا أمه * قد عقد الال لهم والذمة
ثم انتهى من فوره للبيره * وهى بكل آفة مشهوره
فداسها بخيله ورجله * حتى توطا خدها بنعله
ولم يدع من جنها مريدا * بها ولا من انسها عنيدا
الا كساه الذل والصغارا * وعمه وأهله دمارا
فما رأيت مثل ذاك العام * ومثل صنع الله للاسلام
فانصرف الامير من غزاته * وقد شفاه الله من عداته
وقبلها ماخضعت وأذعنت * استجة وطالما قد صنعت
وبعدها مدينة الصنجيل * ما أذعنت للصارم الصقيل
لما غزاها قائد الامير * باليمن فى لوائه المنصور
فاسلمت ولم تكن بالمسلمه * وزال عنها أحمد بن مسلمه
وبعدها فى آخر الشهور * من ذلك العام الذكى النور

أرجفت القلاع والحصون * كانما ساورها المنون
وأقبلت رجالها وفودا * تبغي مدى أيامها السعودا
وليس من ذى عزة وشده * الا توافوا عند باب السده
قلوبهم باخعة بالطاعه * قد أجمعوا الدخول فى الجماعه

سنة احدى وثلثمائة

ثم غزا فى عقب عام قابل * فجال فى سدونة والساحل
ولم يدع مرية والجزيره * حتى كوى أكلبها الهريره
حتى أناخ بذرى قرمونه * بكلكل كدرة الطاحونه
على الذي خالف فيها وانتزى * يعزي الى سوادة اذا اعتزى
فسال أن يمهله شهورا * ثم يكون عبده المامورا
فاسعف الامير منه ما سال * وعاد بالفضل عليه وقفل

سنة اثنتين وثلثمائة

كان بها القفول عند الجيئه * من غز واحدى وثلثمائه
فلم يكن يدرك فى باقيها * غزو ولا بعث يكون فيها

سنة ثلاث وثلثمائة

ثمت أغزي فى الثلاث عمه * وقد كساه عزمه وحزمه
فسار فى جيش شديد الباس * وقائد الجيش أبو العباس
حتى ترقى بذرى فى بشتر * وجال فى ساحتها بالعسكر
فلم يدع زرعا ولا ثمارا * لهم ولا علفا ولا عقا
وقطع الكروم منها والشجر * ولم يصافف علجها ولا ظهر
ثم انثني من بعد ذاك قافلا * وقد أباد الزرع والمآكلا
فايقن الخنزير عند ذاكا * ان لا بقاء يرتجى هناكا
فكاتب الامام بالاجابه * والسمع والطاعة والانابه
فاخمد الله شهاب الفتنه * وأصبح الناس معا فى هدنه
وارتعت الشاة معا والذيب * اذا وضعت أوزارها الحروب

﴿ سنة أربع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة أربع * فاي صنع ربنا لم يصنع
فيها ببسط الملك الاواه * كلتا يديه فى سبيل الله
وذاك أن يقود قائدين * بالنصر والتاييد ظاهرين
هذا الى الثغر وما يليه * على عدو الشرك أوذويه
وذا الى شم الربا من مرسيه * وما مضي جرى الى بلنسيه
فكان من وجهه للساحل * القرشى القائد القنابل
وابن أبي عبدة نحو الشرك * فى خير ما تعبية وشاكى
فاقبلا بكل فتح شامل * وكل ثكل للعدو ثاكل
وبعد هذى الغزوة الغراء * كان افتتاح ليلة الحمراء
أغزي بجند نحوها مولاه * فى عقب هذا العام لا سواه
بدرا فضم جانبيها ضمه * وعمها حتى أجابت عنوه
وأسلمت صاحبها مقهورا * حتى أتى بدر به ماسورا

﴿ سنة خمس وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة خمس * الى السوادى عقيد النحس
لما طغى وجاوز الحدودا * ونقض الميثاق والعهودا
ونابذ السلطان من شقائه * ومن تعديه وسوء رايه
أغزى اليه القرشي القائدا * اذ صار عن قصد السبيل حائدا
* ثمت شد أزره ببدر * فكان كالشفع بها والوتر
أحدقها بالخيل والرجال * مشمرا وجد فى القتال
فنازل الحصن المظيم الشان * بالرجل والرماة والفرسان
فلم يزل بدر بها محاصرا * كذا على قتاله مثابرا
والكلب في تيهوره قد انغمس * وضيق الحلق عليه والنفس
فافترق الاصحاب عن لوائه * وفتحوا الابواب دون رايه
واقتحم العسكر فى المدينه * وهو بها كهيئة الظعينه

مستسلما للذل والصغار * وملقيا بديه للاسار *
فنزع الحاجب تاج ملكه * وقاده مكتفا لهلكه
وكان فى آخر هذا العام * نكب أبي العباس بالاسلام
غزا فكان أنجد الانجاد * وقائدا من أفحل القواد
فسار فى غير رجال الحرب * الضاربين عند وقت الضرب
محاربا فى غير ما محارب * والحشم الجمهور عند الحاجب
واجتمعت اليه أخلاط الكور * وغاب ذو التحصيل عنه والنظر
حتي اذا أوغل فى العدو * فكان بين البعد والدنو
أسلمه أهل القلوب القاسية * وأفردوه للكلاب العاويه
فاستشهد القائد فى أبرار * قد وهبوا نفوسهم للباري
فى غير تاخير ولافرار * الاشديد الضرب للكفار

﴿ سنة ست وثلثمائة ﴾

ثم أقاد الله من أعدائه * وأحكم النصر لاوليائه
فى مبدإ العام الذى من قابل * أزهق فيه الحق نفس الباطل
فكان من رأي الامام الماجد * وخير مولود وخير والد
أن احتمي بالواحد القهار * وفاض من غيظ على الكفار
فجمع الاجناد والحشودا * ونفر السيد والمسودا
وحشر الاطراف والثغورا * ورفض اللذة والحبورا
حتى اذاما وافت الجنود * واجتمع الحشاد والحشود
قود بدرا أمر تلك الطائفه * وكانت النفس عليه خائفه
فسار فى كتائب كالسيل * وعسكر مثل سواد الليل
حتي اذا حل على مظنيه * وكان فيها أخبث البريه
ناصبهم حربا لها شرار * كانما أضرم فيها النار
وجد من بينهم القتال * وأحدقت حولهم الرجال
فحاربوا يومهم وباتوا * وقد نفت نومهم الرماة

فهم طوال الليل كالطلائع * جراحهم تصل فى الجوارح
ثم مضوا فى حربهم أياما * حتى ترى الموت لهم زؤاما
لما رأوا سحائب المنيه * تمطرهم صواعق البليه
تغلغل العجم بأرض العجم * وانحشروا من تحت كل نجم
فاقبل العلج لهم مغيثا * يوم الخميس مسرعا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس * وحوله الصلبان والنواقس
وكان برجوان يزيل العسكرا * عن جانب الحصن الذي قد دمرا
فاعتاقه بدر بمن لديه * مستبصرا فى زحفه اليه
حتي التقت ميمنة بميسره * واعتلت الارواح عند الحنجرة
ففاز حزب الله بالعلجان * وانهزمت بطانة الشيطان
فقتلوا قتلا ذريعا فاشيا * وأدبر العلج ذميما خاسيا
فانصرف الناس الى مظنه * فصبحوا بالرهن يوم الجمعه
ثم التقي العلجان فى الطريق * البنبلونى مع الخليق
فاعقدوا على انتهاب العسكر * وان يموتا قبل ذاك المحضر
وأقسما بالجبت والطاغوت * لا يهزما دون لقاء الموت
فاقبلوا باعظم الطغيان * قد جللوا الجبال بالفرسان
حتى تداعى الناس يوم السبت * فكان وقتا ياله من وقت
فاشرعت بينهم الرماح * وقد علا التكبير والصياح
وفارقت أغمادها السيوف * وفغرت أفواهها الحتوف
والتقت الرجال بالرجال * وانغمسوا فى غمرة القتال
في موقف زاغت به الابصار * وقصرت فى طوله الاعمار
وهب أهل الصبر والبصائر * فازحفوا على العدو الكافر
حتي بدت هزيمة البشكس * كأنه مختضب بالورس
فانقضت العقبان والسلالقه * رهقا على مقدم الجلالقه
عقبان موت تخطف الارواحا * وتشبع السيوف والرماحا

فانهزم الخنزير عند ذا كا * وانكشفت عورته هناك
فقتلوا فى بطن كل وادى * وجاءت الرؤس فى الاعواد
وقدم القائد ألف راس * من الجثاليق ذوى القياس
فتم صنع الله للاسـلام * وعمنا سرور ذاك العام
وخير ما فيه من السرور * موت ابن حفصون به الخنزير
فاتصل الفتح بفتح ثان * والنصر بالنصر من الرحمن
وهذه الغزاة تدعى القاضيه * وقد أتتهم بعد ذاك الداهيه

﴿ سنة سبع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة بلده * وهي التي أودت باهل الرده
وبدؤها ان الامام المصطفى * أصدق أهل الارض عدلا ووفا
لما أتتــه ميتة الخنزير * وانه صار الى السعير
كاتبـه أولاده بالطاعـه * وبالدخول مدخل الجماعه
وان يقرهم على الولايه * على ورود الخرج والجبايه
فاختار ذلك الامام المفضل * ولم يزل من رأيه التفضـل
ثم لوي الشيطان رأس جعفر * وصار منـه نافخا فى المنخر
فنقض العـهود والميثـاقا * واستعمل التشغيب والنفاقا
وضم أهل النكث والخلاف * من غير ما كاف ولا موافى
واعتاقه الخليفة المؤيد * وهو الذي يشقى به ويسعد
ومن عليه من عيون الله * حـوافظ من كل أمر داه
فجند الجنود والكتائبا * وقـود القواد والمقانبـا
ثم غزا فى أكثر العديد * مستصحبا بالنصر والتاييد
حتى اذا مر بحصن بلده * خـلد فيها قائدا فى عده
يمنعهم من انتشار خيلهم * وحرسهم فى يومهم وليلهم
ثم مضى يستنزل الحصونا * ويبعث الطلاع والعيونا
حتي أتاه باشر من بلده * يعدو برأس رأسها فى صعده

فقدم الخيل اليها مسرعا * واحتلها من يومه تسرعا
فحفها بالخيل والرماة * وجملة الحماة والكماة
فاطلع الرجل على أنقابها * واقتحم الجند على أبوابها
فاذعنت ولم تكن بمذعنه * واستسلمت كافرة لمؤمنه
فقدمت كفارها للسيف * وقتلوا بالحق لا بالحيف
وذاك من يمن الامام المرتضى * وخير من بقى وخير من مضى
ثم انتحي من فوره ببشترا * فلم يدع بها قضيبا أخضرا
وحطم النبات والزروعا * وهتك الرباع والربوعا
فاذا رأى الكلب الذى رآه * من عزمه فى قطعه مثواه
التى اليه باليدين ضارعا * وسال الا بقاله موادعا
وأن يكون عاملا فى طاعته * على ورود الخرج من جبايته
فوثق الامام من رهانه * كيلا يكون فى عنا من شانه
فقبل الامام ذاك منه * فضلا واحسانا وسار عنه

﴿ سنة ثمان وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام دار الحرب * فكان خطبا يا له من خطب
تحاشدت اليه أعلام الكور * ومن له في النار ذكر وخطر
الى ذوى الديوان والرايات * وكل منسوب الى الشامات
وكل من أخلص للرحمن * بطاعة فى السر والاعلان
وكل من طاوع بالجهاد * اوضمه تعدية الحشاد
فكان حشدا لم يكن بالحشد * فى كل حر عندنا وعبد
فتحسب الناس جرادا منتشر * كما يقول ربنا فيمن حشر
ثم مضى المظفر المنصور * على جبينه الهدى والنور
أمامه جند من الملائكه * آخذة لربها وتاركه
حتى اذا فوز فى العدو * جنبه الرحمن كل سو
وانزل الجزية والدواهي * على الذين أشركوا بالله

فزلزلت أقدامهم بالرعب * واستنفروا من حر نار الحرب
واقتحموا الشعاب والمكامنا * وأسلموا الحصون والمدائنا
فما تبقى من جناب دور * من بيعة لراهب أو دير
الا وقد صيرها هباء * كالنار اذ وافقت الاباء
وزعزعت كتائب السلطان * بكل مافيها من البنيان
فكان من أول حصن زعزعوا * ومن به من العدو أوقعوا
مدينة معروفة بوخشمه * فغادروها فحمة مسخمه
ثم ارتقوا منها الى حواظر * فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلج يحتذيهم * بجيشه يخشى ويقتفيهم
حتى انتهوا منه لوادى دى * ففيه عقبى الرشد سبل الغى
لما التقوا بمجمع الجوزين * واجتمعت كتائب العلجين
من أهل اليون وينبلونه * وأهل يربط وبرشلونه
تضافر الكفر مع الالحاد * واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطر بوافى سفح طودعال * وصففوا تعبية القتال
فبادرت اليهم المقدمه * سامية فى خيلها المسومه
وردها منصل برد * يمده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان فى علاج * ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما ينظر حينا خلفه * فهو يري فى كل وجه حتفه
والبيض فى اثرهم والسمر * والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح * وجاءت الرؤس فى الرماح
فامر الامير بالتقويض * وأسرع العسكر فى النهوض
فصادفوا الجمهور لما هزموا * وعاينوا قوادهم تخرموا
قد دخلوا حديقة للموت * اذ طمعوا في حصنها بالفوت
فيالها حديقة ويالها * وافت بها نفوسهم آجالها
تحصنوا اذ عاينوا الاهوالا * لمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما * وانقلبوا منها الى جهنما

تساقطوا يستطعمون الماء * فاخرجت أرواحهم ظماء
فكم لسيف الله من جزور * فى مادب الغربان والنسور
وكم به قتلى من القوامس * يندب بالصلبان والنواقس
ثم ثنى عنانه الامير * وحوله التهليل والتكبير
مصمما بريح دار الحرب * قدامه كتائب من عرب
فداسها وسامها بالخسف * والهتك والسفك لها والنسف
خرقوا ومزقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
فانظر عن اليمين واليسار * فما ترى الا لهيب النار
وأصبحت ديارهم بلاقعا * فما ترى الادخانا ساطعا
ونصر الامام فيها المصطفى * وقد شفى من العدو واشتفى

﴿ غزوة سنة تسع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة طوس * سمت اليها حية لم تمس
وأحدقت بحصنها الافاعى * وكل صل اسود شجاع
ثم بني حصنا عليها راتبا * يعتور القواد فيه دائبا
حتي أنابت عنوة جنانها * وغاب عن يافوخها شيطانها
فاذعنت لسيد السادات * وأكرم الاحياء والاموات
خليفة الله على عباده * وخير من يحكم فى بلاده
وكان موت بدر بن احمد * بعد قفول الملك المؤيد
واستحجب الامام خير حاجب * وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الاغر من بني جرير * عقيل كل رأفة وخير

﴿ غزوة سنة عشر وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة عشر غزوه * بها افتتاح منة وعنوه
غزا الامام في ذوى السلطان * يؤم أهل النكث والطغيان
فاحتل حصن ثرور به قاطعا * أسباب من أصبح فيها خالعا
سار اليه وبنى عليه * حتى أتاه ملقيا يديه
ثم انثنى عنه الى سدونه * فعاضها سهلا من الحزونه
وساقها بالاهل والولدان * الى لزوم قبة الايمان

ولم يدع صعبا ولا منيعا * الا وقد أذلهم جميعا
ثم انثني باطيب القفول * كما مضى باحسن الفصول

﴿ غزوة سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

و بعدها غزاة احدى عشره * كم نبهت من نائم فى سكره
غزا الامام ينتحي ببسترا * فى عسكر أعظم بذاك عسكرا
فاحتل من ببستر ذراها * وجال فى شاط ومستواها
فخرب العمران من ببستر * وأذعنت شاط لرب العسكر
فادخل العدة والعديدا * فيها ولم يترك بها عنيدا
ثم انتحى بعد حصون العجم * فداسها بالقضم بعد القضم
ما كان فى سواحل البحور * منها وفى الغابات والوعور
وأدخل الطاعة فى مكان * لم يدر قط طاعة السلطان
ثم رمى الثغر بخير قائد * وذادهم منها بخير ذائد
به قضى الله ذوى الاشراك * وأنقذ الثغر من الهلاك
وانتاش من مهواته تطيله * وقد ثوت دماؤها مطلوله
وسهل الثغر وما يليه * من شيعة الكفر ومن ذويه
ثم انثني بالفتح والنجاح * قد غير الفساد بالصلاح

﴿ غزوة سنة اثنى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة ثنتى عشره * وكم بها من خبرة وعبرة
غزا الامام حوله كتائب * كالبدر محفوفا به الكواكب
غزا وسيف النصر فى يمينه * وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير * موسى الاغر صاحب الامير
فدمر الحصون من تدمير * واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الامه * وبايعته أمراء الفتنه
حتى اذا أوعب من حصونها * وحمل الحق على متونها
مضى وطار فى ظلال العسكر * تحت لواء الاسد الغضنفر
رجال تدمر ومن يليهم * من كل صنف يعتزى اليهم

حتى اذا حل على تطيله * نكب عن دمائها المطلوله
وعظم مالاقت من العدو * والحرب فى الرواح والغدو
فهم أن يزع دار الحرب * وأن يكون ردأة فى الدرب
ثم استشار ذا النهى والحجر * من صحبه ومن رجال الثغر
فكلهم أشار أن لايدربا * ولا يجوز الجبل الموشبا
لانه فى عسكر قد انخرم * بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا ان وراء الفج * خمسين ألفا من رجال العلج
فقال لا بد من الدخول * ومالى حاشاه من سبيل
وأن أزع أرض ينبلونه * وساحة المدينة الملعونه
وكان رأيا لم يكن من صاحب * ساعده عليه خير حاجب
واستنصر الله وعبي ودخل * فكان فتحا لم يكن له مثل
لما مضى وجاوز الدروبا * وادرع الهيجاء والحروبا
عبي له علج من الاعلاج * كتائبا غطت على الفجاج
فاستنصر الامام رب الناس * ثم استعان بالندى والباس
وعاد بالرغبة والدعاء * واستنزل النصر من السماء
فقدم القواد بالحشود * واتبع المدود بالمدود
فانهزم العلج وكانت ملحمه * جاوز فيها الساقة المقدمه
فقتلوا مقتلة الفناء * فارتوت البيض من الدماء
ثم أمال نحو ينبلونه * واقتحم العسكر فى المدينه
حتى اذا جاسوا خلال دورها * وأسرع الخراب فى معمورها
بكت على مافاتها النواظر * اذ جعلت مدقة الحوافر
لفقد من قتل من رجالها * وذل من أيتم من أطفالها
فكم بها وحولها من أغلف * يهمي عليه دمع عين الاسقف
وكم بها معزاء من كنائس * بدلت الاذان بالنواقس
يبكى لها الناقوس والصليب * كلاهما فرض له النحيب
وانصرف الامام بالنجاح * والنصر والتاييد والفلاح

ثم ثني الرايات فى طريقه * الى بني ذى نون من توفيقه
فاصبحوا من بسطهم فى قبض * قد الصقت خدودهم بالارض
حتي بدوا اليه بالرهان * من أكثر الاماء والولدان
فالحمد لله على تاييده * حمدا كثيرا وعلى تسديده

﴿ غزوة سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ﴾

ثم غزا بقية استينا * وقد أشادوا حولها حصونا
وخصها بالخيل والرجال * وقاتلوهم أبلغ القتال
حتى اذا ماعاينوا الهلاكا * تبادروا بالطوع عند ذاكا
وأسلموا واحصنهم المنيعا * وسمحوا بخرجهم خضوعا
وقبلهم فى هذه الغزاة * ماهدمت معاقد الاساة
وأحكم الامام فى تدبيره * على بني هائل فى مسيره
ومن سواهم من ذوى العشيره * وامراء الفتنة المغيره
ذا حسب وامرتبا عليهم * حتى أتوا بكل مالديهم
من البنين والعيال والحشم * وكل من لاذبهم من الخدم
فهبطوا من أجمع البلدان * وأسكنوا مدينة السلطان
فكان فى آخر هذا العام * بعد خضوع الكفر للاسلام
مشاهد من أعظم المشاهد * على يدى عبد الحميد القائد
لما غزا الى بني ذى النون * فكان فتحا لم يكن بالدون
اذجاوزوا فى الظلم والطغيان * بقتلهم لعامل السلطان
وحاولوا الدخول فى الاذيه * حتي غزاهم أنجد البريه
فعاقهم عن كل مارجوه * بنقضه على الذى بنوه
وضبطه الحصن العظيم الشان * سرية بالرجل والفرسان
ثم مضى الليث اليهم زحفا * يختطف الارواح منهم خطفا
فانهزموا هزيمة لن ترفدا * وأسلموا صنوهمو محمدا
وغيرهم من أوجه الفرسان * مسربلا فى مأتم الغربان
مقطع الاوصال بالسنابك * من بعد مافرق بالنيازك

ثم لجـوا الى طلاب الامن * وبذلهم ودائعا من رهن
فقبضت رهانهم وأمنـوا * وأنغضو ارؤسهم وأذعنوا
ثم مضى القائد بالتايـيد * والنصر من ذى العرش والتسديد
حتي أتى حصن بنى عماره * بالحرب والتدمير والاغاره
فافتتح الحصن وخلى صاحبه * وأمن الناس جميعا جانبه

﴿ غزوة سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وغزت قواده * واعتورت بتستر أجناده
فكلهم أبلى وأغني واكتفى * وكلهم شفى الصدور واشتفى
ثم تلاهم بعـد ليث الغيل * عبد الحميد من بنى نشيل
هو الذى قام مقام الضيغم * وجال فى غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد * من جمع الخنزير فيه والاسد
فهـاكه من صحبه فى عـده * مصلبين عندنا بالشده
قـد امتطي مطية لا تبرح * صائمة قائمـة لا ترمـح
مطية ان يعرها انكسار * يطبها النجار لا البيطار
كأنه من فوقهـا السـوار * عيناه فى كلتيهما مسمار
مباشرا للشمس والرياح * علي جواد غير ذى جماح
يقول للخـاطر بالطريق * قول محب ناصح شفيق
هـذا مقام خادم الشيطان * ومن عصى خليفة الرحمن
فمـا رأينـا واعظا لا ينطق * أصدق منه فى الذى لا يصدق
فقل لمن غزا بسوء رايه * يمت اذا شاء بمثـل دائه
كم مارق مضي وكم منافق * قد ارتقى فى مثل ذا الحالق
وعاد وهو فى العصي مصلب * ورأسه فى جذعه مركب
فكيف لا يعتبر المخالف * لحال من تطلبه الخلائف
أما رآه من هـو ان برفع * معتبرا لمن يرى ويسـمع

﴿ غزوة سنة خمس عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا معتز ما بتسـترا * فجال فى ساحتها ودمرا
ثم بني طلحـيرة عليهـا * وهى الشجي من بين أخدعيها

وامتدها بابن السليم راتبا * مشمرا عن ساقه محاربا
حتي رأي حفص سبيل رشده * بعد بلوغ غاية من جهده
فدان للامام قصدا خاشعا * وأسلم الحصن اليه طائعا

﴿ غزوة سنة ست عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وانتحى بتبشترا * فزمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالعز والتمكين * ومحو آثار بني حفصون
وعاضها الصلاح من فسادهم * وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر * من كل مرتد عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان * عدوة لله والسلطان
فخرمت أجسادها تخرما * وأصليت أرواحهم جهنما
ووجه الامام فى ذا العام * عبد الحميد الضيغم الضرغام
الى ابن داود الذى تقلعا * وفى جبلى شزنة تمنعا
فحطه منها الى البسيط * كطائر آذن بالسقوط
ثم أتى به الى الامام * الى وفى العهد والذمام

﴿ غزوة سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴾

وبعد سبع عشرة وفيها * غزا بطليوس وما يليها
فلم يزل يسومها بالخسف * وينتحيها بسيوف الحتف
حتى اذا ماضم جانبيها * محاصرا ثم بنى عليها
خلى ابن اسحق عليها راتبا * مثابرا فى حربه مواظبا
ومر يستقصى حصون الغرب * ويبتليها بوبيل الحرب
حتى قضي منهن كل حاجه * وافتتحت أشكوبة وباجه
وبعد فتح الغرب واستقصائه * وحسمه الادواء من أعدائه
لجت بطليوس على نفاقها * وغرها اللجاج من مراقها
حتي اذا شافهت الحتوفا * وشامت الرماح والسيوفا
دعا ابن مروان الى السلطان * وجاءه بالعهد والامان
فصار في توسعة الامام * وساكنا فى قبة الاسلام

﴿ غزوة سنة ثمان عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا بعزمه طليطله * وامتنعوا بمعقل لا مثل له
حتى بنى جلنكشه بجنبها * حصنا منيعا كافلا بحربها
وشدها بابن سليم قائدا * مجالدا لاهلها مجاهدا
فجاسها فى طول ذاك العام * بالخسف و النسف وضرب الهام

﴿ غزوة سنة تسع عشرة وثلثمائة ﴾

ثم أتى ردفا له درى * فى عسكر قضاؤه مقضى
فحاصروها عام تسع عشره * بكل محبوك القوى ذى امره
ثم أتاهم بعد بالرجال * فقاتلوها أبلغ القتال

﴿ غزوة سنة عشرين وثلثمائة ﴾

حتى اذا ما سلفت شهور * من عام عشرين لها ثبور
ألقت يديها للامام طائعه * واستسلمت قسرا اليه باخعه
فاذعنت وقبلها لم تذعن * ولم تقد من نفسها وتمكن
ولم تدن لربها بدين * سبعا و سبعين من السنين
ومبتدا عشرين مات الحاجب * موسى الذى كان الشهاب الثاقب
وبرز الامام بالتاييد * فى عدة منه وفى عديد
صبرا الى المدينة اللعينه * أتعسها الرحمن من مدينه
مدينة الشقاق و النفاق * ومربد الفساق والمراق
حتى اذا ما كان منها بالامم * وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها باشياخ البلد * مستسلمين للامام المعتمد
فوافقوا الرحب من الامام * وأنزلوا فى البر والاكرام
ووجه الامام فى الظهيره * خيلا لكيما يدخل الجزيره
فوافقوا قائدها درى * يلمع فى متونها الدرى
فاقتحموا فى وعرها وسهلها * وذاك حين غفلة من أهلها
ولم يكن للقوم من دفاع * بخيل درى ولا امتناع
وفوض الامام عند ذلكا * وقام صند يدا بما هنالكا

حتى اذا ماحل فى المدينه * وأهلهـا ذليلة مهينـه
أقمعها بالخيل و الرجال * من غير ماحرب ولا قتال
وكان من أول شىء نظرا * فيـه وما روى ودبرا
تهـدم لبابها والسـور * وكان ذاك أحسن التدبير
حتى اذا صيرها براحا * وعاينوا حريمها مباحا
أمر بالتشييـد والتاسيس * فى الجبل النامى الى عمروس
حتى استـوى فيها بناء محكم * فحله عامـله والحشم
فعند ذاك أسلمت واستسلمت * مدينة الدماء بعد ماعتت

﴿ غزوة سنة احدى وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها مضى عبدالحميد مستلم * فى أهبة وعدة من الحشم
حتي أتى الحصن الذى تقلعا * يحيى بن ذي النون به وامتنعا
فحطه من هضبات ولب * من غير تعنيت وغير حرب
الا بترغيب له فى الطاعه * وفى الدخول مدخل الجماعه
حتي أتى به الامام راغبا * فى الصفح عن ذنوبه وتائبا
فصفح الامام عن جنـايته * وقبل المبذول من انابتـه
ورده الى الحصـون ثانياً * مسجلا له عليهـا واليا

﴿ غزوة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام ذوالمجدين * في مبتـدا عشرين واثنتين
فى فيلق مجمهر لهـام * مدكدك الرؤس والآكام
جاب الربا لزحفه يجيش * تجيش فى حفاته الجيوش
كانهم جن على سعال * وكلهم أمضى من الريبال
فاقتحموا ملوندة وروم * ومن حواليها حصون حيمه
حتي أتاه المارق التجيبي * مستجديا كالتائب المنيب
فخصه الامام بالترحيب * والصفح والغفران للذنوب
ثم حباه وكساه ووصل * بشاحج وصاهل لم يمتثل
كلاهما من مركب الخلائف * فى حليه يعجز وصف الواصف

فقال كن منا وأوطن قرطبه * نرقيك فيها فى أجل مرتبه
تكن وزيرا أعظم الناس خطر * وقائدا تحمي لنا هذا الثغر
فقال اني ناقه من علتي * وقد ترى تغيري وصفرتي
فان رأيت سيدى إمهالى * حتى أرم من صلاح حالى
ثم أوافيك على استعجال * بالاهل والاولاد والعيال
* وأوثق الامام بالعهود * وجعل الله من الشهود
* فقبل الامام من أيمانه * ورده عفوا الى مكانه
ثم اتته ربة البشاقص * تدلى اليه بالوداد الخالص
وانها مرسلة من عنده * وجدها متصل بجده
واكتفلت بكل ينبلوني * واطلقت اسرى بني ذي النون
فأوعد الامام في تأمينها * ونكب العسكر من حصونها
ثم مضى بالعز والتمكين * وناصرا لاهل هذا الدين
فى جملة الرايات والعساكر * وفى رجال الصبر والبصائر
الى عدو الله من الجلالق * وعابد المخلوق دون الخالق
فدمروا السهول والقلاعا * وهتكوا الزروع والرباعا
وخربوا الحصون والمدائنا * وأفقدوا من أهلها المساكنا
فليس في الديار من ديار * ولا بها من نافخ للنار
فغادروا عمرانها خرابا * وبدلوا ربوعها يبابا *
وبالقلاع أحرقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
ثم ثني الامام عن عنانه * وقد شفى الشجى من أشجانه
وأمن القفار من انجاسها * وطهر البلاد من أرجاسها
﴿انتهت﴾ الارجوزة وكمل كتاب العسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

كتاب اليتيمة الثانية فى اخبار زياد

﴿ والحجاج والطالبيين والبرامكة ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله تعالى عنه : قد مضى قولنا فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وما تصرفت به دولتهم . ونحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . وما سيجوز على شىء من أخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذى عليه مدار السياسة ، ومعادن التدبير ، وينابيع البلاغة ، وجوامع البيان ، هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها ، وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ، ومارسوا الامور ، وجربوا الدهور ، فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتى استقرت قواعد الملك ، وانتظمت قلائد الحكم ، ونفذت عزائم السلطان

١ — أخبار زياد — كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندى للحرث بن كلدة وكان طبيبا يعالجه . فولدت له على فراشه نافعا . ثم ولدت أبا بكرة فانكر لونه وقيل له ان جاريتك بغى فانتفى من أبى بكرة ومن نافع وزوجها عبيدا عبداً لابنته . فولدت على فراشه زيادا . فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم . فقال الحرث بن كلدة لنافع أنت ابنى فلا تفعل كما فعل هذا يريد أبا بكرة . فلحق به فهو ينتسب الى الحرث بن كلدة . وكانت البغايا فى الجاهلية لهن رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان وكان أكثر الناس يكرهون إماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله جل وعز « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن — يريد فى الجاهلية — فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » يريد فى الاسلام . فيقال ان ابا سفيان خرج يوما وهو ثمل الى تلك الرايات

فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغى . فقالت ماعندى الا سمية . قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زيادا على فراش عبيد . ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زيادا بفتح فتحه الله على المسلمين به . فامره عمر ان يخطب الناس به على المنبر فاحسن فى خطبته وجود وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب وعلى بن أبى طالب . فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ماسمعت من هذا الفتي . قال نعم : قال أما أنه ابن عمك . قال وكيف ذلك قال أنا قذفته فى رحم أمه سمية . قال فما يمنعك أن تدعيه قال أخشى هذا القاعد على المنبر يعني عمر بن الخطاب أن يفسد على اهابي . فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادا وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر . العتبي عن أبيه قال : لما شهد الشهود لزياد فقام فى أعقابهم فحمد الله وأثني عليه بما هو أهله . ثم قال : هذا امر لم أشهد أوله ولا علم لى بآخره . وقد قال أمير المؤمنين مابلغكم وشهد الشهود ماسمعتم فالحمد لله الذي رفع منا ماوضع الناس وحفظ منا ماضيعوا . وأما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور ثم جلس . وقال زياد : ماهجيت ببيت قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير
عاشت سمية ماعاشت وماعلمت * أن ابنها من قريش فى الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لا يدفع الناس أسباب المقادير

وكان زياد عاملا لعلى بن أبى طالب على فارس . فلما مات على رضى الله عنه و بايع الحسن معاوية عام الجماعة بقي زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم به معاوية . فارسل الى المغيرة بن شعبة . فلما دخل عليه قال لكل نبا مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سرى وغاية ثقتي . فقال المغيرة ياأمير المؤمنين ان تستودعني سرك تستودعه ناصحا شفيقا ورعا رفيقا فماذاك ياأمير المؤمنين . قال ذكرت زيادا واعتصامه بارض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الاموال وقد تحصن بارض فارس وقلاعها يدبر الامور . فما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جذعة . قال له المغيرة أتاذن لى ياأمير المؤمنين فى اتيانه . قال نعم فخرج اليه . فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس . فقام اليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا . وذلك ان زيادا كان أحد الشهود الاربعة الذين

شهدوا على المغيرة وهو الذي تلجلج في شهادته عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنجا المغيرة وجلد الثلاثة من الشهود . وفيهم أبو بكرة أخو زياد فحلف ان لا يكلم زيادا أبدا . فلما تفاوضا في الحديث قال له المغيرة أعلمت ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولا نعلم احدا يمد يده الى هذا الامر غير الحسن . وقد بايع معاوية فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني عنك معاوية . قال اشر على وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن . قال أرى ان تصل حبلك بحبله وتسير اليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء قال يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له يغذيه ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ثم قال أري ويقضي الله . وذكر عمر بن عبد العزيز زياداً فقال سعى لاهل العراق سعي الام البرة وجمع لهم جمع الذرة . وقال غيره تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس وقالوا : الدهاة أربعة معاوية للروية وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة للمعضلات وزياد لكل صغيرة وكبيرة . ولما قدم زياد العراق قال من على حرسكم قالوا بلخ قال انما يحترس من مثل بلخ فكيف يكون حرسا أخذه الشاعر فقال :

* وحارس من مثله يحترس * . العتبي قال : كان في مجلس زياد مكتوب الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ، المحسن يجازي باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ، الاعطيات في أيامها لا احتجاب عن طارق ليل ولا صاحب ثغر وبعث زياد : الى رجال من بنى تميم ورجال من بني بكر وقال دلوني على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها فدلوه فضمنهم الطريق وحد لكل رجل منهم حدا فكان يقول لو ضاع حبل بيني وبين خراسان عرفت من آخذ به . وكان زياد يقول من سقي صبيا خمرا حددناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . وكان يقول اثنان لا تقاتلوا فيهما العدو الشتاء وبطون الاودية . وأول من جمعت له العراق زياد . ثم ابنه عبيد الله بن زياد لم تجتمع لقرشي قط غيرهما وعبيد بن زياد اول من جمع له العراق وسجستان وخراسان والبحران وعمان وانما كان البحران وعمان الى عمال أهل الحجاز . وهو أول من عرف العرفاء ودعا الفقراء ونكب المناكب وحصل الدواوين . ومشى بين يديه بالعمد ووضع الكراسى وعمل المقصورة ولبس الزيادى، وربع الارباع بالكوفة وخمس الاخماس بالبصرة . وأعطى في يوم واحد للمقاتلة

والذرية من أهل البصرة والكوفة . وبلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا ومقاتلة البصرة ثمانين ألفا والذرية مائة ألف وعشرين ألفا وضبط زياد وابنه عبيد الله العراق باهل العراق . قال عبد الملك بن مروان : لعباد بن زياد أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج . قال يا أمير المؤمنين ان زيادا قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق باهل العراق وقدمها الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم باهل الشام فضلا عن أهل العراق ولو رام منهم ما رامه زياد لم يفجاك الا على قعود يوجف به . وقال نافع : لزياد استعملت أولاد أبي بكرة وتركت أولادي . قال إني رأيت أولادك كراما قصارا ورأيت أولاد أبي بكرة نجباء طوالا . ودخل عبد الله بن عامر على معاوية فقال له حتى متى تذهب بخراج العراق . فقال يا أمير المؤمنين ما تقول هذا لمن هو أبعد مني رحما ثم خرج فدخل على يزيد فاخبره وشكا اليه . فقال له لعلك أغضبت زيادا قال قد فعلت . قال فانه لا يرضى حتى ترضي زيادا عنك فانطلق ابن عامر فاستاذن على زياد فاذن له وألطفه . فقال له ابن عامر ان شئت فصلح بعتاب وان شئت فصلح بغير عتاب فانه اسلم للصدر . ثم راح زياد الى معاوية فاخبره وأصبح ابن عامر غاديا الى معاوية . فلما دخل عليه قال مرحبا بابي عبد الرحمن ههنا وأجلسه الى جانبه فقال له يا أبا عبد الرحمن لنا سياق ولكم سياق وقد علمت ذلك الرفاق . الحسن بن أبي الحسن قال : ثقل أبو بكرة فارسل زياد اليه أنس بن مالك ليصالحه وبطلقه فانطلقت معه فاذا هو مول وجهه الى الجدار . فلما قعد قال له كيف تجدك أبا بكرة . فقال صالح كيف أنت أبا حمزة . فقال له أنس اتق الله أبا بكرة في زياد أخيك فان الحياة يكون فيها ما يكون فاما عند فراق الدنيا فليستغفر الله أحدكما لصاحبه فوالله ما علمت أنه لوصول للرحم هذا عبد الرحمن ابنك على الابلة وهذا داود على الري وهذا عبد الله على فارس كلها والله ما أعلمه الا مجتهدا قال اقعدوني فاقعدوه فقال أخبرني ما قلت في آخر كلامك فاعاد عليه القول . فقال يا أنس وأهل حروراء قد اجتهدوا فاصابوا أم أخطؤا والله لا أكلمه أبدا ولا يصلي علي . فلما رجع أنس الى زياد أخبره بما قال وقال له انه قبيح أن يموت مثل أبي بكرة بالبصرة فلا تصلي عليه ولا تقوم على قبره فاركب دوابك والحق بالكوفة قال ففعل ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر فصلى عليه أنس بن مالك . وقدم شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة . فكان زياد يجلسه الى جنبه

ويقول له ان حكمت بشيء ترى غيره أقرب الى الحق منه فاعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد لشريح ما ترى في هذا الحكم حتى أتاه رجل من الانصار . فقال اني قدمت البصرة والخطط موجودة فاردت أن أختط لى فقال لى بنو عمي وقد اختطوا ونزلوا أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا فوسعوا لى فاتخذت فيهم دارا وتزوجت . ثم نزغ الشيطان بيننا فقالوا لى اخرج عنا . فقال زياد ليس ذلك لكم منعتموه أن يختط والخطط موجودة وفى أيديكم فضل فاعطيتموه حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به لايخرج من منزله . فقال شريح يامستعير القدر ارددها . فقال زياد يامستعير القدر احبسها ولا تردها . فقال محمد بن سيرين القضاء بما قال شريح وقول زياد حسن . وقال زياد : ماغلبني أمير المؤمنين معاوية الا فى واحدة طلبت رجلا فلجأ اليه وتحرم به . فكتبت اليه ان هذا فساد لعملى اذا طلبت أحدا لجأ اليك فتحرم بك فكتب الى انه لا ينبغى لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا . ولما عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه زيادا عن كتابة أبي موسى قال له أعن عجز أم عن خيانة . قال لا عن واحدة منهما ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك. وكتب الحسن بن على رضى الله عنه : الى زياد فى رجل من أهل شيعته فعرض له زياد وحال بينه وبين ما يملكه وكان عنوان كتابه من الحسن بن على الى زياد . فغضب زياد اذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه الى أبى سفيان . وكتب اليه من زياد بن أبى سفيان الى حسن أما بعد فانك كتبت الى فى فاسق لايأويه الا الفساق وايم الله لاطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فانى أحب أن آكل لحما أنت منه . فكتب الحسن الى معاوية يشتكى زيادا وأدرج كتاب زياد فى داخل كتابه . فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد وكتب اليه أما بعد فان لك رأيين أحدهما من أبى سفيان والآخر من سمية . فاما الذي من أبى سفيان فحزم وعزم . وأما الذي من سمية فكما يكون رأى مثلها وان الحسن بن على كتب الى يذكر أنك عرضت لرجل من أصحابه . وقد حجزناه عنك ونظراءه فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم وعجبت منك حين كتبت الى الحسن لا تنسبه الى أبيه أفالى أمه وكلته لا أم لك فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن حين اخترت له . وكتب زياد الى معاوية : ان عبد الله بن عباس يفسد الناس على فان أذنت لى ان أتوعده فعلت . فكتب اليه ان أبا الفضل وأبا سفيان كانا فى الجاهلية في مسلاخ واحد

وذلك حلف لايحله سوء رأيك . واستاذن زيادمعاوية في الحج فاذن له وبلغ ذلك أبا بكرة فاقبل حتى دخل على زيادوقد أجلس له بنيه فسلم عليهم ولم يسلم على زياد . ثم قال يابني أخي ان أباكم ركب أمرا عظيما في الاسلام بادعائه الى أبي سفيان فوالله ماعلمت سمية بغت قط وقد استاذن أمير المؤمنين في الحج وهومار بالمدينة لامحالة وبها أم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولابدله من الاستئذان عليها فان اذنت له فقعد منها مقعد الاخ من أخته فقد انتهك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وان لم تاذن له فهو عار الابد . ثم خرج فقال له زياد جزاك الله خيرا من أخ فماتدع النصيحة على حال . وكتب الى معاوية يستقيله فاقاله وكتب زياد الى معاوية : اني قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة وهو يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . فقال اللهم اكفنا شماله فمرضت له قرحة في شماله فقتلته . ولما بلغ عبد الله بن عمر موت زياد قال اذهب اليك ابن سمية لا بد ارفعت عن حرام ولا دنيا تمليت . قال زياد : لعجلان حاجبه كيف تاذن للناس قال على البيوتات . ثم على الانساب . ثم على الآداب . قال فمن تؤخر قال من لا يعبا الله بهم قال ومن هم قال الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء . وقال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله في الصلاح والفلاح لا توقفه عني ولا سلطان لك عليه . وطارق الليل لاتحجبه فشرماجاء به ولو كان خيرا ماجاء في تلك الساعة . ورسول صاحب الثغر فانه ان أبطا ساعة أفسد عمل سنة . وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقال عجلان حاجب زياد : صار لي في يوم واحد مائة ألف دينار وألف سيف قيل له وكيف ذلك . قال : أعطى زياد ألف رجل مائتي ألف دينار وسيفا سيفا فاعطاني كل رجل منهم نصف عطائه وسيفه

٢ أخبار الحجاج — دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة . فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة فانك قذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت . قالت والله مافرحنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا وما هو بشيء مما ظننت ولكني استكت فاردت أن أتخلل بسواك . فندم المغيرة على ما بدر منه فخرج أسفا فلقي يوسف بن أبي عقيل . فقال له هل لك الى شيء ادعوك اليه . قال وماذاك قال أني نزلت

الساعة عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج . ومما رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال ان الحجاج بن يوسف كان يعلم الناس بالطائف واسمه كليب وأبوه يوسف معلم أيضا . وفي ذلك قال الشاعر :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده * اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد اياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي

ثم لحق الحجاج بن يوسف روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان . فكان في عديد شرطته الى ان شكا عبد الملك بن مروان ما رأى من انحلال العسكر وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله . فقال روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لارحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف . قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا أعوان روح ابن زنباع . فوقف عليهم يوما وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون . فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين . فقالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا فقال هيهات ذهب ما هنالك ثم امر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فاحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكيا . فقال له مالك . فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي . قال عليّ به فلما دخل عليه قال ما حملك على ما فعلت . قال ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين . قال ومن فعله . قال أنت والله فعلت انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له فاخلف لروح بن زنباع ما ذهب له . وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفاءته

. قال أبو الحسن المداينى : كانت امرأة الحجاج الفارعة ابنة هبار . فقال كان الحجاج بن يوسف يضع في كل يوم ألف خوان في رمضان وفي سائر الايام خمسمائة خوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وارزة بسكر . وكان يحمل في محفة ويدار به على موائده يتفقدها فاذا رأى ارزة ليس عليها سكر وسعى الخباز ليجيء بسكرها فابطأ حتى أكلت الارزة بلا سكر امر به فضرب

مائتي سوط . فكانوا بعد ذلك لا يمشون الا متابطي خرائط السكر . قال : وكان يوسف بن عمر والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك يضع خمسمائة خوان . فكان طعام الحجاج لاهل الشام خاصة وطعام يوسف بن عمر لمن حضره فكان عند الناس احمد . العتبي قال : دخل على الحجاج سليك بن سلكة . فقال أصلح الله الامير أعرني سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عني حزبك فان سمعت خطا اوزللا فدونك والعقوبة . فقال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدمت داري وحرمت عطائى . قال هيهات اما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد * تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب ماخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير قال سمعت الله قال غير هذا قال وماذاك قال قال « يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » فقال الحجاج على بيزيد بن أبي مسلم فاتي به فمثل بين يديه . فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله . وأمر مناديا ينادي في الناس صدق الله وكذب الشاعر . اتى الحجاج : بامرأة عبد الرحمن بن الاشعث بعد دير الجماجم . فقال لحرسي قل لها ياعدوة الله اين مال الله الذي جعلتيه تحت ذيلك . فقال ياعدوة الله اين مال الله الذى جعلتيه تحت استك فقال له كذبت ماهكذا قلت استك وخل عنها . الاصمعى قال : ماتت رفقة بالسجا والسجا ربوة من الارض في بطن فلج فسجى به الوادي فسمي سجا فقال الحجاج انى اراهم قد تضرعوا اذا نزل بهم الموت فاحفروا فى مكانهم فحفروا . فامر الحجاج رجلا يقال له عضيدة يحفر البئر . فلما أنبطها حمل منها قربتين الى الحجاج بواسط . فلما قدم بهما عليه قال ياعضيدة لقد تجاوزت مياها عذابا احتفت أم أوشلت . قال لا واحد منهما ولكن نبطا بين المنافق . قال وكيف يكون قدره قال مرت بنا رفيقة فيها خمسة وعشرون جملا فرويت الابل واهلها . قال أو للابل حفرتها ان الابل ضمر خشف ماجشمت جشمت . بعث عبد الملك بن مروان : الحجاج بن يوسف واليا على العراق وأمره ان يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقة . فلما أتي الكوفة صعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه . فنظر محمد بن عمير بن عطارد

التميمي . فقال لعن الله هذا ولعن من أرسله الينا أرسل غلاما لا يستطيع أن ينطق عيا وأخذ حصاة بيده ليحصبه بها . فقال له جليسه لا تعجل حتي ننظر ما يصنع . فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه فقال:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سلفي نزار * كنصل السيف وضاح الجبين
أخو خمسين مجتمع اشدي * ونجدني مداورة الشؤن

أما والله لا أحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله أما والله اني لاري رؤسا قد أينعت وحان قطافها وكاني أرى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

الا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانها فوجدني أصلبها عودا فوجهني اليكم فانكم طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى أما والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولا قرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أحلق الا فريت ولا أعد الا وفيت ولا أغمز تغماز التنين ولا يقعقع لى بالشنان اياى وهذه الزرافات والجماعات . وقيل وقال وما يقول وفيم أنتم ونحو هذا من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب ضربت عنقه . ثم قال يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين . فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا . فقال الحجاج أسكت يا غلام هذا أدب ابن نهية والله لاؤدبنهم غير هذا الادب أو ليستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق احد فى المسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام . ثم نزل فاتاه عمير ابن هانىء فقال ايها الامير اني شيخ كبير عليل وهذا ابنى أقوي على الغزو مني . قال أجيزوا ابنه عنه فان الحدث أحب الينا من الشيخ . فلما ولى الرجل قال له عنبسة بن سعيد أيها الامير هذا الذى ركض عثمان برجله وهو مقتول . فقال ردوا الشيخ فردوه فقال اضربوا عنقه . فقال فيه الشاعر :

تجهز فاما ان تزور ابن هانىء * عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البلج أشهبا

ثم قال دلونى على رجل أوليه الشرطة . فقيل له أى الرجال تريد قال أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الامانة ، أعجف الخيانة ، لا يحنق فى الحق على حرة ، يهون عليه سؤال الاشراف فى الشفاعة . فقيل عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى فارسل اليه فاستعمله . فقال له لست أقبلها الا ان تكفيني عمالك وولدك وحاشيتك . فقال الحجاج ياغلام ناد من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت الذمة منه . قال الشعبي : فوالله ما رأيت قط صاحب شرطة مثله كان لا يحبس الا فى دين . وكان اذا أتى برجل نقب على قوم وضع منقبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره . وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا أتي برجل قاتل بحديدة أو أظهر سلاحا قطع يده فربما أقام أربعين يوما لا يؤتى اليه باحد . فضم الحجاج اليه شرطة البصرة مع شرطة الكوفة . ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان . فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس فى المسجد وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد فقال رجل من قريش لخالد ماهذه التختارة . فقال بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال اليه . فقال قلت هذا عمرو بن العاص والله ماسرنى ان العاص ولدني ولا ولدته ولكن ان شئت اخبرتك من أنا انا ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش والذى ضرب مائة بسيفه هذا كلهم يشهدون على ابيك بالكفر وشرب الخمر حتى اقروا انه ولى وهو يقول هذا عمرو بن العاص . الاصمعي قال : بعث الحجاج الى يحيي بن يعمر . فقال له أنت الذى تقول ان الحسن بن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتينى بالمخرج أو لاضربن عنقك . فقال له فان أتيت بالمخرج فانا آمن قال له نعم . قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى فمن أقرب عيسي الى ابراهيم . وانما هو ابن ابنته أو الحسن الي محمد . قال الحجاج فوالله لكأنى ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات . قال أبو عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا وحزما وعابدها قبل ان يستخلف وورعاوزهدا . فجلس يوما فى خاصته فقبض على لحيته فشمها مليا . ثم اجترنفسه ونفخ نفخة أطالها . ثم نظر فى وجوه القوم فقال ما أقول يوم ذي المسئلة عن أمر الحجاج وأدحض المحتج على العالم بما طوته الحجب أما ان تمليكى له قرن بي لوعة يحنثها التذكار كيف وقد علمت فتعاميت وسمعت فتصاممت وحمله الكرام الكاتبون . والله

لكاني آلف ذا الطعن على نفسي بعد ان نعت الايام بتصرفها أنفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال وما بقت الشبهة للباقي متعلقا وما هو الا الغل الكامن والغش المندمل من ذي النفس بحوبائها اللهم أنت لي أوسع غير منتصر ولا معتذر يا كاتب هات الدواة والقرطاس .

فقعد كاتبه بين يديه واملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد : فقد أصبحت بأمرك برما يقعد في الاشفاق ويقيمني الرجاء عجزت في دار السعة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر التمس العذر في أمرك فأنا لعمر الله في دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسي والتوقع لما طويت عليه الصحف أعجز . وقد كنت أشركتك فيما طوقني الله حمله وألاث بحقوي من أمانة الله في هذا الخلق المرعى فدللت منه على الحزم والجد في امانة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب وعذر اللاعن والشاهد القائم . فلعن الله أبا عقيل وما نجل فالام والد وأخبث نسل فلعمري ما ظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب لقد ألبستكم ملبسكم وأقعدتكم على روابي خططكم واحلتكم أعلى منعتكم فمن حافر وناقل وماتح للغلوات القفرة المتفيهقة ما تقدم فيكم الاسلام ولقد تأخرتم وما الطائف منا ببعيد يجهل أهله . ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاء سيفك فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على معاونته يومئذ محسود فهفا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكاني بك وكان مالو لم يكن لكان خيرا انما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فصدعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوي الحقوق اللازمة والارحام الواشجة في أوعية ثقيف فاستغفر الله لذنب ماله عذر . فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأى فلقد جالت البصيرة في ثقيف بصلح النبي صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وما هو الا الاختيار للثقة والمطالب لمواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس أمير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين ما يحاول من رأيه والسلام . ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأي فناوله الكتاب .

ثم قال له يا نباتة العجل ثم العجل حتى تأتي العراق فضع هذا الكتاب في يد الحجاج وترقب ما يكون منه فاذا جبن عند قراءته واستيعاب ما فيه فاقلعه عن عمله وانقلع معه حتى تأتي به

وهدى الناس حتى يأتيهم أمري بما تصفني به في حين انقلاعك من حبي لهم والسلامة وان
هش للجواب ولم تكشفه أرنبة الحيرة فخذ منه ما يجيب به وأقرره على عمله . ثم عجل على
بجوابه قال نباتة فخرجت قاصدا الى العراق فضمتني الصحاري والفيافي واحتواني القر وأخذ
مني السفر حتى وصلت . فلما وردته أدخلت عليه في يوم ما يخطر فيه الخلق وعلى شحوب
مضني وقد توسط خدمه من نواحيه وتدثر بمطرف خزأدكن ولاث به الناس من بين
قائم وقاعد . فلما نظر الي وكان لي عارفا قعد . ثم تبسم تبسم الوجل . ثم قال أهلا بك
يانباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين لقد أثرفيك سفرك واعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت
شعري ما دهمك أودهمني عنده . قال فسلمت وقعدت فسأل ما حال أمير المؤمنين وخوله
. فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فأخذه مني مسرعا و يده ترعد . ثم نظر في
وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل من يطيف به من خدمه يلقاه
خاليا لا يسمعون منا الا الصوت ففك الكتاب فقرأه وجعل يتثاءب و يردد تثاؤبه
و يسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت قلنسوته من شدة العرق وعلى
رأسه عمامة خزخضراء وجعل يشخص الي ببصره ساعة كالمتوهم . ثم يعود الى
قراءة الكتاب و يلاحظني النظر كالمتفهم الا أنه واجم . ثم يعاود الكتاب واني
لأقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اضطراب يده حتى استقصى قراءته . ثم
مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ورجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه
. ثم قال متمثلا :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ❊ ألفيت كل تميمة لا تنفع

قبح والله منا الحسن يانباتة وتوا كلتنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الا سانح
فكرة نمقها مرصد يكاب بقصتنا مع حسن رأي أمير المؤمنين فينا ياغلام فتبادر الغلمان
الصيحة فملىء علينا منهم المجلس حتى دفأني منهم الانفاس . فقال الدواة والقرطاس
فاتي بدواة وقرطاس : فكتب بيده وما رفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد
الفرس . فلما فرغ قال لي يانباتة هل علمت ما جئت به فنسمعك ما كتبنا قلت لا
قال اذا حسبك منا مثله . ثم ناولني الجواب وأمر لي بجائزة فأجزل وجرد لي كساه
ودعالي بطعام فأكلت . ثم قال نكلك الى ما أمرت به من عجلة أوتوان واني لأحب
مقارنتك والانس برؤيتك . فقلت كان معي قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندي
فأجدت لك الوافية بالامرين فأقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساء في ذلك وما أحب

أن أز يدك بيانا وحسبك من استعجال القيام . ثم نهضت وقام مودعا لي فالتزمني . وقال بأبي أنت وأمي رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فكن كما أظن فخرجت مستقبلا وجهي حتى وردت أمير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر . فلما رآني قال ما احتواك المضجع يا نابانة فقلت من خاف من وجه الصباح أدلج . فسلمت وانتبذت عنه فتركني حتى سكن جاشي ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما . فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الي فقال كيف رأيت اشفاقه . قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الامين ان من البيان لسحرا . ثم قذف الكتاب الي . فقال اقرأ فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوي أمره من عبد اكتنفته الذلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعتز قادح والسلام عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها قائدا فاني أحمد الله اليك راجيا لعطفك بعطفه الذي لا اله الا هو أما بعد كان الله لك بالدعة في دار الزوال والامن في دار الزلزال فانه من عنت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقي بوتر وقد حجبني عن نواظر السعد لسان مرصد ونافس حقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فواغوثاه باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما أجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين أن يفتق لاوليائه فتقا نبا عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر أمير المؤمنين مبلسا وكادحا وموئسا ليفل من غر به الذي نصبني ويصيب ثارا لم يزل به موترا واذكره قديما مامت به الاوائل حتي لحقت بمثله منهم وممن كنت أبلوه من خمسة اقدار ومزاولة أعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضي بان الذي عير به القوم سما نعمهم من أشدها كان يزاوله أهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما جهل أمير المؤمنين وللبيان موقعة غير محتج ولا متعدد ان متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد من فوقه وان روحا لم يلبسني العزم الذي به رفعني أمير المؤمنين عن خوله وقد ألصقني بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمي بي البعيد وتطالع الاعلام وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقسمه الاشفاق

من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقي لنا بعد الاصابة وارث به بحول النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير متثبت موجف ولا متثاقل مجحف ففت الطالب ولحقت الهارب حتي ثارت السنة وبادت البدعة وخسىء الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أنا ذا يا أمير المؤمنين نصب المسئلة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أو لائم ملتج وأمير المؤمنين ولى المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ أمرى ولكل نبأ مستقر وما حفنت يا أمير المؤمنين في أوعية ثقيف حتي روى الظمآن وبطن الغرثان وغصت الاوعية وأنقدت الاوكية فى آل مروان فاخذت ثقيف فضلا صار لها ولاهم القطته السائلة ولقد كان مما أنكره أمير المؤمنين من تحاملي وكان مما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة أحدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا فى النجي المصطفى بالرسالة فحق لها فيه الرجاء وزالت شبهة الشك بالاختيار وقبلها العزيز فى يوسف ثم الصديق فى الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين فى الحجاج وما حسد الشيطان يا أمير المؤمنين خاملا ولا شرف بغير سجا فكم غبطة يا أمير المؤمنين الرجيم أدبر منها وله غواة ومرساة وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن أذكرها من أمير المؤمنين ولقد سمعت لامير المؤمنين فى صالح صلوات الله عليه فى ثقيف مقالا هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في وده بمحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فقد أخبر عن الله عز وجل وحكاية غر الملا من قريش عند الاختيار والافتخار . وقد نفخ الشيطان فى مناخرهم فلم يدعوا خلف ما قصدوا اليه موسى قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفى فصارا فى الافتخار بهما صنوين ما أنكر اجتماعهما من الامة منكر فى مدصوت القرآن ومبلغ الوحى وان كان ليقال للوليد فى الامة يومئذ ريحانة قريش وما رد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة الى القسم السابق : فقال عز وجل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » وما قدمتني يا أمير المؤمنين ثقيف فى الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب . والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة

الله . قال نباتة فاتيت على الكتاب بمحضر أمير المؤمنين عبد الملك . فلما استوعبته سارقته النظر عن الهيبة منه فصادف لحظي لحظه . فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان أحدا . فلما مات عبد الملك فشاعني الخبر بعدموته . محمد بن المنتشر بن الاجدع الهمداني قال : دفع الى الحجاج رجلا ذميا وامرني بالتشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك لشرفا ودينا اني لا أعطى على القسر شيا . فاذن لي وارفق بي ففعلت فادى الي في أسبوع خمسمائة الف . فبلغ ذلك الحجاج فاغضبه فانتزعه من يدى ودفعه الى الذى كان يتولى لهم العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطه شيا . قال محمد بن المنتشر فاني لسائر يوما في السوق اذ صائح اني يا محمد فالتفت فاذا أنا به معترضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته فتذممت منه . فملت اليه فقال لي انك وليت مني ما ولي هؤلاء فرفقت بي وأحسنت الي وانهم صنعوا بي ما ترى . ولي خمسمائة الف عند فلان فخذها مكافاة لما أحسنت الي فقلت ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لارزأك على هذه الحالة شيا . قال فاما اذ أبيت فاسمع مني حديثا أحدثك به حدثنيه بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته وجعل المال في بخلائهم واستعمل عليهم شرارهم . فانصرفت فما وضعت ثوبي حتي أتاني رسول الحجاج فسرت اليه فالقيته جالسا على فرشه والسيف مصلت بيده . فقال لي ادن فدنوت شيا ثم قال لي ادن فدنوت شيئا ثم قال لي الثالثة ادن لا أبالك . فقلت ما بي الى الدنو من حاجة وفي يد الامير ما أرى فضحك وغمد سيفه . وقال اجلس ما كان من حديث الخبيث . فقلت له أيها الامير والله ما غششتك منذ استصحبتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عني بوجهه وأوماً الي بيده وقال لا تسمه . ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث . ويقال ان الحجاج كان اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه . ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع حتى يتزايد في الكلام فيخرج يده من مطرفه . ثم يزجر الزجرة فيقرع بها أقصى من في المسجد . صعد خالد بن عبد الله القسري . المنبر في يوم جمعة وهو اذ ذاك على مكة فذكر الحجاج فحمد طاعته وأثنى عليه خيرا . فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يامره فيه بشتم

الحجاج بشر عيو به واظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلا . وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفى على ملائكته . فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ماخفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فلعنه فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ولما أتي الحجاج بامرأة ابن الاشعث قال للحرسي قل لها يا عدوة الله أين مال الله الذي جعلته تحت ذيلك فقال لها الحرسي ياعدوة الله أين مال الله الذي جعلته تحت استك قال الحجاج كذبت ماهكذا قلت ارسلها فخلى سبيلها . أبو عوانة عن عاصم عن أبي وائل قال : أرسل الحجاج الي فقال لي ما اسمك قلت ما أرسل الامير الي حتى عرف اسمي . قال لي متى هبطت هذه الارض قلت حين ساكنت أهلها . قال كم تقرأ من القرآن قلت أقرأ منه ما ان اتبعته كفاني . قال اني أريد ان أستعين بك على بعض عملي . قلت ان تستعن بي تستعن بكبير اخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعني فهو أحب الي وان تقحمني أتقحم . قال ان لم أجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم أقحمك . قلت وأخرى أكرم الله الامير اني ماعلمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك والله اني لا تعار من الليل فاذكرك فما يأتيني النوم حتى أصبح هذا ولست لك على عمل فاعجبه ذلك . وقال هيه كيف قلت فأعدت عليه الحديث . فقال اني والله ما أعلم اليوم رجلا على وجه الارض هو أجرأ على ربه مني . قال فقمت فعدلت عن الطريق كأني لا أبصر . فقال أهدوا الشيخ أرشدوا الشيخ . أبو بكر بن أبي شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه اذا أردتم ان تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان فانظروا الى هذا . فقال عبد الرحمن معاذ الله أيها الامير أن أكون أسب عثمان انه ليحجزني عن ذلك آيات في كتاب الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فكان أبي منهم ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فكنت أنا منهم قال صدقت . أبو بكر بن أبي شيبة

عن أبي معاوية عن الاعمش قال رأيت عبد الرحمن بن ابى ليلى ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد فجعلوا يقولون له العن الكاذبين على بن ابى طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد . فقال لعن الله الكاذبين . ثم قال على بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد بالرفع فعرفت حين سكت . ثم ابتدأ فرفع انه ليس يريدهم . قال الشعبي : أتى بي الحجاج موثقا فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبه . فقال انا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم وليس اليوم بيوم شفاعة قلت له فما المخرج . قال بؤ للامير بالشرك والنفاق على نفسك وبالحرى ان تنجو . ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد . فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت أصلح الله الامير انبا بنا المنزل ، وأجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا اطلقوا عنه فاحتاج الى فى فريضة بعد ذلك فارسل الى فقال ما تقول فى أم وأخت وجد . فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وعلى وعثمان وزيد وابن عباس . قال فما قال فيها ابن عباس ان كان لمتقيا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الاخت شيا وأعطى الام الثلث . قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فاعطي الجد ثلاثة وأعطى الام ثنين وأعطي الاخت سهما . قال فما قال زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى الام ثلاثة وأعطي الجد أربعة وأعطي الاخت اثنين فجعل الجد معها أخا . قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها ثلاثا . قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الجد سهما قال مر القاضي فليمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين فبينما أنا عنده اذ جاءه الحاجب . فقال له ان بالباب رسلا . فقال ائذن لهم : قال فدخلوا عمائمهم على أوساطهم وسيوفهم على عواتقهم وكتبهم بايمانهم اذ جاء رجل من بنى سليم يقال له شبابة بن عاصم . فقال له من أين قال من الشام قال كيف تركت أمير المؤمنين وكيف تركت حشمه فاخبره قال هل وراءك من غيث قال نعم . قال فهل بيني وبين الامير من سحاب قال نعم . قال فانعت لى كيف وقع المطر وتباشيره قال أصابتني سحابة بحوارين فوقع قطر صغار وقطر كبار . فكانت الصغار تحمد الكبار ووقع بسيطا ومتداركا وهو الثلج الذى سمعت به فواد سائل وواد نازح وأرض مقبلة وأرض مدبرة .

وأصابتني سحابة بسرافابدت الدماث وأسالت العرار وأدحضت التلاع وصدعت عن الكماة أماكنها . واصابتني سحابة بالقريتين فقات الارض بعد الري وامتلأت الاجاديد وافعمت الاودية وجئتك في مثل وجار الضبع . قال ائذن لى فدخل رجل من بني أسد . فقال هل وراءك من غيث . قال لا كثر الله الاعصار واغبرت البلاد وأيقنا انه عام سنة . قال بئس المخبر أنت . قال أخبرتك الذى كان . قال ائذن فدخل رجل من أهل اليمامة . قال هل وراءك من غيث . قال نعم سمعت الرواد يدعون الى الماء وسمعت قائلا يقول: هلم ظعنكم الى محلة تطفا فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعزي . قال الشعبي فلم يدر الحجاج ما قال . فقال له تبالك انما تحدث اهل الشام فافهمهم قال نعم أصلح الله الامير اخصب الناس فكثر التمر والسمن والزبد واللبن فلا توقد نار يختبزبها . وأما تشكى النساء فان المرأة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضدها : وأما تنافس المعزى فانها ترى من أنواع التمر وأنواع الشجر ونور النبات ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت اكراشها ولها من الكظة جرة فتبقى الجرة حتى تستنزل الدرة . قال ائذن فدخل رجل من الموالي كان من أشد الناس في ذلك الزمان : فقال له هل وراءك من غيث . قال نعم ولكني لا أحسن ان أقول ما يقول هؤلاء قال فما تحسن . قال أصابتني سحابة بحلوان فلم أزل أطا في آثارها حتي دخلت عليك . فقال لئن كنت اقصرهم في المطر خطبة انك لاطولهم بالسيف حظوة . ابراهيم بن مرزوق : عن سعيد بن جويرية قال لما كان عام الجماعة كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انظر ابن عمر فاقتد به وخذ عنه يعني في المناسك . قال فلما كان عشية عرفة سار الحجاج بين يدى عبد الله بن عمر وسالم ابنه . فقال له سالم ان اردت ان تصب السنة اليوم فاوجز الخطبة وعجل الصلاة . قال فخطب ونظر الى عبد الله بن عمر . فقال صدقت فلما كان عند الزوال مر عبد الله بن عمر بسرادقه . وقال الرواح فما لبث ان خرج ورأسه يقطر كانه قد اغتسل . فلما أفاض الناس رأيت العرق يتحدر من النجيبة التى عليها ابن عمر . فقلت أبا عبد الله عقرت النجيبة قال أنا عقرت ليس النجيبة وكان أصابه زج رمح بين أصبعين من قدمه . فلما صرنا بمكة دخل عليه الحجاج عائدا . فقال يا أبا عبد الرحمن لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت : قال له أنت أصبتني : قال غفر الله لك لم تقول هذا قال حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح وفي بلد لا يحمل فيه السلاح . أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دخل المسجد والحجاج على المنبر وقد ملأ صوته المسجد بابيات

سويد بن ابي كاهل اليشكري حيث يقول :

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لي موتا لم يطع
ساء ماظنوا وقد ابليتهم * عند غايات المدا كيف اقع
كيف يرجون سقوطي بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

كتب الوليد الى الحجاج ان صف لى سيرتك . فكتب اليه ان أيقظت رأيي ، وأنمت هواى ، فادنيت السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحرب الحازم فى أمره ، وقلدت الخراج الموفر لامانته وصرفت السيف الى النطق المسيء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . قرأ الحجاج : فى سورة هود « قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » فلم يدر كيف يقرأ اعمل بالضم والتنوين او اعمل بالفتح فبعث حرسيا . فقال ائتنى بقاريء فاتى به وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه فحبسه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر . فلما انتهى اليه . قال له فيم حبست قال فى ابن نوح أصلح الله الامير وأمر باطلاقه . ابراهيم بن مرزوق قال : حدثني سعيد بن جويرية قال خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فارسل الى انس بن مالك ان يخرج معه فابي . فكتب اليه يشتمه فكتب انس بن مالك الى عبد الملك بن مروان يشكوه وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه قال اسمعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر بعث الى عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث الى فى مثلها فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقا وغيظا . فقال يا أسمعيل ما أشد على ان تقول الرعية ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك يا أمير المؤمنين . قال انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى يذكر ان الحجاج قد أضر به وأساء جواره . وقد كتبت فى ذلك كتابين كتابا الى انس بن مالك والآخر الى الحجاج فاقبضهما . ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بانس بن مالك فادفع له كتابى وقل له اشتد على امير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن ياتي اليك أمر تكرهه ان شاء الله . ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم مايتكلم به ومايكون منه حتى تفهمنى اياه اذا قدمت على ان شاء الله . قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق . فبدأت بانس بن مالك فى منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا . فلما فرغ من قراءة

الكتاب قلت له أبا حمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك في جامعة لقدر ان يضرك و ينفعك فأنا أريد ان تصالحه . قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك : ثم أتيت الحجاج فلما رآني رحب وقال والله لقد كنت أحب أن أراك في بلدى هذا . قلت وأنا والله قد كنت أحب أن أراك وأقدم عليك بغير الذى أرسلت به اليك . قال وماذاك . قلت فارقت الخليفة وهو أغضب الناس عليك . قال ولم . قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرؤه وجبينه يعرق فمسحه بيمينه . ثم قال اركب بنا الى أنس بن مالك قلت له لا تفعل فاني سألطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى أشرت عليه من مصالحته . قال فالقى كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف . اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزة الليوث للثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم و يحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد على غير محبته ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن ترزأه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان بغضتها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وأيم الله لو أن أمير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا عليك فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهر البطن حتى ينتهى بك الى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ولم يخف على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . قال اسمعيل : فانطلقت الى أنس فلم أزل به حتى انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك أبا حمزة عجلت باللائمة واغضبت علينا امير المؤمنين . ثم أخذ بيده فاجلسه معه علي السرير . فقال أنس انك كنت تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار . وقلت انا من أبخل الناس والله يقول فينا « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وزعمت انا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » فكان

المخرج والمشتكى فى ذلك الى الله والى أمير المؤمنين . فتولى من ذلك ماولاه الله وعرف من حقنا ماجهلت وحفظ مناماضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو أرضي للمرضى وأسخط للمسخط وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحق عنده الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة . والله لو لا أن اليهود أو النصاري رأت من خدم موسي بن عمران أو عيسى ابن مريم يوما واحدا الرأت له مالم تر والى فى خدمة رسول الله صلي الله عليه وسلم عشر سنين . قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتي قبل عذره و ترضى عنه . وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا له حتى هلك رضى الله عنه . وكتب الحجاج : الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وسهل حظه وأحاطه ولا اعدمناه فان اسمعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين أعز الله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين اطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداءه يذكر شتيمتي و توبيخى بآبائي وتعييرى بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكرنى أمير المؤمنين جعلنى الله فداه استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم جراءة علي امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته علي من خالف سبيله عمدو الى غير محبته و نزل عند سخطته وامير المؤمنين اصلحه الله فى قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم الانبياء احق من أقال عثرتى وعفا عن ذنبي فامهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى للذي جبل عليه من كريم طبائعه وماقلده الله من امور عباده فرأي امير المؤمنين اصلحه الله فى تسكين روعتي وافراج كربتي فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجاءة نقمته وامير المؤمنين اقاله الله العثرات وتجاوز له السيآت وضاعف له الحسنات واعلى له الدرجات احق من صفح وعفا وتعمل وابقى ولم يشمت فى عدوا مكبا ولا حسوداً مصبا ولم يجرعني غصصا والذى وصف امير المؤمنين من صنيعته الى وتنويهه لى بما اسند الى من عمله واوطاني من رقاب رعيته فصادق فيه مجزى بالشكر عليه والتوسل منى اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين اسمعيل بن ابى المهاجر رسول امير المؤمنين وحامل كتابه نزولى عند مسرة انس بن مالك وخضوعى عند كتاب امير المؤمنين واقلاقه اياى ودخوله بالمصيبة على ماسيعلمه امير المؤمنين ويشهد اليه فان راى امير المؤمنين طوقني الله بشكره وأعانني على تادية حقه وبلغني الى مافيه موافقة مرضاته ومد لى فى اجله ان يامرلى بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمننى به من سفك دمي ويرد ما شرد من نومى

ويطمئن به قلبي فقد ورد على أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد على كربه أسال الله أن لا يسخط أمير المؤمنين وان يثبته فى حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه مايحمد به حسن رأيه وبعد همته انه ولى أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له فى أمره والسلام . فحدث اسمعيل انه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال ياكاتب افرخ روع أبى محمد . فكتب اليه بالرضا عنه . كان سليمان بن عبد الملك : يكتب الى الحجاج فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتبا فلا ينظر له فيها . فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله . أما بعد فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ماسلف اليك من خير يعطفك ولا ماعليك لا لك تصرفه فى مهمة من أمرك معموه معصوص عن الحق اعصيصار الا تسكت عن قبيح ولا ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك واخرز زمام نعل بحذو مثله قائم وايم الله لئن أمكنني الله منك لادوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولاجعلنك شريدا فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولاعلقن الرومية الحمراء بثديها علم الله ذلك منى وقضى لى به على فقد ماغرتك العافية وانتحيت أعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بى وبك مدة تعلق بها وان تكن الاخرى فارجو ان تؤل الى مذلة ذليلة وخزية طويلة ويجعل مصيرك فى الآخرة شر مصير والسلام . فكتب اليه الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعي تارك لحظي مستخف بحق الله وحق ولى الحق وتذكر انك ذو مصاولة ولعمرى انك لصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك ويرقب فيك غيرك فاما كتابك الى فلعمري لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأمنت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبه فيلتمس من مكايدتك ماتلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من طبيعتك

واقبل الشيطان بك وأدبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطي ما يعيبك فتحذلقت حنجرتك لقوله واتسعت جوانبها لكذبه . وأما قولك لوملكك الله لطلقت زينب ابنة يوسف بتديها فارجو أن يكرمها الله بهوانك وان لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع أني أعرف انك كتبت الى والشيطان بين كتفيك فشر ممل عليك على شر كاتب راض بالخسف فاحرى بالحمق ان لا يدلك على هدي ولا يردك الا الى ردي وتحلب فوك للخلافة فانت شامخ البصر طامح النظر تظن أنك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها للقطة الله أسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع أني أرجو ان ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك فأكون لك مثلي لهما وان نفخ الشيطان في منخر بك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمري انها النصيحة فان تقبلها فمثلها قبل وان تردها على اقتطعتها دونك وأنا الحجاج . قدم الحجاج : على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين بنت عبد الملك بن مروان من هذا الاعرابي المستلئم في السلاح عندك وأنت في غلالة . فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف فاعادت الرسول اليه تقول والله لان يخلو بك ملك الموت أحب الى ان يخلو بك الحجاج فاخبره الوليد بذلك وهو يمازحه . فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج . فقالت يا أمير المؤمنين حاجتي أن تامره غدا يأتيني مسلما ففعل ذلك فاتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما . ثم قالت له ايه يا حجاج انت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا ان الله علم انك من شرار خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام . واما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ اوطاره منهن فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالاخذ عنك وان كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك اما والله لقد نفض كساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن بعثك في اعطية اهل الشام حتى كنت في اضيق من القرق قد اظلتك رماحهم واثخنتك كفاحهم وحتى كان امير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم . فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم اياه ولله در القائل اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك :

أسد على وفى الحروب نعامة * ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر * تركت كتائبه كامس الدابر

ثم قالت: اخرج فخرج مذموما مدحورا. كان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك بن مروان، فاتصل به الحجاج مجمع على مطالبته بالاموال التى بيده وعزله عن عمله. ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج واستدفاعا لضرره وشره. فلما بلغ ذلك الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان: أما بعد فان لوذان المعترضين بك، وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث أخلاقك، وسعة عفوك. كالعارض المبرق لاعدائه، لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك واذا الاذ أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق، مع كل ضال. والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام: فلما قرأ الكتاب. بعث الى عروة ثم قال له ان كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى الا اشخاصك اليه. ثم قال لرسول الحجاج شانك به. فالتفت اليه عروة مقبلا عليه وقال. أما والله ما ذل وخزى من مات، ولكن ذل وخزي من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الامر، ونفاذ النهى ان الحجاج لسلطان عليك ينفذ أموره دون أمورك انك لتريد الامر يزينك عاجله، ويبقى لك أكرومة آجله، فيجذبك عنه، ويلقاه دونك. ليتولى من ذلك الحكم فيه فيحظى بشرف عفو ان كان أو بجرم عقوبة ان كانت وما حاربك من حاربك الا على أمر هذا بعضه. قال فنظر فى كتاب الحجاج مرة ورفع بصره الى عروة تارة: ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب اليه. أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا فى السياسة خبط عشواء الليل. فان رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذي أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك، واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوبا عليك عند الفرصة. ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعى، ولا هداه. اذا رجوا بذلك ادراك الثار منك. وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحمي أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية. وكانوا عليهم أصلح منهم عليك. وللشدة واللين أهلون والافراط فى العفو أفضل من الافراط فى العقوبة والسلام. زكريا بن عيسى عن ابن شهاب. قال: خرجنا مع الحجاج حجاجا. فلما انتهينا الى البيداء وافينا ليلة

الهلال هلال ذي الحجة . فقال لنا الحجاج : تبصرون الهلال فاما أنا ففي بصري غبرة . فقال له نوفل بن مساحق : أوتدري لم ذلك اصلح الله الامير . قال : لا أدري . قال لكثرة نظرك في الدفاتر . الاصمعي قال : عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . ووجد فيهم اعرابي أخذ يبول في أصل مدينة واسط فكان فيمن اطلق فانشأ الاعرابي يقول :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

أبو داود المصحفي عن النضر بن شميل قال : سمعت هشاما يقول : احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا : وخطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق بلغني أنكم تروون عن نبيكم انه قال : من ملك على عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه ، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور . وأيم الله إني لاحب الى ان احشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من ان أحشر معكم مطلقا . ومرض الحجاج ففرح أهل العراق . وقالوا : مات الحجاج مات الحجاج . فلما أفاق صعد المنبر وخطب الناس . فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، مرضت فقلتم مات الحجاج . أما والله لاحب الى أن أموت من أن لا أموت وهل أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضي بالخلود في الدنيا لاحد من خلقه الا لابغض خلقه اليه وأهو نهم عليه ابليس . ولقد رأيت العبد الصالح يسال ربه . فقال : « رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى » . ففعل ثم اضمحل ذلك فكانه لم يكن . وأراد الحجاج أن يحج فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق . ثم خطب فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق إني أردت الحج وقد استخلفت عليكم محمدا ولدي . وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم . وأني أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، وان لا يتجاوز عن مسيئكم . الا وانكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا خوفي . لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا أعجل لكم الجواب : فلا احسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعشي أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ففرح أهل العراق . وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه . فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس فقال : أيها الناس محمدان في يوم واحد أما والله ما كنت أحب أنهما معي في الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب الله لها في الآخرة . وأيم الله ليوشكن الباقي

مني ومنكم أن يفني ، والجديدان يبلى ، والحي مني ومنكم ان يموت ، وان تدال الارض منا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا . كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها . ثم نكون كما قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون » ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميت * وحسبي ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عني راضيا * فان سرور النفس فيما هنالك

ثم نزل واذن للناس فدخلوا عليه يعزونه . ودخل فيهم الفرزدق . فلما نظر اليه قال يافرزدق أما رثيت محمدا ومحمدا . قال : نعم أيها الامير وأنشد :

لئن جزع الحجاج مامن مصيبة * تكون لمحزون امض وأوجعا
من المصطفى والمنتقى من نقاية * جناحاه لما فارقاه وودعا
جناحا عتيق فارقاه كلاهما * ولو نزعا من غيره لتضعضعا
ولو ان يومى جمعتيه تتابعا * على شامخ صعب الذرى لتصدعا
سميا رسول الله سماها به * اذا لم يكن عند الحوادث اخضعا

قال أحسنت وأمر له بصلة . فخرج وهو يقول : لو كلفني الحجاج بيتا سادسا لضرب عنقي قبل أن آتيه به وذلك انه دخل ولم يهيئ شيا .

٣ — قولهم في الحجاج — الرياشي عن العتبي عن ابيه . قال : مارأيت مثل الحجاج كان زيه زي شاطر ، وكلامه كلام خارجي ، وصولته صولة جبار . فسألته عن زيه قال : كان يرجل شعره ويخضب اطرافه . كثير بن هشام عن جعفر ابن برقان : قال سالت ميمون بن مهران فقلت كيف ترى في الصلاة خلف رجل يذكر انه خارجي فقال انك لاتصلى له انما تصلى لله . قدكنا نصلى خلف الحجاج وهو حروري ازرقي . قال فنظرت اليه فقال : أتدرى ما الحروري الازرقي هو الذي ان خالفت رأيه سماك كافرا واستحل دمك وكان الحجاج كذلك . أبو أمية عن أبي مسهر قال . حدثنا هشام بن يحيي عن أبيه قال حدثنا عمر بن عبد العزيز لوجاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم . وحلف رجل بطلاق امرأته : ان الحجاج في النار فاتى امرأته فمنعته نفسها . فسال الحسن بن ابى الحسن

البصري . فقال : لا عليك يا ابن أخي فانه ان لم يكن الحجاج في النار ، فما يضرك ان تكون مع امرأتك على زنا . أبو أمية عن اسحق بن هشام عن عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن علي بن زيد . قال : لما مات الحجاج أتيت الحسن فاخبرته فخر ساجدا . علي بن عبد العزيز عن اسحق عن جرير بن منصور . قال : قلت لابراهيم ما ترى في لعن الحجاج . قال : ألم تسمع لقول الله تعالى « ألا لعنة الله على الظالمين » فاشهد ان الحجاج كان منهم . وكيع عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله . قال : دخلت على الحجاج فما سلمت عليه . وكيع عن سفيان قال قال يزيد الرقاشي عن الحسن : اني لارجو للحجاج : قال الحسن : اني لارجو ان يخالف الله رجاءك . ميمون بن مهران قال : كان أنس وابن سيرين لا يبيعان ولا يشتريان بهذه الدراهم الحجاجية : قال عبد الملك بن مروان للحجاج : ليس من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لي عيوبك . قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال لابد ان تقول . قال : انا لجوج حسود حقود . قال : ما في ابليس شر من هذا . أبو بكر بن أبي شيبة قال قيل لعبد الله بن عمر : هذا الحجاج قد ولي الحرمين . قال ان كان خيرا شكرنا ، وان كان شرا صبرنا . ابن أبي شيبة قال : قيل للحسن . ما تقول في قتال الحجاج . قال : ان الحجاج عقوبة من الله فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف . ابن أبي فضيل قال . حدثنا أبو نعيم قال أمر الحجاج بماهان ان يصلب على بابه فرأيته حين رفعت خشبته يسبح ويهلل ويكبر ويعقد بيده حتى بلغ تسعة وتسعين وطعنه رجل على تلك الحال فلقد رأيتها بعد شهر في يده . قال : وكنا نرى عند خشبته بالليل شبيها بالسراج . أبو داود المصحفي عن النضر بن شميل . قال سمعت هشاما يقول احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة وعشرين ألفا

٤ — من زعم ان الحجاج كان كافرا — ميمون بن مهران عن الاجلح . قال قلت للشعبي : يزعم الناس ان الحجاج مؤمن قال مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله . علي بن عبد العزيز عن اسحق بن يحيي عن الاعمش . قال . اختلفوا في الحجاج فقالوا بمن ترضون . قالوا بمجاهد فاتوه فقالوا انا قد اختلفنا في الحجاج فقال اجئتم تسالوني عن الشيخ الكافر . محمد بن كثير عن الاوزاعي . قال سمعت القاسم بن محمد يقول . كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الاسلام عروة عروة . عطاء بن السائب . قال : كنت جالسا مع أبي البختري والحجاج يخطب : فقال في خطبته . « ان مثل عثمان عند الله كمثل عيسي ابن مريم قال الله فيه

انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » . فقال أبو البختري : كفر ورب الكعبة . ومما كفرت به العلماء الحجاج . قوله : ورأى الناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره انما يطوفون باعواد ورمة . الشيباني عن الهيثم عن ابن عباس . قال كنا عند عبد الملك بن مروان : اذا تاه كتاب الحجاج يعظم فيه أمر الخلافة ويزعم أن ما قامت السموات والارض الا بها وان الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين . وذلك ان الله خلق آدم بيده واسجد له الملائكة واسكنه جنته ثم اهبطه الي الارض وجعله خليفته وجعل الملائكة رسلا اليه . فاعجب عبد الملك بذلك . وقال : لوددت ان عندى بعض الخوارج فاخاصمه بهذا الكتاب . فانصرف عبد الله بن يزيد الى منزله . فجلس مع ضيفانه وحدثهم الحديث . فقال له حوار ابن زيد الضبي وكان هاربا من الحجاج توثق لى منه . ثم اعلمني به فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان . فقال : هو آمن على كل ما يخاف فانصرف عبد الله الى حوار فاخبره بذلك . فقال بالغداة ان شاء الله . فلما أصبح اغتسل ولبس ثوبين ثم تحنط وحضر باب عبد الملك . فقال هذا الرجل بالباب فقال ادخله ياغلام فدخل رجل عليه ثياب بيض يوجد عليه ريح الحنوط . ثم قال : السلام عليكم ثم جلس فقال عبد الملك ائت بكتاب أبي محمد ياغلام فاتاه به فقال . اقرأ فقرأ حتى أتى على آخره . فقال حوار أراه قد جعلك فى موضع ملكا وفى موضع نبيا وفى موضع خليفة . فان كنت ملكا فمن أنزلك . وان كنت نبيا فمن أرسلك . وان كنت خليفة فمن استخلفك عن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس امورهم بالسيف . فقال عبد الملك قد أمناك ولا سبيل اليك والله لا تجاورنى فى بلد أبدا فارحل حيث شئت . قال فانى قد اخترت مصر فلم يزل بها حتى مات عبد الملك . على بن عبد العزيز عن اسحق بن اسمعيل الطائي . قال حدثنا جرير عن مغيرة عن الربيع قال . قال الحجاج فى كلام له : ويحكم اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم . قال ففهمت ما أراد . فقلت : لله على ان لا أصلى خلفك صلاة أبدا ولئن وجدت قوما يقاتلونك لقاتلتك معهم فقاتل فى الجماجم حتى قتل . قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق . قال : خير منزل لو أدركت بها أربعا لتقربت الى الله بدمائهم . قيل : ومن هم . قال مقاتل بن مسلم ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط الناس له أرديتهم فقال « لمثل هذا فليعمل العاملون » . وعبيد الله

بن ظبيان قام فخطب خطبة أوجز فيها فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا أمثالك قال : لقد سالم الله شططا . وسعيد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت ياعبد الله ابن الطريق الى مكان كذا فغضب وقال المثلي يقال له ياعبد الله . وأبو سماك الحنفي اضل ناقته . فقال لئن لم يردها على لاصليت أبدا . فلما وجدها قال علم ان يميني كانت برة . قال ناقل الحديث : ونسي الحجاج نفسه وهو خامس الاربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم الحادا وأكفرهم في كتابه الى عبد الملك بن مروان ان خليفة الله في أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم . وكتابه اليه وبلغه انه عطس يوما فحمد الله وشمته أصحابه فرد عليهم ودعالهم . فكتب اليه : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ومن تشميت أصحابه له ورده عليهم فياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما . وكان عبد الملك كتب الى الحجاج في اسرى الجاجم : ان يعرضهم على السيف . فمن أقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل سبيله ، ومن زعم انه مؤمن فاضرب عنقه ففعل . فلما عرضهم أتي بشيخ وشاب فقال للشاب أمؤمن أنت أم كافر قال بل كافر فقال الحجاج لكن الشيخ لا يرضى بالكفر فقال له الشيخ أعن نفسي تخادعني يا حجاج والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به . فضحك الحجاج وخلي سبيلهما . ثم قدم اليه رجل فقال له على دين من أنت قال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . فقال اضربوا عنقه . ثم قدم آخر فقال له على دين من أنت قال على دين ابيك الشيخ يوسف . فقال : أما والله لقد كان صوما قواما خل عنه ياغلام . فلما خلى عنه انصرف اليه . فقال له ياحجاج سالت صاحبي على دين من أنت فقال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فامرت به فقتل وسالتني على دين من أنت فقلت على دين ابيك الشيخ يوسف فقلت أما والله لقد كان صواما قواما فامرت بتخلية سبيلي . والله لو لم يكن لابيك من السيآت الا أنه ولد مثلك لكفاه فامر به فقتل . ثم أتي بعمران بن عصام الغنوى . فقال : عمران قال نعم . قال ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك قال بلى . قال الم أزوجك مارية بنت مسمع سيد قومها ولم تكن لها أهلا قال بلى . قال فما حملك على الخروج علينا قال اخرجني باذان . قال فاين كنت من حجة أهلك قال اخرجني باذان . فامر رجلا فكشف العمامة عن رأسه فاذا هو محلوق قال ومحلوق أيضا الا اقالني الله ان لم أقتلك فامر به فضرب عنقه . فسال عبد الملك بعد ذلك عن عمران بن عصام فقيل له قتله الحجاج . فقال ولم قال بخروجه مع ابن الاشعث . قال ما كان ينبغي له أن يقتله بعد قوله :

وبعثت من ولد الابر معتب * صقرا يلوذ حمامه بالعوسج
فاذا طبخت بناره انضجتها * واذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر اذا اراد فريسة * لم ينجها منه صريخ الهجهج

ثم أتى بعامر الشعبي ومطرف بن عبدالله بن الشخير وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف يريان التورية . وكان سعيد بن جبير لا يرى ذلك . فلما قدم له الشعبي قال أكافر أنت أم مؤمن . قال : أصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، واجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخطبتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال الحجاج : صدق والله مابروا بخروجهم علينا ، ولا قووا خلياعنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له أكافر أنت أم مؤمن . قال : أصلح الله الامير ان من شق العصا ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين . لجدير بالكفر . فقال صدق خليا عنه . ثم أتى بسعيد بن جبير . فقال له أنت سعيد بن جبير . قال : نعم قال لا بل شقي ابن كسير قال امي اعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت أمك . قال الشقاء لاهل النار . قال أكافر أنت أم مؤمن . قال ما كفرت بالله منذ آمنت به . قال اضربوا عنقه

٥ — موت الحجاج — مات الحجاج فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك . فتفجع عليه وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فاكتفى وجاوز . فقال الوليد : مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبي مسلم فكنت كمن سقط منه درهم وأصاب ديناراً . وكان الوليد بن عبد الملك يقول ان عبد الملك كان يقول الحجاج جلدة ما بين عيني . وأنني وأنا أقول : انه جلدة وجهي كله . لما بلغ عمر بن عبد العزيز موت الحجاج خرّ ساجداً . وكان يدعو الله ان يكون موته على فراشه ليكون أشد لعذابه فى الآخرة . أبو بكر ابن عياش قال : سمع صياح الحجاج فى قبره فاتوا الى يزيد بن أبي مسلم فاخبروه . فركب في اهل الشام فوقف على قبره فسمع فقال يرحمك الله ياأبا محمد فما تدع القراءة حتى ميتا . الرياشى عن الاصمعي . قال : اقبل رجل الى يزيد بن أبي مسلم . فقال له : اني كنت أرى الحجاج فى المنام فكنت أقول له مافعل الله بك . قال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وأنا منتظر ماينتظره الموحدون . ثم قال رأيته بعد الحول فقلت ما صنع الله بك . فقال : ياعاض بظر امه أما سألتني عن هذا عام أول فاخبرتك . فقال يزيد

ابن أبي مسلم اشهد انك رأيت أبا محمد حقا . وقال الفرزدق يرثى الحجاج ليرضي بذلك الوليد ابن عبد الملك :

ليبك على الاسلام من كان باكيا * على الدين من متوحش الليل خائف
وأرملة لما أتاها نعيه * فجادت له بالواكفات الذوارف
وقالت لعبديها انيخا فعجلا * فقد مات راعي ذودنا بالتنائف
فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن أو يجتثن فوق السقائف
فما ذرفت عيناى بعد محمد * على مثله الا نفوس الخلائف

قال ابن عباس فلقيت الفرزدق فى الكوفة . فقلت له أخبرني عن قولك * فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن ما معناك فى ذلك . قال وددت والله ان أرجلهم تقطع مع أيديهم . قال ابن عباس فلما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وأمره بقتل آل ابي عقيل فقتلهم . فانشا الفرزدق يقول :

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يريـ لها
لقد أصبح الاحياء منهم أذلة * وموتاهم فى النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتق الله شمرت * به عزة لا يستطاع جدالها
الكني الى من كان بالصين اذرمت * بالهند ألواحا عليها جلالها
هلم الى الاسلام والعدل عندنا * فقد مات من أرض العراق جبالها
ألا تشكرون الله اذفك عنكم * اذاهم بالمهدي صما قفالها
وشيمت به عنكم سيوف عليكم * صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ أنتم من لم يقل هو كافر * تردى نهارا عثرة لا يقالها

قال ابن عباس . فقلت للفرزدق : ما أدرى باى قوليك ناخذ ، ابمدحك فى الحجاج حياته ، أم هجوك له بعد موته . قال : انما نكون مع أحدهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه تخلينا عنه . ولما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزونه و يثنون على الحجاج خيرا وعنده عمر بن عبد العزيز : فالتفت اليه ليقول فيه ما يقول الناس . فقال يا أمير المؤمنين فهل كان الحجاج الا رجلا منا فرضيها منه:

٦ — أخبار البرامكة :— قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هرون قال : والله ان كانوا سجعوا الخطب ، ومزجوا القريض لعيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور دررا ، أو يحيله المنطق السرى جواهرا ، لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد وبديهته وتوقيعاته فى كتبه فدمين عيين ، وجاهلين أميين . ولقد عمرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين فى أيامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وانهم محض الايام ، ولباب الكرام ، وملح الانام ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق : وسهولة لفظ ، ونزاهة أنفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير أيام سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وانبعاث اهل القبور ، حاشى أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ، ولا عولت الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم اعراقهم : وسعة آفاقهم ، ورونق سياقهم ، ومعسول مذاقهم : وبهاء اشراقهم ، ونقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكتمال الخير فيهم ، فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر ، والخردلة فى المهمه القفر . قال سهل بن هرون : انى لا حصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد فى بناء خلا به داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقدها جملا بكفه اذ غشيته سآمة فاخذته سنة فغلبته عيناه . فقال : ويحك ياسهل طرق النوم شفرى وأكلت السنة خواطرى . فما ذلك قلت ضيف كريم ، ان قريته روحك ، وان منعته عنتك ، وان طردته طلبك ، وان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك . قال : فنام أقل من فواق بكية أو نزع ركية . ثم انتبه مذعورا . فقال ياسهل لامر ما كان والله لقد ذهب ملكنا وولى عزنا وانقضت أيام دولتنا . قلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال كأن منشدا أنشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته من غير روية ولا اجالة فكرة :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

قال فوالله مازلت أعرفها منه وأراها ظاهرة فيه الى الثالث من يومه ذلك فانى لفى مقعدى بين يديه أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه . قد كلفنى اكمال معانيها

باقامة الوزن فيها اذوجدت رجلا سعى اليه حتى ارتمى مكبا عليه . فرفع رأسه . فقال مهلا ويحك ما أكتتم خيرو لا استترشر . قال قتل أمير المؤمنين جعفر الساعة قال أوقد فعل . قال نعم قال فما زاد على از رمي القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل بن هرون : فلوا نكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم وضم يحيى بن خالد و بقية ولده الفضل ومحمد وخالد بنيه . وعبد الملك . و يحيي وخالدا بني جعفر ابن يحيي . والعاصي ومز بدا وخالدا ومعمرا بني الفضل بن يحيي . و يحيي وجعفرا وز يدا بني محمد بن يحيي . وابراهيم ومالكا وجعفرا وعمرو ومعمرا بنى خالد بن يحيى . ومن لف لفهم أوهكس بصدره أمل فيهم و بعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فلبست ثياب أحزاني وأعظم رغبتي الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت فى نعي جعفر . فلما دخلت عليه عرف الذعر فى تحر يض ر بقى وشخوص ى الى السيف المشهور ببصرى . فقال: ايها ياسهل من غمط نعمتي واعتدى وصيتي وجانب موافقتى أعجلته عقوبتى . قال : فوالله ما وجدت جوابها حتي قال يفرخ روعك و يسكن جاشك وتطيب نفسك وتطمئن حواسك فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك و يطلق معقولك فاقتصر على الاشارة دون اللسان فانه الحاكم الفاضل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر . فقال :

من لم يؤدبه الجميل * ل ففى عقوبته صلاحه

قال سهل والله ما علم أنى عييت بجواب أحدقط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت فى الشكر الاعلى تقبيل باطن رجليه . ثم قال اذهب فقد احتللتك محل يحيى ووهبتك ما ضمنته ابنيته وما حواه سرادقه فاقبض الدواو ين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس وأحصيت جباءها فوجدته عشر ين ألف ألف دينار . ثم قفلت راجعا الى بغداد وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر وجثته ففصلت على ثلاثة جذوع رأسه فى جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده على جذع بالجزيرة وسائره فى جذع على آخر الجسر الثانى مما يلي باب بغداد فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه فانا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل الحاجب عن يساره . فلما نظر اليه

الرشيد وكانما قني شعره وطلى بنور بشره ار بد وجهه واغضي بصره . فقال عبد الملك ابن الفضل لقد عظم ذنب لم يسمعه عفو أمير المؤمنين . وقال الرشيد من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن أرادفهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته على بالنضاحات فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول لئن ذهب أثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل بن هرون : وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين آلف ألف التى كانت مبلغ جبا يتهم اثني عشر ألف ألف مكتوب على بدرها صكوك مختومة تفسيرها رقيما حبوا بها . فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ماحة تصدق به يحيي وأثبت ذلك فى ديوانها على تواريخ أيامها . فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف ألف وستمائة ألف وستة وسبعين ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهي الآجال وابرزت حرمه الى دار الباقونة ابنة المهدى . فوالله ما علمته عاش ولا عيش الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لا يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيي وهي فاطمة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر لانه كان ربى فى حجرها وغذى برسلها لان أمه ماتت عن مهده . فكان الرشيد يشاورها مظهر الاكرامها والتبرك برأيها وكان آلى وهو فى كفالتها ان لا يحجبها ولا استشفعته لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا ماذونا لها ولا شفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت ومهم عنده فتحت ومستغلق منه فرجت . واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار الباقونة ومتت بوسائلها اليه فلم ياذن لها ولا أمر بشيء فيها . فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد ويحك يا عبد الملك أو ساعية . قال نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال ادخلها يا عبد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فما شككت يومئذ فى النجاة بطلابها واسعافها بحاجتها فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس واكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها . ثم اجلسها معه . فقالت يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان وقد ربيتك فى حجرى وأخذت برضاعك

الامان من عدوي ودهري . فقال لها وماذلك يا أم الرشيد قال سهل فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخرا ما كان اطمعني من بره بها أولا قالت ظئرك يحيي وابوك بعد ابيك ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للحتف في شان موسى أخيه . قال لها يا أم الرشيد أمر سبق وقضاء حم وغضب من الله نفذ . قالت يا أمير المؤمنين يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال صدقت فهذا مما لم يمحه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين . قال سهل بن هرون فاطرق الرشيد مليا ثم قال :

وإذا المنية أنشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين . وقد قال الاول :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاطرق هرون مليا . ثم قال يا أم الرشيد اقول :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني * يمينك فانظر أي كف تبدل

قال هرون رضيت قالت فهبه لي يا أمير المؤمنين . فقد قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيأ لله لم يوجده الله فقده فاكب هرون مليا . ثم رفع رأسه يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . واذكر يا أمير المؤمنين اليتك ما استشفعت الا شفعتني . قال واذكري يا أم الرشيد اليتك أن لا شفعت لمقترف ذنبا . قال سهل بن هرون . فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها أخرجت حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشيد ما هذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك في المسك . فقالت يا أمير المؤمنين أستشفع اليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك فاخذ هرون ذلك فلثمه . ثم استعبر وبكي بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومر البشير الى يحيي وهو لا يظن الا ان البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق وقال لها لحسن ما حفظت الوديعة . قالت وأهل للمكافاة أنت يا أمير المؤمنين فسكت وقفل الحق ودفعه اليها . وقال ان الله

يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . قالت والله يقول واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ويقول وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ثم قال وماذلك يا أم الرشيد قالت وما أقسمت لى به ان لا تحجبنى ولا تهجني . قال أحب يا أم الرشيد ان تشتريه محكمة فيه . قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال بكم قالت برضاك عمن لم يسخطك . قال يا أم الرشيد امالى عليك من الحق مثل الذى لهم . قالت بلي يا أمير المؤمنين أنت أعز على وهم احب الى قال فتحكمي فى ثمنية بغيرهم . قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه وبقى مبهوتا ما يحير لفظة . قال سهل وخرجت فلم تعد ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها انة . قال سهل وكان الامين محمد بن زبيدة رضيع يحيي بن جعفر فمت اليه يحيي بن خالد بذلك . فوعده استيهاب أمه اياه وتكلمها فيهم . ثم شغله اللهو عنهم فكتب اليه يحيي ويقال انها لسليمان الاعمي أخي مسلم بن الوليد . وكان منقطعا الى البرامكة يقول :

ياملاذي وعصمتي وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة اعقبتها * نعم نفعها لكل العباد
وعد مولاك اتممنه فابهي الدار * مازين حسنه بالعقاد
ماأظلت سحائب الياس الا * كان في كشفها عليك اعتمادي
ان تراخت يداك عنى فواقا * اكلتني الايام اكل الجراد

وبعث بها الى الامين محمد . فبعث بها الامين الى امه زبيدة فاعطتها هرون وهو فى موضع لذته وعند اقبال أريحيته وتهيات للاستشفاع لهم وهيات جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام معها اذا قامت . فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم تنقض حبوته حتى وقع فى أسفلها عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك ورمى بها الى زبيدة . فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . وقال بعض الهاشميين : اخبرني اسحق بن على بن عبد الله بن العباس . قال كنت أساير الرشيد يوما والامين عن يمينه والمامون عن شماله فاستدناني وقدمهما امامه فسايرته فجعل يحدثني . ثم بدأ يشاورني فى أمر البرامكة واخبرني بما أضمر عليه لهم فانهم استوحشوه من انفسهم وانى عنده بالموضع الذي لا يكتمني شيا من أمرهم . فقلت يا أمير المؤمنين لا تنقلني من السعة الى الضيق . فقال الرشيد الان تقول فانى لا أتهمك فى نصيحة ولا أخافك على رأي ولا مشورة . فقلت يا أمير المؤمنين

اني أرى نفاستك عليهم بما صاروا اليه من النعمة والسعة ولك ان تامر وتنهى وهم عبيدلك بانبا تك اياهم . فهل يصنعون ذلك كله الا بك قال وكنت احطب فى حبال البرامكة . فقال لى قضيا عهم ليس لولدي مثلها وتطيب نفسي بذلك لهم . فقلت يا أمير المؤمنين ان الملك لا يحسد ولا يحقد ولا ينعم نعمة ثم يفسد نعمته . قال فرايته قد كره قولى وزوى وجهه عني . قال اسحق فعلمت انه سيوقع بهم . ثم انصرفت فكتمت الخبر فلم يسمع به أحد وتجنبت لقاء البرامكة خوفا ان يظن أنى أفضي اليهم بسره حتى قتلهم . وكان اشد ما كان اكرامالهم وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم . وكان يحيي بن خالد بن برمك قد اعتل قبل النازلة التي نزلت بهم فبعث الى منكة الهندي . فقال ماذا ترى في هذه العلة . فقال منكة داء كبير دواؤه يسير والشكر أيسر وكان متفننا . فقال له يحيي ربما ثقل على السمع خطرة الحق به واذا كان ذلك كان الهجر له الزم من المفاوضة . قال منكة لكنني أري فى الطالع أثرا والامر فيه قريب وانت قسيم فى المعرفة وربما كانت صورة النجم عقيمة الانتاج لها ولكن الاخذ بالحزم أوفى حظ الطالبين . قال يحيي الامور منصرفة الى العواقب وماحتم فلا بدان يقع والمنعة بمسالمة الايام نهزة فاقصد مادعوتك له من هذا الامر الموجود بالمزاج . قال منكة هى الصفراء مازجتها مائية من البلغم فحدث لذلك مايحدث من اللهب عند ممارسة رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء الرمان فدق فيه هليلجة سوداء تنهضك مجلسا أو مجلسين ويسكن ذلك التوقد ان شاء الله . فلما كان من أمرهم ما كان تلطف منكة حتي دخل الحبس فوجد يحيى قاعدا على لبد والفضل بين يديه يخدم فاستعبر منكة باكيا . وقال كنت ناديت لو أسرعت الاجابة . قال له يحيى أتراك كنت علمت من ذلك شيا جهلته كلا ولكن كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفقة . وكان مزايلة القدر الخطير عنا أقل ماتنهض به الهمة . فقد كانت نعم أرجوان يكون اولها شكرا ، وآخرها أجرا ، فما تقول فى هذا الداء . قال منكة ماأري له دواء أنفع من الصبر ولو كان يفدى علك أو بمفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيي قد شكرت ماذكرت فان أمكنك تعاهدنا فافعل . قال منكة لو أمكننى تخليف الروح عندك مابخلت به فانما كانت الايام تحسن بسلامتك . وكتب يحيي بن خالد : فى الحبس الى هرون الرشيد لامير المؤمنين ، وخليفة المهديين ، وامام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه

صديقه ، ومال به الزمان ، ونزل به الحدثان ، فعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا لموجدتك ياأمير المؤمنين وأسفا على مافات من قربك لاعلى شيء من المواهب لان الاهل والمال انما كانا لك وبك وكانا في يدي عارية والعارية مردودة . وأما ماأصبت به من ولدي فبذنبه ولا أخشى عليك الخطا في أمره ولا أن تكون تجاوزت به فوق حده تفكر في أمري جعلني الله فداك وليمل هواك بالعفو عن ذنب ان كان فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وانما اعتذر اليك باقرار مايجب به الاقرار حتي ترضى فاذا رضيت رجوت أن شاء الله ان يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي مالا يتعاظمك بعده ذنب ان تغفره مدالله لي في عمرك وجعل يومي قبل يومك وكتب اليه بهذه الابيات :

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية * وابن الخلائف من قر
يش والملوك العاليه * ان البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه * فكانهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * عمتهم لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه * ومنازل كانت لهم
فوق المنازل عاليه * أضحوا وجل مناهم * منك الرضا والعافية
يامن يودلي الردي * يكفيك مني مابيه * يكفيك ماأبصرت من
ذلي وذل مكانيه * وبكاء فاطمة الكئيبة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع * ياسوأتي وشقائيه * من لي وقد غضب الزما
ن على جميع رجاليه * يالهف نفسي لهفها * ما للزمان وماليه

ياعطفة الملك الرضا * عودي علينا ثانيه

فلم يكن له جواب من الرشيد واعتل يحيى في الحبس . فلما أشفى دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحيي بن خالد وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدم فتعلم . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدي توصله الى أمير المؤمنين فانه ولي نعمتي وأحق من نفذ وصيتي فلما مات يحيي أوصل

السجان عهده الى الرشيد . قال سهل بن هرون وأنا عند الرشيد اذ وصلت الرقعة اليه . فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدري لمن الرقعة . فقلت له يا أمير المؤمنين ألا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يتقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة و يقضى بالبلادة ووقع فيها الحكم الذي رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه قال ثم رمى بالصك الى . فلما رأيته علمت انه ليحيى . وان الرشيد أراد ان يؤثر الجواب عنه . وقال دعبل يرثي بني برمك :

ولما رأيت السيف جلل جعفرا * و نادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا و أيقنت انما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

﴿ وقال سليمان الاعمى يرثى بنى برمك ﴾

هدأ الخالون عن شجوي و ناموا * وعيني لا يلايمها منام
وما سهرى باني مستهام * اذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى * فلى أرق اذا هجع النيام
أصبت بسادة كانوا عيونا * بهم نسقى اذا انقطع الغمام
فقلت وفى الفؤاد ضريم نار * وللعبرات من عيني انسجام
على المعروف والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام
جزعت عليك يافضل بن يحيى * و من يجزع عليك فلا يلام
هوت بك أنجم المعروف فينا * و عز بفقدك القوم اللئام
وما ظلم الاله أخاك لكن * قضاء كان سببه اجترام
عقاب خليفة الرحمن فخر * لمن بالسيف صبحه الحمام
عجبت لما دهافضل بن يحيى * وما عجبني وقد غضب الامام
جرى فى الليل طائرهم بنحس * وصبح جعفرا منه اصطلام
ولم أرقبل قتلك يا ابن يحيى * حساما قده السيف الحسام
برين الحادثات له سهاما * فغالته الحوادث والسهام
ليهن الحاسدين بان يحيى * أسير لا يضيم ويستضام
وان الفضل بعد رداء عز * غدا ورداؤه ذال ولام

فقـل للشامتين به جميعا * لكم أمثالها عام فعام
أمين الله فى الفضل بن يحيي * رضيعك والرضيع له ذمام
أبا العباس ان لكل هم * وان طال انقراض وانصرام
أرى سبب الرضاء له قبول * على الله الزيادة والتمام
وقد آليت فيه بصوم شهر * فان تم الرضا وجب الصيام
وقـد آليت معتـذرا بنذر * ولى فيما نذرت به اعـتزام
بان لاذقت بعـدكم مداما * وموتى ان يفارقني المدام
ألهو بعـدكم وأقر عينا * على اللهـو بعـدكم حرام
وكيف يطيب لى عيش وفضل * أسـير دونه البـلد الشآم
وجعفر ثاويا بالجسر أبلت * محاسنه السمائم والقتام
أمر به فيـغلبنى بكائي * ولكن البكاء له اكتتام
أقول وقمت منتصبا لديه * الى ان كاد يفضحني القيام
اما والله لولا خوف واش * وعـين للخليفـة لاتنام
لثمنا ركن جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام

وقال بعض الشعراء يغرى هرون ببني برمك

قل للخليفة باكتفائه * دون الانام بحسن رائه
أما بدأت بجعـفر * فاسق البرامك من انائه
ما برمكى بعـده * ثقف الظنون على وفائه
انى وقصـد البرمكـي الى انتكاث من شقائه
فلقد رفعت لجعـفر * ذكرين قلافى جزائه
فارفع ليحـيي مثـله * ماالعود الا من لحائه
واخضب بصدر مهند * عثنون يحيى من دمائه

﴿ابراهيم بن المهدي﴾ قال : قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استاذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو بنفسي وأفر من أشغال الناس وأتوحد فهل أنت مساعدى . قلت جعلني الله فداك أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمخالاتك . فقال بكر الى بكور الغراب

. قال : فاتيت عند الفجر الثاني فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرني للميعاد
. قال فصلينا ثم أفضنا في الحديث حتى أتي وقت الحجامة فاتي الحجام فحجمنا في ساعة واحدة . ثم قدم الينا الطعام فطعمنا فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظللنا باسر يوم مر بنا ثم انه تذكر حاجة فدعا الحاجب . فقال له اذا جاء عبد الملك القهرمان فاذن له فنسي الحاجب وجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي على جلالته وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب فما راعنا الا طلعة عبد الملك ابن صالح فتغير لذلك وجه جعفر بن يحيي وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر اليه عبد الملك علي تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء فوقف على باب المجلس فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم . قال فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعا بطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا . ثم قال ليخفف عني فانه شيء ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فرحا . وقد كان الرشيد حاور عبد الملك على المنادمة فابي ذلك وتنزه عنه . ثم قال له جعفر بن يحيى جعلنى الله فداك قد تفضلت وتطولت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعته . قال بلى ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فتساله الرضا عنى . فقال قد رضى عنك أمير المؤمنين . ثم قال وعلى أربعة آلاف دينار قال هي حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب الي من مالى . قال وابني ابراهيم أحب ان أشد ظهره بمصاهرة أمير المؤمنين . قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة الغالية . قال واحب أن تخفق الالوية على رأسه بولاية قال وقد ولاه امير المؤمنين مصر . قال فانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدام جعفر على الرشيد من غير استئذان فلما كان الغد وقفنا على باب أمير المؤمنين ودخل جعفر فلم يلبث ان دعا بابي يوسف القاضى ومحمد ابن الحسن وابراهيم بن عبد الملك . فعقد له النكاح وحملت البدر الى عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فاشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله فالتفت الينا . فقال تعلقت قلوبكم باول أمر عبد الملك فاحببتم ان تعرفوا آخره واني لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه سالني عن أمسى فابتدأت أحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فجعل يقول احسن والله . ثم قال فما أجبته فجعلت أخبره وهو يقول في كل شيء أحسن وخرج ابراهيم واليا على مصر

٧ ـــ أخبار الطالبيين ـــ حدث عبد العزيز بن عبد الله البصرى عن عثمان بن سعيد بن سعد المدني قال : لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح قدم عليه بنو الحسن بن علي بن أبي طالب فاعطاهم الاموال وقطع لهم القطائع . ثم قال لعبد الله بن الحسن احتكم على . قال يا أمير المؤمنين بالف ألف درهم فاني لم أرها قط فاستقرضها أبو العباس من ابن أبي مقرن الصيرفى وأمر له بها . قال عبد العزيز لم يكن يومئذ بيت مال . ثم ان أبا العباس أتى بجوهر مروان فجعل يقلبه وعبد الله ابن الحسن عنده فبكى عبد الله . فقال له ما يبكيك يا أبا محمد . قال هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط . قال فحباه به ثم أمر أبا مقرن الصيرفى أن يصل اليه و يبتاعه منه فاشتراه بثمانين ألف دينار . ثم حضر خروج بني حسن فارسل معهم رجلا من ثقاته . ثم قال له قم بانزالهم ولا تال فى الطافهم وكلما خلوت معهم فاظهر الميل اليهم والتحامل علينا وعلي ناحيتنا وانهم أحق بالامر منا وأحص لى ما يقولون وما يكون منهم فى مسيرهم ومقدمهم . ومما كان خشن قلب أبى العباس حتى أساء بهم الظن انه لما بنى مدينة الانبار دخلها مع أبي جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن وهو يسير بينهما ويريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصور . فظهرت من عبد الله بن الحسن فلتة فجعل يتمثل بهذه الابيات

ألم ترجوشنا قد صار يبني * قصورا نفعها لبنى نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

قال فتغير وجه أبي العباس وقال له أبو جعفر : أتراها ابنيك ابا محمد والامر اليهما صائر لا محالة . قال لا والله ما ذهبت هذا المذهب ولا اردته ولا كانت الا كلمة جرت على لساني لم الق لها بالا فاوحشت تلك الكلمة أبا العباس . فلما قدم المدينة عبد الله بن حسن اجتمع اليه الفاطميون . فجعل يفرق فيه من الاموال التى بعث بها أبو العباس فعظم بها سرورهم . فقال لهم عبد الله بن الحسن فرحتم قالوا ومالنا لا نفرح بما كان محجوبا عنا بايدى بني مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبني عمنا فاصاروه الينا . قال لهم أفرضيتم ان تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرين . فخرج الرجل الذى كان وكله أبو العباس باخبارهم فاخبره بما سمع من قولهم وقوله فاخبر أبو العباس أبا جعفر بذلك فزادت الامور شرا ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالأمر بعده فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله ان أعط الناس فى أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه وتفقد بني هاشم ومن

تخلف منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن . ففعل وكتب انه لم يختلف أحد عن العطاء الا محمد وابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن فانهما لم يحضرا . فكتب أبو جعفر الى عبد الله بن الحسن وذلك مبدأ سنة تسع وثلاثين ومائة يسأله عنهما ويأمره باظهارهما ويخبره انه غير غادره ، فكتب اليه عبد الله انه لا يدرى أين هما ولا أين توجها وان غيبتهما غير معروفة . فلم يلبث أبو جعفر وكان قد أذكى العيون ووضع الارصاد حتى جاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره ان رسولا لعبد الله ومحمد وابراهيم خرج بكتب الى رجال بخراسان يستدعيهم اليه . فامر أبو جعفر برسولهم فاتى به وبكتبه فردها الى عبدالله بن الحسن بطوابعها لم يفتح منها كتابا ورد اليه رسوله . وكتب اليه انى أتيت برسولك والكتب الذي معه فرددتها اليك بطوابعها كراهية ان أطلع منها على ما يغير لك قلبي . فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ولا الى الفرقة بعد الاجتماع . وأظهر لى ابنيك فانهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف . فكتب اليه عبد الله بن حسن يعتذر اليه ويتنصل فى كتابه ويعلمه ان ذلك من عدو أراد تشتيت ما بينهم بعد التئامه . ثم جاءه كتاب ثقة من ثقاته يذكر ان الرسول بعينه خرج بالكتب باعيانها على طريق البصرة وانه نازل علي فلان المهلبي فان أراده أمير المؤمنين فليضع عليه رصده . فوضع اليه أبو جعفر رصده فاتي به اليه ومعه الكتب فحبس الرسول وأمضى الكتب الى خراسان مع رسول من عنده من أهل ثقاته . فقدمت عليه الجوابات بما كره واستبان له الامر . فكتب الى عبد الله بن الحسن يقول :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

أما بعد فقد قرأت كتبك وكتب ابنيك وأنفذتها الى خراسان . وجاءتنى جواباتها بتصديقها وقد استقر عندى انك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فاظهرهما الى فان لك على ان أعظم صلتهما وجوائزهما وأضعهما بحيث وضعتهما قرابتهما فتدارك الامور قبل تفاقمها . فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت مني * وزندك حين تقدح من زنادى

وكيف أريد ذاك وأنت منى * بمنزلة النياط من الفؤاد

وكتب اليه انه لا يدرى أين توجها من بلاد الله ولا يدرى أين صارا وانه لا يعرف الكتب ولا

يشك انها مفتعلة . فلما اختلفت الامور على أبي جعفر بعث سالم بن قتيبة الباهلي و بعث معه بمال وأمره بامره وقال له اني انما أدخلك بين جلدي وعظمي فلا توطئني عشواء ولا تخف عني أمراً تعلمه . فخرج سالم بن قتيبة حتى قدم المدينة وكان عبد الله يبسط له في رخام المنبر في الروضة . وكان مجلسه فيه فجلس اليه واظهر له المحبة والميل الي ناحيته . ثم قال له حين أنس اليه ان نفراً من أهل خراسان وهم فلان وفلان وسمي له رجالا يعرفهم ممن كان يكاتب ممن استقر عند أبي جعفر أمره قد بعثوا اليك معي مالا وكتبوا اليك كتابا فقبل الكتاب والمال وكان المال عشرة آلاف دينار . ثم أقام معه ماشاء الله حتى ازداد به انسا واستئمانا . ثم قال له انه قد بعثت بكتابين الى أمير المؤمنين محمد والي ولى عهده ابراهيم وأمرت أن لا أوصل ذلك الا في أيديهما فان أوصلتني اليهما وادخلتني عليهما أوصلت اليهما الكتابين والمال ورحلت الى القوم بما يثلج صدورهم وتقبله قلوبهم فانا عندهم بموضع الصدق والامانة وان أمرهما مظلم وان لم تكن تعرف مكانهما لم يخاطروا بدينهم وأموالهم ومهجهم . فلما رأي عبد الله ان الامور تفسد عليه من حيث يرجو صلاحها الا بايصاله اليهما واظهارهما له أوصله . فدفع الكتابين مع أربعين الف درهم . ثم قال هذا محمد وهذا ابراهيم . فقال لهم ان من ورائي لم يبعثوني ولهم ورائي غاية وليس مثلي يتصرف الى قوم الا بجملة مايحتاجون اليه و محمد انما صار الى هذه الخطة ووجبت له هذه الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وههنا من هو أقرب من رسول الله رحما وأوجب حقا منه . قال ومن هو قال أنت الا ان يكون عند ابنك محمد أثر ليس عندك في نفسك . قال فكذلك الامر عندى . قال له فان القوم يقتدون بك في جميع أمورهم ولا يريدون ان يبذلوا دينهم و أموالهم وأنفسهم الا بحجة يرجون بها لمن قتل منهم الشهادة فان أنت خلعت أبا جعفر و بايعت محمداً اقتدوا بك وان أبيت اقتدوا بك أيضا في تركك ذلك ثقة بك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك الذى وضعك الله فيه . قال فاني أفعل فبايع محمدا وخلع أبا جعفر و بايعه سالم من بعده وأخذ كتبه وكتب ابراهيم ومحمد فخرج فقدم على أبي جعفر وقد حضر الموسم . فأخبره بحقيقة الامر وبعينه . فلما حضر أبو جعفر المدينة أرسل الى بني الحسن فجمعهم وقال لسالم اذا رأيت عبد الله عندي فقم على راسي واشر الى بالسلاح . ففعل فلما رآه عبد الله سقط في يده وتغير وجهه . فقال له أبو جعفر مالك أبا محمد أتعرفه . قال نعم يا أمير المؤمنين

فاقلني وصلتك رحم . فقال له أبو جعفر هل علمت انك تعرف موضع ولديك وانه لا عذر لك وقد باح السر فاظهرهما لي ولك أن أصل رحمك ورحمهما وان أعظم ولايتهما وأعطي كل واحد منهما الف الف درهم . فتراجع هو وعبد الله حتى جبذ على ظهره و بنو حسن اثنا عشر رجلا فامر بحبسهم جميعا وخرج أبو جعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة أميال من المدينة وعبى على القتال ولم يشك ان أهل المدينة سيقاتلونه في بني حسن فعبى ميمنة وميسرة وقلبا وتهيأ للحرب واجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عشر بن معطيا يعطون العطايا . فلم يتحرك عليه منهم أحد . ثم مضى بهم الى مكة فلما انصرف أبو جعفر الى العراق خرج محمد بن عبد الله بالمدينة . فكتب اليه أبو جعفر من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ولك عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة نبيه ان أنتما أتيتما وتبتما ورجعتما من قبل ان اقدر عليكما وان يقع بيني وبينكما سفك الدماء ان أؤمنكما وجميع ولدكما ومن شايعكما وتابعكما على دمائكم واموالكم وأوسعكم ما اصبتم من دم أو مال وأعطيكما الف الف درهم لكل واحد منكما وماسألتما من الحوائج وأبوئكما من البلاد حيث شئتما وأطلق من الحبس جميع ولدايكما ثم لا أتعقب واحدا منكما بذنب سلف منه أبدا . فلا تشمت بنا وبك عدونا من قريش فان احببت ان تتوثق من نفسك بما عرضت عليك فوجه الى من احببت ليأخذ لك من الامان والعهود والمواثيق ماتأمن به وتطمئن اليه ان شاء الله والسلام . فاجابه محمد بن عبد الله : من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » الى قوله ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان ما عرضت فان الحق معنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم اليه بشيعتنا وحظيتم بفعلنا وان ابانا عليا رحمه الله كان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده وقد علمتم انه لم يطلب هذا الامر احد بمثل نسبنا ولا شرفنا وانا لسنا من ابناء الظئار ولا من ابناء الطلقاء وانه ليس يمت احد بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو ام ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنة عمرو في الجاهلية و بنو فاطمة ابنته في الاسلام دونكم وان الله اختارنا

واختار لنا فولدنا من النبيين أفضلهم . ومن السلف أولهم اسلاما علي بن أبي طالب . ومن النساء أفضلهم خديجة بنت خويلد أول من صلى الى القبلة منهن . ومن البنات فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ولدت الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة صلوات الله عليهما . وان هاشما ولد عليا مرتين . وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين . وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين : واني من أوسط بني هاشم نسبا وأشرفهم أبا وأما . وأنا لم نعرق في العجم ولم تنازع في أمهات الاولاد . فما زال الله بمنه وفضله يختار لي الامهات في الجاهلية والاسلام حتى اختار لي في النار فأبى أرفع الناس درجة في الجنة ومن أهونهم عذابا في النار . وأبي خير أهل الجنة . وأبي خير أهل النار فلك الله ان دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي ان أؤمنك على نفسك ومالك ودمك وكل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أوحق امرئ مسلم أو معاهد . فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالامر منك وأوفى بالعهد لانك لا تعطي من العهد أكثر مما أعطيت رجالا قبلي فأي الامانات تعطيني أمان ابن هبيرة أو أمان عمك عبد الله بن علي أو أمان أبي مسلم والسلام فكتب اليه أبو جعفر المنصور . من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله بن حسن . أما بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت كلامك فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الاولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به في القرآن على الوالد الادنى ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة اقربهن رحما وأعظمهن حقا وأول من يدخل الجنة غدا ولكن اختيار الله لخلقه على قدر علمه الماضي لهن فاما ما ذكرت من فاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم وولادتها لك فان الله لم يرزق أحدا من ولدها دين الاسلام ولو ان أحدا من ولدها رزق الاسلام بالقرابة لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء وقد قال جل ثناؤه « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فانزل الله عليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » فدعاهم فانذرهم فاجابه اثنان أحدهما أبي وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك : فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا وقد زعمت انك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس في الشر خيار ولا فخر في النار وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وان هاشما ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة

ولا عبد المطلب الامرة وزعمت انك أوسط بني هاشم نسبا وأكرمهم ابا وأما وانك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا فانظر أين انت ويحك من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نسبا وآباء وأولادا فخرت علي ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وهل خيار ولد أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد وما ولد منكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين وهو لام ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد وهو خير من ابيك ولا مثل ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد . وأما قولك انا بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يقول «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ولكنكم بنو ابنته وهي امرأة لا تحرز ميراثا ولا ترث الولاء ولا يحل لها ان تؤم فكيف تورث بها امامة ولقد ظلمها أبوك بكل وجه فاخرجها نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبي الناس الا الشيخين لتفضيلهما ولقد كانت السنة التي لا اختلاف فيها ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يرثون ولا يورثون وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فما أخذوه وكان في الستة من أصحاب الشوري فتركوه كلهم رفضه عبد الرحمن بن عوف . وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته وأغلق بابه دونه . وبايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه فقاتل عليها . ثم حكم الحكمين ورضى بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه فاجتمعا على خلعه واختلفا في معاوية . ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الاموال الى غير أهلها وأخذ مالا من غير ولاية فان كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وآتوا برأسه اليه . ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيي بن زيد بارض خراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم كالسبي المجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثاركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وأموالهم واردنا اشراككم في ملكنا فابيتم الا الخروج علينا وأنزلت ما رأيت من ذكرنا أباك وتفضيلنا اياه لقدمه على العباس وحمزة وجعفر وليس كما ظننت ولكن هؤلاء سالمون مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم وابتلي بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على

المنابر كما نلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة فاحتجبناه وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما نالوا منه . وقد علمت ان المكرمة في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية بئر زمزم . فصارت الى العباس من بين اخوته وقد نازعنا فيها أبوك فقضى لنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . فقد علمت انه لم يبق أحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم من بني عبد المطلب غير العباس وحده فكان وارثه من بين اخوته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايتنا وميراث النبي صلى الله عليه وسلم ميراثنا والخلافة بايدينا . فلم يبق فضل ولا شرف في الجاهلية والاسلام الا والعباس وارثه ومورثه . والسلام فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة . وخرج أخوه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة في شهر رمضان فاجتمع الناس اليه فنهض الى دار الامارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم اليه البصرة بغير قتال وأرسل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى الاهواز جيشا فاخذه بعد قتال شديد وأرسل جيشا الى واسط فاخذها . ثم ان أبا جعفر المنصور جهز اليهم عيسى بن موسى فخرج الى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم باصحابه وقتل . ثم مضى عيسى ابن موسى الى البصرة فلقي ابراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه الى أبي جعفر . وقال رجل من أهل مكة كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد بالمسجد . فاتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه فقرأه ثم وضعه . فقال الرسول الجواب . فقال ليس له جواب قل لصاحبك يدعنا نجلس في الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تاتينا آجالنا . مروان بن شجاع مولى بني أمية قال : كنت مع اسمعيل بن علي بفارس أؤدب ولده . فلما لقيته المبيضة فظفر بهم أتي منهم باربعمائة اسير . فقال له أخوه عبد الصمد : وكان على شرطته اضرب أعناقهم . فقال ما يقول يا مروان . فقلت أصلح الله الامير أول من سن قتال اهل القبلة علي بن أبي طالب فرأي ان لا يقتل اسير ولا يجهز على جريح ولا يتبع مول . قال خذ بيعتهم وخل سبيلهم . قيل لمحمد بن علي بن حسين ما أقل ولد أبيك . قال اني لاعجب كيف ولدت له قيل له وكيف ذلك . قال انه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . ولما وجه المنصور عيسى بن موسى في محاربة بني عبد الله بن الحسن . قال يا أبا موسى اذا صرت الى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن الى الطاعة والدخول في الجماعة فان أجابك فاقبل منه وان هرب منك فلا تتبعه وان أبى الا الحرب فناجزه واستعن بالله عليه فاذا ظفرت به فلا

تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما أوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثة أيام ففعل . فلما بلغ يزيدما فعله تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم اكتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فانهم أهل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث منه محمداً نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف به آباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتي لا كما أوصى به الذى وجه الحجاج الى مكة . فامره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد فى الحرم بظلم . ففعل ذلك . فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو ابن كلثوم :

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن اضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

الرياشي قال : قال عيسى بن موسى لما وجهني المنصور الى المدينة فى حرب بني عبدالله بن الحسن جعل يوصيني ويكثر . فقلت يا أمير المؤمنين الى كم توصيني :

اني انا السيف الحسام الهندى * أكلت جفني وفريت غمدى

* فكل ما تطلب منى عندي *

وقال معاوية يوما لجلسائه من أكرم الناس أبا وأما وجداً وجدة وعما وعمة وخالا وخالة . فقالوا أمير المؤمنين أعلم . فاخذ بيد الحسن بن على . وقال هذا أبوه على بن أبى طالب . وأمه فاطمة ابنة محمد وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدته خديجة . وعمه جعفر . وعمته هالة بنت ابى طالب . وخاله القاسم بن محمد . وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم . الرياشي عن الاصمعي قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة . فبايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز وواسط قال سديف بن ميمون فى ذلك :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن * هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل ان ترتد ألفتنا * بعد التباعد والشحناء والاحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها * فيها كأحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يابني حسن
لاعز ركن نزار عند نائبة * ان أسلموك ولاركن لذي يمن
ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا * عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة * وأبعد الناس من عجز ومن افن

فلما سمع أبو جعفر هذه الابيات استطير بها . فكتب الى عبد الصمد بن على ان يأخذ سديفا فيدفنه حيا ففعل . قال الرياشي : فذكرت هذه الابيات لابي جعفر شيخ من أهل بغداد فقال هذا باطل الابيات لعبد الله بن مصعب وانما كان سبب قتل سديف انه قال أبياتا مبهمة وكتب بها الى أبي جعفر وهي هذه :

أسرفت فى قتل الرعية ظالما * فاكفف يديك أضلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية * جرارة يقتادها حسنيها

فالتفت أبو جعفر . فقال لحازم بن خزيمة تهيأ بهيئة السفر متنكرا حتى اذا لم يكن الاان تضع رجلك فى الغرز ائتني ففعل . فقال اذا أتيت المدينة فادخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدع سارية وثانية فانك تنظر عند الثالثة الى شيخ آدم يكثر التلفت طويل كبير فاجلس معه فتوجع لآل أبي طالب واذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة ايام . ثم قل فى الرابع من يقول هذه الابيات : * أسرفت فى قتل الرعية ظالما * قال ففعل . فقال له الشيخ ان شئت نبأتك من أنت أنت حازم بن خزيمة بعثك الى أمير المؤمنين لتعرف من قال هذا الشعر . فقل له جعلت فداك والله ما قلته ولا قاله الا سديف بن ميمون فاني أنا القائل وقد دعونى الى الخروج مع محمد بن عبد الله :

دعوني وقد سالت لابليس راية * وأوقد للغاوين نار الحباحب
أباالليث تغترون يحمي عرينه * وتلقون جهلا أسده بالثعالب
فلا نفعتني السن ان لم يؤزركم * ولا أحكمتني صادقات التجارب

قال واذا الشيخ ابراهيم بن هرمة . قال فقدمت على المنصور فاخبرته الخبر . فكتب الى عبد الصمد بن على وكان سديف فى حبسه فاخذه فدفنه حيا . قال الرياشي : سمعت محمد بن عبد الحميد يقول قلت لابن ابي حفصة ما أغراك ببنى على قال ما أحد احب الى منهم ولكني لم

أجد شيئا أنفع عند القوم منه . لما دخل زيد بن علي بن ابي طالب على هشام . قال بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال اما قولك اني احدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله . واما قولك اني ابن أمة فهذا اسمعيل ابن امة اخرج الله من صلبه محمدا صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت . وخرج من عنده . فقال هشام ما أحب احد الحياة الا ذل . فقال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن علي عند خروجه من عند هشام بن عبد الملك :

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد

محتفى الرجلين يشكو الوجا * يقرعه اطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب . وفيه يقول شبل لابي العباس يغريه ببني أمية حيث يقول :

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

٨ — باب من فضائل علي بن ابي طالب رضي الله عنه — عوانة بن الحكم قال : حج محمد بن هشام ونزلت رفقة فاذا فيها شيخ كبير قد احتوشته الناس وهو يامر وينهى فقال محمد بن هشام لمن حوله تجدون الشيخ عراقيا فاسقا . فقال له بعض اصحابه نعم وكوفيا منافقا . فقال محمد علي به فاتي بالشيخ . فقال له أعراقي أنت . قال له نعم عراقي . قال وكوفي . قال وكوفي . قال وترابي قال وترابي من التراب خلقت واليه أصير . قال انت ممن يهوي أباتراب . قال ومن أبو تراب . قال علي بن أبي طالب قال أتعني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة ابنته وأبا الحسن والحسين . قال نعم قال فما قولك فيه . قال قد رأيت من يقول خيرا ويحمد ورأيت من يقول شرا ويذم . قال فايهما أفضل عندك أهو ام عثمان . قال وما أنا وذاك والله لو ان عليا جاء بوزن الجبال حسنات ما نفعني ولو انه جاء بوزنها سيآت ما ضرني وعثمان مثل ذلك . قال فاشتم أباتراب قال أوما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي . قال وماذاك قال رضي الله وهو خير منك من عيسى وهو خير مني في النصاري وهم شر من علي اذ قال « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » الرياشي قال : انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير عليا . فقال له أبوه يا بني انه والله

مابنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا أما ترى عليا ومايظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكانما والله ياخذون بناصيته رفعا الى السماء وماتري بني مروان وماينذبون به موتاهم من المدح بين الناس فكانما يكشفون عن الجيف . قدم الوليد مكة . فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبي لهب يستقى من زمزم وهو يقول :

يا ايها السائل عن على * تسال عن بدر لنا بدري
مردد فى المجد ابطحى * سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه احد . العتبي قال : قيل يوما لمسلمة بن هلال العبدي خطب جعفر بن سليمان الهاشمى خطبة لم يسمع مثلها قط ومادرينا اوجهه كان أحسن ام كلامه . قال اولئك قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون . وكتب عوام صاحب ابى نواس الى بعض عمال ديار ربيعة :

بحق النبي بحق الوصى * بحق الحسين بحق الحسن
بحق التي ظلمت حقها * ووالدها خير ميت دفن
ترفق بارزاقنا في الخراج * بترفيهها او بحط المؤن

قال فاسقط عنه الخراج طول ولايته

٩ — احتجاج المامون على الفقهاء فى فضل على — اسحق بن ابراهيم بن اسمعيل ابن حماد بن زيد قال : بعث الى يحيي بن اكثم والى عدة من اصحابي وهو يومئذ قاضى القضاة فقال ان امير المؤمنين امرنى ان احضر معي غدا مع الفجر اربعين رجلا كلهم فقيه يفقه مايقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين . فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذي اراد وكتب تسمية القوم وامر بالبكور فى السحر . وبعث الى من لم يحضر فامره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا الى الباب فاذا بخادم واقف . فلما نظر الينا قال يا أبا محمد امير المؤمنين ينتظرك فادخلنا فامر بالصلاة فاخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول . فقال ادخلوا فدخلنا فاذا أمير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته . فوقفنا وسلمنا فرد السلام وامر لنا بالجلوس . فلما استقر بنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه

ووضع قلنسوته . ثم أقبل علينا فقال انما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك . واما الخف فمنع من خلعه علة من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها فسا عرفه بها ومد رجله وقال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيا لستكم . قال فامسكنا فقال لنا يحيي انتهوا الى ما امركم به امير المؤمنين فتنحينا فنزعنا اخفافنا وطيا لستنا وقلانسنا ورجعنا . فلما استقر بنا المجلس قال انما بعثت اليكم معشر القوم في المناظرة فمن كان به شيء من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول . فمن اراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده فدعونا له . ثم التي مسئلة من الفقه . فقال يا أبا محمد قل وليقل القوم من بعدك فاجابه يحيي . ثم الذى يلي يحيي . ثم الذي يليه حتي اجاب آخرنا في العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى اذا انقطع الكلام التفت الى يحيي . فقال يا أبا محمد أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطىء بعضنا ويصوب بعضنا حتي أتى على آخرنا . ثم قال اني لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين اراد مناظرتكم في مذهبه الذى هو عليه والذي يدين الله به قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله . فقال ان امير المؤمنين يدين الله على ان علي بن ابي طالب خير خلفاء الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بالخلافة له . قال اسحق فقلت يا أمير المؤمنين ان فينا من لا يعرف ماذكر امير المؤمنين في علي . وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة . فقال يا اسحق اختر ان شئت سألتك اسالك وان شئت ان تسال فقل . قال اسحق فاغتنمتها منه . فقلت بل أسالك يا أمير المؤمنين . قال سل قلت من أين قال امير المؤمنين ان علي بن ابى طالب افضل الناس بعد رسول الله واحقهم بالخلافة بعده قال يا اسحق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان افضل من فلان . قلت بالاعمال الصالحة . قال صدقت . قال فاخبرني عمن أفضل صاحبه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ان المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بافضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ايلحق به . قال فاطرقت . فقال لى يا أبا اسحق لا تقل نعم فانك ان قلت نعم اوجدتك في دهرنا هذا من هو اكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة فقلت اجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاضل ابدا . قال يا اسحق فانظر ما رواه لك اصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن ابي طالب فقس عليها ما اتوك به من فضائل ابي بكر فان رأيت فضائل ابي بكر تشاكل فضائل علي فقل انه افضل منه لا والله ولكن فقس الى فضائله ما روى لك من فضائل ابي بكر وعمر فان وجدت لهما من الفضائل

مالعلى وحده فقل انهما أفضل منه لا والله . ولكن قس الى فضائله فضائل ابى بكر وعمر وعثمان فان وجدتها مثل فضائل على فقل انهم افضل منه لا والله . ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فان وجدتها تشاكل فضائله فقل انهم افضل منه قال يا اسحق اى الاعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله . قلت : الاخلاص بالشهادة قال اليس السبق الى الاسلام قلت نعم قال اقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى يقول « والسابقون السابقون أولئك المقربون » انما عنى من سبق الى الاسلام فهل علمت احدا سبق عليا الى الاسلام قلت : يا امير المؤمنين ان عليا أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم . قال اخبرنى أيهما اسلم قبل ثم انا ظرك من بعده في الحداثة والكمال قلت على أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة . فقال نعم فاخبرنى عن اسلام على حين اسلم لا يخلو من ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام او يكون الهاما من الله قال فاطرقت . فقال لى يا اسحق لا تقل الهاما فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله لم يعرف الاسلام حتى اتاه جبريل عن الله تعالى . قلت اجل بل دعاه رسول الله الى الاسلام . قال : يا اسحق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى الاسلام من ان يكون دعاه بامر الله أو تكلف ذلك من نفسه . قال فاطرقت . فقال يا اسحق لا تنسب رسول الله الى التكلف فان الله يقول « وما انا من المتكلفين » . قلت اجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بامر الله . قال فهل من صفة الجبار جل ذكره ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم . قلت أعوذ بالله فقال أفتراه فى قياس قولك يا اسحق ان عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة و يرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام أترى هذا جائزا عندك ان تنسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت أعوذ بالله قال يا اسحق فاراك انما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا . قلت بلى قال فهل بلغك ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا احدا من الصبيان من اهله وقرابته لئلا تقول ان عليا ابن عمه . قلت لا اعلم ولا ادرى فعل أو لم يفعل . قال يا اسحق ارأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسال عنه . قلت لا قال فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك . قال ثم اي الاعمال كانت أفضل بعد السبق الي الاسلام . قلت الجهاد في سبيل الله . قال

صدقت فهل تجد لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد لعلي فى الجهاد . قلت فى أى وقت . قال فى أى الاوقات شئت . قلت بدر . قال لا اريد غيرها فهل تجد لاحد الادون ما تجد لعلى يوم بدر اخبرنى كم قتلى بدر . قلت نيف وستون رجلا من المشركين . قال فكم قتل على وحده . قلت لا أدرى . قال ثلاثة وعشرين او اثنين وعشرين والار بعون لسائر الناس قلت يا أمير المؤمنين كان ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عريشه . قال يصنع ماذا . قلت يدبر قال ويحك يدبردون رسول الله او معه شريكا ام افتقارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأيه اى الثلاث أحب اليك . قلت أعوذ بالله ان يدبر ابو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون معه شريكا او ان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم افتقار الى رأيه . قال فما الفضيلة بالعريش اذا كان الامر كذلك أليس من ضرب بسيفه بين يدى رسول الله أفضل ممن هو جالس . قلت يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا . قال : صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجالس أفضل من الجالس . أما قرأت كتاب الله « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » قلت وكان أبو بكر وعمر مجاهدين . قال فهل كان لابى بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد . قلت نعم . قال فكذلك سبق الباذل نفسه فضل ابي بكر وعمر . قلت اجل . قال : يا اسحق هل تقرأ القرآن . قلت نعم . قال اقرأ علىّ « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » فقرأت منها حتى بلغت « يشربون من كاس كان مزاجها كافورا – الى قوله – ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . قال على رسلك فيمن أنزلت هذه الآيات . قلت فى على . قال فهل بلغك ان عليا حين أطعم المسكين واليتيم والاسير قال انما نطعمكم لوجه الله ، وهل سمعت الله وصف فى كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا . قلت لا قال : صدقت لان الله جل ثناؤه عرف سيرته يا اسحق ، الست تشهد ان العشرة فى الجنة . قلت بلى يا أمير المؤمنين . قال : أرأيت لو ان رجلا قال والله ما أدرى هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدرى ان كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافرا قلت اعوذ بالله . قال أرأيت لو انه قال ما ادرى هذه السورة من كتاب أم لا كان كافرا قلت نعم . قال : يا اسحق أرى بينهما فرقا يا اسحق أتروى الحديث قلت نعم . قال

فهل تعرف حديث الطير . قلت نعم . قال : فحدثني به قال فحدثته الحديث . فقال يا اسحق اني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق . فاما الان فقد بان لي عنادك انك توقن ان هذا الحديث صحيح قلت نعم رواه من لا يمكنني رده . قال : أفرأيت ان من أيقن ان هذا الحديث صحيح ثم زعم ان أحدا أفضل من علي لا يخلو من احدى ثلاث من أن يكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مردودة عليه أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب اليه . أو أن يقول ان الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول . فاي الثلاثة أحب اليك أن تقول فاطرقت . ثم قال يا اسحق لا تقل منها شيا فانك ان قلت منها شيا استتبتك وان كان للحديث عندك تاويل غير هذه الثلاثة الاوجه فقله . قلت لا أعلم وان لابي بكر فضلا . قال أجل لولا ان له فضلا لما قيل ان عليا أفضل منه فما فضله الذي قصدت له الساعة . قلت قول الله عز وجل : « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فنسبه الى صحبته . قال يا اسحق اما اني لا أحملك على الوعر من طريقك اني وجدت الله تعالى نسب الى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرا وهو قوله : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا » قلت ان ذلك صاحبا كان كافرا وأبو بكر مؤمن قال فاذا جاز أن ينسب الى صحبة من رضيه كافرا جاز أن ينسب الى صحبة نبيه مؤمنا وليس بافضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث . قلت : يا أمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم . ان الله يقول « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » قال يا اسحق تابي الآن الا أن أخرجك الى الاستقصاء عليك أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضا أم سخطا . قلت ان أبا بكر انما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه وغما ان يصل الى رسول الله شيء من المكروه . قال : ليس هذا جوابي انما كان جوابي أن تقول رضى أم سخط . قلت بل كان رضا لله . قال : فكان الله جل ذكره بعث الينا رسولا ينهي عن رضا الله عز وجل وعن طاعته . قلت أعوذ بالله . قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله . قلت بلى . قال : أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن نهيا له عن الحزن . قلت أعوذ بالله . قال : يا اسحق ان مذهبي الرفق بك لعل الله يردك الى الحق و يعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به وحدثني عن قول الله « فانزل الله سكينته عليه » من عني بذلك رسول الله أم

أبو بكر . قلت بل رسول الله . قال . صدقت . قال فحدثني عن قول الله عزوجل « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم - الى قوله - ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع . قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين . قال : الناس جميعا انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سبعة نفر من بني هاشم على يضرب بسيفه بين يدي رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفا من ان يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر . فالمؤمنون في هذا الموضع على خاصة ثم من حضره من بني هاشم قال : فمن أفضل من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ام من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه . قلت بل من انزلت عليه السكينة . قال . يا اسحق من افضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد من الهجرة ان الله تبارك وتعالى امر رسوله ان يامر عليا بالنوم على فراشه وان يقي رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فبكى على رضى الله عنه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا على أجزعا من الموت . قال لا والذى بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفا عليك أفتسلم يا رسول الله . قال نعم قال سمعا وطاعة وطيبة نفسى بالفداء لك يا رسول الله . ثم أتي مضجعه واضطجع وتسجى ثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمعوا ان يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه وعلى يسمع ما القوم فيه من اتلاف نفسه ولم يدعه ذلك الى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل على صابرا محتسبا . فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركى قريش حتي أصبح . فلما اصبح قام فنظر القوم اليه فقالوا أين محمد . قال وما علمي بمحمد أين هو . قالوا فلا نراك الا مغرورا بنفسك منذ ليلتنا فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتي قبضه الله اليه : يا اسحق هل تروى حديث الولاية . قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال : اروه ففعلت قال يا اسحق ارأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه . قلت ان الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسببه زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين على وانكر ولاء على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال في أى موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع . قلت أجل . قال : فان قتل زيد بن حارثة قبل

الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا . أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس مالا ينكرون ولا يجهلون . فقلت اللهم نعم . قال : يا اسحق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ان الله جل ذكره . قال في كتابه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ولكن أمروهم فاطاعوا أمرهم . يا اسحق أتروى حديث أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده . قال : فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده . قلت من صححه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مزح بهذا القول . قلت أعوذ بالله . قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه قلت أعوذ بالله قال أفما تعلم ان هرون كان أخا موسى لابيه وأمه . قلت بلى . قال . فعلي أخو رسول الله لابيه وأمه قلت لا قال أو ليس هرون نبياً وعلي غير نبي . قلت بلى . قال : فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هرون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت له انما أراد ان يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون انه خلفه استثقالاً له . قال فاراد أن يطيب نفسه بقول لا معني له قال فاطرقت . قال يا اسحق له معني في كتاب الله بين . قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لاخيه هرون « اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » قلت يا أمير المؤمنين ان موسى خلف هرون في قومه وهو حي ومضي الى ربه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علياً كذلك حين خرج الى غزاته قال كلا ليس كما قلت أخبرني عن موسي حين خلف هرون هل كان معه حين ذهب الى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني اسرائيل . قلت لا قال : أو ليس استخلفه على جماعتهم . قلت نعم . قال: فاخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى غزاته هل خلف الا الضعفاء والنساء والصبيان فاني يكون مثل ذلك . وله عندي تاويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه اياه لا يقدر أحد ان يحتج فيه ولا أعلم احداً احتج به وأرجو ان يكون توفيقاً من الله قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله « واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً » فانت مني يا علي بمنزلة هرون من موسى وزيري من أهلي وأخي شد الله به أزري وأشركه في أمري كي نسبح الله

كثيرا وند كره كثير افهل بقدر أحد أن يدخل فى هذا شيا غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبى صلى الله عليه وسلم وان يكون لا معنى له . قال فطال المجلس وارتفع النهار . فقال يحيى بن أكثم القاضى يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبت مالا يقدر أحد أن يدفعه . قال اسحق فاقبل علينا وقال ماتقولون . فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله . فقال والله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقبلوا القول من الناس ما كنت لاقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم انى قد أخرجت الامر من عنقى اللهم انى أدينك بالتقرب اليك بحب على وولايته . وكتب المامون الى عبد الجبار بن سعد المساحق عامله على المدينة : ان اخطب الناس وادعهم الى بيعة الرضا على بن موسى . فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس هذا الامر الذى كنتم فيه ترغبون والعدل الذى كنتم تنتظرون ، والخير الذي كنتم ترجون . هذا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبي طالب ستة آباءهم ماهم من خير من يشرب صوب الغمام . وقال المامون لعلى بن موسى : علام تدّعون هذا الامر . قال : بقرابة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المامون : ان لم تكن الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب اليه من على أو من هو فى قعدده وان ذهبت الى قرابة فاطمة من رسول الله صلي الله عليه وسلم فان الامر بعدها للحسن والحسين فقد ابتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فيه فلم يجد على ابن موسى له جوابا

١٠ — باب من أخبار الدولة العباسية — روى عن على بن طالب رضى الله عنه أنه افتقد عبد الله بن عباس وقت صلاة الظهر . فقال لاصحابه مابال أبى العباس لم يحضر . قالوا ولد له مولود . فلما صلى على الظهر قال انقلبوا بنا اليه فاتاه فهنأه . فقال له شكرت الواهب و بورك لك فى الموهوب ، فما سميته . قال : لا يجوز لى أن أسميه حتى تسميه أنت . فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ورده . وقال : خذه اليك أبا الاملاك وقد سميته عليا وكنيته أبا الحسن ، قال فلما قدم معاوية قال لابن عباس لك اسمه وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه . وكان على سيدا شريفا عابدا زاهدا وكان يصلى فى كل يوم الف ركعة . وضرب مرتين ضربه الوليد فى تزويجه لبابة ابنة عبد الرحمن ابن جعفر . وكانت عند عبد الملك بن مروان فعض تفاحة ورمي بها اليها وكان ابخر فدعت بسكين . فقال ماتصنعين به . قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها على بن عبد الله بن عباس

فضر به الوليد . وقال انما نزوج أمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم لان مروان بن الحكم انما تزوج أم خالد بن يزيد لتضع منه . فقال على بن عبدالله بن عباس : انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لان أكون لها محرما وأما ضربه اياه فى المرة الثانيه فان محمد بن يزيد . قال حدثني من رآه مضروبا يطاف به على بعير ووجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبدالله الكذاب . قال فاتيته فقلت ماهذا الذى نسبوك فيه الى الكذب . قال بلغهم اني أقول هذا الامر سيكون فى ولدي ووالله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجانّ المطرقة . وفى حديث آخر ان على بن عبدالله دخل على هشام بن عبدالملك ومعه ابنان أبو العباس وأبو جعفر فشكا اليه دينا لزمه . فقال له كم دينك قال ثلاثون ألفا فامر له بقضائه فشكر له عليه . وقال له وصلت رحما وأنا أريد ان تستوصي بابنيّ هذين خيرا . قال نعم فلما تولى قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد هتر وأسن وخولط فصار يقول ان هذا الامر سينقل الى ولده فسمعه على بن العباس . فقال والله ليكونن ذلك وليملكن ابناى هذان ماتملكه . قال محمد بن يزيد : وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال حضر على بن عبدالله مجلس عبد الملك بن مروان وكان مكرما له وقد أهديت له من خراسان جارية وفص خاتم وسيف . فقال ياأبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمي سعدى وهى من سبي الصفد من رهط عجيف بن عنبسة فاولدها سليمان بن على وصالح بن على . وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فرض سليمان من جدري خرج عليه فانصرف على من مصلاه فاذا بها على فراشه . فقال مرحبا بك ياأم سليمان فوقع عليها فاولدها صالحا فاجتنبت فراشه فسالها عن ذلك . فقالت : خفت ان يموت سليمان فى مرضه فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما بقي الآخر وليس مثلي وطيئة الرجال . وزعم جعفر انه كانت فى سليمان رتة وفى صالح مثلها وانها موجودة فى آل سليمان وصالح . وكان علي يقول : أكره أن أوصى الى محمد ولدى وكان سيد ولده وكبيرهم فاشينه بالوصية فاوصى الى سليمان . فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى ليلا . فقال اخرجي لى وصية أبى . قالت ان أباك أجل من ان تخرج وصيته ليلا ولكن تاتي غدوة ان شاء الله . فلما أصبح غدا عليه سليمان بالوصية . فقال : ياأبي وياأخي هذه وصية أبيك . فقال : جزاك الله من ابن وأخ

خيرا ما كنت لاترب على أبي بعد موته كما لم أترب عليه في حياته . العتبي عن أبيه عن جده قال : لما اشتكى معاوية شكاته التي هلك فيها أرسل الى ناس من جملة بني أمية ولم يحضرها سفياني غيري وغير عثمان بن محمد . فقال : يامعشر بني أمية اني لما خفت ان يسبقكم الموت الي سبقته بالموعظة اليكم . لالأرد قدرا ، ولكن لابلغ عذرا . ان الذى أخلف لكم من دنياى أمر ستشاركون فيه وتغلبون عليه والذى أخلف لكم من ورائى أمر مقصور لكم نفعه ان فعلتموه مخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه . ان قريشا شاركتكم في أنسابكم وانفردتم دونها بافعالكم فقدمكم ماتقدمتم لهاذا أخرغيركم ماتاخروا عنه . ولقد جهل بي فحلمت ! ونقر لى ففهمت . حتى كاني أنظرالى أبنائكم بعدكم كنظرى الى آبائهم قبلهم . ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخذول . فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم فيدبر الامر بضد ماأقبل به فلست أذكر حسنا يركب منكم ، ولاقبيحا ينتهك فيكم ، ألا والذى أمسك عن ذكره أكثر وأعظم ، ولا معوّل عليه عندذلك أفضل من الصبر واحتساب الاجر فيمادكم القوم دولتهم امتداد العنانين في عنق الجواد . حتى اذا بلغ الله بالامر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخلقة المطبوعة على ملالة الشيء المحبوب ، كانت الدولة كالاناء المكفا فعندها أوصيكم بتقوى الله الذى لم يتقه غيركم فيكم فجعل العاقبة لكم والعاقبة للمتقين . قال عمرو بن عتبة فدخلت عليه يوما آخر فقال : ياعمرو أوعيت كلامي قلت وعيت . قال أعد على كلامي فلقد كلمتم وما أراني امسى من يومكم ذلك . قال شبيب بن شبة الاهتمي : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينما أنا مريح ناحية من المسجد . اذ طلع من بعض أبواب المسجد فتي أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، اقنى بين القنى ، أعين كان عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الاملاك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في تواضعه ، والعفو في صورته ، واللب في مشيته . فما ملكت نفسي ان نهضت في أثره سائلا عن خبره وسبقني فتحرم بالطواف . فلما سبع قصد المقام فركع وأنا ارعاه ببصري . ثم نهض منصرفا فكان عينا أصابته فكبا كبوة دميت لها أصبعه . فقعد لها القرفصاء ، فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب ، فلا يمتنع على ثم شققت حاشية ثوبه فعصبت بها أصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه ثم نهض متوكئا على وانقدت له أماشيه حتي اذا أتي دارا باعلى مكة ابتدره

رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله . ثم خلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما في تمام . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف على مكانك منذ اليوم ولا فعلك بي فمن تكون يرحمك الله قلت شبيب بن شبة التميمي . قال الاهتمي قلت نعم . قال فرحب وقرب ووصف قومي بأبين بيان وأفصح لسان . فقلت له أنا أجلك أصلحك الله عن المسئلة وأحب المعرفة فتبسم وقال لطف أهل العراق أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فقلت بابي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على منصبك ولقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك . قال فاحمد الله يا أخا بني تميم فانا قوم انما يسعد الله بحبنا من أحبه ويشقي ببغضنا من أبغضه ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه . فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل اهل مكة كثير وفي نفسي أشياء أحب ان اسأل عنها افتاذن لي فيها جعلت فداك . قال نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت كما رجوت فافعل . قال فقدمت من وثائق القول والايمان ما سكن اليه فتلا قول الله « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » ثم قال سل عما بدا لك . قلت ما ترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي خال الوليد . فتنفس الصعداء وقال عن الصلاة خلفه تسالني أم كرهت ان يتامر على آل الله من ليس منهم . قلت عن كلا الامرين . قال ان هذا عند الله لعظيم . فاما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه فادما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد وعلى كل حال فان الذي ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بانه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه لك . ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك قال ثم كررت في السؤال عليه فما احتجت ان أسال عن أمر دينى أحدا بعده . ثم قلت يزعم اهل العلم انها ستكون لكم دولة . فقال لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها فنسال الله خيرها ونعوذ بالله من شرها فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها . قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وانتم سادتها . قال نعم قوم يابون الا الوفاء لمن اصطنعهم ونابى الا طلبا بحقنا فننصر ويخذلون كما نصر باولنا أولهم ويخذل بخذلهم من خالف منهم : قال فاسترجعت . فقال

سهل عليك الامر سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم وتجديد الصنيعة عندهم . قلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم . قال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل . فاما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم من أنفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسيء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل باسبابه فتذهب المثابرة وتخبو الفتنة وتطمئن القلوب . قلت ويقال انه يبتلى بكم من اخلص لكم المحبة قال قد روى ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا قال فمه قلت تقعون بالولى وتحظون بالعدو قال من يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم لنا من الاعداء أقل وأيسر وانما نحن بشر وأكثرنا اذن ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنقع بما لا نريد وان لنا لاحسانا ياسو الله به ما نكلم ويرم به ما نثلم ونستغفر الله مما لا نعلم وما انكرت من ان يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المذل ، وأخل المسترسل وتجانب المتقرب ومع المقة تكون الثقة ، وعلى ان العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا وانك لسؤل يا أخا تميم . قلت اني أخاف ان لا اراك بعد اليوم . قال انى لارجو ان اراك وتراني كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت عجل الله ذلك . قال آمين . قلت ووهب لى السلامة منكم فاني من محبيكم . قال آمين وتبسم . وقال لا باس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت وماهى . قال قدح في الدين أو هتك للملك أو تهمة فى حرمة . ثم قال احفظ عني ما أقول لك اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيتجشموك ولا تبدأ حتي يبدؤك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أترقب لظهور الامر وقتا . قال الله المقدر الموقت فاذا قامت النوحتان بالشام فهما آخر العلامات قلت وماهما . قال موت هشام العام وموت محمد بن على مستهل ذى القعدة وعليه تخلفت وما بلغتكم حتي انضيت . قلت فهل اوصي . قال نعم الى اخيه ابراهيم . قال فلما خرجت فاذا مولى له يتبعني حتى عرف منزلى . ثم أتاني بكسوة من كسوته . فقال يامرك ابو جعفران تصلى

فى هذه . قال وافترقنا . قال فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدنيانى منه فى جماعة من قومى لا بايعه . فلما نظر الى أثبتنى فقال خليا عمن صحت مودته . وتقدمت حرمته . وأخذت قبل اليوم بيعته . قال فاكبر الناس ذلك من قوله ووجدته على أول عهده لى . ثم قال لى أين كنت عني فى أيام أخى أبي العباس فذهبت أعتذر . قال امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مسابقتك فاختر بين رزق يسعك أو عمل يرفعك : قلت أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال ذلك لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى ان شاء الله . ثم قال هل زدت في عيالك بعدى شيئاً وكان قد سالني عنهم فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت الفرس والخادم . قال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بخيلنا ولو وسعني لحملت لك من بيت المال وقد ضممتك الى المهدى وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك مني . قال الاحوص بن محمد الشاعر الانصارى من بني عاصم بن الافلح الذى حمت لحمه الدبر يشبب بأمرأة يقال لها أم جعفر . فقال فيها :

أدور ولولا ان أري أم جعفر * بأبياتكم مادرت حين أدور

وكان لام جعفر أخ يقال له ايمن فاستعدى عليه ابن حزم الانصارى وهو والى المدينة للوليد ابن عبد الملك وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فبعث ابن حزم الى الاحوص فاتاه وكان ابن حزم يبغضه فقال ما تقول فيما يقول هذا قال وما يقول قال يزعم انك تشبب باخته وقد فضحته وشهرت أخته بالشعر فانكر ذلك . فقال لهما قد اشتبه على أمركما ولكنني ادفع الى كل واحد منكما سوطا ثم اجتلدا وكان الاحوص قصيرا نحيفا وكان أيمن طويلا ضخما جلدا فغاب أيمن الاحوص فضربه حتى صرعه واثخنه . فقال أيمن :

لقد منع المعروف من أم جعفر * اشم طويل الساعدين غيور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * باصفر من ماء الصفاق يفور

قال فلما رأى الاحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد . ثم شخص اليه الى الشام فدخل عليه فانشده :

لا ترثين لحزمي رأيت به * ضرا ولو القي الحزمي فى النار
الناخسين لمروان بذي خشب * والمدخلين على عثمان في الدار

قال له صدقت والله لقد كنا غفلنا عن حزم وآل حزم . ثم دعا كاتبه فقال اكتب عهد عثمان بن حيان المرى على المدينة واعزل ابن حزم واكتب بقبض أموال حزم وآل حزم واسقاطهم اجمعين من الديوان ولا يأخذوا الاموى عطاء أبدا . ففعل ذلك فلم يزالوا فى الحرمان للعطاء مع ذهاب الاموال والضياع حتى انقضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس . فلما قام أبو جعفر المنصور بامر الدولة قدم عليه أهل المدينة فجلس لهم . فامر حاجبه ان يتقدم الى كل رجل منهم ان ينتسب له اذا قام بين يديه . فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجل قصير قبيح الوجه : فلما مثل بين يديه قال له يا امير المؤمنين أنا ابن حزم الانصاري الذى يقول فينا الاحوص :

لا ترثين لحزمي رأيت به * ضرا ولو القى الحزمى فى النار

الناخسين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

ثم قال يا أمير المؤمنين حرمنا العطاء منذ سنين وقبضت أموالنا وضياعنا . فقال له المنصور اعد على البيتين فاعادهما عليه . فقال اما والله لئن كان ذلك ضركم في ذلك الحين لينفعنكم اليوم . ثم قال على بسليمان الكاتب فاتاه أبو أيوب الخوزي . فقال اكتب الى عامل المدينة ان يرد جميع مااقتطعه بنو أمية من ضياع بني حزم وأموالهم ويحسب لهم مافاتهم من عطائهم وما استغل من غلاتهم من يومئذ الى اليوم فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بني مروان ويفرض لكل واحد منهم فى شرف العطاء . وكان شرف العطاء يومئذ مائتي دينار فى السنة . ثم قال على الساعة بعشرة آلاف درهم تدفع الى هذا الفتي لنفقته فخرج الفتي من عنده بما لم يخرج به أحد ممن دخل عليه :

١١ — فرش ذكر خلفاء بني العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم —

أبو العباس السفاح : ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مستهل رجب سنة أربع ومائة . وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفى بالانبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان . وكان أبيض طويلا أقني الانف حسن الوجه حسن اللحية جعدها نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وصلى عليه عمه عيسى بن على . ورزق

من الولد اثنين محمد من ام ولد ومات صغيرا وابنة سماها ريطة من أم ولد تزوجها المهدي واولدها عليا وعبيد الله . ووزر له ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو اول من لقب بالوزارة . فقتله ابو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك الى آخر أيامه . وكان حاجبه أبو غسان صالح بن الهيثم . وقاضيه يحيى بن سعيد الانصارى ﴿ المنصور ﴾ وبويع أبو جعفر المنصور واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى اليوم الذى توفى فيه أخوه لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس وتسعين . وتوفى بمكة قبل التروية بيوم لسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم . ودفن بالحجون وصلى عليه ابراهيم بن يحيي بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا ثمانية أيام . وكان سنه ثلاثا وستين سنة . وامه امة اسمها سلامة وجنسها بربرية . وكان أسمر طوالا نحيف الجسم خفيف العارضين يخضب بالسواد ونقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وتزوج ابنة منصور الحميرية وولدت له محمدا وهو المهدى وجعفرا . وكانت شرطت عليه ان لا يتزوج ولا يتسري الا عن امرها وكان قد ابتاع جاريته ام على وجعلها قيما في ولده على ام موسي واولادها . فحظيت عند ام موسي وسالته التسرى بها المارأت من فضلها فواقعها فاولدها عليا . وتوفى قبل استكمال سنة . ثم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله فولدت لها سليمان وعيسى ويعقوب ورزق من امهات الاولاد صالحا وغالية وجعفرا والقاسم والعباس وعبد العزيز . ووزر له ابن عطية الباهلى . ثم ابو ايوب الموريانى ، ثم الربيع مولاه . وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه ثم ابو الخصيب مولاه . وكان قاضيه عبد الله بن محمد بن صفوان : ثم شريك بن عبد الله والحسن بن عمارة والحجاج بن ارطاة ﴿ المهدي ﴾ ثم بويع ابنه ابو عبد الله محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس صبيحة اليوم الذى توفى فيه ابوه لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . وكان مولده بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وتوفى بماسبذان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة وصلي عليه ابنه الرشيد فكانت خلافته عشر سنين وخمسة واربعين يوما . وكان سنه احدى واربعين سنة وثمانية اشهر ويومين . وكان اسمر طويلا معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمني نكتة

بياض نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن . وتزوج ريطة بنت السفاح واولدها عليا وعبيد الله . وأول جارية ابتاعها بحياة فرزق منها ولدا مات قبل استكمال سنة : وكان يبتاع الجوارى باسمها وتقربهن اليه وأول من حظى منهن عنده رحيم ولدت له العباسة . ثم الخيزران فولدت له موسى وهرون والبانوقة ثم حلالة وحسنة فكانتا مغنيتين محسنتين . وتزوج سنة تسع وخمسين ومائة أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الله واعتق الخيزران فى السنة وتزوجها . ووزر له أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى . ثم يعقوب بن داود السلمى . ثم الفيض بن أبى صالح . واستحجب سلامان الابرش . واستخلف عن القضاء محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية بن يزيد كانا يقضيان معا فى مسجد الرصافة ﴿ الهادي ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد موسى الهادى ابن المهدى مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة . وتوفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة بعيسا باذ وصلى عليه أخوه الرشيد . وكانت خلافته سنة وشهرين الا اياما . وكانت سنه ستا وعشرين سنة وكان أبيض طويلا جسيما بشفته العليا تقلص نقش خاتمه الله ربى . وتزوج امة العزيز فاولدها عيسى . ثم رحيم فاولدها جعفرا . ثم سعوف فاولدها العباس . واشترى جارية حسنة بالف درهم وكانت شاعرة فرزدق منها عدة بنات . منهم أم عيسى تزوجها المامون . وكان له من أمهات الاولاد عبد الله واسحق وموسى وكان اعمى . ووزر له الربيع . ثم يونس . ثم عمر بن ربيع . واستحجب الفضل بن الربيع وولى القضاء أبا يوسف يعقوب . ثم ابراهيم فى الجانب الغربي . وسعيد بن عبد الرحمن الجمحى بالجانب الشرقى ﴿ هرون الرشيد ﴾ ثم بويع أخوه أبو محمد هرون الرشيد في اليوم الذي توفى فيه أخوه يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة ولد عبد الله المامون ولم يكن فى سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفى فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها وكان مولد الرشيد فى المحرم سنة ثمان واربعين ومائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ودفن بطوس وصلى عليه ابنه صالح فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكانت سنه ستا وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما أفضت اليه الخلافة سلم عليه عمه سليمان بن المنصور والعباس ابن محمد عم أبيه وعبد الصمد بن علي عم جده . فعبد الصمد عم العباس والعباس عم سليمان وسليمان عم هرون . وكان الرشيد ابيض جسيما طويلا جميلا وقد وخطه الشيب نقش

خاتمه لا إله الا الله وخاتم آخر كن من الله على حذر . وتزوج زبيدة واسمها أمة العزيز وتكني أم الواحد وزبيدة لقب لها وهي ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمدا الامين . ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون . وماردة أولدها محمدا المعتصم ونادر ولدت له صالحا وشجا ولدت له خديجة ولبابة . وسربرة ولدت محمدا . وبربرية ولدت له أبا عيسي ثم القاسم وهو المؤتمن . وسكينة وحث فولدت له اسحق وأبا العباس . ووزر له جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي وقتله . ثم الفضل بن الربيع واستحجب بشر بن ميمون مولاه . ثم محمد بن خالد بن برمك واستخلف على قضاء الجانب الغربي نوح بن دراج وحفص بن غياث ﴿ الامين ﴾ ثم بويع أبو عبدالله محمد الامين في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقتل يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولده بالرصافة سنة أحدى وسبعين ومائة فى شوال . فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأياما صفا له الامر من جملتها سنتين وشهرا . وكانت الفتنة بينه وبين أخيه سنتين . وكان طويلا جسيما جميلا حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطا صغير العينين به أثر جدرى نقش خاتمه محمد واثق بالله ورزق من الولد موسى من أم ولد تدعي نظما ولقبه الناطق بالحق وضرب اسمه على الدراهم . وذكر الصولى قال حدثني من قرأ على درهم :

كل عز ومفخر * فلموسى المظفر
ملك خط ذكره * فى الكتاب المسطر

وماتت نظم فاشتد جزعه عليها فدخلت زبيدة معزية له . فقالت :

نفسي فداؤك لا يذهب بك التلف * ففى بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فكانت كل مرزية * من بعد موسى على مفقوده سلف

وبايع لابنه موسى فى حياته ولاخيه عبدالله وأمه أم ولد ونقش اسمه أيضا على الدراهم . وكان لجعفر بن موسى الهادى جارية اسمها بدل فطلبها الامين منه فأبي عليه . وكان شديد الوجد بها فزاره الامين يوما فسر به وزاد عليه فى الشرب حتى ثمل فانصرف وأخذ الجارية فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع فدخل على الامين . فلما مثل بين يديه قال له أحسنت والله يا جعفر بدفعك بدل الينا وما أحسنا وقرزورقه على عشرين ألف ألف

درهم . ووزر للامين الفضل بن الربيع الى آخر أيامه . وكان حاجبه العباس بن الفضل ابن الربيع . ثم على بن صالح صاحب المصلى . ثم السندى بن شاهق ﴿ المأمون ﴾ ثم بويع أبو العباس عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد بعد قتل أخيه يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة وكان مولده بالشماسية في ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وتوفى بالبذندون سنة ثماني عشرة ومائتين لثمان خلون من رجب ودفن بطرسوس . فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان سنه ثمانا وأربعين سنة وأربعة أشهر الا أياما وكان أبيض تعلوه شقرة أجني أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب نقش خاتمه سل الله يعطك وكان الرشيد حد المأمون . وذلك انه دخل على الرشيد وعنده مغنية تغنيه فلحنت فكسر المأمون عينه عند استماعه اللحن فتغير لون الجارية وفطن الرشيد لذلك . فقال أعلمتها بما صنعت . قال لا والله يا مولاى قال ولا أومأت اليها قال قد كان ذلك . فقال كن مني بمرأى ومسمع فاذا خرج اليك أمرى فانته اليه . ثم أخذ دواة وقرطاسا وكتب اليه :

يا آخذ اللحن على الـــقينة عند الطرب
تريد أن تفهمها ✽ حد لغات العرب
أقسم بالله وما ✽ سطر أهل الكتب
للكلب خير أدبا ✽ من بعض أهل الادب

اذا قرأت ما كتبت به اليك فامر من يضربك عشرين مقرعة جيادا . فدعا المأمون النوابين ثم أمرهم ببطحه وضربه فامتنعوا فاقسم عليهم فامتثلوا أمره . ورزق من الولد محمدا الاصغر وعبيد الله بن أم عيسي بنت موسي الهادى . وتزوج بوران بنت الحسن بن سهل بني بها سنة عشر ومائتين ووهب لابيها عشرة آلاف ألف درهم ولولده ألف ألف درهم وكان له عدة أولاد من بنين وبنات . ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل . ثم أحمد بن أبي خالد الاحول . ثم أحمد بن يوسف . ثم ثابت بن يحيى . ثم محمد بن بزدار . واستحجب عبد الحميد بن شبيب . ثم محمدا وعليا ابني صالح مولى المنصور ﴿ المعتصم بالله ﴾ ثم بويع أخوه أبو اسحق المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثماني عشر

ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى بسر من رأى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائتين وصلى عليه ابنه هرون الواثق . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . وأمه أم ولد يقال لها ماردة . وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون نقش خاتمه الله ثقة أبي اسحق ابن الرشيد وبه يؤمن وكان شديد الباس حمل بابا من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلا وفوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلا . وخطا خطا كثيرة وكان يسمي مابين أصبعى المعتصم المقطرة لشدته وانه اعتمد يوما على غلام فدقه . وذكر الصولى انه كان يسمي المثمن . وذلك انه الثامن من خلفائهم ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وولى الامر فى سنة ثمانى عشرة ومائتين وله ثمان وأربعون سنة وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . ورزق من الولد الذكور ثمانية . ومن الاناث ثمانيا وغزا ثمان غزوات وخلف فى بيت ماله ثمانية آلاف الف دينار ومن الورق ثمانية آلاف الف درهم . ووزر له الفضل بن مروان . ثم أحمد بن عمار . ثم محمد بن عبد الملك الزيات واستحجب وصيفا مولاه . ثم محمد بن حماد ثم دنفش ﴿ الواثق ﴾ ثم بويع ابنه أبو جعفر هرون الواثق صبيحة اليوم الذي توفى فيه أبوه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين . وكان مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وتوفى بسر من رأي يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وصلى عليه أخوه المتوكل . فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وكان سنه ستا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما . وكان أبيض الى الصفرة حسن الوجه جسيما في عينه اليمنى نكتة بياض نقش خاتمه محمد رسول الله وخاتم آخر الواثق بالله ورزق من الولد محمد المهتدي . وأمه أم ولد يقال لها قرب وعبد الله وأبا العباس أحمد وأبا اسحق محمد وأبا اسحق ابراهيم . ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات وحاجبه ايتاخ . ثم وصيف مولاه . ثم دنفش . وقاضيه ابن أبي داود ﴿ المتوكل ﴾ ثم بويع أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان مولده يوم الاربعاء لاحدي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين ودفن فى القصر الجعفرى وصلى عليه ابنه المنتصر ولى عهده . فكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام . وكان

سنه أربعين سنة الا ثمانيــة أيام . وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين نقش خاتمه على الهي اتكالي وكان كثير الولد . وزرله محمد بن عبـد الملك الزيات . ثم محمد بن الفضل الجرجاني ثم عبيد الله بن يحيى بن خاقان واستحجب وصيفا التركى . ثم محمد بن عاصم . ثم ابراهيم بن سهل . وكان خليفته على القضاء يحيى بن أكثم ﴿ المنتصر ﴾ ثم بويع ابنه ابوجعفر محمد المنتصر لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين فكانت خلافته ستة أشهر . وسنه ستة وعشرين سنة الا ثلاثة أيام . وكان قصـيرا أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينـه اليمنى أثر. نقش خاتمه يؤتى الحذر من مامنه. وعلى خاتم آخر انا من آل محمد الله ولي ومحمد . ورزق من الولد عليا وعبد الوهاب وعبد الله واحمد . ووزرله احمد بن الخصيب . وحاجبه وصيف ثم بغا . ثم ابن المرزبان ثم أوتامش ﴿ المستعين ﴾ ثم بويع المستعين أبوالعباس احمد بن محمد بن المعتصم يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وخلع نفســه بموافقة المعتز بوساطة أبي جعفر المعروف بابن الكردية يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وكان مولده يوم الثلاثاء لاربع خلون من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وقتل بالقادسية بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر . وأمه أم ولد يقال لها مخارق . وكان مربوعا أحمر الوجه أشقر مسمنا عريض المنكبين ضخم الكراديس خفيف العارضين بوجهه أثر جدرى ألثغ بالسين نقش خاتمه فى الاعتبار غني عن الاختبار . وزرله أحمد بن الخصيب فنكبه وقلد مكانه ابن يزداد . ثم شجاع بن القاسم كاتب او تامش . وأوتامش هـذا حاجبه . وكانت سنه احدى وثلاثين سنة الا ثمانية أيام ﴿ المعتز ﴾ ثم ولى أبو عبد الله محمد المعتز بن المتوكل يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت الفتنة قبل ذلك بينه و بين المستعين سنة وقتل عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ومنذ بايعه أهل سر من رأى الى ان قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوما . وقتله صالح بن وصيف وكان

أبيض شديد البياض ربعة حسن الجسم على خده الايسر خال أسود الشعر . نقش خاتمه الحمدلله رب كل شيء وخالق كل شيء . وزرله جعفر بن محمود الاسكافي . ثم عيسى بن فرخان شاه . ثم أحمد بن اسرائيل الانباري وحاجبه سماه بن صالح بن وصيف وكانت سنه أربعا وعشرين سنة وشهرين وأياما ﴿ المهتدي ﴾ ثم بويع المهتدي أبو عبدالله محمد بن الواثق بسر من راي يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين . كان مولده يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائتين . وقتل بسر من رأى بسهم لحقه يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فكانت خلافته أحد عشر شهرا واربعة عشر يوما . وكان سنه سبعا وثلاثين سنة واربعة أشهر وأحد عشر يوما وكان ابيض مشربا بحمرة صغير العينين اقنى الانف في عارضيه شيب . وخضب لما ولي الخلافة . نقش خاتمه من تعدى الحق ضاق مذهبه . وزرله أبو ايوب سليمان بن وهب . وحاجبه باك باك ﴿ المعتمد ﴾ ثم بويع ابو العباس احمد المعتمد بن المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين : وكان مولده يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين . وتوفى ببغداد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وكان سنه خمسين سنة وخمسة اشهر واثنتين وعشرين يوما ومات اخوه وولي عهده طلحة الموفق في ايامه في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان قد غلب على الامر لميل الناس اليه . وكان المعتمد قد عقد لولده جعفر ولقبه المفوض وبعده لابي احمد طلحة الموفق فاشتد امر الموفق . وقتل صاحب الزنج في سنة (١) ومال الناس اليه واسمه الناصر لدين الله وكان يدعي له على المنبر في ايام المعتمد : وكان الموفق حبس ابنه ابا العباس المعتضد . فلما حضرته الوفاة اطلقه للقيام بالامر واجري المعتمد امره على ما كان يجرى عليه امر ابيه الموفق وافرده بولاية العهد وامر بكتب الكتب لخلع ابنه المفوض . وافرد المعتضد بالعهد وجعله الخليفة بعده . وكان المعتمد اسمر مربوعا نحيف الجسم حسن العينين مدور الوجه على وجهه اثر جدري نقش خاتمه السعيد من كفى بغيره . ووزرله عبيدالله يحيى بن خاقان ثم سليمان بن وهب . ثم الحسن بن مخلد ثم صاعد بن مخلد . ثم أبو الصقر اسمعيل بن بلبل

---

(١) بياض بالاصل

حاجبه موسى بن بغا ثم جعفر بن بغا ثم بكتمر ﴿ المعتضد ﴾ وبويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق فى رجب سنة سبع وسبعين ومائتين وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وتوفى ببغداد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وصلى عليه أبو عمر القاضى : فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام . وكان سنه خمسا وأربعين سنة وتسعة أشهر وأياما . وأمه ضرار وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر نقش خاتمه . الاضطرار يزيل الاختيار . ووزر له عبيد الله ابن سليمان بن وهب . ثم ابنه القاسم بن عبيد الله وحاجبه صالح الامين ﴿ المكتفى ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد على بن المعتضد يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وكان مولده فى رجب سنة أربع وستين ومائتين . وتوفى ببغداد فدفن عند قبر أبيه ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما وأمه (١) وقيل خاصع . وكان ربعة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها ولم يشب الى ان مات نقش خاتمه بالله أحمد بن الموفق يثق . وخلف فى بيت ماله ستة عشر الف الف دينار ومن الورق ثلاثين الف الف درهم . ووزر له القاسم بن عبد الله ثم العباس . ثم الحسن بن أيوب . وحاجبه حفيف السمرقندي . ثم سوسن مولاه ﴿ المقتدر ﴾ ثم بويع المقتدر وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد فى اليوم الذي توفي فيه أخوه يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وخلع فى خلافته دفعتين الاولى بعد جلوسه باربعة أشهر وأيام بابن المعتز وبطل الامر من يومه والدفعة الثانية بعد احدى وعشرين سنة وشهرين ويومين من خلافته . وخلع نفسه وأشهد عليه واجلس القاهر يومين وبعض اليوم الثالث ووقع الخلف بين العسكرين وعاد المقتدر الى حاله : وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وقتل بالشماسية يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة . فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة الاخمسة عشر يوما . وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة وشهرا وعشرين يوما : وكان أبيض مشربا بحمرة حسن الخلق ضخم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدور الوجه قد كثر الشيب فى وجهه نقش خاتمه الحمد لله الذى

(١) بياض بالاصل

ليس كمثله شيء وهو على كل شيء . وزرله العباس بن الحسن . ثم على بن محمد بن موسى ابن الفرات . ثم عبيدالله بن خاقان . ثم أبو الحسن على بن عيسى . ثم حامد بن العباس . ثم أحمد بن عبيد الله الحصيبي . ثم محمد بن على بن مقلة . ثم سليمان ابن الحسن بن مخلد ثم عبيد الله الكلوداني . ثم الحسن بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . ثم الفضل بن جعفر بن الفرات واستحجب سوسنا مولى المكتفى ونصراً القشورى وياقوتا المعتضدى وابراهيم ومحمدا ابنى رائق ﴿ القاهر ﴾ ثم بويع أخوه أبو منصور محمد القاهر بن المعتضد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة . وخلع وسمل يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده لخمس خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثمانين ومائتين . وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وعاش الى أيام المطيع وكان سنه (١) وكان ربعة أسمر اللون معتدل القامة اصهب الشعر . ووزر له أبو علي بن مقلة . ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أحمد بن عبيد الله الحصيبي . واستحجب علي بن بلبق مولى يونس . ثم سلامة الطولونى ﴿ الراضي ﴾ ثم بويع الراضى أبو العباس أحمد بن المقتدر يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده فى رجب سنة سبع وتسعين ومائتين . ومات ببغداد ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة . وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وأياما وأمه أم ولد يقال لها ظلوم وكان قصير القامة نحيف الجسم اسود الشعر رقيق السمرة فى وجهه طول نقش خاتمه محمد رسول الله . ووزر له أبو على بن مقلة . ثم ابنه أبو الحسين . ثم عبد الرحمن بن عيسى . ثم محمد بن القاسم الكرخي . ثم سليمان بن الحسن . ثم الفضل بن جعفر . ثم أبو عبد الله البزيدى واستحجب محمد بن ياقوت . ثم دكيا مولاه ﴿ المتقى ﴾ ثم بويع أخوه المتقى ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسمل يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وكان مولده فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا الا أياما . وكان أبيض

---

(١) بياض بالاصل

تعلوه حمرة أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه أدنى عوج نقش خاتمه محمد رسول الله . وزرله أحمد بن محمد بن ميمون ثم الزيدى . ثم سليمان بن الحسن . ثم أبو اسحق محمد بن أحمد العرابطي . ثم محمد بن القاسم الكرخي . ثم أحمد بن عبد الله الاصبهانى . ثم على بن محمد بن مقلة واستحجب سلامة مولى محاروبه بن أحمد . ثم بدر الحرشني . ثم سلامة الطولونى . ثم عبد الرحمن بن أحمد بن خاقان المفلحى ﴿ المستكفى ﴾ ثم بويع أبو القاسم عبد الله بن على المستكفى فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بالسندية عقيب كسوف القمر وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فكانت خلافته سنة واحدة وسته أشهر وأياما . وكان مولده مستهل سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . وكانت سنه سبعا وأربعين سنة . وأمه أم ولد يقال لها غصن . وكان أبيض تعلوه حمرة ضخم الجسم تام الطول خفيف العارضين كبير العينين اشهل جهوري الصوت نقش خاتمه محمد رسول الله . وزر له محمد ابن على السرمن رأى : واستكتب بعده أبا أحمد الفضل بن عبد الله الشيرازي . واستحجب أحمد بن خاقان ﴿ المطيع ﴾ ثم بويع المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وخلع نفسه ببغداد لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وكان مولده فى النصف من ذي القعدة سنة احدى وثلثمائة وتوفى فى (١) فكانت خلافته تسعا وعشر ين سنة ثلاثة أشهر وعشر ين يوما وأمه أم ولد تدعى مشعلة وكان سنه (٢) وكان شديد البياض اسود شعر الرأس واللحية . وزرله على بن محمد بن مقلة والناظر فى الامور أبو جعفر الصيمري كاتب أحمد بن بويه . ثم استولى على اسم الوزارة . وكتب للمطيع الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى . ومات وقام مقامه أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي وحاجبه عز الدولة بختيار بن معز الدولة * تم كتاب اليتيمة الثانية

(١) بياض بالاصل

(٢) بياض بالاصل

١٦

فن من كتاب الدرة الثانية

﴿ فى أيام العرب ووقائعها ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضي الله عنه : قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعها فانها مآثر الجاهلية ومكارم الاخلاق السنية . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم في مجالسكم . قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا وقال بعضهم وددت أن لنا مع اسلامنا كرم أخلاق آبائنا فى الجاهلية . ألا ترى ان عنترة الفوارس جاهلى لا دين له والحسن بن هانىء اسلامى له دين فمنع عنترة كرمه مالم يمنع الحسن بن هانىء دينه فقال عنترة فى ذلك :

أغض طرفى ان بدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانىء مع اسلامه :

كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
والباعثي والناس قد رقدوا * حتى أتيت حليلة البعل

١ — حروب قيس فى الجاهلية — يوم منعج لغني على عبس . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى يوم منعج يقال له يوم الردهة . وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي بمنعج على الردهة . وذلك ان شاس بن زهير أقبل من عند النعمان بن المنذر . وكان قد حباه بحباء جزيل وكان فيما حباه قطيفة حمراء ذات هدب وطيلسان وطيب . فورد منعج وهو ماء لغنى فاناخ راحلته الى جانب الردهة وعليها خباء رياح بن الاسل الغنوى وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر اليه وهو مثل الثور الابيض . فانتزعه رياح بسهم فقتله ونحر ناقته فأكلها وضم متاعه وغيب أثره وفقد شاس بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد سامتها امرأة رياح بن الاسل . فعلموا ان رياحا صاحب ثارهم فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا

قودا أو دية مع الحسين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح انج لعلنا نصالح القوم على شيء . فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب لا يريان الا أنهما قد خالفا وجهة القوم فمر صرد على رؤسهما فصرصر . فقال ما هذا فما راعهما الا خيل بني عبس فقال الكلابي لرياح انحدر من خلفي والتمس نفقا في الارض فاني شاغل القوم عنك . فانحدر رياح عن عجز الجمل حتى أتى صعدة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب وولج فيه ومضى صاحبه فسالوه فحدثهم . وقال هذه غني جامعة وقد استمكنتم منهم فصدقوه وخلوا سبيله . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك فقال لا أكذب رياح بن الاسل وهو في تلك الصعدات . فقال الحصينان لمن معهما قد أمكننا الله من ثارنا ولا نريدان يشركنا فيه أحد فوقفوا عنهما ومضوا فجعلا يريعان رياح ابن الاسل بالصعدات . فقال لهما هذا عز الكماة الذي تريعانه فابتدراه فرمي أحدهما بسهم فاقصده وطعنه الآخر قبل ان يرميه فاخطاه ومرت به الفرس واستدبره رياح بسهم فقتله . ثم نجا حتى أتى قومه وانصرفا خائبين موتورين . وفي ذلك يقول الكميت ابن زيد الاسدي وكان له أبان من غني :

أنا ابن غني والدي كلاهما * لامين منهم في الفروع وفي الاصل
هم استودعوا زهرا انسيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شاس الملوك وارغموا * اباه زهيرا بالمذلة والنكل

٢ — يوم النفراوات لبني عامر على بني عبس — فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . وكانت هوازن تؤدي اليه اتاوة وهي الخراج فاتته يوما عجوز من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي واعتذرت اليه وشكت سنين تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعسها بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت على قفاها منكشفة فتالى خالد بن جعفر وقال والله لاجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل او اقتل . وكان زهير عدوسا مقداما لا يبالي ما أقدم عليه فاستقل اي انفرد من قومه بابنيه وبني أخويه اسيد وزنباع يرعي الغيث في عشر أوات له وشول فاتاه الحرث بن الشريد وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير . فلما عرف الحرث مكانه ابرز اليه بني عامر بن صعصعة رهط خالد بن جعفر فركب منهم ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن الشريد . وخرج ابن البكاء ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرات ويقال لمعاوية الاخيل وهو جد ليلى الاخيلية وثلاثة فوارس من سائر بني عامر . فقال أسيد لزهير اعلمتني راعية

غنمي انها رأت على رأس الثنية اشباحا ولا أحسبها الاخيل بني عامر فالحق بنا بقومنا . فقال زهير كل ازب نفور وكان اسيد أسعر القفا فذهبت مثلا فتحمل أسيد بمن معه وبقي زهير وابناه ورقاء والحرث وصبحتهم الفوارس : فمرت بزهير فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الاخيل فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيرا وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير . وقال يا آل عامر اقبلوا جميعا فاقبل معاوية فضرب زهيرا على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا وعليه درعان فلم يغن شيئا واجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء . فقال أميت أنا عطشا اسقوني الماء وان كان فيه نفسي فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام . فقال في ذلك ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول ابادر
الى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فياليت اني قبل أيام خالد * ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمرى لقد بشرت بي اذ ولدتني * فماذا الذى ردت اليك البشائر

وقال خالد بن جعفر في قتله زهيرا

بل كيف تكفرني هوازن بعدما * أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

٣ — يوم بطن عاقل لذبيان على عامر — فيه قتل خالد بن جعفر ببطن عاقل وذلك ان خالدا قدم على الاسود بن المنذر أخي النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرجال بن عتبة ابن جعفر فالتقي خالد بن جعفر والحرث بن ظالم بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان عند الاسود بن المنذر . قال فدعا لها الاسود بتمر فجيء به على نطع فجعل بين أيديهم فجعل خالد يقول للحرث بن ظالم يا حارث ألا تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم : قال ساجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحرث قال الاسود لخالد ما دعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفي . فقال له خالد انما هو عبد من عبيدى لو وجدني نائما

ما أيقظني وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرحال . ثم ناما وقد أشرجت عليهما القبة ومع الحرث تبيع له من بنى محارب يقال له خراش . فلما هدأت العيون أخرج الحرث ناقته وقال لخراش كن لى بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر أي البلاد أحب اليك فاعمد لها ثم انطلق الحرث حتى اتي قبة خالد فهتك شرجها . ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا باس عليك وزعم أبو عبيدة انه لم يشعر به حتي أتى خالدا وهو نائم فقتله و نادى عروة عند ذلك واجوار الملك فاقبل اليه الناس وسمع الهتاف الاسود بن المنذر وعنده امرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت . وفى ذلك يقول عبدالله بن جعدة :

شقت عليك العامرية جيبها * أسفا وما تبكى عليك ضلالا
ياحار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
واغرورقت عيناى لما أبصرت * بالجعفرى وأسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سراوتكم * ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضا متلبيا * منا فانا لا نحاول مالا

٤ — يوم رحرحان لعامر على تميم — قال وهرب الحرث بن ظالم و نبت به البلاد فلجا الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فاجاره . فقالت بنو تميم لمعبد مالك آويت هذا المشؤم الانكد وأغريت بنا الاسود وخذلوه غير بنى ماوية وبني عبدالله بن دارم . وفى ذلك يقول لقيط بن زرارة :

فاما نهشل وبنو نعيم * فلم يصبر لنا منهم صبور
فان تعمد طهية فى أمور * تجدها ثم ليس لها نصير
ويربوع باسفل ذى طلوح * وعمرو لا تحل ولا تسير
أسيد والهجيم لها حصاص * وأقوام من الجمراء عور
وأسابنا قبائل من تميم * لها عدد اذا حسبوا كثير
وأما الآنمان بنو عدي * وتيم ان تدبرت الامور
فلا تنعم بهم فتيان حرب * اذا ما الحى صبحهم نذير
اذا ذهبت رماحهم بزبد * فان رماح زيد لا تضير

قال وبلغ الاحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحرث بن ظالم عند معبد فاغزا معبدا فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر ابن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم في فدائه فقال لهما لكما عندي مائتا بعير . فقالا يا أبا نهشل انت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر فلا نقبل فيه الادية ملك فابى ان يزيدهم . وقال لهم ان أبانا أوصانا ان لا نزيد أحدا في ديته على مائتي بعير . فقال معبد للقيط لا تدعني يا لقيط فو الله لئن تركتني لا تراني بعدها أبدا : قال صبرا أبا القعقاع فاين وصاة أبينا ان لا تؤكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذؤب بكم ذؤبان العرب ورحل لقيط عن القوم . قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالا وقيل أبي معبد ان يطعم شيئا أو يشرب حتى مات هزالا . ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت * منية معبد فينا هزالا

وقال جرير :

وليلة وادي رحرحان فررتم * فرارا ولم تلووا زفيف النعائم

تركتم أبا القعقاع في الغل مصفدا * وأي أخ لم تسلموا في الاداهم

وقال آخر :

وبرحرحان غداة كبل معبد * نكحوا بناتكم بغير مهور

٥ — يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم — قال أبو عبيدة : يوم شعب جبلة أعظم أيام العرب وذلك انه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والب عليهم . وبين أيام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة . وكان يوم شعب جبلة قبل الاسلام باربعين سنة وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر حلفاء لهم فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب داحس فاجابته غطفان كلها غير بني بدر . وتجمعت لهم تميم كلها غير بني سعد . وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان حتى أتى لقيط الجون الكلبي وهو ملك هجر . وكان يجبى من بها من العرب : فقال له هل لك في قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معي ابنيك فما أصبنا من مال وسبي فلهما وما أصبنا من دم فلي فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعدا رأس الحول . ثم

أتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده وأطعمه فى الغنائم فاجابه . وكان لقيط وجيها عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهلت الجيوش الى لقيط وأقبل سنان ابن ابي حارثة المري فى غطفان وهو والدهرم بن سنان الجواد . وجاءت بنو أسد وأرسل الجون ابنيـه معاوية وعمرا وأرسل النعمان أخاه لامه حسان بن وبرة الكلبي . فلما توافوا اخرجوا الى بني عامر وقد انذروابهم وتاهبوا لهم . فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحاهوازن لقيس بن زهير ماترى فانك تزعم انه لم يعرض لك أمران الاوجدت فى احدهما الفرج . فقال قيس بن زهير الراى ان ترتحل بالعيال والاموال حتى ندخل شعبه جبلة فتقاتل القوم دونها من وجه واحد فانهم داخـلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فارى لك ان تامر بالابل فلا ترعي ولا تسقى وتعقل ثم نجعل الذرارى وراء ظهورنا وتامر الرجال فتاخذ باذناب الابل فاذا دخـلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم وتحن الى مرعاها وورودها ولا يردوجوهها شيء وتخرج الفرسان فى أثر الرجالة الذين خلف الابل فانها تحطم مالقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل قال الاحوص نعم مارأيت . فاخـذ برأيه ومع بني عامر يومئذ بنو عبس وغنى فى بنى كلاب وباهلة فى بني صعب والابناء ابناء صعصعة . وكان رهط المعقر البارقي يومئذ فى بنى نمير بن عامر . وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . قال أبو عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فم الشعب . فقال لهم رجل من بني أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا . فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فاتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل وعطشوها ثلاثة أخماس وذلك اثنتا عشرة ليلة ولم تطعم شيئا . فلما دخلوا احلوا عقلها فاقبلت تهوى . فسمع القوم دويها فى الشعب قد هدم عليهم والرجالة فى اثرها آخذين باذنابها فدقت كل ما لقيت وفيها بعير اعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

انا الغلام الاعسر * الخير فى والشر * والشر مني اكثر

فانهزموا الايلوون على احد . وقتل لقيط بن زرارة . وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة واسر سنان بن أبي حارثة المرى أسره عروة الرحال فجز ناصيته واطلقه فلم تشنه . واسر عمرو ابن ابي عمرو بن عوين أسره قيس بن المنفق فجز ناصيته وخلاه طمعا فى المكافاة فلم يفعل

وقتل معاوية بن الجون و منقذ بن طريف الاسدى و مالك بن ربعى بن جندل بن نهشل .
فقال جرير

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعا يال دارم
ويوم الصفا كنتم عبيد العامر * وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعنى بالحزن يوم لقيط . وقال جرير أيضا فى بنى دارم :

ويوم الشعب قد تركو القيطا * كان عليه حلة ارجوان
وكبل حاجب بالشام حولا * فحكم ذا الرقيبة وهو عان

وقالت دختنوس أخت لقيط ترثى لقيطا :

قرت بنو اسد فرا * والطير عن أربابها
عن خير خندف كلها * من كهلها وشبابها
وأتمها حسبا اذا * ضمت الى أحسابها

وقال المعقر البارقى :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر * مع الصبح أم زالت قبيل الاباعر
وحلت سليمي فى هضاب وأيكة * فليس عليها يوم ذلك قادر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرعينا بالاياب المسافر
فصبحها أملاكها بكتيبة * عليها اذا أمست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله * وحسان فى جمع الرباب مكاثر
وقد رجعت دودان تبغي لثارها * وجاشت تميم كالفحول تخاطر
وقد جمعوا جمعا كان زهاءه * جراد هفا فى هبوة متطاير
فروا باطناب البيوت فردهم * رجال باطناب البيوت مساعر
فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة * لنا مسمعات بالدفوف وزامر
فلم نقرهم شيا ولكن قراهم * صبوح لدينا مطلع الشمس حازر
وصبحهم عند الشروق كتائب * كاركان سلمى سيرها متواتر
كان نعام الدوباض عليهم * وأعينهم تحت الحبيك خوازر

من الضاربين الهام يمشون مقدما * اذا غص بالريق القليل الحناجر
أظن سراة القوم ان لن يقاتلوا * اذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا حبيل البيض فى غمر لجة * فلم ينج فى الناجين منهم مفاخر
هوي زهدم تحت العجاج لعامر * كما انقض بازأقتم الريش كاسر
يفرج عنا كل ثغر نخافه * مشيح كسرحان القصيمة ضامر
وكل طموح فى العنان كأنها * اذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر
لها ناهض فى الوكر قدمهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
تخاف نساء يبتززن حليلها * محربة قد أحردتها الضرائر

استعار هذا البيت فالقت عصاها من المعقر البارقى اذ كان مثلا فى الناس راشد بن عبد ربه السلمي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبد ربه السلمي أميرا على المظالم والقضاء فقال راشد بن عبد ربه :

صحا القلب عن سلمى واقصر شاوه * وردت عليه تبتغيه تماضر
وحلمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض مني الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوه * بمفرض ذى الآجام عبس بواكر
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت * وحلت فلاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان ان ليس بينها * وبين قري بصرى ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاستعار هذا البيت الاخير من المعقر البارقى ولا أحسبه استجاز ذلك الا لاستعمال العامة له وتمثلهم به :

٦ — يوم مقتل الحرث بن ظالم الحريبة — قال أبو عبيدة : لما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابى أتي صديقا له من كندة فالتف عليه فطلبه الملك فخفى ذكره حتي شخص من عند الكندى وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بنى عجل بن لجيم . فقام بنو ذهل بن ثعلبة و بنو عمرو بن شيبان فقالوا لعجل أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فانه لا طاقة لنا

بالشهباء ودوسروهما كتيبتان للاسود بن المنذر ولا بمحاربة الملك فابت ذلك عليهم عجل . فلما رأي ذلك الحرث بن ظالم كره أن يقع بينهم فتنة بسببه فارتحل من بني عجل الى جبل طيبيء . فأجاروه فقال فى ذلك :

لعمرى لقد حلت بى اليوم ناقتى * على ناصر من طيىء غير خاذل
فأصبحت جارا للمجرة فيهم * على باذخ يعلو يد المتطاول
اذا أجأ لفت على شعابها * وسلمي فاني انتم من تناولى

فمكث عندهم حينا . ثم ان الاسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل الى جارات كن للحرث ابن ظالم فاستاقهن وأموالهن فبلغ ذلك الحرث بن ظالم فخرج من الجبلين فاندس الحرث بن ظالم فى الناس حتى علم مكان جاراته ومرعى ابلهن فاتاهن فاستنقذهن واستاق ابلهن فالحقهن بقومهن واندس فى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المري وهو ابو هرم الذى كان يمدحه زهير . وكان الاسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمي امرأة سنان وهى من بني غنم بن دودان بن أسد . فكانت لا تأمن على ابن الملك أحدا فاستعار الحرث بن ظالم سرج سنان وهو في ناحية الشربة لا يعلم سنان ما يريد واتى بالسرج امرأة سنان وقال لها يقول لك بعلك ابعثي ابنك مع الحرث فاني أريد ان استأمن له الملك وهذا سرجه آية ذلك . قال فزينته سلمى ودفعته اليه فاتى به ناحية من الشربة فقتله . وقال فى ذلك :

اخصى حمار بات يكدم نجمه * اتؤكل جاراتى وجارك سالم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الا كارم
فتكت به لما فتكت بخالد * وكان سلاحي تحتويه الجماجم
بدأت بذاك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

قال وهرب الحرث من فوره ذلك وهرب سنان بن أبي حارثة . فلما بلغ الاسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان فقتل وسبي وأخذ الاموال وأغار على بني دودان رهط سلمي التي كان شرحبيل فى حجرها فقتلهم وسباهم فنشط لذلك . قال فوجد بعد ذلك نعلى شرحبيل فى ناحية الشربة عند بني محارب بن خصفة فغزاهم الملك . ثم أسرهم ثم أحمى الصفا . وقال انى أحذيكم نعالا فامشاهم على ذلك الصفا فتساقطت أقدامهم . ثم ان سيار بن عمرو بن جابر الفزارى احتمل للاسود دية ابنه الف بعير وهي دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفاه بها . فقال فى ذلك :

ونحن رهنا القوس ثمة نوديت * بألف على ظهر الفزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك وفى بها * ليحمد سيار بن عمرو فاسرعا

فكان هذا قبل قوس حاجب . وقال فى ذلك أيضا :

وهل وجدتم حاملا كحامل * اذ رهن القوس بألف كافل
بدية للملك الحلاحل * فافتكها من قبل عام قابل

وهرب الحرث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره . وكان من سببه وقعة رحرحان التي تقدم ذكرها . ثم هرب الحرث حتى لحق بمكة وقريش لانه يقال ان مرة بن عوف بن سعد أبا ذبيان انما هو مرة بن عوف بن لؤى بن غالب فتوسل اليهم بهذه القرابة . وقال فى ذلك :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد * واخوتهم نسبت الى لؤى
الى نسب كريم غير دغل * وحي من أكارم كل حى
فان يك منهم أصلى فمنهم * قرابين الاله بنو قصى

فقالوا هذه رحم كرشاء اذا استغنيتم عنها ادبرتم . قال فشخص الحرث عنهم غضبان . وقال فى ذلك :

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برئنا اليكم من لؤي بن غالب
غدونا على نشز الحجاز وأنتم * بمنشعب البطحاء بين الاخاشب

وتوجه الحرث بن ظالم الى الشام فلحق بيزيد بن عمرو الغسانى فاجاره واكرمه . وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وصرة ملح وانما كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترىء عليه فوحمت امرأة الحرث فاشتهت شحما فى وحمها فانطلق الحرث الى ناقة الملك فانتحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فارسل الملك الى الحسن التغلبي . وكان كاهنا فساله عن الناقة فاخبره ان الحرث صاحبها فهم الملك به . ثم تذمم من ذلك وأوجس الحرث فى نفسه شرا فاتى الحسن التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك فامر بقتله فقال أيها الملك انك قد أجرتنى فلا تغدرن بى . فقال لا ضير ان غدرت بك مرة لقد غدرت بي مرارا وأمر ابن الحسن فقتله وأخذ ابن الحسن سيف الحرث فاتى به عكاظ فى الاشهر الحرم فاراه قيس بن زهير العبسى فضربه قيس فقتله . وقال يرثى الحرث بن ظالم :

وماقصرت من حاضردون سرها * أبر وأوفي منك حار بن ظالم
أعز وأحمى عند جار وذمة * وأضرب فى كاب من النقع قاتم

٧ — حرب داحس والغبراء — وهي من حروب قيس . قال أبو عبيدة :

حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابنى بغيض بن ريث بن غطفان . وكان السبب الذى هاجها ان قيس بن زهير وحمل ابن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق . وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرة لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهي الغاية مائة غلوة والاضمار أربعين ليلة ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد ان أضمروهما أربعين ليلة وفى طرف الغاية شعاب كثيرة فاكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية . قال فارسلوهما فاحضرا . فلما احضرا خرجت الانثي من الفحل . فقال حمل بن بدر سبقتك ياقيس فقال قيس رويدا يعدوان الجرد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل . قال فلما أوغلا فى الجرد وخرجا الى الوعث برز داحس عن الغبراء فقال قيس جرى المذكيات غلاء فذهبت مثلا . فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية . ففى ذلك يقول قيس بن زهير :

وملاقيت من حمل بن بدر * واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر * وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابني بغيض فبقيت أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق . فقال قيس كلا لامطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فدق صلبه ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء وزعموا ان الربيع بن زياد العبسى حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس . ثم أن مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فاخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففى ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا فابي حذيفة أن يرد شيئا . وكان

الربيع بن زياد مجاورا لبني فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته . وكان يقال لهم الكملة وكان مشاحنا لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبني زياد فاتي بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

ألم يأتيك والانباء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى * بادراع وأسياف حداد
وكنت اذا بليت بخصم سوء * دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسالون ويقولون مافعل حماركم قالوا اصدناه . فقال الربيع ماهذا الوحي . قالوا قتلنا مالك بن زهير . قال بئسما فعلتم بقومكم قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم . قالوا لولا انك جارنا لقتلناك وكانت حفرة الجار ثلاثا فقالوا له بعد ثلاث ليال اخرج عنا فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه وأتاه قيس بن زهير فعاقده . وفي ذلك يقول الربيع :

فان تك حربكم أمست عوانا * فاني لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها
فاني غير خاذلكم ولكن * ساسعى الآن اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان الى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع ابن زياد ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر

٨ — يوم المريقب لبني عبس على فزارة — فالتقوا بذي المريقب من أرض الشربة فاقتتلوا . فكانت الشوكة في بني فزارة قتل منهم عوف بن زيد بن عمرو بن أبي الحصين أحد بني عدي بن فزارة وضمضم أبو الحصين المري قتله عنترة الفوارس ونفر كثير ممن لا يعرف أسماؤهم . فبلغ عنترة ان حصينا وهرما ابني ضمضم يشتمانه ويواعدانه . فقال في قصيدته التي أولها :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
ولقد خشيت بان أموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما * والناذرين اذا لم آلقهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

لما رآني قد نزلت أريده ※ أبدى نواجذه لغير تبسم

وفي هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

ولقد علمت اذا التقت فرسانها ※ يوم المريقب ان ظنك أحمق

٩ — يوم ذي حسا لذبيان على عبس — ثم ان ذبيان تجمعت لما اصابت بنو عبس منهم يوم المريقب فزارة بن ذبيان ومرة بن عوف بن سفيان بن ذبيان وأحلافهم فنزلوا فتوافوا بذي حسا وهو وادي الصفا من أرض الشربة وبينها وبين قطن ثلاث ليال وبينها و بين اليعمرية ليلة فهرب بنو عبس وخافوا ان لا نقوم بجماعة بني ذبيان، واتبعوهم حتى لحقوهم فقالوا التفاني أو تقيدون . فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لا يناجزوهم وان يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم . فتوافقوا ان يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو احد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان : فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس . وكان رأى الربيع مناجزتهم فصرفه قيس عن ذلك . فقال الربيع :

أقول ولم أملك لقيس نصيحة ※ أري ماترى والله بالغيب أعلم

أتبقى على ذبيان في قتل مالك ※ فقد حش جاني الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع بن عمرو حتى حضرته الوفاة . فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا تبيد ان أنت حفظت هؤلاء الاغيلمة . فكاني بك لومت قد أتاك خالك حذيفة ابن بدر فعصر لك عينيه . وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتي تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم . فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتي دفعهم اليه فاتي بهم اليعمرية فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول ناد اباك فينادي أباه حتى يقتله

١٠ — يوم اليعمرية لعبس على ذبيان — فلما بلغ ذلك من فعل حذيفة بني عبس أتوهم باليعمرية . فلقوهم بالحرة حرة اليعمرية فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا منهم مالك بن سبيع الذى بذي* بالغلمة الى حذيفة وأخوه يزيد بن سبيع وعامر ابن لوذان والحرث بن زيد وهرم بن ضمضم أخو حصين ويقال ليوم اليعمرية يوم نفر لان بينهما أقل من نصف يوم

١١ — يوم الهباءة لعبس على ذبيان — ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ الى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتي انتصف النهار وحجز الحر بينهم . وكان حذيفة ابن بدر يحرق فخذيه الركض . فقال قيس بن زهير يا بني عبس ان حذيفة غدا اذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف فرس حذيفة والحنفاء فرس حمل بن بدر فقال قيس بن زهير هذا أثر الحنفاء وصارف فقفوا أثرهما حتى توفوا مع الظهيرة على الهباءة فبصر بهم حمل بن بدر . فقال لهم من أبغض الناس اليكم ان يقف على رؤسكم قالوا قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال هذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتي وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وقيس يقول لبيكم لبيكم يعني اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون . وفي الجفر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك بن بدر وورقاء بن هلال من بني ثعلبة بن سعد وحسن بن وهب فوقف عليهم شداد ابن معاوية العبسي وهو فارس جروة وجروة فرسه ولها يقول :

ومن يك سائلا عني فاني * وجروة كالشجا تحت الوريد
أقوتها بقوتي ان شتونا * وألحفها ردائي في الجليد

فحال بينهم وبين خيلهم ثم توافت فرسان بني عبس . فقال حمل ناشدتك الله والرحم يا قيس فقال لبيكم لبيكم فعرف حذيفة انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك والمأثور من الكلام فذهبت مثلا وقال لقيس لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس أبعدها الله ولا أصلحها وجاءه قرواش بمعبلة فقصم صلبه وابتدره الحرث ابن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفيهما حتى ذففا عليه وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر . فقال قيس بن زهير يرثيه :

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكى * عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتي حمل بن بدر * بغي والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بالغلمة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في أسته وفيه يقول قائلهم :

فان قتيلا بالهباءة فى استه * صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهدكم عن ضلالكم * وتعرف اذما فض عنها الخواتم

وقال فى ذلك عقيل بن علفة المرى :

ويوقد عوف للعشيرة ناره * فهلا على جفر الهباءة أوقدا
فان على جفر الهباءة هامة * تنادى بني بدر وعارا مخلدا
وان أبا ورد حذيفة مثغر * بابر على جفر الهباءة اسودا

وقال الربيع بن قعنب :

خلق المخازى غيران بذي حسا * لبني فزارة خزية لاتخلق
تبيان ذلك ان في است أبيهم * شعناء من صحف المخازى تبرق

وقال عمرو بن الاسلع :

ان السماء وان الارض شاهدة * والله يشهد والانسان والبلد
أنى جزيت بني بدر بسعيهم * على الهباءة قتلا ماله قود
لما التقينا على أرجاء جمتها * والمشرفية فى ايماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له * خذها اليك فانت السيد الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوالهم بنى حنيفة ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببني سعد بن زيد بن مناة

١٢ — يوم الفروق — ثم ان بني سعد غدروا لجوارهم فاتوا معاوية الجون فاستجاسوا عليهم وأرادوا أكلهم فبلغ ذلك بني عبس ففروا الليلا وقدموا ظعنهم ووقف فرسانهم بموضع يقال له الفروق . وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم فلم يجدوا الاموا قد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق فاذا بالخيل والفرسان قد توارت الظعن عنهم فانصرفوا عنهم ومضى بنو عبس فنزلوا ببني ضبة فاقاموا فيهم . وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة و بنو بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ثم رجعوا الى قومهم فصالحوهم . وكان أول من سعى فى الحمالة حرملة بن الاشعر بن صرمة بن مرة فمات فسعى فيها هاشم بن حرملة ابنه . وله

يقول الشاعر

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباتين و يوم اليعمله
ترى الملوك حوله مرعبله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

١٣ — يوم قطن — فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين ابن ضمضم فلقي تيجان أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بابيه ضمضم . وكان عنترة ابن شداد قتله بذي المريقب فاشارت بنى عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان . وقالوا الا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة وتناهض القوم عبس وذبيان فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الاسلع عيينة ثم سفرت السفراء بينهم . وأتى خارجة بن سنان ابا تيجان بابنه فدفعه اليه . فقال فى هذا وفاء من ابنك فاخذه فكان عنده أياما . ثم حمل خارجة لابى تيجان مائة بعير قادها اليه واصطلحوا وتعاقدوا

١٤ — يوم غدير قلياد — قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيان الا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فانهم ابوا ذلك . وقالوا لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قلياد فسبقهم بنو عبس الى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشا ودوابهم فاصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة . واياهما يعني زهير بقوله :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فوردوا حربا وأخرجوا عنه سلما . تم حرب داحس والغبراء .

١٥ — يوم الرقم لغطفان على بني عامر — غزت بنو عامر فاغاروا على بلاد غطفان بالرقم وهو ماء لبني مرة وعلى بني عامر عامر بن الطفيل و يقال يزيد بن الصعق فركب عيينة بن حصن في بني فزارة و يزيد بن سنان فى بنى مرة و يقال الحرث ابن عوف . فانهزمت بنو عامر وجعل يقاتل عامر بن الطفيل و يقول يال قيس لا تقتلى تموتى فزعمت بنو غطفان انهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا فدفعوهم الى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم فقتلوهم أجمعين . وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من اصحابه فيهم جراب بن كعب حتى انتهوا الى ماء يقال له المزورات فقطع العطش اعناقهم فماتوا . وخنق نفسه الحكم بن الطفيل تحت شجرة مخافة المثلة . وقال فى ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم لم يخنقون نفوسهم * ومقتلهم تحت الوغا كان أجدرا

١٦ — يوم النتاة لعبس على بنى عامر — خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثارها يوم الرقم تجمعوا على بني عبس بالنتاة وقد أنذروا بهم فالتقوا وعلى بني عامر عامر بن الطفيل وعلى بنى عبس الربيع بن زياد فاقتتلوا اقتتالا شديدا . فانهزمت بنو عامر وقتل منهم صفوان بن مرة قتله الاحنف بن مالك ونهشل بن عبيدة بن جعفر قتله أبو زعبة بن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد وطعن ضبيعة بن الحرث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا عامر وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة فقال خراشة بن عمر والعبسى :

وساروا على أظنابهم وتواعدوا * مياها تحامتها تميم وعامر
كان لم يكن بين الزفاف وواسط * الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
الا أبلغا عنى خليلى عامرا * تنسى سعاد اليوم أم أنت ذاكر
وصدتك أطراف الرماح عن الهوى * ورمت أمورا ليس فيها مصادر
وغادرت هزان الرئيس ونهشلا * فلله عينا عامر من يغادر
وأسلمت عبد الله لما عرفتهم * ونجاك وثاب الجرائم ضامر
قذفتهم فى اليم ثم خذلتهم * فلا وألت نفس عليك تحاذر

وقال ابو عبيدة : ان عامر بن الطفيل هو الذى طعن ضبيعة بن الحرث ثم نجا من طعنته . وقال فى ذلك :

فان تنج منها يا ضبيع فانني * وجدك لم أعقد عليك التمائما

١٧ — يوم شواحط لبني محارب على بني عامر — غزت سرية من بني عامر بن صعصعة بلاد غسان فاغارت علي ابل لبنى محارب بن خصفة فادركهم الطلب فقتلوا من بنى كلاب سبعة وارتدوا ابلهم . فلما رجعوا من عندهم وثب بنو كلاب على حشر وهم من بني محارب كانوا احاربوا اخوتهم فخرجوا عنهم وحالفوا بنى عامر بن صعصعة فقالوا نقتلهم بقتل بني محارب من قتلوا منا فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك . وقال :

أيا راكبا اما عرضت فبلغن * عقيلا وأبلغ ان لقيت أبا بكر
فيا اخوينا من أبينا وأمنا * اليكم اليكم لا سبيل الى حشر
دعوا جانبي انى سأترك جانبا * لكم واسعا بين اليمامة والقفر

أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر * أبي الذم واختار الوفاء على الغدر

١٨ — يوم حوزة الاول لسليم على غطفان — قال ابو عبيدة : كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مرة غطفان كلام بعكاظ . فقال معاوية لوددت والله اني قد سمعت بظعائن يندبنك : فقال هاشم والله لوددت اني قد بريت الرطبة وهي جمة معاوية . وكانت الدهر تنطف ماء ودهنا وان لم تدهن . فلما كان بعد تهيا معاوية ليغزوها شما فنهاه اخوه صخر . فقال كاني بك ان غزوتهم علق بجمتك حسك المرفط . قال فابي معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل ان يراه معاوية وكان هاشم ناقها من مرض أصابه . فقال لاخيه دريد بن حرملة ان هذا ان رآني لم آمن ان يشد علي وأنا حديث عهد بشيكة فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك نفعل فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين فاردي معاوية هاشما عن فرسه الشماء وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية . قال وكر عليه درويد فظنه قد أردى هاشما فضرب معاوية بالسيف فقتله وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حارث الفزاري . قال وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فاخذوها وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خفاف . ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية . فقالوا أنعم صباحا أبا حسان قال حييتم بذلك ما صنع معاوية . قالوا قتل : قال فما هذه الفرس قالوا قتلنا صاحبها . قال اذا قد أدركتم ثاركم هذه فرس هاشم بن حرملة . قال فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام فاتي بني مرة فلما رأوه قال لهم هاشم هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية . فقال من قتل أخي فسكتوا . فقال لمن هذه الفرس التي تحتي فسكتوا . فقال هاشم هلم أبا حسان الى من يخبرك قال من قتل أخي . فقال هاشم اذا اصبتني أو دريدا فقد أصبت ثارك قال فهل كفنتموه . قال نعم في بردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال فاروني قبره فاروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده . ثم قال كانكم قد انكرتم ما رأيتم من جزعي فوالله ما بت منذ عقلت الاوتار أو موتورا أو طالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده

١٩ — يوم حوزة الثاني — قال ثم غزاهم صخر . فلما دنا منهم مضى على الشماء وكانت

غراء محجلة فسود غرتها وتحجيلها فرأته بنت هاشم . فقالت لعمها دريد أين الشماء . قال هي في بني سليم . قالت ما أشبهها بهذه الفرس فاستوى جالسا . فقال هذه فرس بهيم والشماء غراء محجلة وعاد فاضطجع فلم يشعر حتى طعنه صخر . قال فثاروا وتناذروا وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها وعارض دونه البرشجرة بن عبد العزى . وكانت أمه خنساء أخت صخر وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا الى قومه . فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية قتلني الله ان برحت من مكاني حتى أثار به فشد على مالك سيد بني جمح فقتله . فقال في ذلك

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا
نصبت له علوا وقد حام صحبتي * لابني مجدا أولا ثارها لكا
أقول له والرمح ياطر متنه * تامل خفافا انني أنا ذلكا

وقال صخر يرثي معاوية وكان قال له قومه اهج بني مرة . فقال ما بيننا أجل من القذع وأنشأ يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومني * ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالي أن أهجوهم ثم ماليا
أبى الذم اني قد أصابوا كريمتي * وان ليس اهداء الخنى من سماتيا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب الناس عني معاويا
وهون وجدي انني لم أقل له * كذبت ولم ابخل عليه بماليا
وذي اخوة قطعت اقران بينهم * كما تركوني واحدا لا أخاليا

وقال في قتل دريد :

ولقد دفعت الى دريد طعنة * نجلاء تزغل مثل غط المنخر
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة : واما هاشم بن حرملة فانه خرج منتجعا فلقيه عمرو بن قيس الجشمي فتبعه . وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي ان وأل . فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر حتى اذ دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفة فقتله . وقال في ذلك :

اني قتلت هاشم بن حرمله * اذا الملوك حوله مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

٢٠ — يوم ذات الاثل — قال أبو عبيدة: ثم غزا صخر بن عمرو الشريد بني أسد ابن خزيمة واكتسح ابلهم فتى الصريخ بني أسد . فركبوا حتى تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الاسدى صخرا فى جنبه وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من الطعنة فكان مريضا قريبا من الحول حتى مله أهله فسمع امرأة من جاراته تسال سلمي امرأته كيف بعلك قالت لاحى فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين وكانت تسال أمه كيف صخر فتقول أرجو له العافية ان شاء الله . فقال فى ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعى ومكاني
فاي امرىء ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان
وما كنت أخشى أن تكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة . قالوا له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شانكم فقطعوها فمات . فقالت الخنساء أخته ترثيه :

فما بال عيني مابالها * لقد أخضل الدمع سربالها
أمن فقد صخر من آل الشريد حلت به الارض أثقالها
فآليت أبكي على هالك * وأسال نائحة مالها
هممت بنفسى كل الهموم * فاولى لنفسى أولى لها
ساحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

وقالت ترثيه .

وقائلة والنفس قد فات خطوها * لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

٢١ — يوم عدنية وهو يوم ملحان — قال أبو عبيدة : هذا اليوم قبل يوم ذات الاثل وذلك ان صخرا غزا بقومه وترك الحى خلوا فاغارت عليهم غطفان فثارت اليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقون . فقال فى ذلك صخر :

جزى الله خيرا قومنا اذ دعاهم * بعـد نية الحى الخلوق المصبح
وغلماننا كانوا أسـودا خفية * وحق علينا ان يثابوا و يمدحـوا
هـم نفروا اقرانهـم بمضرس * وسعر وذادوا الجيش حتي تزحزحوا
كانهـم اذ يطـردون عشـية * بقيـة ملحان نعـام مروح

٢٢ — يوم اللوى لغطفان على هوازن — قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصمة واسم الصمة معاوية الاصغر من بني غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كني فاسمه عبد الله وخالد ومعبد وكنيته أبو فرغان وأبو دقافة وأبو ووفاء وهـو أخو دريد بن الصمة لابيـه وأمـه . فاغار عـلى غطفان فاصاب منهـم ابلا عظيمـة فاطردهـا . فقال له أخوه دريد النجاء فقـد ظفرت فابى عليـه وقال لا أبرح حتى انتقع نقيعتى والنقيعة ناقـة ينحرهـا من وسط الابل فيصـنع منهـا طعاما لاصحـابه ويقسم ما أصاب عـلى أصحابه . فاقام وعصى أخاه فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى فقتل عبد الله وارتث دريد فبقي فى القتلى . فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان . فقال أحدهما لصاحبه انى أرى عينيـه تبص فانزل فانظر الى نفسـه فنزل فكشف ثوبه فاذا هى تزمر فطعنه فخرج دم قـد كان احتقن . قال دريد فافقت عنـدها فلمـا جاوزونى نهضت . قال فما شـعرت الا وأنا عنـد عرقوبي جمـل امرأة من هوازن . فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك قلت لا بل من أنت ويلك قالت امرأة من هـوازن سيارة قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة . قال وكانت فى قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتي أفاق . فقال دريد يرثى عبد الله أخاه ويذكر عصيانه له وعصيان قومه بقوله :

أعاذل ان الرزء فى مثـل خالد * ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
وقلت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بني السوداء والقوم شهدى
علانيـــة ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى السابرى المسرد
أمرتهم أمرى بمنقطع اللوي * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وانني غـير مهتـد
وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

فان تعقب الايام والدهر تعلموا * بني غالب أنا غضاب لمعبد
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلي مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد
ولا بر ما اذا الرياح تناوحت * برطب العضاه والضريع المنضد
كميش الازار خارج نصف ساقه * صبور على الضراء طلاع انجد
قليل التشكي للمصائب حافظ * عليم باعقاب الاحاديث في غد
وهون وجدي انني لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي

أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم حتى اذا كانوا في واد لبني كنانة يقال له الاخرم وهم يريدون الغارة على بني كنانة اذرفع له رجل في ناحية الوادي معه ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارس من أصحابه صح به خل عن الظعينة وانج بنفسك فانتهى اليه الفارس وصاح به وألح عليه فالقى زمام الناقة وقال للظعينة :

سيري على رسلك سير الامن * سير رداح ذات جاش ساكن
ان التأني دون قرني شائن * ابلي بلائي واخبري وعاين

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فاعطاه للظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ماصنع صاحبه . فلما انتهي اليه ورأي ماصنع صاح به فتصامم عنه كان لم يسمع فظن انه لم يسمع فغشيه فالقى زمام الراحلة الى الظعينة . ثم خرج وهو يقول :

خل سبيل الحرة المنيعه * انك لاق دونها ربيعه * في كفه خطية مطيعه
أولا فخذها طعنة سريعه * والطعن مني في الوغى شريعه

ثم حمل عليه فصرعه . فلما ابطأ على دريد بعث فارسا لينظر ماصنعا . فلما انتهى اليهما وجدهما صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجر رمحه . فقال للظعينة اقصدي قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس * ألم تر الفارس بعد الفارس * أرداهما عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه وارتاب دريد فظن انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد ربيعة وقد دنا من الحي ووجد أصحابه قد قتلوا . فقال أيها الفارس ان مثلك لا يقتل

ولا أرى معك رمحك والخيل ثائرة بأصحابك فدونك هذا الرمح فاني منصرف الى أصحابى ومثبطهم عنك فانصرف الى أصحابه . فقال ان فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم . فقال دريد فى ذلك :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * حامي الظعينة فارسا لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة * ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه * مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجى ظعينته و يسحب رمحه * متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه * مثل البغاث خشين وقع الاجدل
ياليت شعرى من أبوه وأمه * ياصاح من يك مثله لا يجهل

وقال ابن مكدم :

ان كان ينفعك اليقين فسائلى * عني الظعينة يوم وادي الاخرم
اذ هي لاول من أتاها نهبة * لولا طعان ربيعة بن مكدم
اذ قال لى ادنى الفوارس منهم * خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه * عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهويت بالرمح الطويل اهابة * فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة * نجلاء فاغرة كشدق الاضجم
ولقد شفعتها بآخر ثالث * وأبى الفرار عن العداة تكرمى

ثم لم يلبث بنو كنانة ان غارت على بني جشم فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فاخفى نفسه . فبينما هو عندهم محبوس اذ جاءت نسوة يتهادين اليه فصاحت احداهن . فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جرى علينا هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها . فقالت يا آل فراس أنا جارة لكم منه هذا صاحبنا يوم الوادى فسالوه من هو . فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي قالوا ربيعة بن مكدم . قال فما فعل . قالوا قتلته بنو سليم . قال فما فعلت الظعينة قالت المرأة أنا هي وأنا امرأته فحبسه القوم وائتمروا أنفسهم . فقال بعضهم لا ينبغى لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال الآخرون لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذى أسره فانبعثت المرأة في الليل وهي ريطة بنت جذل الطعان . فقالت :

سنجزي دريداعن ربيعة نعمة * وكل امرىء يجزى بما كان قدما
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وان كان شرا كان شرا مذمما
ستجزيه نعمى لم تكن بصغيرة * باعطائه الرمح الطويل المقوما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم * ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فان كان حيا لم يضق بثوابه * ذراعا غنيا كان أو كان معدما

فلما أصبحوا أطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه فلم يزل كافا عن حرب بني فراس حتى هلك :

٢٣ — يوم الصلعاء لهوازن على غطفان — فلما كان فى العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلعاء فخرجت اليه غطفان . فقال دريد لصاحبه ماترى قال أرى خيلا عليها رجال كانهم الصبيان أسنتها عند آذان خيلها قال هذه فزارة . ثم قال انظر ماتري قال أرى قوما كان عليهم ثيابا غمست فى الجاب المعزى . قال هذه أشجع . ثم قال انظر ماترى قال أري قوما يهزون رماحهم سودا يخدون الارض باقدامهم . قال هذه عبس أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا فالتقوا بالصلعاء فكان الظفر لهوازن على غطفان وقتل دريد دواب بن أسماء بن زيد بن قارب

٢٤ — حرب قيس وكنانة يوم الكديد لسليم على كنانة — فيه قتل ربيعة بن مكدم فارس كنانة وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وهو أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وفيهم يقول على بن أبي طالب لاهل الكوفة وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة الف ثلثمائة من بنى فراس بن غنم . وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره . ومر به حسان بن ثابت وقتلته بنوسليم يوم الكديد ولم يحضر يوم الكديد أحد من بنى الشريد

٢٥ — يوم برزة لكنانة على سليم — قال أبو عبيدة : لما قتلت بنوسليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة رجعوا أقاموا ماشاء الله ثم ان ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد واسم الشريد عمرو . وكانت بنوسليم قد توجوا الكا وأمروه عليهم فغزا بنو كنانة فاغار على بني فراس ببرزة ورئيس بني فراس عبدالله بن جذل فدعا عبدالله الى البراز . فبرز اليه هند بن خالد بن صخر ابن الشريد . فقال له عبدالله من أنت قال أنا هند بن خالد بن صخر . فقال عبدالله أخوك أسن

منك يريد مالك بن خالد فرجع فاحضر أخاه فبرزله فجمل عبدالله بن جذل يرتجز ويقول .

أدنوا بنى فرق القمع * أنى اذا الموت كنع * لا أستغيث بالجزع

وشد على مالك بن خالد فقتله . فبرز اليه أخوه كرز بن خالد بن صخر فشد عليه عبدالله بن جذل فقتله أيضا فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد . فتخالفا طعنتين فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا وكان عمرو قد نهى أخاه مالكا عن غزو بني فراس فعصاه وانصرف للغزو عنهم . فقال عبدالله بن جذل :

تجنبت هندا رغبة عن قتاله * الى مالك أعشو الى ضوء مالك
فايقنت أنى ثائر ابن مكدم * غداة اذ أو هالك فى الهوالك
فانفذته بالرمح حين طعنته * معانقة ليست بطعنة باتك
وأثنى لكرز فى الغبار بطعنة * علت جلده منها باحمر عاتك
قتلنا سليما غثها وسمينها * فصبرا سليم قد صبرنا لذلك
فان تك نسواني بكين فقد بكت * كما قد بكت أم لكرز و مالك

وقال عبد الله بن جذل :

قتلنا مالكا فبكوا عليه * وهل يغنى من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا * تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذاك بنو سليم * فقد و أبيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا * وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم * أخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل * تداركها وقد حمس اللقاء

٢٦ — يوم الفيفاء لسليم على كنانة — قال أبو عبيدة : ثم ان بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن حتى يدركوا بثارهم من بني كنانة فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس فقتل منهم نفرا منهم عاصم بن المعلى ونضلة والمعارك وعمرو بن مالك وحصن وشريح وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم . فقال عباس بن مرداس فى ذلك يرد على ابن جذل فى كلمته التى قالها يوم برزة :

أبلغا عني ابن جذل ورهطه * فكيف طلبنا كم بكرز ومالك
غداة فجعنا كم بحصن وبابنه * وبابن المعلي عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثارنا هم به * جميعا وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم والموت يبني سرادقا * عليكم شباحد السيوف البواتك
تلوح بايدينا كما لاح بارق * تلالأ في داج من الليل حالك
صبحنا كم لعوج العناجيج بالضحى * تمر بنا مر الرياح السواهك
اذا خرجت من هبوة بعد هبوة * سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد :

قتلت بمالك عمرا وحصنا * وخابت القتام على الخدود
وكرزا قد أبات به شريحا * على أثر الفوارس بالكديد
جزيناهم بما انتهكوا وزدنا * عليه ما وجدنا من مزيد
جلبنا من جنوب العود جردا * كطير الماء غلس للورود

قال فلما ذكر هند بن خالد يوم الكديد وافتخر به ولم يشهده أحد من بني الشريد غضب من ذلك نبيشة بن حبيب فانشا يقول:

تبجح صعبنا في كل يوم * كمخضوب البنان ولا يصيد
وتاكل مايعاف الكلب منه * وتزعم ان والدك الشريد
أبى لى أن أقر الضيم قيس * وصاحبه المزور به الكديد

٢٧ — حرب قيس وتميم يوم السريان لبني عامر على بني تميم — قال أبو عبيدة أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا. ورئيس ضبة حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه فاسره يزيد بن الصعق وانهزمت تميم . فلما رأي ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده فشد على درار بن عمرو القيسي وهو الرويم. وقال لابنه أدهم اغنه عني فشد عليه فطعنه فتحول عن سرجه الى جنب أبدانه . ثم لحقه فقال لاحد بنيه اغنه عني ففعل مثل ذلك ثم لحقه فقال لابن له آخر اغنه عني ففعل مثل ذلك فقال ماهذا الا ملاعب الاسنة فسمي عامر من يومئذ ملاعب الاسنة . فلما دنا منه قال له درار اني لاعلم ماتريد أتريد اللبب . قال نعم قال انك لن تصل الي ومن هؤلاء عين تطرف كلهم بنو عامر. قال له عامر فاحلني على غيرك فدله على حبيش بن الدلف وقال

عليك بذلك الفارس فشد عليه فاسره . فلما رأى سواده وقصره جعل يتفكر وخاف ابن الدلف أن يقتله . فقال ألست تريد اللبب قال بلى . قال فاني لك به وفادي حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بالف بعير فداء الملوك فكثر مال يزيد ونما . ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذى ليسان وذوليسان عن يمين العرنيين

٢٨ — يوم أقرن لبنى عبس على بني دارم — غزا عمرو بن عمرو بن عدس من بني دارم وهو فارس بني مالك بن حنظلة فاغار على بنى عبس وأخذ ابلا وشاء ثم أقبل حتي اذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فابتني بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا . وانهزمت بنو مالك بن حنظلة وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو . وقال بعضهم قتل فى غير هذا اليوم وار تدواما كان فى أيدي بني مالك فنعي ذلك جرير على بني دارم فقال :

هل تذكرون لدى ثنية أقرن * أنس الفوارس حين يهوى الاسلع

وكان عمرو أسلع أى أبرص . وكان لسماعة بن عمرو خال من بنى عبس فزاره يوما فقتله بابنه عمرا

٢٩ — يوم المروت لبني العنبر على بني بشير — أغار بجير بن سلمة بن أقيش على بني العنبر بن عمرو بن تميم فاتي الصريخ بني عمرو بن تميم فاتبعوه حتي لحقوه وقد نزل المروت وهو يقسم المرباع و يعطي من معه فتلاحق القوم واقتتلوا فطعن قعنب بن عتاب الهيثم بن عامر العنبري فصرعه فاسره وحمل الكدام وهو يزيد بن أزهر المازنى على بجير بن سلمة فطعنه فارداه عن فرسه . ثم نزل اليه فاسره فابصره قعنب بن عتاب فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله فانهزم بنو عامر وقتل رجالهم . فقال يزيد بن الصعق يرثى بجيرا :

أواردة على بني رياح * بفخرهم وقد قتلوا بجيرا

فاجابته العوراء من بنى سليطة بن يربوع وهى تقول :

قعيدك يا يزيد أبا قبيس * أتنذركى تلاقينا النذورا
وتوضع بجمر الركبان انا * وجدنا فى مراس الحرب خورا
ألم تعلم قعيدك يا يزيد * بانا نقمع الشيخ الفجورا

ونفقأ أنا نظر به ولا نبالي * ونجعل فوق هامته الدرورا
فابلغ ان عرضت بني كلاب * فانا نحن أقعصنا بجيرا
وضرجنا عبيدة بالعوالي * فاصبح موثقا فينا أسيرا
أنخرا في الخلاء بغير فخر * وعند الحرب خوارا ضجورا

٣٠ — يوم دارة مأسل لتميم على قيس — غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابي بني ضبة فاستاق نعمهم وقتل حصن بن ضرار الضبي زيد الفوارس . فجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائرا بابنه حصين وزيد الفوارس يومئذ حدث لم يذكر . فاغار على بني عمرو بن كلاب وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير بن خالد وكان شيخا كبيرا أعور . فاتي به قومه فقال يا شتير اختر واحدة من ثلاث قال اعرضها علي قال اما ان تردا بني حصينا قال فاني لا أنشر الموتى . قال واما ان تدفع الى ابنك عتبة أقتله به قال لا ترضى بذلك بنو عامر ان يدفعوا فارسهم شابا مقتبلا بشيخ أعور هامة اليوم أو غد . قال : واما ان أقتلك قال اما هذه فنعم . قال فامر ضرار ابنه ادهم أن يقتله . فلما قدمه ليضرب عنقه نادي شتير يا آل عامر صبرا بصبي كانه أنف ان يقتل بصبي فقال في ذلك شمعلة في كلمة له طويلة :

وخيرنا شتيرا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليت منه * وبين قصاص لمته عذارا

وقال الفرزدق يفخر بايام ضبة :

ومغبوقة قبل القيان كانها * جراد اذا أجلى على القزع الفجر
عوابس ماتنفك تحت بطونها * سرابيل أبطال بنائقها حمر
تركن ابن ذي الجدين يسبح مسندا * وليس له الا الأ لاء له قبر
وهن على خدي شتير بن خالد * أثير عجاج من سنابكها كدر
اذا لبست للباس يغشى ظهورها * اسود عليها البيض عادتها الهصر
يهزون أرماحا طوالا متونها * بهن الغني يوم الكريهة والفقر

٣١ - أيام تميم على بكر يوم الوقيط - قال فراس بن خندف تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون فرأى ذلك ناشب بن الاعور بن بشامة العنبري وهو أسير في بني سعد بن مالك ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة . فقال لهم اعطوني رسولا أرسله الى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا

ليولوه مثل الذى يولوني من البر به والاحسان اليه . وكان حنظلة بن الطفيل الربدى أسيرا فى بني العنبر . فقالوا له على ان توصيه ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام لهم . فقال لقد اتيتموني باحمق وما أراه مبلغا عني . قال الغلام لا والله ما أنا باحمق وقل ما شئت فاني مبلغه فملأ الاعور كفه من الرمل . فقال كم هذا الذي فى كفى من الرمل قال الغلام شيء لا يحصى كثرة . ثم أوما الى الشمس وقال ما تلك قال هي الشمس . قال فاذهب الى قومي فابلغهم عني التحية وقل لهم يحسنوا الي أسيرهم ويكرموه فاني عند قوم محسنين الى مكرمين لى وقل لهم يقروا جملى الاحمر . ويركبوا ناقتى العنساء ويرعوا حاجتي فى بني مالك . وأخبرهم ان العوسج قد اورق ، وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة ، فانه مشؤم ويطيعوا ابن الاخنس فانه حازم ميمون . قال فاتاهم الرسول فابلغهم . فقال بنو عمرو بن تميم ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الاعور بعدنا . فوالله ما نعرف له ناقة عنساء ولا جملا أحمر فشخص الرسول . ثم ناداهم هذيل يا بني العنبر قد بين لكم صاحبكم اما الرمل الذى قبض عليه فانه يخبركم انه اتاكم عدد لا يحصى . واما الشمس التي أوما اليها فانه يقول ان ذلك اوضح من الشمس . واما جمله الاحمر فانه هو الصمان يامركم ان تقروه . واما ناقته العنساء فهي الدهناء يامركم ان تحترزوا منها . واما ابناء مالك فانه يامركم أن تنذروا بني مالك بن زيد مناة وان تمسكوا الحلف بينكم وبينهم . واما العوسج الذي اورق فيخبركم ان القوم قد لبسوا السلاح . واما تشكي النساء فيخبركم بانهن قد عملن عملا يغزون به . قال فتحرزت عمرو فركبت الدهناء وانذروا بنى مالك فقالوا لسنا ندرى ما يقول بنو عمرو ولسنا متحولين لما قال صاحبكم . قال فصبحت اللهازم بني حنظلة فوجدوا عمرا قد خلت . وانما أرادوهم على الوقيط وعلى الجيش ابجر بن جابر العجلى وشهدها ناس من تيم الله وشهدها الغرز بن الاسود بن شريد من بنى سنان فاقتتلوا فاسر ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وتنازع فى أسره بشر بن الفرما من تيم الله . والغرز ابن الاسود فجز ناصيته وحلا أسره من تحت الليل . وأسر عمرو بن قيس من بني ربيعة بن عجل . وأسر عثجل بن المامون بن شيبان بن علقمة من بنى زرارة ومن عليه . وأسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ودربان بن زياد وقيس ابن خالد وردوها الى أهلها . وعير جرير بن الخطفى بني دارم باسر ضرار وعثجل وبني غمامة . فقال :

اغمار لو شهد الوقيط فوارسي * ما فيه يقتل عنجل وضرار

فاسر حنظلة المأمون بن شيبان بن علقمة أسره طلبسة بن زياد أحد بنى ربيعة . وأسر حوثرة ابن بدر من بني عبدالله بن دارم فلم يزل فى الوثاق حتى قال ابياتا يمدح فيها بني عجل . وانشا يتغنى بها رافعا عقيرته :

وقائلة ماغاله ان يزورها * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل

وقد أدركتني والحوادث جمة * مخالب قوم لاضعاف ولا غزل

سراع الى الداعي بطاء عن الخنا * رزان لدي النادى من غير ما جهل

لعلهم ان يمطروني بنعمة * كما طاب ماء المزن في البلد المحل

فقد ينعش الله الفتي بعد عسرة * وقد يبتدى الحسني سراة بني عجل

فلما سمعوه أطلقوه . وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وعمرو بن ناشب . وأسر سنان بن عمرو أخو بني سلامة بن كندة من بنى دارم . وأسر حاضر بن ضمرة وأسر الهيثم بن صعصعة . وهرب عوف بن القعقاع عن اخوته . وقتل حكيم النهشلى وذلك انه لم يزل يقاتل وهو يرتجز ويقول :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدني من شراك نعله

وفيه يقول عنترة الفوارس .

وغادرنا حكيما فى مجال * صريعا قد سلبناه الازارا

٣٢ — يوم النباج ونبتل لبكر على تميم — الحسني قال: أخبرنا ابو حسان العبدى واسمه رفيع عن ابى عبيدة معمر بن المثني قال : غدا قيس بن عاصم فى مقاعس وهو رئيس عليها ومقاعس هو صريم ور بيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحمانى فى الحارث وهم حمان ور بيعة ومالك والاعرج بنو كلب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة واللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم . وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج ونبتل وبينهما روحة . فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب في الاغارة . ثم اتفقا على ان يغير قيس على أهل النباج . ويغير سلامة على أهل النبتل . قال فبعث قيس بن عاصم للاهتم

سبقة له والسبقة الطليعة فاتاه الخبر . فلما أصبح قيس سقى خيله ثم اطلق بافواه الروايا . وقال لقومه قاتلوا فان الموت بين أيديكم والفلاة بين أيديكم ومن ورائكم . فلما دنوا من القوم صبحا سمعوا ساقيا يقول لصاحبه ياقيس أورد فتفاءلوا به . فاغاروا على النباج قبل الصبح فقاتلوهم قتالا شديدا . ثم ان بكرا انهزمت فاسر الاهتم حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد واصابوا اغنائم كثيرة . فقال قيس لاصحابه لا مقام دون النبتل فالنجاة النجاة فاتوا النبتل ولم يغز سلامة ولا أصحابه بعد فاغار عليهم قيس بن عاصم فقاتلوه . ثم انهزموا فاصاب إبلا كثيرة . فقال سلامة انكم اغرتم على ما كان أمره الى فتلاحوا فى ذلك ثم اتفقوا على ان سلموا اليه غنائم نبتل ففى ذلك يقول ربيعة بن ظرب :

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز وموئل
وأنت الذى خويت بكر بن وائل * وقد عضلت منها النباج ونبتل
غداوغدت يا آل شيباز اذرأت * كراديس يزجيهن وردمحجل
وظلت عقاب الموت تهفو عليهم * وشعث النواصى لجمهن تصلصل
فما منكم ابناء بكر بن وائل * لغارتنا الاركوب مذلل

وقال جرير يصف ماكان من اطلاق قيس بن عاصم أفواه المزاد بقوله :

وفى يوم الكلاب ويوم قيس * هراق على مساحة المزاد

وقال مرة بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذى شق المزادوقد رأى * بنبتل أحياء اللهازم حضرا
وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * ولم يجدوا الا الاسنة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا بالسنابك أكدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ماأوردالامر أصدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا عن ذراعيه أسمرا
وجشامة الذهلى قدناه عنوة * الى الحى مصفود اليدين مكفرا

٣٣ — يوم زرود الثاني لبني يربوع علي بني ثعلب — أغار خزيمة بن طارق التغلبي

على بني يربوع وهم بزرود فبدروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم انهزمت بنو تغلب وأسر خزيمة بن طارق أسره أنيف بن جبلة الضبي وهو فارس السليط . وكان يومئذ معتلا في بني يربوع وأسيد بن جبلة السليطي . فتنازعا فيه فحكما بينهما الحرث بن قراد وأم الحرث امرأة من بني سعد بن ضبة . فحكم بناصية خزيمة للانيف بن جبلة على ان لاسيد على انيف مائة من الابل . قال ففدا خزيمة نفسه بمائتي بعير وفرس قال أنيف :

أخذتك قسرا يا خزيم بن طارق * ولاقيت مني الموت يوم زرود

وعانقته والخيل تدمي نحورها * فانزلته بالقاع غير حميد

وهذه أيام كلها لبني يربوع على بني بكر من ذلك . يوم ذي طلوح وهو يوم أود ويوم الحائر . ويوم ملهم . ويوم القحقح وهو يوم مالة . ويوم رأس عين . ويوم طخفة . ويوم الغبيط . ويوم مخطط . ويوم جدود . ويوم الجبابات . ويوم زرود الثاني

٣٤ — يوم ذي طلوح لبني يربوع على بكر — كان عميرة بن طارق بن حصينة ابن أريم بن عبيد بن ثعلبة تزوج مزنة بنت جابر اخت ابجر بن جابر العجلي . فخرج حتى ابتنى بها في بني عجل فاتى ابجر أخته مزنة امرأة عميرة يزورها فقال لها اني لا ارجو أن آتيك ببنت النطف امرأة عميرة التي في قومها . فقال له عميرة أترضى أن تحاربني وتسبيني . فندم أبجر وقال لعميرة ما كنت لاغز وقومك . ثم غزا ابجر الحوفزان متساندين هذا فيمن تبعه من بني شيبان . وهذا فيمن تبعه من بني اللهازم وساروا بعميرة معهم قد وكل بهم أبجر أخاه حرفشة بن جابر . فقال له عميرة لو رجعت الى أهلي فاحتملتهم فقال حرفشة افعل فكر عميرة على ناقته . ثم مطل عن الجيش فسار يومين وليلة حتى أتى بني يربوع فانذرهم الجيش فاجتمعوا حتى التقوا باسفل ذي طلوح . فاول ما كان فارس طلع عليهم عميرة فنادى يا ابجر هلم . فقال من أنت قال أنا عميرة فكذبه فسفر عن وجهه فعرفه فاقبل اليه والتقت الخيل بالخيل . فاسر الجيش الا أقلهم وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . وكان في بني يربوع الحوفزان بن شريك وأخذه معه مكبلا وأخذ طارق سوادة بن بجير ابن غم أخاه واخذ أبو غنمة الضبي الشاعر مع بني شيبان فافتكه متمم بن نويرة . فقال ابن غنمة يمدح متمم بن نويرة :

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير جزاء ما اعف وأمجدا

أجيرت به آباؤنا وبناتنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل انى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال مرصدا

وأسر سويد بن الحوفزان وأسر أسود وفلحس وهما من بنى سعد بن همام . فقال جرير فى ذلك يذكر يوم ذى طلوح :

ولما لقينا خيل أبجر يدعى * بدعوى لجيم قبل ميل العوائق
صبرنا وكان الصبر منا سجية * باسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلما رأوا ان لا هوادة عندنا * دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

٣٥ — يوم الحائز وهو يوم ملهم لبني يربوع على بكر — وذلك ان ابا مليك عبيدالله بن الحرث بن عاصم بن حميد وعلقمة أخاه انطلقا يطلبان ابلا لهما حتي وردا ملهم من ارض اليمامة . فخرج عليهما نفر من بني يشكر فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مليك فكان عندهم ماشاء الله ثم خلوا سبيله وأخذوا عليه عهدا وميثاقا أن لا يخبر بامر أخيه أحدا . فاتي قومه فسالوه عن أمر اخيه فلم يخبرهم . فقال وبرة بن حمزة هذا رجل قد اخذ عليه عهد وميثاق فخرجوا يقصون أثره ورئيسهم شهاب بن عبد القيس حتي وردوا ملهم . فلما رآهم أهل ملهم تحصنوا فحرقت بنو يربوع بعض زرعهم وعقروا بعض نخلهم . فلما رأى ذلك القوم نزلوا اليهم فقاتلوهم فهزمت بنو يشكر وقتل عمرو بن صابر صبرا ضربوا عنقه . وقتل عيينة بن الحرث بن شهاب بن مثلم بن عبيد بن عمرو رجلا آخر منهم . وقتل مالك بن نويرة حمران بن عبدالله وقال :

طلبنا بيوم مثل يومك علقما * لعمري لمن يسعى بها كان اكرما
قتلنا بجنب العرص عمرو بن صابر * وحمران أقصدناهما والمثلما
فلله عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم مثل ملهما

٣٦ — يوم القحقح وهو يوم مالة — لبني يربوع على بنى بكر أغارت بنو ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة بن ربيعة بن ذهل فاخذوا ابلا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد وانطلقوا فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم . فكانت الدائرة على بني ربيعة وقتل المنهال بن عصمة المجبه بن ربيعة فقال في ذلك ابن تمراز الرياحى :

واذا لقيت القوم فاطعن فيهم * يوم اللقاء كطعنة المنهال

ترك المجبه للضباع منكسا * والقوم بين سوافل وعوال

٣٧ — يوم رأس العين لبني يربوع على بكر — أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فاطردوا النعم فاتبعهم معاوية بن فراس في حي أبي ربيعة فادركوهم . فقتل معاوية بن فراس وفاتوا بالابل . وقال سحيم في ذلك :

أليس الاكرمون بنو رياح * نموني منهم عمي وخالي
هم قتلوا المجبه وابن تيم * تنوح عليهما سود الليالي
وهم وقتلوا عميد بني فراس * برأس العين في الحجج الخوالي
وذادوا يوم طخفة عن حماهم * ذياد غرائب الابل النهالي

٣٨ — يوم العظالى لبني يربوع على بكر — قال أبو عبيدة : وهم يوم أعشاش ويوم الافاقة . ويوم الاياد . ويوم مليحة قال وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس . وكانوا يجبرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن . وكانوا يشتون خفافا فاذا انقطع الشتاء انحدروا الى الحزن قال فاحتمل بنو عيينة و بنو عبيدة و بنو زبيد من بني سليط من أول الحي حتى استهلوا ببطن مليحة . فطلعت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديقة والافاقة . وحلت بنو عبيدة و بنو عتيبة بعين بروضة الثمد قال وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الحصاء ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بن أضبط فعرفه بسطام وقد كان عرفه عامة غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة قال وقال سليط بل هو المطوح بن قرواش . فقال له بسطام أخبرني ماذاك السواد الذي أرى بالحديقة قال هم بنو زبيد قال أفيهم أسيد بن حيوة قال نعم قال كم هم قال خمسون بيتاً قال فاين بنو عتيبة وابن بنو ربيع قال نزلوا روضة الثمد . قال فاين سائر الناس قال هم محتجزون بخفاف . قال فمن هناك من بني عاصم قال الاحيمر وقعنب ومعدان ابنا عصمة . قال فمن فيهم من بني الحرث بن عاصم . قال حصين بن عبدالله . فقال بسطام لقومه أطيعوني تقبضوا على هذا الحي من زبيد وتصبحوا سالمين غانمين قالوا وما يغني عنا بنو زبيد لا يودون رحلتنا قال ان السلامة احدى الغنيمتين . فقال له مفروق انتفخ سحرك ياأبا الصهباء . وقال له هانيء احينا فقال لهم ويلكم ان أسيدا لم يظله بيت قط شاتيا ولا قائظا انما بيته القفر فاذا أحس بكم اجال على الشقراء فركض

حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل يربوع فتركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولا يبصر أحد كم مصرع صاحبه وقد جئتموني وأنا تابعكم وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غدا . فقالوا نلتقط بني زيد ثم نلتقط بني عبيد وبني عتيبة كما نلتقط الكمأة وبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء ثم خرج نحو بني يربوع فابتدره الفارسان فطعن أحدهما فالقى نفسه في شق فاخطاه . ثم كر راجعا حتي أشرف على مليحة فنادى ياصباحاه يا آل يربوع غشيتم فتلاحقت الخيل حتي توافوا بالغطفان فاقتتلوا فكانت الدائرة على بني بكر فقتل منهم مفروق بن عمرو فدفن بثنية يقال لها ثنية مفروق . و المقاعس الشيباني . وزهير بن الحرور الشيباني وعمرو بن الحرور الشيباني . والدمس بن المقاعس وعمير بن الوراك . والضريس . وأما بسطام فالح عليه فارسان من بني يربوع وكان دارعا على ذات النسوع . وكانت اذا أجردت لم يتعلق بها شيء من خيلهم . واذا أوعثت كادوا يلحقونها . فلما رأي ثقل درعه وضعها بين يديه على القربوس وكره ان يرمى بها وخاف أن يلحق في الوعث فلم يزل ديدنه وديدن طالبيه حتى حميت الشمس وخاف اللحاق فر بوجار ضبع . فرمي الدرع فيها فمد بعضها بعضا حتي غابت في الوجار . فلما خفف عن الفرس نشطت ففاتت الطلب وكان آخر من أتى قومه . و قد كان رجع الى درعه لما رجع عنه القوم فاخذها . فقال العوام في بسطام وأصحابه :

ان يك في جيش الغبيط ملامة * فجيش العظالى كان أخزى وألوما
أناخوا يريدون الصباح فصبحوا * فكانت على الغادين غدوة أشاما
فررتم ولم تلووا على مجحريكم * كراحة الحراث يدعى لاقدما
ولو ان بسطاما أطيع لامره * لادي الى الاحياء بالحور مغنما
ففر أبو الصهباء اذ حمي الوغى * والقى بابدان السلاح وسلما
وأيقن ان الخيل ان تلتبس به * يعد غانما أو يملأ البيت مأتما
ولو انها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنما
أبي لك قيد بالغبيط لقاؤهم * ويوم العظالى ان فخرت مكلما
فافلت بسطام حريصا بنفسه * وغادر في كرشاء لدنا مقوما
وقاظ أسيرا هانىء وكأنما * مفارق مفروق تغشين عندما

قال ثم ان هانئا فدي نفسه وأسرى قومه . فقال العوام فى ذلك :

ان الفتي هانئا لاقي بشكته * ولم يحم عن قتال القوم اذ نزلا
ثمت سارع فى الاسرى ففكهم * حامى الذمار حقيق بالذى فعلا

٣٨ — يوم الغبيط لبنى يربوع على بني بكر — قال أبو عبيدة . يقال لهذا اليوم يوم الغبيط : ويوم الثعالب والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له يوم صحراء فلج . وقال أبو عبيدة : حدثنى سليط بن سعد ورباب الصبيري وجهم بن حسان السليطي . قال غزا بسطام بن قيس ومفروق بن عمرو والحرث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بني تميم . وهذا اليوم قبل يوم العظالى فاغاروا على بني ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان . فلذلك قيل له يوم الثعالب . وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا . فانهزمت الثعالب فاصابوافيهم واستاقوا ابلا من نعمهم ولم يشهد عتيبة بن الحرث بن شهاب هذه الوقعة لانه كان نازلا يومئذ فى بني مالك بن حنظلة . ثم انحدروا على بني مالك وهم بين صحراء فلج وبين الغبيط فاكتسحوا ابلهم فركبت عليهم بنو مالك فيهم عتيبة بن الحرث بن شهاب ومعه فرسان من بني يربوع بأنفهم أي صار معهم مثل الاثافى للرماد وتالف اليهم الاحيمر بن عبد الله والاسيد بن حباة وأبو مرحب وجرو بن سعد الرياحي وهو رئيس بنى يربوع وربيع والحليس وعمارة وبنو عتيبة بن الحرث ومعدان وعصمة ابنا قعنب ومالك بن نويرة والمنهال ابن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع . وهو الذي يقول فيه متمم بن نويرة فى شعره الذي يرثى فيه مالكا أخاه :

لقد غيب المنهال تحت لوائه * فتي غير مبطان العشية أروعا

فادركوهم بغبيط المدرة . فقاتلوهم حتى هزموهم وادركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم وألح عتيبة والاسيد والاحيمر على بسطام . فلحقه عتيبة فقال استاسر لى ياأبا الصهباء . فقال ومن أنت قال أنا عتيبه وأنا خير لك من الفلاة والعطش . فاسره عتيبة ونادى القوم بجادا أخا بسطام كرعلى أخيك وهم يرجون ان ياسروه فناداه بسطام ان كررت فانا حنيف وكان بسطام نصرانيا . فلحق بجاد بقومه فلم يزل بسطام عند عتيبة حتى فادي نفسه . قال أبو عبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء انه فدى نفسه باربعمائة بعير وثلاثين فرسا ولم يكن عربى عكاظي أعلى فداء منه على ان

جز ناصيته وعاهده أن لا يغزو بني شهاب أبدا . فقال عتيبة بن الحرث بن شهاب :

ابلغ سراة بني شيبان مألكة * أني أبأت بعبد الله بسطاما
اني أسرته في قيد وسلسلة * صوت الحديد يغنيه اذا قاما

٣٩ — يوم مخطط لبني يربوع على بكر — قال أبو عبيدة : غزا بسطام ابن قيس والحوفزان الحرث متساندين يقودان بكر بن وائل حتي وردوا على بني يربوع بالفردوس وهو بطن لا يادو بينه و بين مخطط ليلة . وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط فاقتتلوا فانهزمت بكر بن وائل وهرب الحوفزان وبسطام فقاتا ركضا . وقتل شريك بن الحوفزان قتله شهاب بن الحرث أخو عتيبة . وأسر الاحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني . فقال في ذلك مالك بن نويرة ولم يشهد هذا اليوم :

ان لا اكن لاقيت يوم مخطط * فقد خبر الركبان ما نتودد
بابناء حي من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فاخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان تكتبوا * بني الحصن قد شارفتم ثم جردوا
فما نتثوا حتي رأونا كأننا * مع الصبح آذي من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها * تري الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتي علتهم كتائب * اذا طعنت فرسانها لا تعرد
فاقررت عيني يوم ظلوا كأنهم * ببطن غبيط خشب اثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه * وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم في أهلهم ونسائهم * مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهي * شريك وبسطام عن الشر مقعد

٤٠ — يوم جدود — غزا الحوفزان وهو الحرث بن شريك فاغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة فاخذ نعما كثيرا وسبي فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحرث فاعجب بها وأعجبت به : وكانت خرقاء فلم يتمالك ان وقع بها فلما انتهي الى جدود منعتهم بنو يربوع ابن حنظلة ان يردوا الماء ورئيسهم عتيبة بن الحرث بن شهاب . فقاتلوهم فلم يكن لبني بكر بهم يد فصالحوهم على ان يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم على ان يخلوهم يردوا الماء فقبلوا ذلك

وأجازوهم فبلغ ذلك بني سعد فقال قيس بن عاصم فى ذلك :

جزي الله يربوعا بادواسعيها * اذاذكرت فى النائبات أمورها
ويوم جدود قدفضحتم أباكم * وسالمتم والخيل تدمى نحورها

فاجابه مالك :

ساسأل من لاقي فوارس منقذ * رقاب اماء كيف كان نكيرها

ولماأتى الصريخ بني سعد ركب قيس بن عاصم فى أثر القوم حتى أدركهم بالاشمسين . فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء وكان الحوفزان قد خرج فى طليعة فلقيه قيس بن عاصم فساله من هو فقال لاتكاتم اليوم أنا الحوفزان فمن أنت قال أنا أبو على . ومضى ورجع الحوفزان الى أصحابه . فقال لقيت رجلا أزرق كان لحيته ضريبة صوف . فقال أنا أبو على فقالت عجوز من السبي بابى أبو على ومن لنا بابي على فقال لها ومن أبو على . قالت قيس بن عاصم . فقال لاصحابه النجاء وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد وعقد شعرها الى صدره ونجا بها . وكانت فرس قيس اذا أوعثت تضرب و بمطر عليها الزبد فلما أجد الحقت بحيث تكلم الحوفزان . فقال له قيس ياأباحمار أنا خير لك من الفلاة والعطش . قال له الحوفزان ماشاء الزبد . فلما رأي قيس ان فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء فقال ميلى به ياجعار . فلما سمعه الحوفزان دفعها بمرفقه وجز قرونها بسيفه فالقاها عن عجز فرسه وخاف قيس ان لا يلحقه فنجله بالرمح فى خزانة وركه فلم يقصده وعرج منها وورد قيس الزرقاء الى بني الربيع . فقال سويد ابن حيان المنقري :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * تمج نجيعا من دم الجوف أشكلا

٤١ — يوم سفوان — قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان فزعمت بنو شيبان انه لهم وأرادوا ان يجلوا تميما عنه . فاقتتلوا قتالا شديدا فظهرت عليهم بنو تميم وزادوهم حتى وردوا الحدث وكانوا يتواعدون بني مازن قبل ذلك . فقال فى ذلك الودان المازنى :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان
تلاقوا جيادا لاتحيد عن الوغى * اذا الخيل جالت فى القنا المتداني
علتها الكماة الغر من آل مازن * أولات طعان كل يوم طعان

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم * على ماجنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصالون فى الروع خطوهم * بكل رقيق الشفرتين يمان
اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم * لاية حرب أم لاى مكان

٤٢ — يوم السلى — قال أبو عبيدة : كان من حديث يوم السلى ان بنى مازن اغارت على بني يشكر فاصابوا منهم . وشد زاهر بن عبد الله بن مالك على تيم بن ثعلبة اليشكري فقتله فقال فى ذلك :

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير معرد حياد

وقال حاجب بن دينار المازنى

سلى يشكرا عني وأبناء وائل * لهازمها طرا وجمع الاراقم
ألم تعلمي انا اذا الحرب شمرت * سمام على أعدائنا فى الحلاقم
عتاة قراة فى الشتاء مساعر * حماة كماة كالليوث الضراغم
بايديهم سمر من الخط لدنة * وبيض تجلى عن فراخ الجماجم
أولئك قوم ان فخرت بعزهم * فخرت بعزفى اللهي والغلاصم
هم انزلوا يوم السلى عزيزها * بسمر العوالى والسيوف الصوارم

٤٣ — يوم بلقاء الحسن — وهو يوم السقيفة لبني ضبة على شيبان : قال أبو عبيدة غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وقيس بن مسعود هو ذوالجدين وأخوه السليل بن قيس بني ضبة ابن اد بن طابخة . فاغار علي ألف بعير لمالك بن المشفق فيها فحلها قد فقا عينه وفى الابل مالك بن المشفق فركب فرساله ونجا ركضا حتي اذا دنا من قومه نادى ياصباحاه فركبت بنو ضبة . وتداعت بنو تميم فتلاحقوا بالبلقاء . فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه أيهم رئيس القوم . قال حاميتهم صاحب الفرس الادهم يعني بسطاما فعلا عاصم عليه بالرمح فعارضه حتى اذا كان بحذائه رمى بالقوس وجمع يديه فى رمحه فطعنه فلم تخطىء صماخ أذنه حتي خرج الرمح من الناحية الاخري وخر على الالاءة والالاءة شجرة فلما رأى ذلك بنو شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل وأسير . وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس بن مسعود أخا

بسطام في سبعين من بني شيبان . فقال ابن غنمة الضبي وهو مجاور يومئذ في بني شيبان يرثي بسطاما وخاف أن يقتلوه . فقال :

لام الارض ويل ما أجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
بقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
كانك لم تريه ولم تريه * تخب به عذافرة ذبول
حقيبة رحلها بدن وسرج * يعارضها مرتبة ذؤل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
فخر على الالاة ولم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان تجزع عليه بنو أبيه * فقد فجعوا وحل بهم جليل
بمطعام اذا الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة :

ويوم شقائق الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

أطلقت من شيبان سبعين راكبا * فآبوا جميعا كلهم ليس يشكر
اذا كنت في أفنان شيبان منعما * فجز اللحي ان النواصي تكفر
فلا شعرهم أبقي بان كنت منعما * ولا ودهم في آخر الدهر أضمر

٤٤ - أيام بكر على تميم - يوم الزويرين : قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض تميم في الجاهلية ترعى بها اذا أجدبوا فاذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عورة يصيبونها ولا شيئا يظفرون به الا اكتسحوه . فقالت بنو تميم امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم وما يأتون اليكم فحشدت تميم وحشدت بكر واجتمعت . فلم يتخلف منهم الا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيبان وكان غازيا . فقدمت بكر عليهم عمر الاصم أبا مفروق قال وهو

عمرو بن قيس بن مسعود أبو عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فحسد سائر ربيعة الاصم على الرياسة فاتوه فقالوا يا أبا مفروق انا قد زحفنا لتميم وزحفوا الينا أكثر ما كنا وكانوا اقط قال فما تريدون قالوا نريد ان نجعل كل حي على حياله ونجعل عليهم رجلا منهم فنعرف عناء كل قبيلة فانه أشد لاجتهاد الناس . قال والله اني لا بغض الخلاف عليكم ولكن ياتى مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره ابوه وذلك أول يوم ذكر نيه مفروق بن عمرو . فقال له مفروق ليس هذا أرادوا وانما أرادوا ان يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال الفضل لنا بذلك أبدا ولئن ظفر بك لا تزال لنا رياسة نعرف بها . فقال الاصم يا قوم قد استشرت مفروقا فرأيته مخالفا لكم ولست مخالفا رأيه وما أشار اليه فاقبلت تميم بجملين مجللين مقرونين مقيدين وقالوا لا نولي حتى يولي هذان الجملان وهما الزويران فاخبرت بكر بقولهم الاصم . فقال وانا زويركم ان خشوها فخشوني وان عقروها فاعقروني . قال والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا . قال وأسرت القوم بنو تميم حراث بن مالك أخا مرة بن همام فركض به رجل منهم وقد أردفه واتبعه ابنه قتادة بن حراث حتي لحق الفارس الذى أسر أباه فطعنه فارداه عن فرسه واستنقذ أباه . ثم استحر بين الفريقين القتال فانهزمت بنو تميم . فقتل منهم مقتلة عظيمة فمن قتل منهم أبو الرئيس النهشلي . واخذت بكر الزويرين أخذتهما بنو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ثعلبة فنحروا أحدهما فاكلوه وافتحلوا الآخر وكان نجيبا . فقال رجل من بنى سدوس :

ياسلم ان تسالى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولسنا بالمغاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * جيش الزويرين فى جمع الاحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

وقال الاغلب بن جعشم العجلى :

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا قد كان من عهد ارم
فكر بالسيف اذا الرمح انحطم * كهمة الليث اذا ما الليث هم
كانت تميم معشرا ذوي كرم * مخلصة من القلاص العصم
قد نفخوا لو ينفخون في فحم * وصبروا لو صبروا على أمم
اذ ركبت ضبة اعجاز النعم * فلم تدع ساقا لها ولا قدم

٤٥ — يوم الشيطين لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : لما ظهر الاسلام قبل ان يسلم اهل نجد والعراق سارت بكر بن وائل الى السواد . وقالت نغير على تميم بالشيطين فان فى دين ابن عبد المطلب من قتل نفسا قتل بها فنغير هذا العام . ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذراري والاموال فاتوا الشيطين في أربع وبينهما مسيرة ثمان أميال . فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون ورئيسم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين . فقتلوا بنى تميم قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم واستحر القتل فى بنى العنبر وبني ضبة وبني يربوع دون بني مالك بن حنظلة . قال ابو عبيدة : حدثنا ابو الحمناء العنبري قال قتل من بني تميم يوم الشيطين ستمائة رجل قال فوفد وفد بنى تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع الله على بكر بن وائل فابي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رشد بن زهير العنبرى :

وما كان بين الشيطين ولعلع * لسوقتنا الا مراجع أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديقة يضلع
بارعن دهم شيد الباق وسطه * له عارض فيه الاسنة تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فكان لهم يوم من الشر أشنع
فخلوا لنا صحن العراق وانه * حمى منهم لا يستطاع ممنع

٤٦ — يوم صعفوق لبكر على تميم — اغارت بنو ربيعة على بنى سليط بن يربوع يوم صعفوق فاصابوا منهم أسرى . فاتى طريف بن تميم العنبري فروة بن مسعود وهو يومئذ سيد بنى ربيعة ففدي منهم أسرى بني سليط ورهنهم ابنه فابطأ عليهم فقتلوا ابنه . فقال :

لا تامنن سليمي ان أفارقها * صرمى الظعائن بعد اليوم صعفوق
اعطيت اعداءه طوعا برمته * ثم انصرفت وظنى غير موثوق

٤٧ — يوم مبايض لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : كانت الفرسان اذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا كى لا يعرفوا . وكان طريف بن تميم العنبري لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل . وكان طريف قتل شراحيل الشيباني أحد بني عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال حصيصة أروني طريفا فاروه اياه فجعل كلما مر به تامله ونظر اليه ففطن طريف . فقال مالك تنظر الى . فقال اتوسمك

لاعرفك فلله على ان لقيتك ان اقتلك أو تقتلني . فقال طريف فى ذلك :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسموني انني أنا ذلكم * شاكي سلاحي في الحوادث معلم
تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولي اسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتي خضم

قال فمضى لذلك ماشاء الله . ثم ان بني عائدة حلفاء بني ربيعة بن ذهل بن شيبان وهم يزعمون انهم من قريش وان عائدة بن لؤى بن غالب خرج منهم رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بني شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه . فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فابت بنو ربيعة عليهم ذلك . فقال هانيء بن مسعود يابنى ربيعة ان اخوتكم قد أرادوا ظلمكم فانمازوا عنهم . قال ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض ماء لهم . ومبايض علم من وراء الدهناء فابق عبد لرجل من بني ربيعة فسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جديدا من بني بكر بن وائل نزول على مبايض وهم بنو ربيعة والحي الجديد المنتقى من قومه فقال طريف العنبري هؤلاء ثاري يا آل تميم انما هم اكلة رأس واقبل في بني عمرو بن تميم واقبل معه أبو الجدعاء أحد بني طهية وجاءه فدكى بن عبد المنقرى فى جمع من بني سعد بن زيد مناة فنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانيء بن مسعود وهو رئيسهم الى علم مبايض . فاقاموا عليه وشرقوا بالاموال والسرح وصبحتهم بنو تميم فقال لهم طريف أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم . فقال له أبو الجدعاء رئيس بنى حنظلة وفدكى رئيس بني سعد بن مناة انقاتل اكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم ماهذا برأى وأبوا عليه . فقال هانيء لاصحابه لايقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فاغاروا عليها . فلما ملؤا أيديهم من الغنيمة قال هانيء بن مسعود لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتلوا طريفا العنبرى قتله حمصيصة الشيبانى . وقال :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وانت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستقدم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون السماء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم * وحموا ذمار أبيهم ان يشتموا

سلبوك درعك والاغر كلاهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

٤٨ — يوم فيحان لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : لما فدي بسطام بن قيس ابن عتيبة بن الحرث اذ أسر يوم الغبيط بار بعمائة بعير قال لادركن عقل ابلي فاغار بفيحان فاخذ الربيع بن عيينة واستاق ماله . فلما سار يومين شغل عن الربيع بالشراب وقد مال الربيع على قده حتى لان ثم خلعه وانحل منه . ثم جال فى متن ذات النسوع فرس بسطام وهرب فركبوا فى أثره . فلما يئسوا منه ناداه بسطام يا ربيع هلم طليقا فابى قال وأتى نادى قومه يحدثهم فجعل يقول فى أثناء حديثه ايها يا ربيع انج ربيع وكان معه رئى . قال وأقبل ربيع حتى انتهي الى ادني بني يربوع فاذا هو براع فاستسقاه وضربت الفرس برأسها فماتت فسمي ذلك المكان الى اليوم هبير الفرس . فقال له ابوه عيينة اماذ نجوت بنفسك فانى مخالف لك مالك

٤٩ — يوم ذى قار الاول لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : فخرج عيينة فى نحو خمسة عشر فارسا من بني يربوع فكمن في حمي ذى قار حتى مرت به ابل بني الحصين بالفداوية اسم ماء لهم فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاء ثم استاقوها فاخلف للربيع ماذهب له . وقال :

ألم ترنى أفات على ربيع * جلادا فى مباركها وخورا
وانى قد تركت بني حصين * بذى قار يرمون الامورا

٥٠ — يوم الحاجر لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكرى من اليمامة فلقيه بنو أسيد بن عمرو بن تميم أخذوه أسيرا فجعلوا يغمسونه فى الركية ويقولون * يا ايها الماتح دلوي دونكا * حتى قتلوه فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر فاخذ ثمامة بن باعث بن صريم رجلا من بني أسيد كان وجيها فيهم فقتله وقتل على بطنه مائة منهم . فقال باعث بن صريم

سائل أسيدا هل ثارت بوائل * أم هل شفيت النفس من بلبالها
اذ أرسلونى ماتحا لدلائهم * فملأتها علقا الى أسبالها
ان الذى سمك السماء مكانها * والبدر ليلة نصفها وهلالها
آليت انقف منهم ذا لحية * ابدا فينظر عينه فى مالها

وقال : سائل أسيدا هل ثأرت بوائل * أم هل أتيتهم بامر مبرم
إذ أرسلوني ماتحا لدلائهم * فملأتهن الى العراقي بالدم

٥١ — يوم الشقيق لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : أغار أبجر بن جابر العجلى على بني مالك بن حنظلة فسبي سليمى بنت محصن فولدت له أبجر . ففى ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كررت على طهية كرة * حتى طرقت نساءها بمساء

٥٢ — حرب البسوس وهي حرب بكر وتغلب ابني وائل — أبو المنذر هشام ابن محمد بن السائب قال : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب . فالاول عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث . وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان . وهو الياس بن مضر وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة . وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن . والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن كعب هو قائد معد يوم السلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة . وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وقاد معدا كلها يوم خزازي ففض جموع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته فعبر بذلك حينا من دهره . ثم دخله زهو شديد وبغي على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج ولا تورد ابل احد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتي قالت العرب أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة . وكان كليب بن وائل قد تزوج جليلة بنت مرة ابن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس . وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس . فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة بفناء بيتها جوار جساس بن مرة . فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتي قطعته وتبعت الابل واختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت

الناقة وهي ترغو . فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت

٥٣ — مقتل كليب بن وائل — فاحمست جساسا فركب فرساله مغرورا به فاخذ آلته وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمي فقال له يا أبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها . فقال له أتراك مانعي ان أذب عن حماى فاحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو ابن الحرث من خلفه فقطع بطنه . فوقع كليب وهو يفحص برجله . وقال لجساس أغثني بشربة ماء . فقال تجاوزت شبيثا والاحص . ففي ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وان كليبا كان يظلم قومه * فادركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل أى أوان
وقال لجساس أغثنى بشربة * والافخبر من رأيت مكانى
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطنى شبيث وهو غير زؤان

وقال نابغة بني جعدة :

أبلغ عقالا ان خطة داحس * بكفيك فاستاخرلها أو تقدم
كليب لعمرى كان اكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم
وقال لجساس أغثنى بشربة * تدارك بها منا علي وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو متوسم

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهي وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة . وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل الشعر أي أرقه واستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه فارسل رجلا منهم الى بني شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الامر فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادى قومه . فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم . ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة وما هى قال له تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا قاتله فنقتله به أو هماما فانه كفء له أو تمكننا

من نفسك فان فيك وفاء من دمه . فقال أما احيائى كليبا فهذا مالا يكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أى البلاد احتوى عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لى فادفعه اليكم يقتل بجريرة غيره واما انا فهل هو الا أن تجول الخيل جولة غدا فاكون أول قتيل بينهما فما أتعجل من الموت . ولكن لكم عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء بني الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فالف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل . فغضب القوم وقالوا لقد أسات تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب . ووقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى بني كليب وصاروا يدا معهم على بكر . ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل . فظعنت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة . وقال المهلهل يرثي كليبا :

بت ليلى بالانعمين طويلا * أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف أهدا ولا يزال قتيل * من بني وائل ينسى قتيلا
غبت دارنا تهامة فى الدهر وفيها بنو معد حلولا
فتساقوا كاسا أمرت عليهم * بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب * يترك الهام رقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا معجس القسى وابرقنا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليبا سفاها * ثم قالوا ماان نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتي * يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الرحم ونروي رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتي عز ومكرمة * تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها

نعي النعاة كليبالي فقلت لهم * مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلفى أسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
تهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها زرقا عواليها
نروي الرماح بايدينافنوردها * بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منامن يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

قال أبو المنذر : أخبرني خراش ان أول وقعة كانت بينهم بالنهى يوم النهى فالتقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة . فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحر القتل فيهم الا انه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بني مرة

٥٤ — يوم الذنائب — ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة لهم فظهرت بنو تغلب وقتلت بكرامقتلة عظيمة وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وهو جد معن بن زائدة والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل قتله عتاب بن سعد بن زهير بن جشم . وقتل الحرث ابن مرة بن ذهل بن شيبان قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو ابن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وقتل من بني تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله وعبد الله بن مالك بن تيم الله . وقتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الخرفين وكان شيخا كبيرا فحمل فى هودج فلحقه عمرو بن مالك بن الفدوكس بن جشم وهو جد الاخطل فقتله هؤلاء . من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب

٥٥ — يوم واردات — ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر . فيومئذ قتل الشعثمان شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحرث بن سيار . وفيه قتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو

جساس لامه وأبيه فر به مهلهل مقتولا . فقال والله ماقتل بعد كليب قتيل أعز على فقدا منك وقتله ناشرة . وكان همام رباد وكفله كما كان ربّى حذيفة بن بدر قرواشا فقتله يوم الهباءة

٥٦ — يوم عنيزة — ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بني بكر . فمنها يوم الحنو . ويوم غو برضات . ويوم انيق . ويوم ضرمة . ويوم العصيات هذه الايام كلها لتغلب على بكر أصيبت فيها بكر حتى ظنوا ان ليس يستقيلون أمرهم . وقال مهلهل يصف هذه الايام وينعيها على بكر فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حسم أنيرى * اذا أنت انقضيت فلا تجور
فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب * لاخبر بالذنائب أى زير
كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مديرا
واني قد تركت بواردات * بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد * وبعض القتل أشفى للصدور
على ان ليس عدلا من كليب * اذا برزت مخبأة الخدور
ولولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء

أكثرت قتل بني بكر بربهم * حتي بكيت ومايبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضي بقتلهم * حتي أبهرج بكرا أينما وجدوا

قال أبو حاتم : أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية . وقال البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يالبكر انشروا لى كليبا * يالبكر أين أين الفرار
تلك شيبان تقول لبكر * صرح الشر وبان السرار
وبنو عجل تقول لقيس * ولتيم اللات سيروا فسار وا

وقال :

قتلوا كليبا ثم قالوا أربعوا * كذبوا ورب الحل والاحرام

حتى تبيد قبائل وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه * مما يرى ندما على الابهام

٥٧ — يوم قضة — ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال باى قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان اكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليب بن وائل . فكان الحرث ابن عباد قد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير بن الحرث . ويقال انه كان ابن أخيه . فلما بلغ الحرث قتله . قال نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل وظن أن المهلهل قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤاله . فقيل له انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان المهلهل لما قتل بجيرا قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث بن عباد . وكان له فرس يقال له النعامة فركبها وتولى أمر بكر . فقتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب . فقال فى ذلك الحرث بن عباد :

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيالى
لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالى

وكان اليوم الذى شهده الحرث بن عباد يوم قضة ويوم تحلاق اللمم . وفيه يقول طرفة ابن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا * مالقوا فى يوم تحلاق اللمم
يوم تبدي البيض عن أسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفيه أسر الحرث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة . فقال له دلني على عدى ابن ربيعة وأخلي عنك . فقال له عدى عليك العهود بذلك ان دللتك عليه قال نعم . قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه . وقال فيه :

لهف نفسي على عدى ولم أعـرف عديا اذا امكنتني اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما جحدر بن ضبيعة طعن أحدهما بسنان رمحه والآخر بزجه . ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جنب وجنب في مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها جلودا من أدم . فقال في ذلك :

اعزز على تغلب بما لقيت * اخت بني الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

لو با بانين جاء يخطبها * زمل ما انف خاطب بدم

٥٨ — الكلاب الاول — قال أبو عبيدة: لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها وتقاطعت أرحامها ارتاى رؤساؤهم . فقالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فاكل القوى الضعيف ولا نستطيع تغيير ذلك فنرى ان نملك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا ولكننا نأتي تبعا فنملكه علينا . فأتوه فذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث ابن عمرو آكل المرار الكندى . فقدم فنزل بطن عاقل . ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما فى أيدي ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين وردهم الى أقاصى أعمالهم . ثم طعن فى نبطه أي مات فدفن ببطن عاقل واختلف ابناه شرحبيل ومسلمة فى الملك . فتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل فى ضبة والرباب كلها وبني يربوع وبكر بن وائل . وأقبل مسلمة فى تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح وانما قيل له السفاح لانه سفح أوعية قومه . وقال لهم اندروا الى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه وانما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب فالتقوا على الكلاب واستحر القتل فى بني يربوع وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله . وكان شرحبيل قتل حنشا فاراد أبو حنش ان يأتي برأسه الى مسلمة فخافه فبعثه مع عسيف له . فلما رآه مسلمة دمعت عيناه فقال له أنت قتلته . قال لا ولكنه قتله أبو حنش . فقال انما أدفع الثواب الى قاتله وهرب أبو حنش عنه . فقال مسلمة :

ألا أبلغ أباحنش رسولا * فمالك لا تجيء الى الثواب
تعلم ان خير الناس ميتا * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاميس الرباب

ومما يدل على ان بكرا كانت مع شرحبيل قول الاخطل :

ابا غسان انك لم تهنى * ولكن قد أهنت بني شهاب
ترقوا فى النخيل وأنسؤنا * دماء سراتكم يوم الكلاب

٥٩ — يوم الصفقة — وهو يوم الكلاب الثانى . قال أبو عبيدة: أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال كان يوم الكلاب متصلا بيوم الصفقة . وكان من حديث الصفقة ان

كسرى الملك كان قد أوقع ببني تميم فاخذ الاموال وسبى الذراري بمدينة هجر وذلك انهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . ثم ان بني تميم أداروا أمرهم وقال ذو الحجي منهم انكم قد أغضبتم الملك وقد أوقع بكم حتي وهنتم وتسامعت بما لقيتم القبائل فلا تامنون دوران العرب فجمعوا سبعة رؤساء منهم وشاوروهم في أمرهم . وهم أكثم بن صيفي الاسدى والاعيمر بن يزيد بن مرة المازني . وقيس بن عاصم المنقرى . وأبير بن عصمة التيمي والنعمان بن الحسحاس التيمى . وأبين بن عمرو السعدى . والزبرقان بن بدر السعدى . فقالوا لهم ماذا ترون . فقال أكثم بن صيفي وكان يكني أبا حنش ان الناس قد بلغهم ماقد لقينا ونحن نخاف ان يطمعوا فينا . ثم مسح بيده على قلبه وقال اني قد نيفت على التسعين وانما قلبي بضعة من جسمي . وقد نحل كما نحل جسمي واني أخاف ان لايدرك ذهني الرأي لكم . وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم وانما كان قوامكم اسيفا وعسيفا يريد العبد والاجير وصرتم اليوم انما ترعى لكم بناتكم فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره فاني متي أسمع الحزم أعرفه . فقال كل رجل منهم مارأى وأكثم ساكت لايتكلم حتى قام النعمان بن الحسحاس . فقال ياقوم انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس باى ماء أنتم حتى تنفرد الحلقة عنكم . وقد حممتم وصلحت أحوالكم وانجبر كسيركم وقوى ضعيفكم ولا أعلم ماء يجمعكم الاقدة . فارتحلوا وانزلوا قدة وهو موضع يقال له الكلاب فلما سمع أكثم بن صيفي كلام النعمان . قال هذا هو الرأي فارتحلوا حتي نزلوا الكلاب . وبين أدناه واقصاه مسيرة يوم واعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق . فنزلت سعد والرباب باعلى الوادى ونزلت حنظلة باسفله . قال أبو عبيدة : وكانوا لايخافون ان يغزوا في القيظ ولا يسافر فيه أحد ولا يستطيع أحد ان يقطع تلك الصحاري لبعد مسافتها وليس بها ماء ولشدة حرها فاقاموا بقية القيظ لايعلم أحد بمكانهم حتي اذا تهور القيظ أى ذهب بعث الله ذا العينين وهو من اهل مدينة هجر فمر بقدة وصحرائها . فرأي مابها من النعم فانطلق حتي أتى أهل هجر . فقال لهم هل لكم في جارية عذراء ومهرة شوهاء وبكرة حمراء ليس دونها نكبة . فقالوا ومن لنا بذلك قال تلكم تميم القاء مطرحون بقدة . قالوا إى والله فمشى بعضهم الى بعض . وقالوا اغتنموها من بني تميم فاخرجوا منهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيديون . يزيد بن هوبر . ويزيد بن عبد المدان . ويزيد ابن المامور . ويزيد بن المخرم وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثى . فكان كل واحد منهم

على ألفين والجماعة ثمانيــة آلاف فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منـه ومن يوم جيش كسرى يوم ذي قار . ويوم شعب جبلة فمضوا حتى اذا كانوا ببلاد باهلة . قال جزء ابن جزء لابنه جزء الباهـلي يا بني هل لك في اكرومة لا يصاب أبدا مثلها . قال وماذاك قال هذا الحي من تميم قد ولجوا هنـاك مخافة وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم فاركب جملي الارجي وسر سيرا رويدا عقبة من الليل يعني ساعة ثم خل عنه حبليه وانخه وتوسد ذراعه . فاذا سمعته قد أفاض بجرته وبال فاستنقعت ثفناته في بوله فشد عليه حبله . ثم ضع السوط عليه فانك لا تسأل جملك شيا من السير الا أعطاك حتى تصبح القوم ففعل ما أمره به . قال الباهلي فحللت بالكلاب قبـل الجيش وأنا أنظر الى ابن ذكاء يعني الصبح فـناديت ياصبـاحاه فانهم ليثبون الى يسالوني من أنت اذ أقبل رجـل من بني شقيق على مهر قد كان في النعم فنادي ياصبـاحاه قد أتي على النعم . ثم كر راجعا نحو الجيش فلقيه عبـد يغوث الحارثي وهو أول الرعيل فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن الدم . وكان قد اصطبح . فقال عبـد يغوث أطيعوني وامضوا بالنعم وخلوا العجائز من تميم ساقطة افواهها . قالوا امادون أن تنكح بناتهم فلا . وقال ضمرة بن لبيد الحمـاسي أنظروا اذا ساقتم النعم فان أتتكم الخيل عصبـا العصبة تنتظر الاخري حتي تلحق بهـا فان أمر القوم هين وان لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتي يردوا وجوه النعم فان أمرهم شديد . وتقـدمت سعـد والرباب في أوائل الخيل فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا اليهم واستقبـلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضـا . ورئيس الرباب النعمان بن الحسحـاس . ورئيس بني سعد قيس ابن عاصم . وأجمع العلمـاء ان قيس بن عاصم كان رئيس بني تميم . فالتقي القوم فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس واقتتل القوم بقيـة يومهم . وثبت بعضهم لبعض حتي حجز الليـل بينهم . ثم أصبحوا على راياتهم . فنادي قيس بن عاصم يا آل سعد . ونادى عبد يغوث يا آل سعد قيس يدعو سعد بن زيد مناة وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادي يا آل كعب فنادى عبد يغوث يا آل كعب قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك . فلما رأى ذلك قيس نادي يا آل كعب مقاعس . فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمى . وكان صاحب لواء أهل اليمن نادى يا آل مقاعس تفاءل به فطرح له اللواء . وكان أول من انهزم فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم . ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصباً هواريا * أقسمت لا أطعن الا راكبا * انى وجدت الطعن فيهم صائبا

وقال أبو عبيد : أمر قيس بن عاصم ان يتبعوا المنهزمة ويقطعوا عرقوب من لحقوا ولا يشتغلوا بقتلهم عن اتباعهم فجزوا دوابرهم . فذلك قول وعلة :

فدى لكم أهلي وأمي ووالدي * غداة كلاب اذ تجز الدوابر

وسنكتب هذه القصيدة على وجهها . وحمى عبد يغوث أصحابه فلم يوصل الى الجانب الذى هو فيه فالظ به مصاد بن ربيعة بن الحرث . فلما لحقه مصاد طعنه فالقاه عن الفرس فاسره . وكان مصاد قد أصابه طعنة في مابضه . وكان عرقه يهمي أى يسيل فعصبه وكتفه يعني عبد يغوث ثم اردفه خلفه فنزفه الدم فمال عن فرسه مقلوبا . فلما رأي ذلك عبد يغوث قطع كتافه واجهز عليه وانطلق على فرسه وذلك أول النهار . ثم ظفر به بعد في آخره ونادى مناد قتل اليزيديون وشد قبيصة بن ضرار الضبي على ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن فطعنه فخر صريعا . فقال له قبيصة الا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم وأسر عبد يغوث أسره عصمة بن أبير التيمى . قال أبو عبيدة : انتهي عصمة ابن ابير الى مصاد وقد أمعنوا في الطلب فوجده صريعا وقد كان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا في يديه فعرف انه هو الذي اجهز عليه فاقتص أثره . فلما لحقه قال له ويحك اني رجل أحب اللبن وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال عبد يغوث ومن أنت قال عصمة ابن أبير . قال عبد يغوث أو عندك منعة . قال نعم فالقي يده في يده فانطلق به عصمة حتى جثاه عند الاهتم على ان جعل له من فداه جعلا . فوضعه الاهتم عند امرأته العبشمية فاعجبها جماله وكمال خلقه . وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا . فقالت لعبد يغوث من أنت قال أنا سيد القوم فضحكت . وقالت قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا . ولذلك يقول عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب الى الاهتم . فقالت ثارنا عندك وقد قتل مصاد والنعمان فاخرجه الينا فابي الاهتم ان يخرجه اليهم فكاد ان يكون بين الحيين الرباب وسعد فتنة حتى أقبل قيس بن عاصم المنقرى . فقال أترى اقطع حلف الرباب من قبلنا وضرب فمه بقوس فهتمه فسمى الاهتم فقال الاهتم انما دفعه الى عصمة بن أبير ولا أدفعه الا لمن دفعه الى فليجئ فليأخذه فأتوا عصمة فقالوا يا عصمة قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد وثارنا أسيرك وفي يدك فما ينبغي لك أن تستحييه . فقال اني ممحل وقد اصبت الغنى في نفسي ولا تطيب نفسى عن اسيرى فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير . وقال رؤبة بن العجاج بل ارضوه بثلاثين من حواشى النعم فدفعه اليهم فخشوا ان

يهجوهم فشدوا على لسانه نسعة . فقال انكم قاتلى ولا بد فدعونى اذم أصحابي وأنوح على نفسي فقالوا انك شاعر ونخاف ان تهجونا فعقد لهم ان لا يفعل فاطلقوا السانه وامهلوه حتي قال قصيدته التي أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا * فما لكما فى اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل ومالومى أخي من شماليا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن * نداماى من نجران ان لا تلاقيا
أبا كرب والايهمين كلاهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين المواليا
ولوشئت نجتنى من القوم نهدة * يرى خلفها الجرد الجياد تواليا
ولكنني أحمى ذمار أبيكم * وكاد الرماح يختطفن المحاميا
أحقا عباد الله أن لست سامعا * بشر الوغا والمقربين المماليا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية * كان لم ترى قبلى أسيرا يمانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا * فان أسار لم يكن من توانيا
وقد علمت عرسى مليكة انني * انا الليث معدوا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطي وامضى حيث لا حي ماضيا
وأعقر للشرب الكرام مطيتى * واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمطها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وغادية سوم الجراد وزعتها * برمحي وقد أنحوا الى العواليا
كاني لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلى كري قاتلى عن رجاليا
ولم أسبا الزق الروى ولم أقل * لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

قال أبو عبيدة : فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد بؤ بمصاد . فقال بنو النعمان يا لكاع نحن نشتريه باموالنا ويبوء بمصاد . فوقع بينهم في ذلك الشر ثم اصطلحوا وكان الغناء كله يوم الكلاب من الرباب لتميم ومن بنى سعد لمقاعس . وقال وعلة الجرمي وكان أول منهزم انهزم يوم الكلاب وكان بيده لواء القوم :

ومن على الله منا شكرته * غداة الكلاب اذ تجز الدوابر
ولما رأيت الخيل تبرى اثايجا * علمت بان اليوم احمس فاجر
نجوت نجاء ليس فيه وتيرة * كأني عقاب عند تيماء كاسر
خدارية صعقاء لبد ريشها * بطخفة يوم ذو أهاضيب ماطر
لها ناهض في الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
كأنا وقد حالت جدية دوننا * نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو في تميم هوادة * فليس لجرم في تميم أواصر
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا * تنازعني من ثغرة النحر ناحر
فان استطع لا تبتئس بي مقاعس * ولا ترني يبداؤهم والمحاضر
ولا أك في جرارة مضرية * اذا ما غدت قوت العيال تبادر
يقول لي النهدي هل أنت مردفي * وكيف رداف الفل امك عاثر
يذكرني بالآل بيني وبينه * وقد كان في جرم ونهد تدابر

وقال محرز بن المعكبر الضبي ولم يشهدها وكان مجاورا في بكر بن وائل لما بلغه الخبر :

فدى لقومي ما جمعت من نشب * اذ ساقت الحرب أقواما لأقوام
اذ حدثت مذحج عنا وقد كذبت * ان لا يذنب عن أحسابنا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجههم * ضرب تصدع منه جلدة الهام
ظلت ضباع مجيرات تجررهم * وألحموهن منهم أي إلحام
حتى جدية لم يترك بها ضبعا * الا لها جزر من شلو مقدام
ضلت رؤس بني كعب بكلكلها * وهم يوم بني بدر باظلام

قال أبو عبيدة : حدثني المنتجع بن نبهان قال وقف رؤبة بن العجاج على التيم بمسجد الحرورية فقال يامعشر تيم اني سمرت عند الامير تلك الليلة فتذاكرنا يوم الكلاب . فقال يامعشر تيم ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتي صاحبينا يعني عبد يغوث ووعلة الجرمي ومن قصيدة ابن المعكبر صاحبكم وها تواغير ذلك فانتم أكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فانشدناه في ذلك اليوم شعرا كثيرا فجعل يقول هذه اسلامية كلها

٦٠ — يوم طخفة — كانت الردافة ردافة الملك لعتاب بن هرم بن رباح ثم كانت اقيس بن عتاب . فسال حاجب بن زرارة النعمان ان يجعلها للحرث من مرط بن سفيان ابن مجاشع فسالها النعمان بني يربوع وقال اعقبوا اخوتكم فى الردافة قالوا انهم لاحاجة لهم فيها وانما سالها حاجب حسدا لنا وأبوا عليه . فقال الحرث بن شهاب وهو عند النعمان ان بني يربوع لا يسلمون ردافتهم الى غيرهم . وقال حاجب ان بعث اليهم الملك جيشا لم يمنعوا ولم يمتنعوا فبعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسان بن المنذر . فكان قابوس على الناس وكان حسان على المقدمة وبعث معهم الصنائع والوضائع فالصنائع من كان يأتيه من العرب والوضائع المقيمون بالحيرة . فالتقوا بطخفة فانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته . فقال قابوس ان الملوك لاتجز نواصيها فجهزه وأرسله الى أبيه . وأما حسان بن المنذر فاسره بشر بن عمرو الرياحي ثم من عليه وأرسله . فقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها أنا مداريك قبلها * اذا طلب الشاو البعيد المقرب

٦١ — يوم فيف الريح — قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحرث بن كعب وقبائل من مراد وجعفى وزبيد وخثعم . وعليهم أنس بن مدركة وعلى بني الحرث الحصين . فاغاروا على بني عامر بن صعصعة بفيف الريح . وعلى بنى عامر عامر بن مالك ملاعب الاسنة . قال فاقتتل القوم فكسروهم وارفضت قبائل من بنى عامر وصبرت بنو نمير فما شبهوا الا بالكلاب المتعاظلة حول اللواء . وأقبل عامر ابن الطفيل وخلفه دعي بن جعفر . فقال يامعشر الفتيان من ضرب ضربة أوطعن طعنة فليشهدنى . فكان الفارس اذا ضرب ضربة أوطعن طعنة قال عند ذلك أبا على . فبينما هو كذلك اذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثى . فقال له من ورائه عندك ياعامر والرمح عند اذنه فوهصه أى طعنه فاصاب عينه فوثب عامر عن فرسه ونجا على رجليه . وأخذ مسهر رمح عامر . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر :

لعمرى وما عمري على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
أعاذل لو كان البداذ لقوتلوا * ولكن نزونا بالغدير المجمهر

ولو كان جمع مثلنا لم يبزنا * ولكن أتتنا ثروة ذات مفخر
أتونا ببهراء ومذحج كلها * وأكلب طرا في جباب السنور

وقال مسهر وزعم انهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل :

وهصت بخوص الرمح مقلة عامر * فاضحى نحيفا في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه * وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا اذا قيسية فرقت لنا * جري دمعها من عينها فتحدرا
مخافة مالاقت حليلة عامر * من الشر اذ سربالها قد تعفرا

قال وامتنت بنو نمير على بني كلاب بصبرهم يوم فيف الريح فقال عامر :

تمنون بالنعما ولولا مكرنا * بمنعرج الفيفا لكنتم مواليا
ونحن تداركنا فوارس وحوح * عشية لاقين الحصين اليمانيا

وحوح من بني نمير وكان عامر استنقذهم وأسر حنظلة بن الطفيل يومئذ . قال ابو عبيدة : كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وأدرك مسهر بن يزيد الاسلام فاسلم

٦٢ — يوم تياس — كانت افناء قبائل من بني سعد بن زيد مناة وافناء قبائل من بني عمرو بن تميم التقت بتياس . فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رجل الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة فطلبوا القصاص فاقسم غيلان أن لا يعقلها ولا يقص بها حتي تحثى عيناه ترابا . وقال :

لا نعقل الرجل ولا نديها * حتي تروا داهية تنسيها

فاتقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان حتي ظنوا انهم قد قتلوه ورئيس عمرو ولواؤه مع ابنه ذؤيب وهو القائل لابنه :

يا كعب ان أخاك منحمق * ان لم يكن بك مرة كعب
جانيك من يجني عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب
والحرب قد يضطر جانبها * نحو المضيق ودونه الرحب

٦٣ — يوم زرود الاول — غزا الحوفزان حتي انتهي الى زرود خلف جبل من جبالها . فاغاروا على نعم كثير صادر عن الماء لبني عبس فاحتازوه وأتى الصريخ بني عبس . فركبوا ولحق عمارة بن زياد العبسي الحوفزان فعرفه . وكانت أم عمارة قد ارضعت مضر بن

شريك وهو أخو الحوفزان . وقال عمارة يا بنى شريك قد علمتم ما بيننا وبينكم . قال الحوفزان وهو الحرث بن شريك صدقت يا عمارة فانظر كل شيء هو لك فخذه . فقال عمارة لقد علمت نساء بنى بكر بن وائل انى لم أملأ أيدى أزواجهن وابنائهن شفقة عليهن من الموت . فحمل عمارة ليعارض النعم ليرده وحال الحوفزان بينه و بين النعم فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحوفزان ولحق به نعامة بن عبد بن شريك فطعنه أيضا . وقال نعامة ما كرهت الرمح فى كفل رجل قط أشد من كفل عمارة وأسرا بني عمارة سناد وشداد . وكان فى بني عبس رجلان من طىء ابنان لاوس بن حارثة مجاورين لهم . وكان لهما أخ أسير في بنى يشكر فاصابا رجلا من بنى مرة يقال له معدان بن محرب فذهبا به فدفناه تحت شجرة . فلما فقدته بنو شيبان : نادوا يا ثارات معدان. فعند ذلك قتلوا بنى عمارة وهرب الطائيان باسيرهما . فلما برأ عمارة من جراحه أتى طيا فقال ادفعوا الى هذا الكلب الذى قتلنا به . فقال الطائى لاوس ادفع الى بني عبس صاحبهم . فقال لهم أوس أتامرونني أن أعطى بني عبس قطرة من دمى وان ابني أسير فى بني يشكر فوالله ما أرجو فكاكه الا بهذا . فلما قفل الحوفزان من غزوه بعث الى بنى يشكر في ابن أوس فبعثوا به اليه فافتك به معدان . وقال نعامة بن شريك :

استنزلت رماحنا سناننا * وشيخنا بطخفة عناننا
ثم أخوه قد رأى عياننا * لما فقدنا بيننا معداننا

٦٤ — يوم غول الثانى — وهو يوم كنهل قال أبو عبيدة : اقبل ابنا هجيمة وهما من بنى غسان فى جيش فنزلا فى بني يربوع فجاورا طالق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع فنزلا معه على ماء يقال له كنهل فاغار عليهما اناس من ثعلبة بن يربوع فاستاقوا نعمهما وأسروا من كان فى النعم . فركب قيس بن هجيمة بخيله حتي أدرك بنى ثعلبة فكر عليه عتيبة بن الحرث . فقال له قيس هل لك يا عتيبة الى البراز . فقال ما كنت لاساله وأدعه فبارزه . قال عتبة فما رأيت فارسا املأ لعيني منه يوم رأيته فرماني بقوسه فما رأيته شيا كان أكره الى منه فطعننى فاصاب قربوس سرجى حتي وجدت من السنان فى باطن فخذي فتجنبت . قال ثم أرسل الرمح وقبض بيدى وهو يرى ان قد أثبتني وانصرف فاتبعته الفرس . فلما سمع زجلها رجع جانحا على قربوس سرجه وبدا لى فرج الدرع ومعي رمح معلبة بالقد والعصب كنا نصطاد به الوحش فرميته بالقوس وطعنته

بالرمح فقتلته وانصرفت . فلحقت النم . وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلا ثم اتبعني . وقال هل لك في البراز فقلت لعل الرجعة لك خير . قال ابعد قيس ثم شد علي فضربني على البيضة فخلص السيف الى رأسي وضربته فقتلته . فقال سحيم بن وثيل يعير طارقا بقتل جاريه :

لقد كنت جارا لبني هجيمة قبلها * فلم تغن شيا غير قتل المجاور

وقال جرير :

وساق ابني هجيمة يوم غول * الى أسيافنا قدر الحمام

٦٥ — يوم الجبابات — قال ابو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فمروا بناس من طوائف بني بكر بن وائل بالجبابات خرجوا اسفارا فنزلوا وسرحوا ابلهم ترعى وفيها نفر منهم يرعونها منهم سوادة بن يزيد بن بجيل العجلي ورجل من بني شيبان وكان محموما . فمرت بنو ثعلبة بن يربوع بالابل فاطردوها وأخذوا الرجلين فسالوهما من معكما . فقالا معنا شيخ بن يزيد بن بجيلي العجلي في عصابة من بني بكر بن وائل خرجوا اسفارا يريدون البحرين . فقال الربيع ودعموص ابنا عتيبة بن الحرث بن شهاب أين نذهب بهذين الرجلين وبهذه الابل ولم يعلموا من أخذها ارجعوا بنا حتي يعلموا من أخذ ابلهم وصاحبيهم ليعنيهم ذلك . فقال لهما عميرة ماورا . كما الا شيخ بن يزيد قد أخذتما أخاه واطردتما ماله دعاه فابيا ورجعا فوقفا عليهم وأخبراهم وتسميا لهم فركب شيخ ابن يزيد فاتبعهما وقد وليا . فلحق دعموصا فاسره ومضي ربيع حتي أتي عميرة فاخبره ان أخاه قد قتل . فرجع عميرة على فرس يقال له الخنساء حتي لحق القوم فافتك منهم دعموصا على ان يرد عليهم أخاهم وابلهم فردها عليهم فكفر ابنا عتيبة ولم يشكرا عميرة : فقال :

ألم ترد عموصا يصد بوجهه * اذا ما رآني مقبلا لم يسلم
ألم تعلما يا ابني عتيبة مقدمي * علي ساقط بين الاسنة مسلم
فعارضت فيه القوم حتي انتزعته * جهارا ولم أنظر له بالتلوم

٦٦ — يوم آراب — غزا الهذيل بن حسان التغلبي فاغار على بني يربوع بآراب فقتل فيهم قتلا ذريعا فاصاب نعما كثيرة وسبي سبيا كثيرا فيهم زينب بنت حمير بن الحرث بن همام بن رياح بن يربوع وهي يومئذ عقيلة نساء بني تميم وكان الهذيل يسمي المجدع . وكان بنو تميم

يفزعون به أولادهم وسبي أيضا طابية بنت جزء بن سعد الرياحي ففداها أبوها وركب عتيبة ابن الحرث في اسراهم ففكهم أجمعين

٦٧ — يوم الشعب — غزا قيس بن شرقاء التغلبي فاغار على بني يربوع بالشعب فاقتتلوا فانهزمت بنو يربوع فزعم أبو عبدة انها كانت اختطافا فاسر سحيم بن واصل الرياحى ففي ذلك يقول سحيم :

أقول لهم بالشعب اذ ياسرونني * ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

ففدا نفسه وأسر يومئذ متمم بن نويرة . فوفد مالك بن نويرة على قيس بن شرقاء في فدائه فقال :

هل أنت ياقيس بن شرقاء منعم * أو الجهد ان أعطيته أنت قائله

فلما رأى وسامته وحسن شارته . قال بل منعم فاطلقه له

٦٨ — يوم عول الاول — فيه قتل طريف بن شراحيل وعمرو بن مرثد الملحمي غزا طريف بن هشيم في بني العنبر وطوائف من بني عمرو بن تميم فاغار على بني بكر بن وائل بعول فاقتتلوا . ثم ان بكرا انهزمت فقتل طريف بن شراحيل أحد بني ربيعة وقتل أيضا عمرو بن مرثد الملحمي وقتل المحسر . فقال في ذلك ربيعة بن طريف :

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة * بني الخصيب وشر المنطق الفند
هلا شراحيل اذ مال الحزام به * وسط العجاج فلم يغضب له أحد
أو المحسر أو عمرو ويجيفهم * منا فوارس هيجا نصرهم حسد
ان يلحظونى بزرق من أسنتنا * تشفى بهن النسا والعجب والكبد
وقد قتلنا كم صبرا وناسركم * وقد طردنا كم لو ينفع الطرد
حتى استغاث بنا أدنى شريدكم * من بعد ما مسه الضراء والنكد

قال نضلة السلمي في يوم عول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة :

ألم تسل الفوارس يوم عول * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حر * و ينفع أهله الرجل القبيح
فشد عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشبا الفرس الجموح
فاطلق غل صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح
ولم يخشوا مصاليتا عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

٦٩ — يوم الخندمة — كان رجل من مشركي قريش يحد حربة يوم فتح مكة . فقالت له امرأته ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه قالت والله ما أري يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال والله انى لارجوان أخدمك بعض نسائهم وأنشأ يقول :

ان تبتلوا اليوم فمالى عله * هذا سلاح كامل واله * وذو غرار بن صريع السله

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوى على شيء فلامته امرأته . فقال :

انك لوشهدت يوم الخندمه * اذ فرصفوان وفر عكرمه
و لقيتنا بالسيوف المسلمه * يفلقن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه

٧٠ — يوم اللهيما — قال أبو عبيدة . كان سبب الحرب التى كانت بين عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل و بين عمرو بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة أن قيس بن عامر بن غريب أخا بنى عمر بن عدى وأخاه سالما خرجا يريدان بنى عمرو بن الحرث على فرسين يقال لاحداهما اللعاب والاخرى عفزر فباتا عند رجل من بنى نفاثة . فقال النفاثى لقيس وأخيه اطيعانى وأرجعا لاعرفن رماحكما تكسر فى قتاد نعمان قالا ان رماحنا لا تكسر الا فى صدور الرجال . قال لا يضركما وستحمدان أمرى فاصبحا غاديين . فلما شارفا متن اللهيما من نعمان و بنو عمرو بن الحرث فوق ذلك بموضع يقال له أديمة أغارا على غنم جندب بن أبي عميس وفيها جندب فتقدم اليه قيس . فرماه جندب في حلمة ثديه و نفحه قيس بالسيف فاصابت ظبة السيف وجه جندب وخر قيس و نفرت الغنم نحو الدار تبتعها . وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر فضرب جندب خطم عفزر بالسيف فقطعه وضربه سالم فاتقاه بيده فقطع احد زنديه فخر جندب وذفف عليه سالم وأدرك العشى سالما فخرج وترك سيفه فى المعركة وثوبه بحقويه لم ينج الا بجفن سيفه ومئزره . فقال فى ذلك حماد ابن عامر :

لعمرك ما وفى ابن أبي عميس * وما خان القتال وما أضاعا
* سما بقرانه حتى اذا ما * أتاه قرنه بذل المصاعا
فان أك نائيا عنه فانى * سررت بانه عين البياعا

وأفلت سالما منها حريصا * وقد كلم الدراية والذراعا
ولو سلمت له يمنى يديه * لعمر أبيك أطعمك السباعا

وقال حذيفة بن أنيس :

ألا بلغا جل المراري وجابرا * وبلغ بني ذي السهم عنا ويعمرا
كشفت غطاء الحرب لما رأيتها * تميل على صفو من الليل أكدرا
أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويمشي اذا ما الموت كان أمامه * كذا الشبل يحمي الانف ان يتأخرا
نجا سالم والنفس منه بشرقة * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا
وطاب عن اللعاب نفسا ورمة * وغادر قيسا فى المكر وعفزرا

٧١ — يوم خزاز — قال أبو عبيدة : فنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردي وغسان بن عبد الحميد وعبد الله بن سالم الباهلى ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة و يتفاخرون ويتنازعون فى الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة كان الاحوص بن جعفر الرئيس وقال عامر و مسمع كان الرئيس كليب بن وائل وقال ابن نوح كان الرئيس زرارة بن عدس وهذا فى مجلس أبي عمرو بن العلاء . فتحاكموا الى أبي عمرو . فقال ما شهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك غير ان أهل اليمن كان الرجل منهم يأتي ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ما شاء كعمال صدقاتهم اليوم . وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك ملوك حمير وكانت نزار لم تكثر بعد فأوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليال ودخنوا ثلاثة أيام . فقيل له وما خزاز . قال هو جبل قريب من امرة على يسار الطريق خلفه صحراء منبج يناوحه كور وكوير اذا قطعت بطن عاقل. ففى ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيما يليهم * وصلنا صولة فيما يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الوفادة وترك الرياسة وما رأيت أحدا عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده

٧٢ — يوم المعا — قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الاسدي على بني عباد بن ضبيعة فاخذ نعما لبني الحرث بن عباد وهي ألف بعير فمر ببني سعد بن مالك بن ضبيعة وبني عجل بن لجيم . فتبعوه حتى انتزعوها منه ورئيس بني سعد حمران بن عبد عمرو فاسره وأقبل ابن حسان العجلي المنبطح الاسدي ففداه قومه ولا أدري كم كان فداؤه واستنقذ السبي . فقال حجر بن خالد بن محمود في يوم المعا :

ومنبطح الفواخر قد أذقنا * بناعجة المعاحر الجلاد
تنفذنا أخاديدا فردت * على سكن وجمع بني عباد

سكن ابن باعث بن الحرث بن عباد والاخاديد من أخذ من النساء . وقال حمران بن عبد عمرو :

ان الفوارس يوم ناعجة المعا * نعم الفوارس من بني سيار
لم يلههم عقد الاصرة خلفهم * وحنين منهلة الضروع عقار
لحقوا على قب الاباطل كالقنا * شعث تعد لكل يوم عوار
حتى حبون أخا القواصر طعنة * وفككن منه القد بعد اسار
سالت عليه من الشعاب خوائف * ودر الغطاط تبلج الاسحار

٧٣ — يوم النسار — قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطيء وغطفان ولحقت بهم ضبة وعدى فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلا شديدا . فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر فتجمعوا حتي لحقوا طيا وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدى يوم الفجار . فقتلت تميم طيا أشد ما قتلت عامر يوم النسار . فقال في ذلك بشر بن أبي حازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

٧٤ — يوم ذات الشقوق — فحلف ضمرة النهشلي . فقال الخمر على حرام حتي يكون له يوم يكافئه فاغار عليهم ضمرة يوم ذات الشقوق فقتلهم . وقال في ذلك :

الآن ساغ لي الشراب ولم أكن * آتي الفجار ولا أشد تكلمي
حتى صبحت على الشقوق بعدة * كالتمر تنثر في حرير الحرم
وأبات يوما بالجفار بمثله * وأجرت نصفا من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلا * من بين عارفة النساء وأيم
ذهب الرماح بزوجها فتركته * في صدر معتدل القناة مقوم

٧٥ — يوم خو — قال أبو عبيدة: غارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا ابلهم فاتى الصريخ الحي فلا يتلاحقوا الا مساء بموضع يقال له خو. وكان ذؤاب بن ربيعة الاشتر على فرس أنثي. وكان عيينة بن الحرث بن شهاب على حصان فجعل الحصان يستنشق ريح الانثى في سواد الليل ويتبعها. فلم يعلم عيينة الا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الاسدي وعيينة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل. وكان عيينة قد لبس درعه وغفل عن جربانها حتى أتى الصريخ فلم يشده. ورآه ذؤاب فاقبل بالرمح الى ثغرة نحره فخر صريعا قتيلا. ولحق الربيع بن عيينة فشد على ذؤاب فاسره وهو لا يعلم انه قاتل أبيه. فكان عنده أسيرا حتى فاداه أبوه ربيعة بابل معلومة قاطعه عليها وتواعد اسوق عكاظ والاشهر الحرم ان ياتي هذا بالابل ويأتي هذا بالاسير. وأقبل أبو ذؤاب بالابل وشغل الربيع بن عيينة فلم يحضر سوق عكاظ. فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤابا قد قتلوه بابيهم عيينة فرثاه وقال.

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة * ماان أحاول جعفر بن كلاب
ان المودة والهوادة بيننا * خلق كسحق الريطة المنجاب
ولقد علمت على التجلد والاسي * ان الرزية كان يوم ذؤاب
ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم * بعيينة بن الحرث بن شهاب
باحبهم فقدا علي أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

فلما بلغهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة. وقالت آمنة بنت عيينة ترثي أباها.

على مثل ابن مية فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبي عيينة سمهريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا للكمي اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

٧٦ — ايام الفجار الاول — قال ابو عبيدة : أيام الفجار عدة وهذا أولها وهو بين كنانة وهوازن وكان الذي هاجه ان بدر بن معشر أحد بنى عقال بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة جعل له مجلس بسوق عكاظ . وكان حدثا منيعا فى نفسه : فقال فى المجلس وقام على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا فى عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنهم لجة بحر مسدف

قال ومد رجله : وقال انا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضر بها . فضربها الاحيمر بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية فاندرها من الركبة . وقال خذها اليك أيها المخندف . قال ابو عبيدة : انما خرصها خريصة يسيرة . وقال فى ذلك :

نحن بنو دهمان ذو التعطرف * بحر لبحر زاخر لم ينزف * نبني على الاحياء بالمعرف

قال ابو عبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كادان يكون بينهما الدماء . ثم تراجعو رأوا ان الخطب يسير :

٧٧ — الفجار الثاني — كان الفجار الثانى بين قريش وهوازن . وكان الذى هاجه أن فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة حسانة بسوق عكاظ . وقالوا ابل أطاف بها شباب من بنى كنانة وعليها برقع وهي فى درع فضل فاعجبهم ما رأوا من هيئتها فسالوها ان تسفر عن وجهها فابت عليهم فاتي أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة الى ظهرها وهى لا تدري . فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا امنعتنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها فنادت المرأة يا آل عامر فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب ابن أمية وأصلح بينهم

٧٨ — الفجار الثالث — وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذي هاجه ان رجلا من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية فاعدم الكناني فوافى النصرى بسوق عكاظ بقرد فاوقفه فى سوق عكاظ . وقال من يبيعني مثل هذا بمالى على فلان حتى اكثر فى ذلك وانما فعل ذلك النصري تعيير الكنانى ولقومه فمر به رجل من بني كنانة فضرب القرد

بسيفه فقتله فهتف النصري يا آل هوازن وهتف الكناني يا آل كنانة . فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال . ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ولم يفقم الشر بينهم . قال أبو عبيدة : فهذه الايام تسمي فجارا لانها كانت في الاشهر الحرم وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها . فلذلك سميت فجارا وهذه يقال لها الفجار الثالث

٧٩ — الفجار الآخر — وهو بين قريش وكنانة كلها وهوازن . وانما هاجها البراض بقتله عروة الرجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فابت أن تقتل بعروة البراض لان عروة سيد هوازن والبراض خليع من بني كنانة أرادوا أن يقتلوا به سيدا من قريش . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة . وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبي عليه الصلاة والسلام كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعنى أناولهم النبل . وكان سبب هذه الحرب ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ويشتري له بثمنها من ادم الطائف ما يحتاج اليه وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذى القعدة فيتسوقون الى حضور الحج . ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وعكاظ بين نخلة والطائف وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال . وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذى القعدة الى وقت الحج ويامن بعضها بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة . ثم قال من يجيرها فقال البراض ابن قيس الضمرى أنا أجيرها على بني كنانة . فقال النعمان ما أريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرجال وهو يومئذ رجل هوازن أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن أنا أجيرها لك على أهل الشيخ والقيصوم فى أهل نجد وتهامة . فقال البراض أعلى بني كنانة تجيرها ياعروة . قال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة . فخرج بها وتبعه البراض وعروة لايخشي منه شيا لانه كان بين ظهراني قومه من غطفان الى جانب فدك الى أرض يقال لها أوارة فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ثم قام فنام . فجاءه البراض فدخل عليه فناشده عروة وقال كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضلة فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة مني ضله * هلا على غيري جعلت الزله * فسوف أعلو بالحسام القلّه

وقال : وداهية يهال الناس منها * شددت على بنى بكر ضلوعى
هتكت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالى بالضروع
جمعت له يدي بنصل سيف * أثل فخر كالجذع الصريع

واستاق اللطيمة الى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفانى وأسد بن خيثم الغنوى حتى دخلا خيبر . فكان البراض أول من لقيهما فقال لهما من الرجلان قالا من غطفان وغنى . قال البراض ماشان غطفان وغنى بهذه البلدة قالا ومن أنت . قال من أهل خيبر قالا ألك علم بالبراض . قال دخل علينا طريدا خليعا فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتا . قالا فاين يكون . قال وهل لكما به طاقة ان دللتكما عليه . قالا نعم . قال فانزلا فنزلا وعقلا راحلتيهما . قال فايكما أجرأ عليه وأمضى مقدما واحد سيفا . قال الغطفانى أنا . قال البراض فانطلق أدلك عليه و يحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل فانطلق البراض يمشى بين يدى الغطفانى حتى انتهي الى خربة فى جانب خيبر خارجة عن البيوت . فقال البراض هو فى هذه الخربة والیها یاوى فانظرنى حتي أنظر أثم هو أم لا فوقف له ودخل البراض . ثم خرج اليه وقال هو نائم فى البيت الاقصى خلف هذا الجدار عن يمينك اذا دخلت فهل عندك سيف فيه صرامة . قال نعم . قال هات سيفك انظر اليه أصارم هو فاعطاه اياه فهزه البراض ثم ضربه به حتي قتله . ووضع السيف خلف الباب وأقبل على الغنوى . فقال ماوراءك . قال لم أر أجبن من صاحبك تركته قائما فى الباب الذى فيه الرجل والرجل نائم لا يتقدم اليه ولا يتاخر عنه . قال الغنوي يالهفاه لوكان أحد ينظر راحلتينا . قال البراض هما علي ان ذهبتا فانطلق الغنوى والبراض خلفه حتي اذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب . ثم ضربه به حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما . ثم انطلق و بلغ قريشا خبر البراض بسوق العكاظ فخلصوا نجيا واتبعتهم قيس لما بلغهم ان البراض قتل عروة الرجال وعلم قيس أبو براء عامر بن مالك فادركوهم وقد دخلوا الحرم ونادوهم يامعشر قريش انا نعاهد الله ان لا نبطل دم عروة الرجال أبدا أو نقتل به عظما منكم وميعادنا وایاكم هذه الليالى من العام المقبل فقال حرب بن أمية لابي سفيان ابنه قل لهم ان موعدكم قابل فى هذا اليوم : فقال خداش بن زهير في هذا اليوم وهو يوم نخلة :

ياشدة ماشددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

لما رأوا خيلنا تزجى أوائلها * آساد غيل حمى اشبالها الاجم
واستقبلوا بضراب لا كفاء له * يبدي من الغرل الا كفال ما كتموا
ولوا سلالا وعظم الخيل لاحقة * كما تخب الى أوطانها النعم
ولت بهم كل محضار ململمة * كانها لقوة بجنبها ضرم

وكانت العرب تسمي قريشا سخينة لا كلهن السخن

٨٠ — يوم شمطة — وهى من يوم الفجار الآخر ويوم نخلة منه أيضا . قال فجمعت كنانة قريشها وعبد منافها والاحابيش ومن لحق بهم من بني أسد ابن خزيمة وسلح يومئذ عبدالله بن جدعان مائة كمى باداة كاملة سوى من سلح من قومه والاحابيش بنوا الحرث بن عبد مناة بن كنانة قال وجمعت سليم وهوازن جموعها واحلافها غير كلاب و بنى كعب فانهما لم بشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة فاجتمعوا بشمطة من عكاظ فى الايام التى تواعدوا فيها على قرن الحول وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها . وكذلك على قبائل قيس غير ان أمر كنانة كلها الى حرب بن أمية وعلى احدى مجنبتيها عبدالله بن جدعان وعلى الاخرى كريز ابن ربيعة وحرب ابن أمية فى القلب وأمر هوزان كلها الى مسعود بن معتب الثقفى . فتناهض الناس وزحف بعضهم الى بعض . فكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة على هوازن حتى اذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم . فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل وقيل ثمانون ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر . فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة

٨١ — يوم العبلاء — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة وكذلك على المجنبتين . فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير .

ألم يبلغك مالقيت قريش * وحى بني كنانة اذ أبيروا
دهمناهم بارعن مكفهر * فظل لنا بعقوتهم زئير

وفى هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام قتله مرة بن معتب الثقفى . فقال رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا * تنتاب الطير لحما بين أحجار

٨٢ — يوم شرب — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقو على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ فالتقوا بشرب ولم يكن بينهم يوم أعظم منه والرؤساء علي هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا . وكذلك على المجنبتين وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل علي مائة بعير ممن لم تكن له حمولة فالتقوا . وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شمطة ويوم العبلاء فحميت قريش وكنانة وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعا . وقال عبد الله بن الز بعرى يمدح بني المغيرة .

الا لله قوم ولدت أخت بني سهم هشام وأبو عبد * مناف مدره الخصم
وذو الرمحين اشبال * من القوة والحزم فهذان يذودان * وذا من كثب يرمى

وأبو عبد مناف قصى وهشام بن المغيرة وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة قاتل يوم شرب برمحين وأمهم ريطة بنت سعيد بن سهم . فقال في ذلك جذل الطعان :

جاءت هوازن ارسالا واخوتها * بنو سليم فهابوا الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم * مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

٨٣ — يوم الحريرة — قال ثم جمع هؤلاء وأولئك ثم التقو على رأس الحول بالحريرة وهي حرة الى جنب عكاظ . والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر الايام . وكذلك على المجنبتين الا ان أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى قد كان مات . فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة أخوه جثامة بن قيس فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة . وكان آخر الايام الخمسة التي تراجعوا فيها . قال فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية . وقتل من كنانة ثمانية نفر قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بني عامر ابن صعصعة . وقتل أبو كنف وابنا اياس وعمرو بن أيوب . فقال خداش بن زهير :

انى من النفر المحمر أعينهم * أهل السوام وأهل الصخر واللوب
الطاعنين نحور الخيل مقبلة * من كل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فابلاكم بلاؤهم * يوم الحريرة ضربا غير مكذوب
لاقتهم منهم آساد ملحمة * ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن ان تقبلوا ناخذ نحوركم * وان تباهوا فانى غير مغلوب

وقال الحرث بن كلدة الثقفي :

تركت الفارس البذاخ منهم * تمج عروقه علقا عبيطا
دعست بنانه بالرمح حتى * سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرديت قومك يا ابن صخر * وقد جشمتهم أمرا شطيطا
وكم أسلمت منكم من كمي * جريحا قد سمعت له غطيطا

مضت أيام الفجار الآخر . وهي خمسة أيام في أربع سنين أولها يوم نخلة ولم يكن لواحد منهما على صاحبه . ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة وهو أعظم أيامهم . ثم يوم العبلاء . ثم ثم يوم شرب وكان لكنانة على هوازن ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة . قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس الى السلم على ان يذروا الفضل ويتعاهدوا ويتواثقوا

٨٤ — يوم عين أباغ — وبعده أيام ذي قار : قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الاكبر ابن ماء السماء . ثم مات فملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند واليها ينسب . ثم هلك فملك أخوه قابوس وأمه هند أيضا فكان ملكه أربع سنين وذلك في مملكة كسري بن هرمز . ثم مات فملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء وذلك في مملكة كسري بن هرمز فغزاه الحرث الغساني . وكان بالشام من تحت يد قيصر فالتقوا بعين أباغ . فقتل المنذر فطلب كسري رجلا يجعله مكانه فاشار اليه عدي بن زيد وكان من تراجمة كسرى النعمان ابن المنذر . وكان صديقا له فاحب ان ينفعه وهو أصغر بني المنذر بن المنذر بن ماء السماء . فولاه كسرى علي ما كان عليه أبوه وأتاه عدي بن زيد فمكنه النعمان ثم سعي بينهما فحبسه حتي أتي على نفسه . وهو القائل :

أبلغ النعمان عني مالكا * انه قد طال حبسي وانتظار
لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
وعداني شمت أعجبهم * انني غيبت عنهم في أسار
لامرئ لم يبل مني سقطة * ان أصابته ملمات العثار
فلئن دهر تولى خيره * زجرت بالنحس لي منه الجوار
لبنا منه قضينا حاجة * وحياة المرء كالشيء المعار

فلما قتل النعمان عدي بن زيد العبادي وهو من بني امريء القيس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

صار ابنه زيد بن عدى الى كسرى . فكان من تراجمته . وكان النعمان عند كسري فحمله عليه فهرب النعمان حتى لحق ببني رواحة من عبس . واستعمل كسرى على العرب اياس بن قبيصة الطائي . ثم ان النعمان تحول حينا فى أحياء العرب . ثم أشارت عليه امرأته المتجردة ان يأتى كسري ويعتذر اليه : ففعل فحبسه بساباط حتى هلك ويقال أوطأه الفيلة . وكان النعمان اذا شخص الى كسرى اودع حلقته وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا هاني‌ء بن مسعود الشيباني . وجعل عنده ابنته هند التي تسمى حرقة . فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء . فقال فيه زهير بن ابي سلمة المزني :

الم تر للنعمان كان بنجوة * من الشر لو ان امرأ كان باقيا
فلم ارخذولا له مثل ملكه * اقل صديقا او خليلا موافيا
خلا ان حيا من رواحة حافظوا * وكانوا اناسا يتقون المخازيا
فقال لهم خيرا واثنى عليهم * وودعهم توديع ان لا تلاقيا

٨٥ — يوم ذى قار — قال ابو عبيدة : يوم ذى قار هو يوم ذى الحنو . ويوم قراقر ويوم الجبايات . ويوم ذات العجرم . ويوم بطحاء ذى قار . وكلهن حول ذى قار وقد ذكرتهن الشعراء . قال ابو عبيدة : لم يكن هاني‌ء بن مسعود المستودع حلقة النعمان وانما هو ابن ابنه واسمه هاني‌ء بن قبيصة بن هاني‌ء بن مسعود لان وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر اصحابه بها فقال اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا فكتب كسري الى اياس بن قبيصة يامره ان يضم ما كان للنعمان فابي هاني‌ء بن قبيصة ان يسلم ذلك اليه . فغضب كسرى واراد استئصال بكر ابن وائل . وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي وقد طمع فى هلاك بكر بن وائل . فقال يا خير الملوك الا ادلك على غرة بكر قال بلى . قال اقرها واظهر الاضراب عنها حتى يجليها القيظ ويدنيها منك فانهم لو قاظوا تساقطوا عليك بما لهم واديا يقال له ذو قار تساقط الفراش فى النار فاقرهم حتي اذا قاظوا جاءت بكر بن وائل حتى نزلوا الحنو حنو ذى قار . فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث خصال اما ان يسلموا الحلقة . واما ان يعروا الديار . واما ان ياذنوا بحرب فتنازعت بكر بينها فهم هانىء بن قبيصة بركوب الفلاة واشار به على بكر وقال لا طاقة لكم بجموع الملك فلم تر من هانىء سقطة قبلها . وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى لا أرى غير القتال فانا ان ركبنا الفلاة متنا عطشا وان اعطينا بايدينا تقتل

حقا تلمنا وتسبي ذرارينا . فراسلت بكر بينها وتوافت بذى قار ولم يشهدها أحد من بنى حنيفة ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر هانى ْ بن قبيصة . ويزيد بن مسهر الشيبانى . وحنظلة بن ثعلبة العجلى . وقال مسمع بن عبد الملك العجلى بن لجيم بن مصعب بن على ابن بكر بن وائل لا والله ما كان لهم رئيس وانما غزوا فى ديارهم فثار الناس اليهم من بيوتهم . وقال حنظلة بن ثعلبة لهاني ْ بن قبيصة يا أبا أمامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وأنه لن يوصل اليك حتي تفنى أرواحنا فاخرج هذه الحلقة ففرقها فى قومك فان تظفر فسترد عليك وان تهلك فاهون مفقود . فامر بها فاخرجت وفرقت بينهم وقال للنعمان لولا انك رسول ما أبت الى قومك سالما . قال أبو المنذر . فعقد كسري للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة واياد . وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر وعقد للهامرز التسترى وكان على مسلحة كسري بالسواد على الف من الاساورة وكتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين وكان عامله على الطف طف سفوان وأمره ان يوافى اياس بن قبيصة . ففعل وسار اياس بمن معه من جنده من طيىء ومعه الهامرز والنعمان بن زرعة وخالد بن يزيد وقيس بن مسعود كل واحد منهم على قومه . فلما دنا من بكر انسل قيس الى قومه ليلا فاتي هانئا فاشار عليهم كيف يصنعون وأمرهم بالصبر ثم رجع . فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى . فقال يا معشر بكر ان النشاب الذى مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة . وقال هانى ْ بن مسعود يا قوم مهلك معذور ، خير من منجى مغرور ، ان الجزع لا يرد القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد فما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء فسقطن الى الارض . وقال ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته فسمى مقطع الوضن قال وقطع يومئذ سبعمائة رجل من بني شيبان أيدى أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف وعلى ميمنتهم بكر بن يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرتهم حنظلة بن ثعلبة العجلي وهانى ْ بن قبيصة ويقال ابن مسعود فى القلب . فتجالد القوم وقتل يزيد بن حارثة اليشكرى الهامرز مبارزة . ثم قتل يزيد بعد ذلك . ويقال ان الحوفزان بن شريك شد على الهامرز فقتله . وقال بعضهم لم يدرك الحوفزان يوم ذي قار وانما قتله يزيد بن حارثة وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا فاتبعهم بكر حتى دخلوا السواد فى طلبهم يقتلونهم واسر النعمان بن زرعة التغلبي

ونجا اياس بن قبيصة على فرسه الحمامة . فكان أول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس ابن قبيصة . وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الا نزع كتفه . فلما أتاه ابن قبيصة ساله عن الجيش . فقال هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم أستاذنه اياس فقال أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر . فاردت أن آتيه فاذن له . ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق . فسال هل دخل على الملك أحد فقالوا اياس فظن انه حدثه الخبر . فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم وقتلهم . فامر به فنزعت كتفاه . قال ابو عبيدة . لما كان يوم ذي قار كان في بكر أسري من تميم قريبا من مائتي أسيرا أكثرهم من بني رياح بن يربوع فقالوا اخلوا عنا نقاتل معكم فانما نذب عن أنفسنا . فقالوا انا نخاف ان لا تناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وغناءنا فذلك قول جرير :

منا فوارس ذي نهد وذي نجب * والمعلمون صباحا يوم ذي قار

قال ابو عبيدة : سئل عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلي ويشكري . فزعم العجلي انه لم يشهد يوم ذي قار غير شيباني وعجلي . وقال اليشكري بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم . فقال عمرو قد فصل بينكما التغلبي حيث يقول :

ولقد رأيت أخاك عمر امرة * يقضي وضيعه بذات العجرم
في غمرة الموت التي لا تشتكي * غمراتها الابطال غير تغمغم
وكانما أقدامهم واكفهم * سرب تساقط في خليج مفعم
لما سمعت دعاء مرة قد علا * واتي ربيعة في العجاج الاقتم
ومحلم يمشون تحت لوائهم * والموت تحت لواء آل محلم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم * في كل سابغة كلون العظلم
ودعت بنو ام الرقاع فاقبلوا * عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعي بحبيب * تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشت * أسد العرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كان زهاءهم * جرب الجمال يقودها ابنا قشعم
والخيل من تحت العجاج عوابسا * وعلى مناسجها سحائب من دم

وقال العديل بن الفرج العجلي :

ماأوقد الناس من نار لمكرمة * الا اصطلينا وكنا موقدى النار
وما يعدون من يوم سمعت به * للناس افضل من يوم بذى قار
جئنا باسلابهم والخيل عابسة * لما استلبنا لكسرى كل اسوار

قال وقالت عجل لنا يوم ذى قار فقيل لهم من المستودع ومن المطلوب ومن ناصب الملك ومن الرئيس فهو اذا لهم كانت الرياسة لهاني وكان حنظلة يشير بالرأي . وقال شاعرهم :

ان كنت ساقية يوماذوى كرم * فاسقي الفوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ذمارهم * وأعلى مفارقهم مسكا وريحانا

وقال أعشى بكر :

أما تميم فقد ذاقت عداوتنا * وقيس غيلان مس الحزى والاسف
وجند كسرى غداة الحنو صبحهم * مناغطاريف ترجو الموت وانصرفوا
* لقوا ململمة شهباء يقدمها * للموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة * موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم * مثل الاسنة لا ميل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم * جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا * ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم * ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو أن كل معد كان شاركنا * فى يوم ذي قارما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم * ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت * حتي تولت وكاد القوم ينتصفوا
بطارق وبنى ملك مرازبة * من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها * تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل فى حافات جمعهم * والبيض برق بدا فى عارض يكف
مافى الخدود صدود عن سيوفهم * ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

و قال الاعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

أطورين في عام غزاة ورحلة * ألا ليت قيسا عرفته القوابل
لقد كان في شيبان لو كنت عالما * قباب وفيهم رحلة وقبائل
ورجراجة تعشى النواظر فخمة * وجرد على أكتافهن الرواحل
رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم * فلا يبلغني عنك ما أنت فاعل
فعريت من أهل ومال جمعته * كما عريت مما تمر المغازل
شفى النفس قتلي لم توسد خدودها * وسادوا ولم تعضض عليها الانامل
لعلك يوم الحنو اذ صبحتهم * كتائب موت لم تعطك العواذل

ولما بلغ كسري خبر قيس بن مسعود اذنقل الى قومه حبسه حتي مات في حبسه . وفيه يقول الاعشى

وعريت من أهل ومال جمعته * كما عريت مما تمر المغازل

وكتب لقيط الايادي الى بني شيبان في يوم ذي قار شعرا يقول في بعضه :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا و متبعا
حتى استمر على شزر مريرة * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

وهذه الابيات نظير قول عبد العزيز بن زرارة :

غشيت في الدهر أطوارا على طرق * شتى فصادفت منه اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني * ولا تخشيت من لاوائه جزعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعه * ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

١٧

فن من كتاب الزمردة الثانية

﴿فى فضائل الشعر﴾

قال الفقيه ابو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، اذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها ، والمقيد لايامها ، والشاهد على حكامها ، حتي لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطي المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة . فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات . قال بعض المحدثين قصيدة له ويشبهها ببعض هذه القصائد بقوله :

برزت تذكر فى الحسن من الشعر المعلق   كل حرف نادر منها له وجه معشق

١ — المعلقات — لامرىء القيس قفا نبك . ولزهير أمن أم أوفى . ولطرفة لخولة أطلال . ولعنترة يادار عبلة . ولعمرو بن كلثوم ألا هبي . وللبيد عفت الديار . وللحرث بن حلزة آذنتنا ببينها اسماء . اختلف الناس فى أشعر الشعراء . قال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده امرؤ القيس بن حجر هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر ابن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان من الذى يقول

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا نابغة بنى ذبيان . قال لهم فمن الذي يقول هذا الشعر :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى * على وجل تظن بى الظنون

فالفيت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لايخون

قالوا هو النابغة قال هو أشعر شعرائكم . وما أحسب عمر ذهب الا الى انه أشعر شعراء غطفان ويدل على ذلك قوله هو أشعر شعرائكم : وقد قال عمر لابن عباس أنشدني لاشعر الناس الذى

لا يعاظل من القوافي ولا يتبع حوشي الكلام . قال من ذلك يا أمير المؤمنين قال زهير بن أبي سلمي . فلم يزل ينشده من شعره حتي أصبح وكان زهير لا يمدح الا مستحقا كمدحه لسنان ابن أبي حارثة وهرم بن سنان . وهو القائل :

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وكذلك أحسن القول ما صدقه الفعل . قالت بنو تميم لسلامة بن جندل مجدنا بشعرك قال افعلوا حتى أقول . وقيل للبيد من أشعر الشعراء قال صاحب الفروج يريد امرأ القيس . قيل له فبعده من . قال ابن العشرين يعني طرفة . قيل له فبعده من قال أنا . وقيل للحطيئة من أشعر الناس قال الذى يقول :

من يسال الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

يريد عبيد بن الابرص قيل له فبعده من فاخرج لسانه وقال هذا اذا رغب . وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس قال النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم واحدة يعني قصيدته * لخولة أطلال ببرقة ثهمد * وفيها يقول

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال هذا من كلام النبوة . وسمع عبد الله بن عمر رجلا ينشد بيت الحطيئة :

متي تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذاك رسول الله اعجابا بالبيت يعني ان مثل هذا المدح لا يستحقه الا رسول الله صلي الله عليه وسلم . وسئل الاصمعى عن شعر النابغة . فقال ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت . وسئل عن شعر الجعدي فقال . مطرف بالف وخمار براق . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن أبي ربيعة فقال ذلك الفستق المقشر الذي لا يشبع منه . وقال فى عمرو بن الاهتم كأن شعره حلل منشرة . سئل عمرو بن العلاء عن جرير والفرزدق فقال هما بازيان يصيدان ما بين الفيل والعندليل . وقال جرير انا مدينة الشعر والفرزدق نبعته . وقال بلال بن جرير قلت لابي يا أبت انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم الا بني نجا قال انى لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . واختلف الناس في أشعر نصف بيت قالته العرب . فقال بعضهم قول

أبي ذؤيب الهذلي * والدهر ليس بمعتب من يجزع * وقال بعضهم قول حميد بن ثور الهلالي * توكل بالادني وان جل ما يمضي * وقال بعضهم قول زهير * ومن بك رهنا للحوادث يغلق * وهذا مالا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه . والشعر لا يفوت به أحد ولا ياتي به بديع الا أتي ما هو أبدع منه . ولله در القائل أشعر الناس من أبدع في شعره ألا ترى مروان بن أبي حفصة على موضعه من الشعر و بعد صيته فيه ومعرفته وسمعته أنشدوه لامرىء القيس فقال هذا أشعر الناس وقد قالوا لحسان ابن ثابت أفخر بيت قالته العرب وأحكم بيت قالته العرب . فاما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

ويوم بدر اذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائهم ومحمدا

وأما أحكم بيت قالته العرب فقوله :

فان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ماجني لسعيد

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبي اذا تنحنح للقري * حك استه وتمثل الامثالا

ولما قال جرير هذا البيت قال والله لقد هجوت بني تغلب ببيت لو طعنوا في استاههم بالرماح ماحكوها . ويقال ان أبدع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

ويقال ان اصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة وهم رهط أعشي بكر وباصحاب النخل من يثرب يريد الاوس والخزرج وأصحاب الشعف من هذيل والشعف رؤس الجبال

٢ — فضائل الشعر — ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه في قلوبهم انه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تاليفه وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا ما هذا الا سحر . وقالوا في النبي صلى الله عليه وسلم شاعر نتربص به ريب المنون . وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمرو بن الاهتم لما أعجبه

كلامه ان من البيان لسحرا . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا * رواية مرا ومرا شاعرا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال كعب الاحبار : انا نجد قوما فى التوراة اناجيلهم في صدورهم تنطق السنتهم بالحكمة وأظنهم الشعراء . وقال عمر بن الخطاب : رضى الله عنه أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها فى حاجاته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم . وقال الحجاج : للمساور بن عبد مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر مابلغت قال أرعي به الكلأ وأشرب به الماء وتقضى لى به الحاجة فان كفيتني ذلك تركته وقال عبد الملك بن مروان : لمؤدب ولده روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا وينجدوا . وقالت عائشة رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم . وبعث زياد : بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ماساله عنه . ثم استنشده الشعر فقال لم أرومنه شيئا . فكتب معاوية الى زياد مامنعك ان ترويه الشعر . فوالله ان كان العاق يرويه فيبر وان كان البخيل يرويه فيسخو وان كان الجبان يرويه فيقاتل . وكان على رضى الله عنه اذا أراد المبارزة فى الحرب أنشا يقول :

أى يومى من الموت أفر * يوم لايقدر أم يوم قدر
يوم لايقدر لا أرهبه * ومن المقدور لاينجو الحذر

وقال المقداد بن الاسد : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها . وفى رواية الخشني عن أبي عاصم عن عبد الله بن الاحمق عن أبي مليكة قال قالت عائشة رحم الله لبيدا كان يقول :

قضى اللبانة لا أباك واذهب * والحق باسرتك الكرام الغيب
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أدرك زماننا هذا . ثم قالت اني لاروى الف بيت له وانه أقل ماأروى لغيره . وقال الشعبي : ماأنا لشيء من العلم أقل منى رواية للشعر ولو شئت ان أنشد شعرا شهرا لاأعيد بيتا فعلت . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن حباب تقول :

ارفع ضعيفك لايحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ماجني
يجزيك او يثنى عليك فان من * اثني عليك بمافعلت كمن جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس. يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعى . عن أبيه عن جده قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلقى :

لا تامنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا تجمى كل انسان
فاسلك طريقك تمسى غير مختشع * حتي تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذي صاحب يوما مفارقه * وكل زاد وان أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أدرك هذا الاسلام لاسلم . أبو حاتم : عن الاصمعي قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك يارسول الله قال نعم . فانشده :

تركت القيان وعزف القيان * وأدمنت تصلية وابتهالا
وكر المشقر فى حومة * وتثني على المشركين القتالا
أيارب لا أغبنن صفقتي * فقد بعت مالي وأهلي بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ربح البيع . وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء بجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى . فقال الى الجنة يارسول الله بك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنة ان شاء الله . فلما بلغ قوله وانتهى وهو يقول :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية سفيان الثوري : عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال انها لكلمة نبي يعني قول الشاعر

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وسمع كعب قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قال انه فى التوراة حرف بحرف يقول الله تعالى من يفعل الخير يجده عندى لا يذهب

الطير بيني و بين عبدي . ابن عباس قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتا لامية ابن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش . وهي :

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مرصد
والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمرا و يصبح لونها يتوقد
تابى فما تطلع لهم فى وقتها * الا معذبة والا تجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدق له . ومن حديث ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تروي من شعر أمية بن أبي الصلت شيأ قلت نعم . قال فانشدني فانشدته فجعل يقول بين كل قافيتين هيه حتى أنشدته مائة قافية . فقال هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه . ولو لم يكن من فضائل الشعر الا أنه أعظم جند يجنده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يدل على ذلك قوله لحسان شن الغطار يف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام وتحفظ بمشي فيه (١) قال والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به ارنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيد الله حسان فى هجوه بروح القدس . وقال ابن سيرين : بلغني أن دوسا انما أسلمت فرقا من كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قضينا من تهامة كل نحب * وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت * قواضبهن دوسا أو ثقيفا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

ولو لم يكن من فضائل الشعر الا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة أخبرني ما الشعر يا عبد الله . قال شيء يختلج فى صدرى فينطق به لساني قال فانشدنى فانشده شعره الذي يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن * قفوت عيسى باذن الله والقدر

---

(١) بياض فى الاصل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإياك قبلت لله وإياك قبلت لله . ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازى وابن هشام . قال ابن اسحق لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء وقال ابن هشام الاثيل أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة ابن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت اخته قتيلة ابنة الحرث ترثيه

يا راكبا ان الاثيل مطية * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني عليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضران ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ياخير ضنو كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتي وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق بعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام . قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر لو بلغني قبل قتله ماقتلته وقال من حديث زياد بن طارق الجشمي : قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى حرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعما اذا كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشا فى هوازن وأرضعوه . فقال عليه الصلاة والسلام أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال فاذا كان هذا مقام الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم فاى وسيلة تبلغه أو تعسره . وكان الذى هاج فتح مكة ان عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بني كعب خرج

من مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت خزاعة فى حلف النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهده وعقده . فلما انتقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا أقبل عمرو بن مالك الخزاعى بابيات قالها . فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين أظهر الناس . فقال :

يارب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الا تلدا
قد كنت والدا وكنا ولدا * وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيما خلطة وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض عارض من السماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه السحابة تستهل بنصر بني كعب . وقال عمر بن الخطاب : الشعر جذل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفا به النائرة ويبلغ به القوم في ناديهم ويعطى به السائل . فقال ابن عباس الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز فاحسبه ذهب الى شعر الحجاز وحض عليه اذ لغتهم أوسط اللغات . وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخي انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعر الشريفة فى قومها والعفيفة فى نفسها والهجاء فانك لا تعدوان تعادي كريما أو تستثير به لئيما ولكن أفخر بيت قومك وقل من الامثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك . وسئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وان شاعرا كتب اليه يقول :

نحج اذا حجوا ونغزو اذا غزوا * فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة * من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته * سيرضون ان شاطرتهم منك بالشطر

قال فشاطرهم عمر أموالهم . وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاد أو جلاء

فجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها . وانما أراد مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو

بينة وأنشد عمر قول عبدة بن الطبيب * والعيش شح واعقاق وتاميل * فقال على هذا بنيت الدنيا. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال قالت عائشة فدخلت عليهما . فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك . قالت فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت ادنى من شراك نعله

قالت وكان بلال اذا أقلعت عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة كان عامر بن فهيرة يقول :

وقد رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه * كالثور يحمي جلده بروقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته . فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة . ومن حديث البراء بن عازب قال لما كان يوم حنين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والعباس وأباسفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهما آخذان بلجام بغلته وهو يقول : انا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب : ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه لما دخل الغار مكث فقال . هل أنت الا أصبع دميت . وفي سبيل الله مالقيت . فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم وان لم يتعمد به قائله المنظوم . ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن مثل قول عبد مملوك لمواليه . اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا قدا كتوى . ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ولا يسمي قول النبي صلي الله عليه وسلم وان كان موزونا شعرا لانه لا يراد به الشعر . ومثله فى آى الكتاب . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . ومنه وجفان كالجواب وقدور راسيات . ومثله ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ومنه فذلك الذي يدع اليتيم . ولو تطلبت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يسمي شعرا من ذلك قول القائل من يشترى باذنجان تقطيعه مستفعلن مفعولات وهذا كثير

٣ — من قال الشعر من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين — كان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم حسان . وكعب بن مالك . وعبد الله بن رواحة . وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر الثلاثة . ومن قول على كرم الله وجهه بصفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عني والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وقال أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر قيل له وانت أبا حمزة قال وانا . وقال عمرو بن العاص يوم صفين :

شبت الحرب فاعددت لها * مفرع الحارك محبوك الثبج
يصل المشد بشد فاذا * ونت الخيل عن الشد معج
جرشع أعظمه جفرته * فاذا ابتل من الماء خرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كانهم * سحاب ربيع زعزعتها الجنائب
وجئناهم نردي كان صفوفنا * من البحر مد موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نري ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نري ان نضارب

﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة . وله يقول سعيد بن المسيب انت الفقيه الشاعر لا بد للصدر ان ينفث يعنى انه من كان فى صدره زكام فلا بد ان ينفث به زكمة صدره يريدان كل من اختلج فى صدره شيء من شعر أو غيره ظهر على لسانه وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو ان لى مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بدينار

قال عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ما أحسن الحسنات فى أثر السيآت واقبح السيآت فى أثر الحسنات . وأحسن من هذا وأقبح من ذلك الحسنات فى أثر الحسنات والسيآت في أثر السيآت ﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عروة بن أذينة وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عنه مالك . وقال ابن شبرمة كان عروة ابن أذينة يخرج فى الثلث الاخير من الليل الى سكك البصرة فينادى يا أهل البصرة « أو امن أهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون » الصلاة الصلاة ﴿ ومن شعراء الفقهاء المبرزين ﴾ عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق . وقال حسان : خرجنا مع ابن المبارك مرابطين الى الشام . فلما نظر الى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت الي وقال انا لله وانا اليه راجعون على أعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها في علم الخلية والبرمة وتركنا ههنا أبواب الجنة مفتوحة . قال فبينما هو يمشي وأنا معه في أزقة المصيصة اذ لقى سكران قد رفع عقيرته يتغني ويقول :

أذلني الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج برنامجا من كمه . فكتب البيت فقلنا له أتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال اما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة قالوا نعم قال فهذه جوهرة فى مزبلة . وبلغ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره . فكتب اليه :

أتانى عنك هذا اليوم قول * فضقت به وضاق به جوابي
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة فى التراب
وقد عزوا على ان اسلمونى * معا فلبست بعدهم ثيابي

وقد ذكرنا شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن أذينة في الباب الذى يتلو هذا وهو قولهم في الغزل. الواسطى: عن بعض أشياخ الشام قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب. ووجه راشد بن عبيد الله السلمي أميرا على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبيد الله

صحا القلب عن سلمي وأقصر شاوه * وردت عليه ما بغته تماضر
وحكمه شيب القذال على الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجرا
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض مني الغدائر

علي انه قدهاجه بعد صحوه * بمعرض ذي الاجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * وبين قرى بصري ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوي * كما قر عينا بالاياب المسافر

وكان عبدالله بن عمر يحب ولده سالما حبا مفرطا فلامه الناس فى ذلك . فقال :

يلومونني فى سالم وألومهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وقال ان ابنى سالما يحب الله حبا ولو لم يخفه ما عصاه . وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا برز للقتال أنشد .

أى يومي من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجى الحذر

وكان اذا سار بارض الكوفة يرتجز ويقول

ياحبذا السير بارض الكوفة * أرض سواء سهلة معروفة
* تعرفها جمالنا المعروفة *

وكان ابن عباس فى طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو بالابل ويقول :

أوبى الى أهلك يارباب * أوبى فقد حان لك الاياب

وقال ابن عباس لما كف بصره :

أن ياخذ الله من عيني نورهما * ففى لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

٤ — قولهم فى الغزل — قال رجل لمحمد بن سيرين ماتقول فى الغزل الرقيق ينشده الانسان فى المسجد فسكت عنه حتي أقيمت الصلاة وتقدم الى المحراب فالتفت اليه . فقال :

ونبرد برد الفراديس فى الصيف رقرقت فيها العبيرا
ونسخن ليلة لايستطيع * نباحا بها الكلب الاهريرا

ثم قال الله أكبر . وقال الحجاج دخلت المدينة فقصدت الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا بابي هريرة قد اكب الناس عليه يسالونه . فقلت هكذا افرجوا لى عن وجهه فافرج لى عنه فقلت له انما أقول هذا :

طاف الخيال الان فهاجا سقما * خيال أروى وخيال تكتما
تريك وجها ضاحكا ومعصما * وساعدا عبلا وكفا أبرما

ثم انقول فيه قال قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد مثل هذا المسجد فلا ينكر . ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه . وأنشد :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
ماان تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل
وكانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل
ولا يغرنك مامنت وماوعدت * ان الامانى والاحلام تضليل

ثم خرج من هذا الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين الفا . ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتي أضر بك الكتم * ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونم عليك الكاشحون وقبل ذا * عليك الهوى قد نم لو نفع النم
فيامن لنفس لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

ومن شعر عروة بن أذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى وبحت به * قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما القي على بصرى

وقد وقفت عليه المرأة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * غدوت نحو سقاء الماء أبترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ماقال هذا رجل صالح وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله بل لم يكن مرائيا . ولكنه كان مصدورا فنفث وقدم عروة بن أذنيه على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة . فلما

دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ثم التفت الى عروة . فقال له ألست القائل :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بان رزقي وان لم آت يأتيني
أسعى له فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني

قال فما أراك الا وقد سعيت له . قال سانظر فى أمرى ياأمير المؤمنين وخرج عنه فجعل وجهته الى المدينة فبعث اليه بألف دينار وكشف عنه . فقيل له قد توجه الى المدينة فبعث اليه بالالف دينار . فلما قدم عليه بها الرسول قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له أنا كما قلت قد سعيت وعييت فى طلبه وقعدت عنه فاتاني لا يعنيني . ومن قول عبد الله بن المبارك وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سالت جارتها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما تنعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا تقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن فى كل عين من برد
حسدا حملته من شانها * وقديما كان فى الحب الحسد

وقال شريح القاضى وكان من جملة التابعين والعلماء المتقدمين استقضاه على رضي الله تعالى عنه ومعاوية وكان تزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب فنقم عليها فضربها ثم ندم : فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني حين أضرب زينبا
أأضربها في غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس أذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا برزت لم تبد منهن كوكبا

٥ — قولهم فى المدح — قال حج الرشيد وزميله أبو يوسف القاضي . قال شراحيل بن زائدة وكان كثيرا ما أسايره . فبينما انا أسايره اذ عرض له اعرابى من بني أسد فانشده شعرا مدحه فيه وعرضه . فقال له الرشيد ألم أنهك عن مثل هذا فى شعرك يا أخا بني أسد اذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبي حفصة فى أبي هذا وأشار الى يقول :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
بها ليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كاولهم فى الجاهلية أول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وقال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

ان أولى بالحق فى كل حق * ثم أحرى بان يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا * ن ومن كان جده الفاروقا
ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذرا شاهق يفوت الانوقا

مدح عباس بن مرداس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة ومدحه كعب بن زهير فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم وان ذلك البرد لعند الخلفاء الى اليوم . وقال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فانشدته قوله فى هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاقلاذ ماولدوا
لوكان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مزردون بها ليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر ما كان أحب الى لوكان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى صناعة عمر بالشعر كيف لم يرأحدا يستحق هذا المدح الا أهل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . واسمع رجل عبد الله بن عمر بيت الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرأحدا يستحق المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستاذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له . فقال اعلموا أمير المؤمنين انى قلت شعرا أوله الحمد لله فاعلموه فاذن له فادخل عليه وهو يقول :

الحمد لله أما بعد ياعمر * فقد أتتنا بك الحاجات والقدر
فانت رأس قريش وابن سيدها * والرأس فيه يكون السمع والبصر

فامر له بحلية سيفه . ومدحه جرير بشعره الذى يقول فيه :

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فامرله بثلثمائة درهم . ومدحه دكين الراجز فامرله بخمس عشرة ناقة . ومدح نصيب بن رباح عبدالله بن جعفر فامرله بمال كثير وكسوة و رواحل . فقيل له تفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله لئن كان عبدا ان شعره لحر وان كان اسود ان ثناءه لابيض وانما أخذ مالا يفني وثيابا تبلى ورواحل تنضى فاعطى مديحا يروى وثناء يبقى . ودخل ابن هرم ابن سنان على عمر بن الخطاب . فقال له من أنت قال أنا ابن هرم بن سنان . قال صاحب زهير قال نعم . قال أما انه كان يقول فيكم فيحسن . قال كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال ذهب ما اعطيتموه وبقي ما أعطاكم وكان الطريح الثقفى ناسكا شاعرا . فلما قال فى أبى جعفر المنصور قوله :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * تعطف عليه الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والمو * ج عليه كالسيل يعتلج
لهم أو كاد أو لكان له * فى سائر الارض عنك منعرج

فكيف ذلك وهو يقول للسيل دع طريقك . فبلغ ذلك الطريح فقال الله يعلم اني انما أردت يارب لو قلت للسيل دع طريقك . وقال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب فى هجائه للزبرقان بن بدر أبياتا يمدح فيها عمر و يستعطفه . فلما قرأها عمر عطف له وأمر باطلاقه والابيات :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقى اليك مقاليد النهي البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

ودخل ابن دارة على عدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمالى ثم امدحني على حسبه فاني أكره ان لا اعطيك ثمن ما تقول لى الف شاة والف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل الله فامدحني على حسب ما أخبرتك فقال :

تحن قلوصى في معد وانما * تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل
وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبوك جواد لا يشق غباره * وانت جواد ليس تعذر بالعلل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال عدى أمسك لا يبلغ الى اكثر من هذا

٦ — قولهم فى الهجاء — قال الله تبارك وتعالى فى هجو المشركين « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » فارخص الله للشعراء بهذه الآية فى هجائهم لمن تعرض لهم . يزيد ابن عمرو بن تميم الخزاعى عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبا سفيان يهجوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه هجانى وانى لا أقول الشعر فاهجه عني . فقام اليه عبد الله بن رواحة فقال يارسول الله ائذن لى فيه . قال أنت القائل هممت الخ . قال نعم قال لست له . ثم قام حسان بن ثابت فقال يارسول الله ائذن لى فيه وأخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال أنت له اذهب الى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك . فقال يرد على ابى سفيان :

ألا ابلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا واجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويطريه ويمدحه سواء
لنا فى كل يوم من معد * سباب اوقتال اوهجاء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء
فان أبي ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وقال رجل من اهل اليمن دخلت الكوفة فاتيت المسجد فاذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص وهو يقول الصق بالعجوزين . قلت له سبحان الله اتقول هذا وأنتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال ان شئت فاجلس وان شئت فاذهب فجلست . فقال اتدرى ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا اهل مكة . قلت لا أدرى قال كان يقول لنا قولوا لهم مثل مايقولون لكم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لقد شكر الله لك بيتا قلته وهو :

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

وسالت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا . فقال حسان فى ذلك :

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الملك بن مروان ماهجانى أحد باوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقيل لعقيل بن علقمة : مالك لا تطيل الهجاء . قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . وقال رجل من ثقيف لمحمد بن مناذر مابال هجائك اكثر من مدحك قال ذلك مما اغرانى به قومك واضطرنى اليه لومك . وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لجرير انك لعفيف الفرج كثير الصدقة فلم تسب الناس . قال يبدؤني ثم لا أغفر لهم . وكان جرير يقول لست عندى ولكنني بعيد يريد انه يسرف فى القصاص . ومثله قول الشاعر :

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما * دفنتم بافناء العذيب القوافيا
فلسنا كمن قد كنتم تظلمونه * فيقتل نفسا أو يحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكنا أسانا التقاضيا

وكان عمر بن الخطاب يقول . واحدة باخري والبادي أظلم . قيل وفد جرير على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك للاخطل أتعرف هذا قال لا قال هذا جرير . قال والذى عرفني اعيار امك ياجرير ماعرفتك قال له جرير والذى أعمي بصيرتك وادام خزيتك لقد عرفتك بسيماك سيما أهل النار . ابن الاعرابي : قال . دخل كثير عزة على عبد الملك فانشده وعنده رجل لا يعرفه فقال لعبد الملك هذا شعر حجازى دعنى أضغمه له ضغمة . قال كثير من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الاخطل قال فالتفت اليه فقال له هل ضغمت الذى يقول :

والتغلبي اذا تنحنح للقرا * حك استه وتمثل الامثالا
تلقاهم حلفا على أعدائهم * وعلى الصديق تراهم جفالا

حدثنا يحيي بن عبد العزيز قال . حدثنا عبد الملك بمصر كان رجل له صديق يقال له حصين فولى موضعا يقال له السابين فطلب اليه حاجة فاعتل عليه فيها . فكتب له :

اذهب اليك فان ودك طالق * مني وليس طلاق ذات البين

فاذا اروعيت فانها تطليقة * ويقيم ودك لي على سنتين
وأذا أتيت شفعتها بمثالها * فيكون تطليقين في حيضين
وان الثلاث أتتك مني نية * لم تغن عنك ولاية السابين
ولم أرض أن أهجو حصينا وحده * حتى اسود وجه كل حصين

طلب دعبل بن على حاجة الى بعض الملوك فصرح بمنعه. فكتب اليه :

أحسبت أرض الله ضيقة * عني فارض الله لم تضق
وحسبتني فقعا بقرقره * فوطئتني وقفا على حنق
فاذا سألتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
واعد لى غلا وجامعة * فاجمع يدي بها الى عنقي
ثم ارم بي في قعر مظلمة * ان عدت بعد اليوم في الحمق
ما أطول الدنيا وأوسعها * وأدلني بمسالك الطرق

ومثل هذا قول أبي زبيد

ان كان رزقي اليك فارم به * في ناظري حية على رصد * ليتك أدبتني بواحدة
تجعلها منك آخر الابد * تحلف أن لا تبرني أبدا * فان فيها بردا على كبدي

وقال زياد ماهجيت بيتا قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففي ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتامير
عاشت سمية ماعاشت وماعلمت * ان ابنها من قريش في الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لا يدفع الخلق محتوم المقادير

وقال بلال بن جرير سألت أبي أى شيء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث :

ألست كليبا اذا سيم خطة * أقر كاقرار الحليلة للبعل
وكل كليبي صحيفة وجهه * اذل لاقدام الرجال من النعل

وكان بلال بن جرير شاعرا ابن شاعر ابن شاعر لان غطفان كان شاعرا وهو يقول :

مازال عصياننا لله يسلمنا * حتى دفعنا الى يحيي وبندار
الى عليجين لم تقطع ثمارهما * قد طال ماسجدا للشمس والنار

ومن أخبث الهجاء قول جميل :

أبوك حباب سارق الضيف برده * وجدي باشماخ فارس شمرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لآباء سوء يلقهم حيث سيرا
فان تغضبوا من قسمة الله فيكم * فلله اذلم يرضكم كان أبصرا

وقال كثير فى نصيب وكان أسود و يكنى أبا الحجناء :

رايت أبا الحجناء فى الناس حائرا * ولون أبي الحجناء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

وكان يقال لسعد بن أبي وقاص المستجاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد فقال رجل بالقادسية فيه :

ألم تر أن الله أنزل نصره * وسعد بباب القادسية معصم
فابنا وقد أيمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفني يده ولسانه فخرس وقطعت يده . وذكر عند المبرد محمد بن يزيد النحوى رجلا من الشعراء فقال لقد هجاني ببيتين أنضج بهما كبدي فاستنشدوه فانشدهم هذين البيتين :

سالنا كل حى عن ثماله * فكل قد أجاب ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدتهما جهاله

ولم يقل أحد أحسن من قول أبي نواس :

وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن مبس * أأجمع وجه هذا والحراما

وكان جرير يقول اذا هجوت فاضحك و ينشد :

اذا سلمت فتاة بني تميم * تلقم باب عضرتها الترابا
ترى برصا باسفل أسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

وقوله : وتقول اذ نزعوا الازار عن استها * هذى دواة معلم الكتاب

وقوله : استوطنت بي سجايا من بني مطر * وخاطرت بى عن احسابها مضر
هيا أتم عمرا حامى دياركم * كانها لاست الخارىء الحجر

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح بن حكيم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأتها تميم يوم زحف لولت
ولو أن عصفورا يمد جناحه * لقامت تميم تحته واستظلت

وقال جرير في بني تغلب :

قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقال محمد بن الجهم يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل :

أحسن من سبعين بيتا سرى * جمعك اياهن في بيت
ما أحوج الملك الى ديمة * تغسل عنه وضر الزيت

ومن أخبث الهجاء قول زياد الاعجم :

قالوا الاشاقر تهجوهم فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
وهم من الحسب الذاكى بمنزلة * كطحلب الماء لا أصل ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

وقوله :

قضى الله خلق الناس ثم خلقتم * بقية خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا الذي كان قبلكم * ولم تدركوا الا مدق الحوافر

وقال فيهم :

قبيلة خيرها شرها * وأصدقها الكاذب الآثم
وضيفهم وسط أبياتهم * وان لم يكن صائما صائم

ونظير هذا قول الطرماح :

وما خلقت تيم وزيد مناتها * وضبة الا بعد خلق القبائل

ومن أخبث الهجاء قول الطرماح في بني تميم :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها * حوض الرسول عليه الازد لم ترد
أو أنزل الله وحيا أن يعذبها * ان لم تعد لقتال الازد لم تعد
وكل لؤم أباد الله سبته * ولؤم ضبة لم ينقص ولم يزد
لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الذل أولهم * كما أقامت عليه خدمة الوتد

ومن قول المساور بن هند :

ماسرني ان قومي من بني أسد * وان ربي ينجيني من النار
وانهم زوجوني من بناتهم * وان لي كل يوم ألف دينار

ومن أخبث الهجاء في نمير المطاعة :

اذا ما نأى عني الصديق وسبني * بها غير ذي اثم فلا أتكلم

وقال عبيدة :

يا أبا جعفر كتبتك سمحا * فاستطال المداد والميم لام
لا تلمني على الهجاء فلم يهجك الا المداد والاقلام

وقال سليمان بن أبي شيخ كان أبو سعيد الرأى يمارى أهل الكوفة ويفضل أهل المدينة فجاءه رجل من أهل الكوفة وسماه شرشيرا . وقال كلب في جهنم يسمي شرشيرا فقال :

عندى مسائل لاشرشير يعرفها * ان سيل عنها ولا أصحاب شرشير
وليس يعلم هذا الدين يعلمه * الا حنيفية كوفية الزور
لا تسألن مدينيا فتكفره * الا عن البم والمثنى والزير

فكتب أبو سعيد الى أهل المدينة انكم قد هجيتم فردوا فرد عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عجبت لغاوساقه قدر * وكل أمر اذا ما حم مقدور
قالوا المدينة أرض لايكون بها * الا الغناء والا البم والزير
لقد كذبت لعمر الله ان بنا * قبر النبي وخير الناس مقبور

فما انتصر في بيته ولم يقل شيأ : وقال مساور العزاف في أهل القياس :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة * حتى بلينا باصحاب المقاييس
قاموا من السوق اذ قامت مكاسبهم * فاستعملوا الرأى بعد الجهد والبوس
أما الغريب فامسوا لاعطاء لهم * وفي الموالي هم شح علاميس

فلقيه أبو حنيفة فقال له هجوتنا نحن نرضيك فبعث اليه بدراهم فكف عنه . وقال :

اذا ما الناس يوما قايسونا * بمسئلة من الفتيا ظريفه
أتيناهم بمقياس صحيح * بديع من طراز أبي حنيفة
اذا سمع الفقيه بها وعاها * وأثبتها بحبر في صحيفه

ومن خبيث الهجاء قول الشاعر :

عجبت لعبدان هجوني سفاهة * ان اصطحبوا من شاتم ونفيل
بحارورسيان وفهروغالب * وعون ومقدام وابن صفول
فاما الذى يحصيهم فمكثر * وأما الذي يطريهم فقليل

وقال أبو العتاهية فى عبدالله بن معن بن زائدة :

قال ابن معن وجلى نفسه * على القرابين من الاهل
هل فى جواري بني وائل * جارية واحدة مثلى
قد نقطت فى خدها نقطة * مخافة العين من الكحل

٧ — مداراة الشعراء — قال مدح قوم من الشعراء جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فما طلهم بالجائزة . وكان الخليل بن أحمد صديقه وكان وقت مدحهم اياه غائبا . فلما قدم الخليل أتوه فاخبروه فاستغاثوا به عليه . فكتب اليه :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضي * وعقابهم باق على الايام

فاجازهم وأحسن اليهم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما مدحه عباس بن مرداس اقطعوا عني لسانه قالوا بماذا يارسول الله فامر له بحلة قطع بها لسانه . ومدح ربيعة الرقى يزيد بن حاتم وهو والى مصر فتشاغل عنه ببعض الامور واستبطاه ربيعة فشخص من مصر . وقال :

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه ورده . فلما دخل عليه قال له أنت القائل أراني ولا كفران البيت قال نعم . قال هل قلت غير هذا قال لا قال والله لترجعن بخفى حنين مملوءة مالا . فامر بخلع خفيه وان تملأ له مالا . ثم قال أصلح ما أفسدت من قولك . فقال فيه لما عزل من مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم السلمي :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاعز بن حاتم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندي * يزيد سليم والاعز ابن حاتم
فهم الفتى القيسى انفاق ماله * وهم الفتى العبسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

واعلم : ان بقية الشعراء لم تحفظ الاغراض التى أمر الله تعالى بحفظها . وقد وضعنا فى هذا الكتاب بابا فيمن وضعه الهجاء ومن رفعه المدح . وكان لزياد عامل على الاهواز يقال له تيم فمدحه رجل من الشعراء فلم يعطه شيا . فقال الشاعر أما انى لا أهجوك ولكننى أقول فيك ما هو شر عليك من الهجاء فدخل على زياد فاسمعه شعرا مدحه فيه . وقال فى بعضه :

وكائن عند تيم من بدور * اذا ما صفدت تدعو زيادا
دعته كي يجيب لها وشيكا * وقد ملئت حناجرها صفادا

فقال زياد لبيك يا بدور ثم أرسل فيه فاغرمه مائة الف :

٨ — باب فى رواة الشعر — قال الاصمعى : ما بلغت الحلم حتي رويت اثني عشر الف ارجوزة للاعراب . وكان خلف الاحمر اروى الناس للشعر واعلمهم بجيده . قال مروان بن ابى حفصة لما مدحت المهدى بشعري الذي اوله :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على نضراء البصرة . فدخلت المسجد الجامع فتصفحت الحلق فلم أر حلقة اعظم من حلقة يونس النحوي فجلست اليه . فقلت له انى مدحت المهدى بشعر وأردت أن لا أرفعه حتي اعرضه على نضرائكم واني تصفحت الحلق فلم أر حلقة أحفل من حلقتك فان رأيت ان تسمعه مني فافعل . فقال يا ابن أخي ان ههنا خلفا ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتي يحضر فاذا حضر فاسمعه فجلست حتى اقبل خلف الاحمر . فلما جلس جلست اليه . ثم قلت له ما قلت ليونس . فقال أنشد يا ابن أخي فأنشدته حتى أتيت على آخره . فقال لى أنت والله كاعشى بكر بل انت أشعر منه حيث يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها * غضبى عليك فما تقول بدالها

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن و ينحله الشعراء . و يقال ان الشعر المنسوب الى ابن أخت تأبط شرا . وهو :

ان بالشعب الى جنب سلع * لقتيلا دمه ما يطل

لخلف الاحمر وانما ينحله اياه . وكذلك كان يفعل حماد الرواية يحقق الشعر القديم و يقول ما من شاعر الا قد حققت فى شعره أبياتا فجازت عنه الا الاعشى أعشى بكر فاني لم أزد فى شعره قط

غير بيت فانشدت عليه الشعر قيل له وما البيت الذي أدخلته في شعر الاعشى فقال :

وانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال حماد الرواية . ارسل الي أبو مسلم ليلا فراعني ذلك فلبست أكفاني ومضيت فلما دخلت عليه تركني حتى سكن جاشي . ثم قال لي ما شعر فيه أوتاد . قلت من قائله اصلح الله الامير . قال لا أدرى قلت فمن شعراء الجاهلية أم شعراء الاسلام قال لا أدري قال فاطرقت حينا أفكر فيه حتى بدر الي وهمي شعر الافوه الازدي حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتني الا له عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا

فقلت هو قول الافوه الازدى أصلح الله الامير وأنشدته الابيات : فقال صدقت انصرف اذا شئت فقمت فلما خطوت الباب لحقني أعوان له ومعهم بدرة فصحبوني الى الباب فلما أردت ان أقبضها منهم قالوا لا بد من ادخالها الى موضع منامك فدخلوا معي فعرضت ان أعطيهم منها شيئا فقالوا لا نقدم على الامير . الاصمعي قال : أقبل فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء . فقال ما جاء بكم قالوا جئنا نتحدث اليك قال كذبتم يا خبثاء ولكن قلتم كبر الشيخ فهلم بنا عسى ان نأخذ عليه سقطة . قال فانشدهم لمائة شاعر كلها اسمه عمرو . قال الاصمعي : تحدثت أنا وخلف الاحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين . وقال الشعبي : لست لشيء من العلوم أقل رواية من الشعر ولو شئت لانشدت شهرا ولا أعيد بيتا . وكان الخليل بن أحمد . أروى الناس للشعر ولا يقول بيتا وكذلك كان الاصمعي . وقيل للاصمعي ما يمنعك من قول الشعر قال نظري لجيده . وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر قال الذي أريده لا أجده والذي أجده منه لا أريده . وقيل لآخر : مالك تروي الشعر ولا تقوله قال لاني كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقال الحسن بن هاني رويت أربعة آلاف شعر وقلت أربعة آلاف شعر فما زريت لشاعر شيا . القاسم بن محمد السلامي قال . حدثنا حماد بن بشر الاطروش قال حدثني يحيي بن سعيد قال أخبرني الاصمعي قال تصرفت بي الاسباب الى باب الرشيد مؤملا للظفر لما كان في الهمة دفينا أترقب به طالع سعد فاتصل بي ذلك الى ان صرت للحرس مؤانسا بما استملت به مودتهم فكنت كالضيف عند أهل الميرة فطرفهم متوجهة باتحافي وطارلتني الغايات بما كدت به أن أصير الى

ملالة غير انى لم أزل مؤانسا للامل بمذ كراته عنداعتراض الفترة . وقلت فى ذلك :

وأي فتي أعير هات قلب * وساع ماتضيق به المعانى
تجاذبه المواهب عن اباء * الا لا بل تؤلفه الامانى
فرب معرس للياس أملى * عن الدرك الجهير لدى الامانى
وأي فتى أناس من سمو * من المهمات متهم الجنان
بغير توسع فى الصدر ماض * على العزمات والعضب اليمانى

فلم نشعر أن خرج علينا خادم فى ليلة نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد فقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقة قد فكه التيسير للانعام أنا صاحبك ان كان صاحبك من طلب فادمن وحفظ فاتقن فاخذ بيدي . ثم قال ادخل ان يختم الله لك بالاحسان لديه والتصريف فلعلها ان تكون ليلة تعرس فيها صباحها بالغنى . قلت بشرك الله بالخير قال ودخلت فواجهت الرشيد فى البهو جالسا كانما ركب البدر فوق أزراره جمالا والفضل بن يحيي الى جانبه والشمع يحدق به على قضب المناور والخدم فوق فرشه وقوف فوقف بي الخادم حيث يسمع تسليمي . ثم قال سلم فسلمت فرد . ثم قال تنح ليسكن قليلا ان وجد لروعه حسا فقعدت حتي سكن جاشي قليلا . ثم أقدمت فقلت يا أمير المؤمنين اضاءة كرمك و بهاء مجدك مجيران لمن نظر اليهما من غير اعتراض أذية له تسالني فاجيب أم ابتدى فاصيب بيمن أمير المؤمنين وفضله . قال فتبسم الفضل ثم قال ماأحسن مااستدعي الاختيار ولقد استسهل المفاتحة وأجد ربه أن يكون محسنا . ثم قال الفضل والله يا أمير المؤمنين اقدم مبرزا محسنا في استشهاده على براءته من الحيرة وارجو ان يكون ممتعا قال ارجو . ثم قال ادن فدنوت فقال اشاعر أم راوية . فقلت رواية يا أمير المؤمنين . قال لمن قلت لذى جد و هزل بعد أن يكون محسنا . قال والله مارأيت أدعى لعلم ولا أخبر بمحاسن بيان فتقته الاذهان منك و لئن صدرت حامدا أثرك لتعرفن الافضال متوجها اليك سريعا . قلت أنا على الميدان يا أمير المؤمنين لمن مني من غنائي مجيبا فيا أحبه . قال قد أنصف القارة من راماها . ثم قال مامعنى المثل فى هذه الكلمة بديا قلت ذكرت العرب يا أمير المؤمنين ان السابقة كانت لهم رماة لا تقع سهامهم فى غير الحدق . فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه الملك على الجياد البلق بايديهم الاسورة وفى أعناقهم الاطواق فخرج من موكب الصعر فارس معلم بعذبات سمور فى قلنسوته قد وضع

نشابته فى الوتر ثم صاح أين رماة الحرب فسمته العرب بالقارة . وقال قد أنصف القارة من راماها والملك أبو حسان أراد ذلك المضاف له . قال احسنت أرويت للعجاج ورؤبة شيئا قلت هما يا أمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافى وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فاخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال اسمعني . فقال اطرقني طارق هم طرقا فمضيت فيها مضي الجواد فى سنن ميدانه تهدرفى أشداقي حتي اذا صرت الى مدح بني أميـة ثنيت عنان السياق الى امتـداحه المنصور فى قوله قلت لزيد لم تصله مرية . قال أعن خبرة أم عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل أحسنت بارك الله فيك مثلك يؤمل لهذا الموقف . قال الرشيد ارجع الى أول هذا الشعر فاخذت من أوله حتي صرت الى صفة الجمل فاطلت . فقال الفضل مالك تضيق علينا كل ما اتسع من مشاهدة السمر فى ليلتنا هـذه بذكر جمل أجرب فكر الى امتـداح المنصور حتى أتى على آخره . فقال الرشـيد اسكت هى التي اخرجتك من دارك وأزعجتك من قرارك وسلبتك تاج ملكك ثم ماتت فعمل جـلودها سياطا تضرب بها قومك ضرب العبيد ثم قهقه . ثم قال لا تدع نفسك والتعرض لما تكره . فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله . قال الرشيد أخطات فى كلامك يرحمك الله لو قلت واستعين الله قلت صوابا انما يحمد الله على النعم ثم صرف وجهه الى وقال ما أحسن ما اديت فى قدر ماسئلت اسمعني كلمة عدي بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قوله * عرف الديار توهما فاعتادها : فقال الفضل يا أمير المؤمنين البستنا ثوب السهر ليلتنا هذه لا سماع الكذب لم لا تامره يسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى آبائك . قال ويحك انه أدب وقل ما يعتاض مثله ولان اسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية عمرا أحب الى من أن تشافهني به الرسوم وللمتدح بهذا الشعر حركات سترد عليك ولا تقدر أن تصدر من غير استحسان لها فاكون أول مسبب طريقة ذكر ثم تردها اليك الرواية . قال الفضل قدوالله يا أمير المؤمنين شاركتك فى الشوق وأعنتك على السوق . ثم التفت الى الفضل فقال احرمنا ليلتك منشدا هذا سيدي أمير المؤمنين قد أصغي اليك فمر يحك فى عنان الانشاد فهي ليـلة دهرك لم تنصرف الا غانما . قال الرشيد أما اذا قطعت على فاحلف لتشركني فى الجزاء فما كان لى فى هذا شيء لم تقاسمنيه . قال الفضل قدوالله يا أمير المؤمنين وطنت نفسي على ذلك متقدما فلا تجعلنه وعيدا . قال الرشيد لا أجعله وعيدا . قال الاصمعي الآن البس رداء التيه على العرب كلها واني أرى الخليفة والوزير يتناظران في المواهب لى . فمررت فى سنن الانشاد حتي بلغت الى قوله :

تزجي أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فاستوي جالساً ثم قال أتحفظ فى هذا شيئاً قلت نعم يا أمير المؤمنين كان الفرزدق لما قال عدى : * تزجي اغن كان ابرة روقه * قال لجرير أي شيء تراه يناسب هذا تشبيها . فقال جرير * قلم أصاب من الدواة مدادها * فما رجع الجواب حتى قال عدي * قلم أصاب من الدواة مدادها * فقلت لجرير ويحك لكان سمعك مخبوء فى فؤاده . فقال جرير اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام . ثم قال الرشيد مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

ولقد أراد الله اذ ولاكا * من أمة اصلاحها ورشادها

قال الفضل كذب وما بر . قال الرشيد ماذا صنع اذ سمع هذا قلت ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين انه قال لا حول ولا قوة الا بالله . قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

لم تأته السلاب الا عنوة * غصبا و يجمع للحروب عتادها

قال الرشيد لقد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وكل ولا استذلال . قال فماذا صنع قلت يا أمير المؤمنين ذكرت الرواة انه قال ماشاء الله قال أحسبك وهمان . قلت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالهداية فليردني أمير المؤمنين الى الصواب . قال انما هذا عند قوله :

ولقد أراد الله اذ ولاكا * من أمة اصلاحها ورشادها

ثم قال والله ماقلت هذا عن سمع ولكني أعلم ان الرجل لم يكن يخطىء فى مثل هذا . قال الاصمعي وهو والله الصواب . ثم قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

٢ وعلمت حتى ماسائل عن * حرف لكنني أزدادها

قال وكان من خيرهم ماذا قلت ذكرت الرواة ان جريراً لما أنشد عدي هذا البيت . قال بلى والله وعشر مئين قال عدى وقر فى سمعي أثقل من الرصاص هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى . قال الرشيد والله انه لنقى الكلام فى مدحه وتشبيبه قال الفضل يا أمير المؤمنين لا يحسن عدى ان يقول :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

قال الرشيد بلى قد أحسن . ثم التفت الي فقال ماحفظت له فى هذا الشعر شيئاً حين قال :

اطفات نيران الحروب وأوقدت * نار قدحت براحتيك زنادها

قلت ذكرت الرواة أنه يا أمير المؤمنين حك يميناً بشمال مقتدحا بذلك . ثم قال الحمد لله على هبة

الانعام . قال الرشيد رويت لذي الرمة شيا قلت الا كثر يا أمير المؤمنين . قال والله لا أسالك سؤال امتحان ولا كان هذا عليك ولكنني أجعله سببا للمذاكرة فان وقع عن عرفانك والا فلاضيق عليك بذلك عندي فما اراد بقوله :

ممرا مرت منية أسدية * ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف يا أمير المؤمنين حمارا وحشيا اسمنه بقل روضة تشابكت فروعه ثم تراسخت عروقه من قطر سحابة كانت في نوء الاسد ثم في الذراع منه . قال أصبت أفتري القوم علموا هذا من نجوم بنظرهم بل هو شيء قلما يستخرج بغير أسباب للذين دونت لهم أصوله وأداه الى أهله الاوهام أو الشؤن فالله أعلم بذلك . قلت يا أمير المؤمنين هذا تسور في كلامهم ولا أحسبه الاعن أثر القي اليهم قلما أجد الاشياء يميزها الفكر في القلوب فان ذهبت الى انه هبة الله ذكرهم بها ذهبت الى ماتجاربني فيه الاوهام . ثم قال أرويت للشماخ شيئا قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال يعجبني من قوله هذا

اذا رد في ثني الزمام ثنت له * جرانا كخوط الخيزران المعوج

قلت يا أمير المؤمنين هي عروس كلامه . قال فايها الحسن الآن من كلامه قلت الرائية وأنشدته أبيا تامنها قال امسك . ثم قال استغفر الله ثلاثا أخر قليلا واجلس فقد أمتعت منشدا ووجدناك محسنا في أدبك معبرا عن سرائر حفظك . ثم التفت الى الفضل فقال لكلام هؤلاء ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن وان يزيدك على القدم جدة وحسنا فاذا جاءك الكلام المزين بالبديع جاءك الحرير الصيني المذهب يبقى على الحادثة في أنف الروايات فاذا أمتعته الاسماع ولذفي القلوب لها رونق صواب ولكن في الاقل . ثم قال يعجبني مثل قول مسلم في أبيك وأخيك الذي امتدحهما به مخاطبا حليلته مفتخرا عليها بطول الرأى في اكتساب المغانم حيث قال :

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيي حين يذكر جعفر

أفرأيت ما ألطف ماجعلهما معدنا لكمال الصفات ومحاسنها . ثم التفت الى فقال أجد ملالة ولعل اباالعباس يكون لذلك انشط وهو لناضيف في ليلتنا هذه فاقم عنده مسامراله . ثم نهض فتبادر الخدم فامسكوا بيده حتى نزل عن فرسه . ثم قدمت النعل فجعل الخادم يسوي عقب النعل في رجله فقال ارفق ويحك حسبك قدعقرتني . قال الفضل لله در العجم ما احكم

صنعتهم لو كانت سيرية ما احتجت الى هذه الكلفة . قال هذه نعلي ونعل آبائي رحمة الله عليهم وتلك نعلك ونعل آبائك لا تزال تعارضني في الشيء ولا ادعك بغير جواب يمضك . ثم قال يا غلام علي بصالح الخادم فقال يؤمر له بتعجيل ثلاثين الف درهم في ليلته هذه . قال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يامر فيه احد غيره لدعوت له بمثل ما امر به امير المؤمنين فدعا له بمثل ما امر الا الف درهم ويصبحه ن غد فيلقي الخازن ان شاء الله : قال الاصمعي فما صليت الظهر الا وفي منزلي تسعة وخمسون الف درهم .
وقال دعبل :

يموت رديء الشعر من غير اهله * وجيده يبقي وان مات قائله

وقال ايضا :

اني اذا قلت بيتا مات قائله * ومن يقال له والبيت لم يمت

٩ — باب من استعدى عليه من الشعراء — لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذى يقول فيه .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

استعدي عليه عمر بن الخطاب وانشده البيت فقال ما اري به باسا . قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت ببيت قط اشد علي منه فبعث الى حسان بن ثابت وقال انظر ان كان هجاه فقال ما هجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت ولكنه كره ان يتعرض لشانه . فبعث الى شاعر مثله وامر بالحطيئة الى الحبس . وقال يا خبيث لاشغلنك عن اعراض المسلمين . فكتب اليه من الحبس يقول :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه * القت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فامر باطلاقه واخذ عليه ان لا يهجو رجلا مسلما . ولما هجا النجاشي رهط تميم ابن مقبل استعدوا عليه عمر بن الخطاب وقالوا يا امير المؤمنين انه هجانا قال وما قال فيكم قالوا قال :

اذا الله عادى اهل لؤم ودقة * فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر هذا رجل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له قالوا فانه قد قال بعد هذا :

قبيلته لا يخفرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل
وما سمي العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فان ذلك احزم لهم وأمكن قالوا فانه يقول بعد هذا ؟ قال عمر سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا ونظير هذا قول معاوية لابي بردة بن أبي موسى وكان دخل حماما فزحمه رجل فرفع الرجل يده فلطم بها أبا بردة فاثر في وجهه . فقال فيه عتبة الاسدى :

فلا يضرم الله اليمين التي لها * بوجهك يا ابن الاشعرين ندوب

قال فاستعدى عليه معاوية وقال انه هجاني قال وما قال فيك قال فانشده البيت . قال معاوية هذا رجل دعا ولم يقل الاخير ا قال فقد قال غير هذا قال وما قال . فانشده :

وأنت امرؤ في الاشعرين مقابل * وفي البيت والبطحاء أنت غريب

قال معاوية واذا كنت مقابلا في قومك فما عليك أن لا تكون مقابلا في غيرهم قال فقد قال غير هذا قال وما قال قال :

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا وجذذتموها * فهل من قائم أومن حصيد
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد
أنطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا خول الخلافة واستقيموا * وتأمين الاراذل والعبيد

قال فما منعك يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه من يضرب عنقه قال أفلا خير من ذلك قال وما هو قال نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا الى السماء وندعو عليه فما زاد ان زوي . استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا انه هجاهم فارسل فيه وعرض له أن يعطيه فهرب منه وانشد :

دعاني زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهم فقرا
فلما خشيت أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا

نهضت الى عيس تجـون متونها * سري الليل واستعراضها البلد القفرا
يؤم بها الموماة من لايري له * لدى ابن أبي سفيان جاها ولا عذرا

ثم لحق بسعيد بن العاص وهو والى المدينة فاستجار به وأنشده شعره الذى يقول فيه

اليك فررت منك ومن زياد * ولم أحسب دماء كم حلالا
فان يكن الهجاء أحل قتلى * فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر السوابق من قريش * اذا ما الامر بالحدثان حالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ولما بلغ التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسل يزيد ابن معاوية الى كعب بن جعيل . فقال له ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن ابن أم الحكم فاهج الانصاري . فقال أرادى أنت الى الاشراك بعد الايمان لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أدلك على غلام مناضرى فدله على الاخطل فارسل اليه فهجا الانصار . وقال فيه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار
قوم اذا حضر العصير رأيتهم * حمرا عيونهم من المسطار
واذا نسبت الى الفريعة خلته * كالجحش بين حمارة وحمار
فدعوا المكارم لستم من أهلها * وخذوا مساحيكم بني النجار

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصارى . فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسه . وقال يامعاوية هل ترى من لؤم قال ما أرى الا كرما . قال فما الذى يقول فينا عبد الاراقم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

قال قد حكمتك فيه قال والله لا رضيت الا بقطع لسانه . ثم قال :

معاوي الا تعطنا الحق نعترف * لحي الاسد مشدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الاراقم ظلمه * وماذا الذي تجرى عليك الاراقم
فمالى ثار دون قطع لسانه * فدونك من ترضيه عنك الدراهم

فقال معاوية قد وهبتك لسانه وبلغ الاخطل . فاجا الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان

فاستوهبه اياه فوهبه له . ومن قول عبد الرحمن بن حسان فى عبد الرحمن بن أم الحكم :

وأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم نضحت كحوت بحر * هوي فى مظلم الغمرات داج
وهم دعج وولد أبيك زرق * كأن عيونهم قطع الزجاج

وقال يزيد لابيه ان عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة قال وما يقول فيها قال يقول :

هي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص صيغت من لؤلؤ مكنون

قال صدق قال ويقول :

واذا مامسستها لم تجدها * في نساء من المكارم دون

قال صدق أيضا قال ويقول :

ثم حاضرتها الى القبة الحمراء تمشي في مرمر مسنون

قال كذب قال و يقول فيه فى مرمر قال مافى هذا شيء . قال فهلا تبعث اليه من يأتيك برأسه . قال يابني لو فعلت ذلك لكان أشد عليك لانه يكون سببا للخوض فى ذكره فيكثر مكثر ويزيد زائد اضرب عن هذا صفحا واطو دونه كشحا . ومن قول عبد الله بن قيس المعروف بالرقيات يشبب بعاتكة ابنة يزيد بن معاوية :

أعاتك يابنت الخلائف عاتكا * أنيلي فتى أمسي بحبك هالكا
تبدت وأتراب لها فقتلنني * كذلك يقتلن الرجال كذلكا
يقلبن ألحاظا لهن فواترا * ويحملن مافوق النعال سبائكا
اذا غفلت عنا العيوب التي نري * سلكن بها حيث انتهين المسالكا
وقلن لنا لو نستطيع لزاركم * طبيبان منا عالمان بدائكا
فهل من طبيب بالعراق لعله * يداوى سقيما هالكا متهالكا

فلم يعرض له يزيد للذى تقدم من وصاية أبيه معاوية فى رملة . تحدثت الرواة أن الحجاج رأي محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج فارتاع من نظر الحجاج اليه فدعا به . فلما وقف بين يديه قال :

فداك أبى ضاقت بي الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

وان كنت بالعفيفاء أو بتخومها * ظننتك الا أن تصد تراني

فقال لاعليك فوالله ان قلت الاخيرا انما قلت هذا الشعر :

يخنين أطراف البنان من التقى * ويخرجن وسط الليل معتجرات

ولكن أخبرني عن قولك :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

في كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعي رفيق على أتان . قال فتبسم الحجاج ولم يعرض له . وهذه الابيات لابن نمير فى زينب بنت يوسف :

لم ترعيني مثل سرب أريته * خرجن من التنعيم معتجرات
مررن بفج ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات
دعت نسوة شم العرانين بدنا * نواضر لا شعثا ولا غبرات
فادنين لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسى والحبرات
أجل الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتمرات
يخنين أطراف البنان من التقي * ويخرجن وسط الليل معتجرات

وكان الفرزدق قد عرض بهشام بن عبد الملك فى شعره : والبيت الذى عرض به فيه قوله :

يقلب عينا لم تكن بخليفة * مشوهة حولاء جم عيوبها

فكتب هشام الى خالد بن عبد الله القسرى عامله على العراق يامره بحبسه فحبسه حتي دخل جرير على هشام فقال ياأمير المؤمنين انك تريد أن تبسط يدك على بادى مضر وحاضرها فاطلق لها شاعرها وسيدها الفرزدق . فقال له هشام أو ما يسرك ما أخزاه الله قال ما اريد أن يخزيه الله الا على يدى فامر باطلاقه

﴿ أى بيت تقوله العرب أشعر ﴾ قيل لابى عمرو بن العلاء أي بيت تقوله العرب أشعر . قال البيت الذى اذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ولان يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله : وقيل للاصمعي : أي بيت تقوله العرب أشعر قال الذى يسابق لفظه معناه . وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته . وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى

لا يحجبه عن القلب شيء. وأحسن من هذا كله قول زهير :

وان احسن بيت انت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

﴿ أحسن ما يجتلب به الشعر ﴾ قالت الحكماء : لم يستدع شارد الشعر باحسن من الماء الجاري والمكان الخالي والشرف العالي وتاول بعضهم الخالي يريد الخالي من النوار يعني الرياض وهو توجيه حسن . ولقي أبو العتاهية : الحسن بن هاني فقال له أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك قال وكيف ينبغي للشعر ان يقال الا على هكذا قال اما اني أقوله على الكنيف قال ولذلك توجد فيه الرائحة . وقال عبد الملك بن مروان : لارطاة بن سمية هل تقول الآن شعرا قال ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب فلا يقال الشعر الا بواحدة من هذه . وقيل للحطيئة : من أشعر الناس فاخرج لسانا رقيقا كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع وقيل لكثير عزة : لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب يريد عبد العزيز ابن مروان . وقالوا : أشعر الناس النابغة اذا رهب وزهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند : لعبيد بن الابرص ولقيه في يوم بؤسه أنشدني من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمتنع الشعر على قائله ولا يسلس حتى يبعثه خاطر أو صوت حمامة . وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند الياس وقد ياتي على الحين وقلع ضرس عندي أهون من قول بيت شعر . وقال الراجز :

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه

كان غثا أو سمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

وأسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكري وأول النهار قبل الغذاء وعند مفاجاة النفس واجتماع الفكر . وأقوى ما يكون الشعر عندي على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة . قيل للخزيمي : ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مرائيك . قال كنا حينئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد . والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت بن زيد كانا شيعيين غالين في التشيع وكانت مدائحهم في بني أمية أشرف واجود منها في بني هاشم وما ذلك علة الا قوة أسباب الطمع . وقيل لكثير عزة : يا أبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال اطوف في الرباع المخيلة والرياض المعشبة فان نفرت عنك القوافي وأعيت عليك المعاني فروح قلبك واجم ذهنك وارتصد لقولك فراغ بالك وسعة

ذهنك فانك تجد فى تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الاطول و ليلك الاجمع

١٠ — من رفعه المدح ووضعه الهجاء — قال بلال بن جرير سالت ابى جريراً فقلت لما انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم غير بني نجاء . قال يا بنى اني لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . وقد يكون الشيء مدحا فيجعله الشعر ذما و يكون ذما فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائي فى هذا المعنى :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * و يقضى بما يقضي به وهو ظالم

الا ترى الى بنى عبد المدان الحارثيين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى قال فيهم حسان هذا :

لا باس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر اجسامنا بعد ان كنا نفخر بها . فقال لهم ساصلح منكم ما افسدت . فقال فيهم :

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان
كانك ايها المعطى لسانا * وجسما من بنى عبد المدان

وكان بنو انف الناقة يعيبون بهذا الاسم فى الجاهلية حتي قال فيهم الحطيئة :

سيري امامى فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذا ماينسبون أبا
قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوى بانف الناقة الذنبا

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم . وكان بنو نمير أشراف قيس وذوائبها حتي قال فيهم جرير هذا :

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميرى الا طاطا رأسه . وقال حبيب :

فسوف يزيدكم ضعة هجائى * كما وضع الهجاء بني نمير

وقد كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملا لا يذكر حتي طرقه الاعشى فى فتية و ليس عنده الا ناقة فاتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيتي ان تاذنى فى نحر الناقة . قالت نعم يا بنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوي لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر

المحلق حتي أتته القصيدة التي أولها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * ومابي من سقم وما بى تعشق
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار فى يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندي والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق
ترى الجود يسري سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندواني رونق

فلما أتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول وبات على النار الندي والمحلق . وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يفترقون أبد الدهر :

﴿ مايعاب من الشعر وليس بعيب ﴾ قال الاصمعى : سمعت حماد الراوية وأنشد رجل بيتا لحسان :

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

فقال ما يعرف هذا الا فى كلاب الحانات . وأنشده آخر قول الشاعر :

لمن منزل بين المذانب فالجسر * فقال مايعرف هذا الا دار الياسريين

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويابنت ذى البردين والفرس الورد

فقال من جهل المعنى ولم يعرف الخبر ما فى هذا من المدح ان يمدح رجلا بلباس البردين وركوبه فرس وردا نما معناه ما قال أبو عبيدة ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان . فاخرج اليهم بردي محرق وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة فاتزر باحدهما وتردى بالآخر . فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة . قال العز والعدد من العرب في معد . ثم فى نزار . ثم فى مضر . ثم فى خندف . ثم فى تميم . ثم فى سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم فى بهدلة . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني فسكت الناس . فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم فى نفسك وأهل بيتك . فقال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة : وأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض وقال من أزالها فله مائة من الابل فلم يتعاط ذلك أحد . فذهب بالبردين . فسمي ذا البردين وفيه يقول الفرزدق :

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * لجد معد والعديد المحصل

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الاعشي فى فرس النعمان وكان يسمي اليحموم :

ويامر لليحموم كل عشية * بقت وتعليف فقد كاد يسبق

فقالوا ما يمدح به أحد من السوقة فضلا عن الملوك ان يقوم بفرس ويامر له بالعلف حتى كاد يسبق وليس هذا معناه . وانما المعنى فيه ما قال أبو عبيدة ان ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب أن أحدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريبا منه مخافة عدو يفجؤه أو حالة تصعب عليه . فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم فيتعاهده كل عشية وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت . ومما عابوه وليس بعيب قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارياح والديم

فنقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صدره لانه زعم ان الديار لم يعفها القدم . ثم انه انتبه من مرقده فقال بلى عفاها وغيرها أيضا الارياح والديم وليس هذا معناه الذى ذهب اليه . وانما معناه ان الديار لم تعف فى عينه من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها . وقال غيره فى هذا المعنى ما هو أبين من هذا وهو :

ألا ليت المنازل قد بلينا * فلا يرمين عن شرف حزينا

فقوله ألا ليت المنازل قد بلينا أى بلى ذكرها ولكنها تجدد على طول البلاء بتجدد ذكرها . وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى فلخصه وأوضحه وشنفه وقرطه حيث يقول :

لمن دمن تزداد طول نسيم * على طول ما أقوت وحسن رسوم

تلافي البلى فيهن حتى كانما * لبسن على الاقواء ثوب نعيم

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ما يروي عن مروان بن الحكم انه قال لخالد بن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده

فلو بقيت خلائف آل حرب * ولم يلبسهم الدهر المنونا

لاصبح ماء اهل الارض عذبا * وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان منونا وسمينا والله انها لقافية ما اضطرك اليها الا العجز وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر وما أرى العيب فيه الا على من رآه عيبا لان الياء والواو يتعاقبان فى اشعار

العرب كلها قد بها وحديثها . وقال عبيد بن الابرص :

وكل ذي غيبة يؤب * وغائب المـوت لايؤب

من يسال الناس يحرموه * وسائل الله لايخيب

ومثله من المحدثين :

أجارة بيتنا عليك غيور * وميسورما يرجى لديك عسير

ومما عيب من الشعر وليس بعيب قول ذى الرمة :

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

ولما أنشدوا هذا الشعر بلال بن أبي بردة قال ياغلام مر لصيدح بقت علف فانما هي انتجعتنا وهذا من التعنت الذى لا انصاف معه لان قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه . ومثله فى كتاب الله تعالى « واسال القرية التي كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها » وانما أراد أهل القرية وأهل العير . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فى بعض ماير تجز به من شعره .

اليك يغدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصاري دينها

فجعل الدين للناقة وانما أراد صاحب الناقة ولم تزل الشعراء فى امادیحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه ولكن من طلب تعنتا وجده أوتجنيا على الشاعر ادركه عليه كما فعل صريع الغوانى بالحسن بن هانئ حين لقيه . فقال له مايسلم لك بيت عندى من سقط قال فاى بيت اسقطت فيه . قال انشدني لك أي بيت ينسب فانشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صباحا

فقال له قد ناقضت فى قولك كيف يمله ديك الصباح صباحا وانما يبشره بالصبوح الذي ارتاح له . فقال له الحسن فانشدنى انت من قولك فانشده :

عاصى الغرام فراح غير مفند * وأقام بين عزيمة وتجلد

قال له قد ناقضت فى قولك انك قلت عاصى الغرام فراح غير مفند . ثم قلت واقام بين عزيمة وتجلد فجعلت رائحا مقيما فى مقام واحد والرائح غير المقيم . والبيتان جميعا مؤتلفان ولكن من طلب عيبا وجده . ومما عاباه ابن قتيبة وليس بعيب قول المرقش الاصفر :

صحا قلبه عنها على ان ذكرها * اذا ذكرت دارت به الارض قائما

فقال له كيف يصحو من كانت هذه صفته والمعني صحيح وانما ذهب الى أن هذه بعد ما تقدم من سوء حاله حالة صحو عنده ومثل هذا في الشعر كثير لان بعض الشر أهون من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى عمه ابى طالب انه اخف الناس عذابا يوم القيامة يحذي نعلين من نار يغلى منهما دماغه . وهذا من العذاب الشديد وانما صار خفيفا عند ماهو اشد منه . فزعم المرقش انه عند نفسه صاح اذ تبدل حاله الى اسهل مما كان فيه . وقد عاب الناس قول الحسن بن هانئ :

و أخفت أهـل الشرك حتى انه * لتخافك النطف الـتى لم تخلـق

فقالوا كيف تخافه النطف التي لم تخلق ومجازهذا قريب اذا لحظ أن من خاف شيا خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه وروحه والنطف داخلة فى هذه الجملة . فهو اذا أخاف أهـل الشرك أخاف النطف الـتى فى اصلابهـم . و قال الشـاعر :

ألا ترثى لمكتئب * يحبـك لحمـه ودمه

وقال المكفوف :

احبكمو حبا على الله أجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

واتى العتابي : منصور النميرى فساله . فقال انى لمدهوش وذلك اني تركت امرأتي وقد عسر عليها ولادها فقـال له العتـابي ألا أدلك على مايسهل عليها . قال وما هو قال اكتب على رحمهـا هرون قال وما معنـاك فى هذا . قال ألست القـائل فيـه :

ان أخلف القطر لم تخلف مواهبه * او ضاق امر ذكرناه فيتسع

فقـال بالخلفـاء تعـرض واياهم تتبع فيقـال فغـدا على هرون فاعلمه ما كان من قـول العتابى . فكتب الى عبـد الصمد فكتب اليه عمه يشفع له فوهبـه له

١١ ـــ تقبيح الحسن و تحسين القبيح ـــ سئل بعض علماء الشعر من أشعر الناس قال الذى يصور الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل بلطف معناه ورقة فطنته فيقبح الحسن الذى لا أحسن منـه ويحسن القبيح الذى لا أقبح منـه . فمن تحسين القبيح قول الحرث بن هشام يعتذر من فراره يوم بدر :

الله أعلم ماتركت قتالهم * حتي رموا مهرى باشقر مزبد
وعلمت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي

فصرفت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب زبيل . فقال يامعشر العرب حسنتم كل شىء فحسن حتي الفرار . ومن تقبيح الحسن قول بشار العقيلى فى سليمان بن على . وكان وصل رجلا فاحسن :

ياسوأة يكثر الشيطان ان ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زال عن يده * فكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

وقال غيره فى تقبيح الحسن :

يقولون لى انى بخيل بنائلى * وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل

وقال المتلمس فى تحسين القبيح :

ياعائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغني أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر
أنك تعصى كى تنال الغني * وليس تعصي الله كى تفتقر

ومن تحسين القبيح انه قيل لجذيمة الابرص ماهذا الوضح الذي بك . قال سيف الله الذى جلاه . وقال ابن حسان وكان به برص :

لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان البهائم فى أقرانها بلق

وقال محمود الورّاق يمدح الشيب :

وعائب عابني بشيبي * لم يان لما أبان وقته
فقلت اذ عابني بشيبي * ياعائب الشيب لا بلغته

وقال آخر :

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة غدا من اللهو مركب

وقال أعرابى فى عجوز :

أبي القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كبرد يمان قد تقادم عهده * ورقعته ماشيب فى العين واليد

وقال بشار العقيلى فى سوداء :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لو نكا واحـد * انكما من طينة واحـده

١٢ — الاستعارة — لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل فى المنظوم والمنثور . وأحسن ماتكون أن يستعار المنثور من المنظوم والمنظوم من المنثور وهـذه الاستعارة خفيـة لا يؤبه بها لانك قـد نقلت الكلام من حال الى حال . وأكثر مايجتليه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء وانما يجرى فيـه الامر عـلى سنن الاول . وأقل ماياتي لهم المعني الذى لم يسبق اليـه أحـدا مافى منظوم واما فى منثور لان الكلام بعضه من بعض . ولذلك قالوا فى الامثال ماترك الاول للآخر شيأ الا ترى ان كعب بن زهير وهو فى الرعيل الاول والصدر المقدم قـد قال :

ما أرانا نقول الا معارا * أومعادا من قولنا مكرورا

ولكن فى قولهم ان الآخر اذا أخذ من الاول المعني فزاد فيـه مايحسنه ويقربه ويوضحه فهـو أولى به من الاول . وذلك كقول الاعشى :

وكاس شربت عـلى لذة * وأخرى تداويت منهـا بها

فاخذ هذا المعني الحسن بن هانى ، فحسنه وقربه اذ قال :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هى الداء

وقال القطامي :

والناس من يلق خـيرا ياملون له * مايشتهي ولام المخطيء الهبل

أخـذه من قـول المرقش :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقال قيس بن الحطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

أخذه بعض المحدثين فقال :

فشبهتها بدرا بدا منـه شقة * وقد سترت خدا فابدت لنا خدا

وأذرت على الخدين دمعا كانه * تناثر درا أوندا واقع الورد

وأخـذه آخر فقال :

ياقمر النصف من شهره * أبدي صبا لثمان بقين

وآخذه بشار فقال :

ضنت بخد وجلت عن خـد * ثم انثنت كالنفس المـرتد

فلم يفسد الآخر قول الاول ولم يكن الاول بالمعني أولى من الآخر . قلنا فى هذا المعني ماهو أحسن من كل ماتقدم أو مثله . وهو قوله :

كان التي يوم الوداع تعرضت * هـلال بدا محقا على أنه تم

وأما الاستعارة : اذا كانت من المنثور فى المنظوم ومن المنظوم فى المنثور فانها أحسن استعارة دخل سهل بن هرون : على الرشيد وهو يضاحك ابنه المامون . فقال سهل اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتي يكون بكل يوم من أيامه موفيا على أمسه مقصرا عن غده فقال له الرشيد ياسهل من روى من الشعر أفصحه ومن الحديث أوضحه . وأراد أن يقول لن يعجزه . قال يا أمير المؤمنين ما أعلم أحدا سبقني الى هذا المعني . قال بلى سبقك أعشى همدان حيث يقول :

حسبتك أمس خير بني معـد * وأنت اليوم خير منـك أمس

وأنت غدا تزيد الضعف خيرا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وقد يكون مثل هذا وما أشبهه عن موافقة . وقد سئل الاصمعي عن الشاعرين يتفقان فى المعني الواحـد ولم يسمع أحـدهما قول صاحبه . فقال عقول الرجال توافت على ألسنتها .

١٣ — اختلاف الشعراء فى المعنى الواحد — وقـد تختلف الشعراء فى المعنى الواحد وكل واحد منهم محسن فى مذهبه جار فى توجيهه وان كان بعضه أحسن من بعض ألا ترى أن الشماخ بن ضرار يقول فى ناقته :

اذا بلغتني وحملت رحـلى * عرابة فاشرقى بدم الوتـين

وقال الحسن بن هانىء فى ضد هذا المعني ماهو أحسن منه فى محمد الامين :

فاذا المطي بنـا بلغن محمدا * فظهورهن علي الرجال حرام

وقال أيضا

أقول لنـاقتي اذ أبلغتنى * لقـد أصبحت مـني باليمين

فـلم اجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقد عاب بعض الرواة قول الشماخ واحتج فى ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصارية

المأسورة التى نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم انى نذرت يارسول الله ان نجانى الله عليها أن أنحرها . قال بئسما جزيتيها ولا نذر لاحد فى ملك غيره . وقد قالت الشعراء : فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة واسبال الثوب . قال الفرزدق

بنودارم قومي ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون أهداب اليماني كأنهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

وأول من سبق الى هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله :

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

وقال طرفة :

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

وقال كثير عزة فى اسبال الذيول يمدح بني أمية :

اشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشي بطونها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

وقال فيه أيضا :

اذا حلل العصب اليماني أجادها * أكف اساتيذ على النسج درب
أتاهم بها الجانى فراجعوا عليهم * توائم من فضفاضهن المكعب
لها طرر تحت البنائق اذنبت * الى مرهفات الحضرمى المعقرب

وقال آخر :

معى كل فضفاض القميص كأنه * اذا مامرت فيه المدام فتيق

وخالفهم فيه صريع الغوانى فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وقال لبيد بن ربيعة يرثي أخاه عبدالله بن ربيعة ويصفه بتشمير الثوب :

كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من السوآت طلاع أنجد

مثل قول الحجاج :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقد يحمل معناهم فى تشمير الثوب وسحبه واختلافهم فيه على وجهين أحدهما ان يستحسن بعضهم ما يستقبح بعض . والوجه الثاني وهو أشبه ان يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع كما قال عمرو بن معديكرب .

فيوما ترانا فى الخزوز نجرها * ويوما ترانا فى الحديد عوابسا
ويوما ترانا فى الثريد ندوسه * ويوما ترانا نكسر الكعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن معديكرب :

واذا تجىء كتيبة مكروهة * ملمومة يخشى العدو نزالها
كنت المقدم غير لابس جبة * بالسيف تضرب مقدما ابطالها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كله وهو :

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

ولما انشده يزيد بن مزيد قال له الا قلت كما قال الاعشى فانشده البيتين فقال قولى احسن من قوله انه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم . وقال عبد الملك بن مروان . لاسيلم بن الاحنف الاسدي ما احسن شىء مدحت به . قال قول الشاعر :

أسيلم ذاكم لا خفا بمكانه * لعين تراك أو الاذن تسمع
من النفر الشم الذين اذا اعتزوا * وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب دهنا رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حول برديه ارقوا وأوسعوا

فقال عبد الملك احسن من هذا قول قيس بن الاسلت :

قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع
أسعى على حى بني مالك * كل امرىء فى شانه ساعى

وقال بعضهم :

سالت المحبين الذين تحملوا * تباريح هذا الحب فى سالف الدهر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله * لاخرى وطول للتمادى على الهجر

وقال الحمدونى ماهو أحسن من هذا المعني فى ضده وهو قوله :

زعموا ان من تشاغل بالحب سلا عن حبيبه وأفاقا * كذبوا ما كذا بلونا ولكن *

لم يكونوا فيما أري عشاقا * كيف أسلو بلذة عنك واللذات يحدثن لي اليك اشتياقا
كلما رمت سلوة تذهب الحر * قة زادت قلبي عليك احتراقا

وقال كثير عزة:

أريد لأنسي ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقال بعض الناس ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها الاقال كما قال مجنون بني عامر:

فلا خفف الرحمن مابي من الهوى * ولا قطع الرحمن عن حبها حبي
فما سرني اني خلي من الهوى * ولو أن لي مابين شرق الى غرب

وذكر أكثرهم ان بعد العهد يسلي المحب عن حبيبه . وقالوا فيه :

اذ ماشئت ان تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالي

قال العباس بن الاحنف .

اذا كنت لايسليك عمن تحبه * تناء ولا يشفيك طول تلاق
فما أنت الامستعير حشاشة * لمهجة نفس آذنت بفراق

وقال كثيرة عزة :

فان تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ومثله قول بشار :

من حبها أتمنى ان يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراقا لا لقاء له * وتضمر النفس ياسا ثم تسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة في معناها جائزة في مجراها . وقال عبدالله بن جندب

الايا عباد الله هذا أخوكم * قتيلا فهل منكم له اليوم واتر
خذوا بدمي ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف ساهر

وقال صريع الغواني في ضد هذا :

أديرا على الراح لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي دخلي

وقالوا : عبد الله بن جندب أحسن في هذا المعني لانه انما أراد ان يدل على موضع ثاره واسم قاتله ولم يرد الطلب بالثار لانه لاثارله . وقد قال عبدالله بن عباس و نظر الى رجل مدنف عشقا :

* هذا قتيل الحب لاعقل ولا قود *

وقال الفرزدق : وأراد مذهب بن جندب فلم يؤاته رقة الطبع فخرج الى جفاء القول وقبحه فقال

يا أخت ناجية بن سامة التى * أجدى عليك بني ان طلبوا دمى * لن يتركوك وقد قتلت أباهم

وقال ابن أخت تابط شرا برثى خاله وقتلته هذيل :

شامس فى القر حتي اذا ما * ذكت الشعرى فبرد وظل

ظاعن بالحر حتى اذا ما * حل حل الحر حيث يحل

أخذ معنى البيت الاول أعرابى فسهل معناه وحسن ديباجته . فقال :

اذا نزل الشتاء فانت شمس * وان نزل المصيف فانت ظل

وأخذ معنى البيت الثاني الحسن بن هانيء فقال فى الخصيب :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

وقالوا فى الخيال فحيوه ورحبوا به . فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة :

* طوقتك زائرة فحى خيالها . وقال * طرق الخيال فحيه بسلام *

وعلى هذا بنيت أشعارهم وخالفهم جرير فطرد الخيال . فقال :

طرقتك زائرة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام

وأول من طرد الخيال طرفة فقال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

وأعجب من هذا قول الراعى الذي هجا الخيال فقال :

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم * أأم سدرة زارتني أم الغول

لا مرحبا بابنة الاقيال اذ طرقت * كان محجرها بالقار مكحول

وقد يختلف معنى الشاعر أيضا فى شعر واحد بقوله ألا ترى ان امرأ القيس . قال :

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهالك . ثم أدركته الرقة والاشتياق فقال فى البيت الذى بعده :

أغرك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تامرى القلب يفعل

مستدركا قوله فى البيت الاول * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * ولم يزل من تقدم من الشعراء وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به . وكان اسمه مشتقا من الغربة فسموه غراب البين

وزعموا انه اذا صاح في الديار أقفرت من أهلها وخالفهم أبو الشيص . فقال ماهو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله قوله :

ما فرق الاحباب بعد الله الا الا بل والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا
وما اذا صاح غرا * ب في الديار احتملوا وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرحل
وما غراب البين الا ناقة أو جمل

وقال آخر في هذا المعني وذكر الابل :

لهن الوجا اذ كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وكسير
وما الشؤم في نعب الغراب ونعقه * وما الشؤم الا ناقة وبعير

ومن قولنا في هذا المعنى :

نعب الغراب فقلت أكذب طائر * ان لم يصدقه رغاء بعير
رد الجمال هو المحقق للنوي * بل شر أحلاس لهن وكور

وقد يأتى من الشعر ماهو خارج عن طبقة الشعراء منفرد في غرائبه وبديع صنعته ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون :

كم بين نادى وبين لما * وبين بون الى ذما
من رشا أبيض التراقي * أغيد ذى غنة أجما
وطفلة رخصة المرائى * ليست تجلى ولا تسمي
الاوسلك من اللآلى * تعجز من يخرج المعمى
صغري وكبرى الى ثلاث * من التعاليل أو أيما
وكم معم وأرض لمّ * وأرض برم وأرض رما
من طفلة بضة لعوب * تلقاك بالحسن مستتما
منهن ريا وكيف ريا * ريا اذا لاقت المشما
لو شمها طائر بدو * لخر في الترب أو لهما
تسحب ذايلين من خلوق * قد أفنيا زعفران قما
كأنما أحنيا عليها * من طيب ما بشرا وشما
فالفيا زعفران قم * فانغمسا فيه واستحما

فهل تظن اسمها المريا * يفوح لامرطها الدما
هيهات ياأخت أهل يما * غلطت في الاسم والمسمي
لو كان هذا وقيل سم * مات اذامن يقول سما
قد قلت اذأقبلت تهادى * كطلعة البدرأو أتما
قومي باسروعة وتخفى * بالبرد مثل القداح حما
لو كنت ممن لكنت مما * لكنني قد كبرت مما
عاتبني الدهرفي عذاري * باحرف فارعو يت لما
قوس ما كان مستقيما * وابيض ما كان مدلهما
وكيف تصبو الدمى الى من * كان أخا ثم صار عما
لى عنك يا أخت أهل يم * شغل بما قد دنا وجما
فلست من وجهك المفدى * ولست من قدك الحما
أذهلني عنك خوف يوم * يحيا له كل ما أرما
ما كسبته يدى رهينا * خيرا وشرا أصبت ثما
تحشر فيه الجنان زقا * وتحشر النار فيه زما
تقول هذي لطالبيها * هيت وهذى لهم هلما
نفسي أولى بان أذما * من أمرها كل ما أستذما
يانفس كم تخدعين لما * بلبس داج وأكل لما
رعيت من ذى الحطام مرعى * جمعت أكلا له وذما
ويحك فاستيقظى ليوم * تغدو لما قبله مصما
ألم تري يونس بن عبد الـلاعلى غدا صامتا مرما
في حفرة ما يجيز حرفا * قد دك من فوقها وطما
والمزنى الذي اليه * نعشو اذا دهرنا ادلهما
احفى فؤادى له عزائى * لكن زفيرى عليه نما
كأنما خوفا فخافا * أو حذرا جاشاها فصما

أقبل سهم من الرزايا * فخص أعلامنـا وعما
دكدك منائرا جبال * شامخة فى السماء شما
وخصنا دون من عليها * فداومتنا نم وعما
قد قرب الموت يا ابن أم * فبادر الموت يا ابن أما
واعلم بان ماعصاك كهلا * من التقى لم يطعك هما
هو الهدى والردى فاما * آتيت آتى الردى واما
مفاترا فاعتبر بحالى * فى طبق مؤصد معمى
قد أسكنتنى الذنوب بيتا * يخاله الالف مستحما
فهل لدنياك من سبيل * تكون فيها الدهور هما
فتشكر الله لا سواه * فقل نعماه ان تتما
يانفس ردى ولا تميلى * فافضل البر ما استتما
ان بهذا الكلام نصحا * ان لم يواف القلوب صما
يارب لى الف الف ذنب * ان تعف يارب فاعف جما
فابرد بعفو غليل قلب * كأن فيه رسيس حما

١٤ — ما يجوز فى الشعر مما لا يجوز فى الكلام — قال أبو حاتم : أبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ومد المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك وصرف مالا ينصرف وحذف الكلمة مالم تلتبس باخرى كقولهم فل من فلان وحم من حمام . قال الشاعر :

وجاءت حوادث من مثلها * يقال لمثلك ويهافل

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس انى سائل الله وحده * وصائن وجهى عن فلان وعن فل

وقال آخر : * ودءا حمامات تجاوبها حم * ومن المحذوف أيضا قول الشاعر :

لها أشارير من لحم تتمره * من الثعالى ووخز من أرانيها

يريد من الثعالب ومثله قول الشاعر * وللضفادى جمة نقانق * يريد الضفادع .

ومن المحذوف قول كعب بن زهير :

ويل مها خلة لو أنها صدقت * في وعدها أو لو ان النصح مقبول

يريد ويل لامها ومنه قولهم لاه أبوك يريدون لله أبوك . وقال الشاعر :

لاه ابن عمك لا يخا * ف المبديات من العواقب

وكذلك الزيادة أيضا اذا احتاجوا اليها في الشعر . فمن ذلك قول زهير :

* في ماء شرقي سلمى فيد او ركك * قال الاصمعي سالت نجيبات فيد عن ركك فقيل ماء ههنا يسمى ركا فعلمت أن زهيرا احتاج فضعف . ومنه قول القطامي :

وقول المرء ينفذ بعد حين * مواضع ليس ينفذها الابار

ومثله قولهم كلكال من كلكل ونظير هذا كثير في الشعر لمن تتبعه . وأما قصرهم الممدود فجائز في أشعارهم ومد المقصور عندهم قبيح . وقد يستجاد في الشعر على قبحه مثل قول حسان بن ثابت :

قفاؤك أحسن من وجهك * وأمك خير من المنذر

وأنشد أبو عبيدة :

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب في الحلق وفي اللهاء

فمد اللهى وهو جمع لهاة كما قالوا قطاة وقطى ونواة ونوى . وأما تحريك الساكن وتسكين المتحرك فمن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

ومثله قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

وقال أمية بن أبي الصلت :

تابي فما تطلع لهم في وقتها * الا معذبة والا تجلد

ومن قولهم في تحريك الساكن :

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسوط قونس الفرس

وأما صرف ما لا ينصرف عندهم فكثير والقبيح عندهم أن لا يصرف المنصرف وقد يستجاد في الشعر على قبحه . قال عباس بن مرداس :

وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ومن قولهم فى تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عجب الناس وقالوا * شعر وضاح اليمانى

انما شعرى قيد * قد خلط بجلجلان

ولو حرك خلط اجتمع خمس حركات :

١٥ — باب ما أدرك على الشعراء — قال أبو عبدالله بن محمد بن مسلم بن قتيبة ادركت العلماء بالشعر على امري القيس قوله :

أغرك مني ان حبك قاتلى * وانك مهما تامرى القلب يفعل

وقالوا اذا لم يغر هذا فما الذى يغر ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله حيث قول :

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابى من ثيابك تنسل

لانه ادعى فى هذا البيت فضلا للتجلد وقوة الصبر بقوله * فسلى ثيابي من ثيابك تنسل * وزعم فى البيت الثاني انه لا تحمل فيه للصبر ولا قوة على التمالك بقوله :

* وانك مهما تامرى القلب يفعل * وأقبح من هذا عندى قوله :

يظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

ومما أدرك على زهير قوله فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل * علي الجذوع يخفن الغم والعرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق وانما ذلك لانهن يبتن فى الشطوط . ومما أدرك على النابغة قوله يصف الثور :

يحيد عن استن سود أسافله * مثل الاماء الغوادى تحمل الحزما

قال الاصمعى انما توصف الاماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو لانهن يجئن بالحطب اذا رحن . قال الاخفش التغلبى :

يظل بهار بدالنعام كانها * اماء يرحن با لعشي حواطب

وأخذ عليه فى وصف السيف قوله :

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

زعم انه يفسد الدرع المضاعفة والفارس والفرس . ثم يقع فى الارض فيقدح النار من الحجارة . وهذا من الافراط القبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصف المرأة قوله :

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

ومما أخذ عليه قوله :

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فشبه نفسه بالدلو وشبه النعمان خطاطيف حجن يريد خطاطيف معوجة يمد بها الدلو . وكان الاصمعي يكثر التعجب من قوله :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته * وهل على بان أخشاك من عار

ومما أدرك على المتلمس قوله :

وقد أتناسي الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

والصيعرية سمة للنوق فجعلها صفة للفحل . وسمعه طرفة وهو صبي ينشد هذا البيت فقال استنوق الجمل فضحك الناس وصارت مثلا . واخذ عليه أيضا قوله :

أحارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتي لا يمس دم دما

وهذا من الكذب المحال . ومما ادرك على طرفة قوله :

أسد غيل فاذا ماشربوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

فذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط لهم ذلك اذا صحوا كما قال عنترة :

واذا شربت فانني مستهلك * مالى وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمي

ومما أدرك على عدى بن زيد قوله فى صفة الفرس :

فضاف يعري جله عن سراته * يبد الجياد فارها متتابعا

ولا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وعتيق . ويقال للكودن والبغل والحمار فاره . ومما أدرك عليه وصفه الخمر بالخضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك فقال :

والمشرف الهندي يسقي به * أخضر مطموثا بماء الجريض

ومما أدرك على أعشى بكر قوله :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شلل

وهذه الالفاظ الاربعة فى معني واحد . ومما أدرك على لبيد قوله :

ومقام ضيق فرجته * بمقامي ولساني وجدل
لويقوم الفيل أوفياله * زل عن مثل مقامي وزحل

فظن ان الفيال أقوي الناس كما ان الفيل أقوى البهائم . ومما أدرك على عمرو بن أحمد الباهلى قوله يصف المرأة :

لم تدر مانسج اليرندج قبلها * ودراس أعوص دارس متجدد

اليرندج جلود سود فظن انه شيء ينسج ودراس أعوص يريد انها لم تدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحيانا ويتبين أحيانا . وقد اتى ابن أحمر فى شعره بأربعة ألفاظ لم تعرف فى كلام العرب منها انه سمى النار ماموسا ولا يعرف ذلك كما قال * تطاير عن ماموسها الشرر . وسمى حوار الناقة مانوسا ولا يعرف ذلك فقال :

حنت قلوصى الى مانوسها جزعا . فما حنينك اما أنت والذكر

وفى بيت آخر ذكر فيه البقرة * وقبس عنها فرقد خضر * أى تاخر ولا يعرف التقبيس . وقال * وتقنع الحرباء أرنبة * يريد ما انف على الرأس ولا تعرف الارنبة فى غير شعره ومما أدرك على نصيب بن رباح قوله :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

تلهف على من يهيم بها بعده . ومما أدرك على الراعى قوله فى المرأة :

تكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

أراد المسك فجعله من قصب والقصب المعي فجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنها المسك . ومما أدرك على جرير قوله فى بني العدوس رهط الاخطل :

هذا ابن عمي فى دمشق خليفة * لوشئت ساقكم الى قطينا

القطين فى هذا الموضع العبيد والاماء . وقيل له أباحرزة ماوجدت في تميم شيا تفخر به عليهم حتي فخرت بالخلافة لا والله ان صنعت فى هجائهم شيا . ومما أدرك على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الامسحتا أو مجلف

وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيء يرضى . ومثل ذلك قوله :

عداة أحلت لابن أصرم طعنة * حضين عبيطات السدائف والخمر

فنصب عبيطات السدائف ورفع الخمر وانما هي معطوفة عليها . وكان وجهها النصب فكانه أراد وحلت له الخمر . ومما أدرك على الاخطل قوله في عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله خلافة منهم * لابيض لا أري الخوان ولا جدب

وهذا مما لا يمدح به خليفة . وأخذ عليه قوله في رجل من بني أسد يمدحه وكان يعرف بالقين ولم يكن قينا . فقال فيه :

نعم المجير شهابا من بني أسد * بالسيف اذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وانبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وهذا مدح كالهجاء . ومما أدرك على ذي الرمة :

تصغى اذا شدها بالكور جارحة * حتى اذا ما استوى في غرزها تثب

وسمعه اعرابي ينشده فقال صرع والله الرجل ألا قلت كما قال عمك الراعي :

وواضعة خدها للزما * م فالخد منها له اصعر
ولا تعجل المرء قبل الركو * ب وهي بركبته ابصر
وهي اذا اقام في غرزها * كمثل السفينة او اوقر

ومما أدرك عليه أيضا قوله :

حتى اذا دومت في الارض راجعها * كبر ولو شاء نجى بيته الهرب

قالوا التدويم انما يكون في الجو يقال دوم الطائر في السماء اذا خلق واستدار ودوى في الارض اذا استدار فيها . ومما أدرك على أبي الطمحان القيسي قوله :

لما تخايلت الحمول حسبتها * دوما بايلة ناعما مكموما

الدوم شجر المقل وهو لا يكم وانما يكم النخل . ومما أخذ على العجاج قوله :

كأن عينيه من الغؤور * قلتان أو حوجلتا قارور
صيرتا بالنضح والتصبير * صلاصل الزيت الى السطور

الحوجلتان القارورتان جعل الزجاج ينضح ويرشح . ومما أدرك على رؤبة قوله :

كنتم كمن أدخل في حجر يدا * فاخطا الافعي ولاقي الاسودا

جعل الافعي دون الاسود وهي فوقه في المضرة . وأخذ عليه في قوله في وصف الظليم :

وكل زجاء سحام الخيل * تبرى له فى رعلات خطل

فجعل للظليم عدة اناث كما يكون للحمار وليس للظليم الا أنثى واحدة . وأخذ عليه قوله يصف الراعى * لا يلتوى من عطش ولا نعق * انما هو النعيق والنعاق وانما يصف الرامى . وادرك عليه قوله :

اقفرت الوعثاء والعثاعث * من أهلها والبرق البرارث

انما هي البراث جمع برث وهي الارض اللينة. وادرك عليه قوله * ياليتنا والدهر يجرى السمهى * انما يقال ذهب السمهي أى فى الباطل . وأخذ عليه قوله * أوفضة أوذهب كبريت * قال فسمع بالكبريت انه أحمر فظن انه ذهب . ومما يستقبح من تشبيهه قوله فى النساء : * يلبسن من لين الثياب نيما * والنيم الفرو المقشى * وأخذ عليه قوله فى قوائم الفرس : * يهوين مساو يقفن وقفا * وانشده سالم بن قتيبة فقال له اخطأت يا أبا الحجاف جعلته مقيدا . قال له رؤبة ادنى من ذنب البعير. ومما أدرك على أبي نخيلة الراجز قوله فى وصف المرأة:

سرية لم تاكل المرققا * ولم تذق من القبول الفستقا

فجعل الفستق من البقول وانما هو شحم . ومما أدرك على أبي النجم قوله فى وصف الفرس : * يسبح أخراه ويطفوا وله * قال الاصمعى اذا كان كذلك فحمار الكساح أسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح . و نما الوجه فيه ماقال اعرابى فى وصف فرس أبى الاعور السلمي: مركلمع البرق شام ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره وأخذ عليه أيضا فى الورود قوله :

جاءت تسامي فى الرعيل الاول * والظل فى أخفافها لم يفصل

فوصف انها وردت فى الهاجرة وانما خير الورود غلسا والماء بارد كما قال الآخر : * فوردت قبل الصباح الفائق * وكقول لبيد بن ربيعة العامري * ان من ورد لتغليس النهل * وقال آخر * فوردن قبل تبين الالوان * وأنشد بشار الاعمى قول كثير عزة :

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالا كف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة فوالله لو جعلها عصا زند لهجنها ألا قال كما قلت :

و بيضاء المحاجر من معد * كان حديثها قطع الجمان

اذا قامت لحاجتها تثنت * كان عظامها من خيزران

ودخل العتابي على الرشيد فانشده في وصف الفرس :

كان أذنيه اذا تشوفا * قادمة أو قلما محرفا

فعلم الناس انه لحن ولم يهتد أحد منهم الى اصلاح البيت غير الرشيد فانه قال قل : * تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فانه أصاب التشبيه . حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط . قال حدثني أحمد بن محمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان ابن عباس السعدي عن السائب راوية كثير عزة . قال قال لي كثير عزة يوما قم بنا الى ابن أبي عتيق نتحدث عنده . قال فجئنا فوجدنا عنده ابن معاذ المغني فلما رأى كثيرا قال لابن ابي عتيق الا أغنيك شعر كثير عزة قال نعم فغناه :

أ أبيت سعدى انها ستبين * كما بت من حبل القرين قرين
أأزم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين
كانك لم تسمع ولم تر قبلها * تفرق آلاف لهن حنين
فاخلفن ميعادي وخن أمانتي * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن ابي عتيق الى كثير . فقال وللدين صحبتهم يا ابن أبي جمعة ذلك والله أشبه بهن وأدعي للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالوفاء والامانة ذو الرقيات أشعر منك حيث يقول :

حبذا الادلال والغنج * والتي في طرفها دعج
والتي ان حدثت كذبت * والتي في ثغرها ثلج
خبروني هل على رجل * عاشق في قبلة حرج

فقال كثير قم بنا من عند هذا . ومضى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال اني بباب المأمون اذ خرج عبد الله بن السمط . فقال لي علمت ان أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشعر . قلت له وبم علمت ذلك قال اسمعته الساعة بيتا لو شاطرني ملكه عليه لكان قليلا . فنظر الي نظرة سمجة كاد أن يصطلمني عليها . قلت له وما البيت فانشد :

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ويلك واذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبر امرها ألا قلت كما قال جدك في عبد العزيز بن مروان :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

فقال الآن علمت انى اخطأت . الهيثم بن عدى قال : دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه . فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لا أحسبهم اجتمعوا بباب احد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتى ينشدوك فاذن لهم فانشدوه . وكان فيهم الفرزدق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة وترك البعيث فلم ياذن له . فقال الرجل المستاذن لهم لو أذنت للبعيث فلم ياذن له . وقال انه ليس كهؤلاء انما قال من الشعر يسيرا قال والله يا امير المؤمنين انه لشاعر فاذن له . فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا انك انما أذنت لهم دونى لفضل لهم على . قال اولست تعلم ذلك قال لا والله ولا علمه الله لى . قال فانشدني من شعرك قال أما والله حتى انشدك من شعر كل رجل منهم ما يفضحه . فاقبل على الفرزدق فقال قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بنى كليب :

باى رشاء ياجرير ومائح * تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وانما ياتيه من تحته لو كان يعقل . وقد قال هذا كلب بنى كليب :

لقومي أحمى للحقيقة منكم * وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه الا عشية وقد نكحن وفضحن . وقال هذا النصرانى ومدح رجلا يسمي قينا فهجاه ولم يشعر . فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وقال ابن رميلة ورفع أخاه سلمي فقتل :

مددنا وكانت ضلة من حلومنا * بثدى الى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل باخيه ما فعل . فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه وقد قال له قد كشفت عن مساوى القوم فانشدنى من شعرك فانشده فاستحسن قوله ووصله واجزل له . ومما عيب على الحسن بن هانىء قوله فى بعض بني العباس :

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

فقالوا من حق الرسول صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره ولو اتسع متسع فاجاز لكان له مجاز حسن . وذلك ان يقول القائل من بنى هاشم لغيره من ابناء قريش منا رسول

الله صلى عليه وسلم يريد أنه من القبيلة التي نحن منها كما قال حسان بن ثابت

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره . ومما أدرك عليه قوله في البعير :

* أخنس في مثلى الكظام مخطمه * والاخنس القصير المشافر وهو عيب له وانما توصف المشافر بالسبوطة . ومما أدرك على أبي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

فجاء بها ماشئت من لطمية * يدوم الفرات فوقها ويموج

قالوا والدرة لا تكون في الماء الفرات انما تكون في الماء المالح . اجتمع جرير بن الخطفى وعمر بن الجا التيمي عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة . فانشده عمر بن لجا ارجوزته التى يقول فيها :

تلاطم الجبها على دلائها * تلاطم الازد على عطائها

حتى انتهى الى قوله : تجر بالاهون من دمائها * جر العجوز الشيء من خبائها

فقال جرير ألا قلت * جر الفتاة طرفى ردائها * فقال والله ماأردت الاضعف العجوز وقد قلت أنت أعجب من هذا وهو قولك :

وأوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

والله لئن لم يلحقن الا عشية ما لحقن حتي نكحن واحبلن ووقع الشر بينهما . وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فاقبل اليه الاخوص ونصيب فجعلوا يتحدثون . ثم سالهما عمر عن كثير عزه فقالوا هو ههنا قريب . قال فلو أرسلنا اليه قالا هو أشد ما ذى من ذلك قال فاذهبا بنا اليه فقاموا نحوه . فالقوه جالسا في خيمة له فوالله ماقام للقرشي ولا وسع له فجعلوا يتحدثون ساعة فالتفت الي عمر بن أبي ربيعة . فقال له انك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك . أخبرني عن قولك :

ثم استطيرت تشتد في أثري * تسال أهل الطواف عن عمر

والله لو وصفت بهذا هرة اهلك لكان كثيرا ألا قلت كما قال هذا يعني الاخوص :

أدور ولولا أن أري أم جعفر * بابياتكم مادرت حيث ادور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوي * وان لم يزر لا بد أن سيزور

قال فانكسر نخوة عمر بن أبي ربيعة ودخلت الاخوص زهوه . ثم التفت الى الاخوص فقال اخبرني عن قولك :

فان تصلي اصلك وان تبيني * بهجر بعد وصلك ماأبالي

أما والله لو كنت حراً لباليت ولو كسر انفك الا قلت كما قال هذا الاسود وأشار الى نصيب :

بزينب الممْ قبل أن يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانكسر الاخوص ودخلت نصيبا زهوه . ثم التفت الى نصيب فقال له أخبرني عن قولك :

اهيم بدعد ماحييت فان أمت * فوا كبدي من ذا يهيم بها بعدى .

همك ويحك من يفعل بها بعدك . فقال القوم الله أكبر استوت الفرقة قوموا بنا من عند هذا . ودخل كثير عزة على سكينة بنت الحسين . فقالت له يا ابن أبي جمعة أخبرني عن قولك في عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندي جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك وهل على الارض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها الاطاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم تر ياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثير عزة . فقال له انشدني بعض ماقلت في عزة فانشده الى هذا البيت

هممت وهمت ثم هابت وهبتها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك أما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك . قال ولم ياأمير المؤمنين قال لانك شركتها معك في الهيبة . ثم استاثرت بالحياء دونها . قال فاي بيت عفوت عني به ياأمير المؤمنين . قال قولك :

دعوني لا أريد بها سواها * دعوني هائما فيمن يهيم

ومما أدرك على الحسن بن هاني، قوله في وصف الاسد حيث يقول :

كانما عينه اذا التفتت * بارزة الجفن عين مخنوق

وانما يوصف الاسد بغؤور العينين كما قال العجاج :

كان عينيه من الغؤور * قلبان او حوجلتا قارور

وقال ابو زبيد : * كان عينيه نقباوان في جحر *

ومن قولنا في وصف الاسد ماهو اشبه به من هذا :

ولرب خافقة الذوائب قد غدت * معقودة بلوائه المنصور
يرمى بها الآفاق كل شرنبث * كفاه غير مقلم الاظفور
ليث تطير له القلوب مخافة * من بين همهمة له وزئير
وكانما يومى اليك بطرفه * عن جمرتين بجلمد منقور

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع
وأوله باب من أخبار الشعراء الخ

فهرست

﴿ الجزء الثالث ﴾

﴿ من كتاب العقد الفريد ﴾

(ذكر مافيه من الكتب)

كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور و أخبار الكتبة

كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة

كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعها

كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر و مقاطعه ومخارجه

صحيفة

صحيفة

﴿ تم الفهرس ﴾